إيمّا

تأليف : جين أوستين ترجمة : لوسى يعقوب



مكتبة الانجلو المصرية



تأليف: جين أوستن

ترجمة: لوسي يعقوب

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

رقم الايداع ٢٥٥١ / ٩٥

مقـــــــدمة

من أجمل الروايات الاجتماعية ٠٠ والتى تنبض بالمشاعر الانسانية الرقيقة ٠٠ والتعاطف الأسرى ٠٠ المترابط ٠٠ فى الأسرة ٠٠ والمجتمع الانجليزى ٠٠ رواية « ايمـا » التى كتبتها ٠٠ جين أوستن » بصــدق وواقعية ٠٠ ومتعة راقية فى الحوار المتبادل بين شخصيات هذه الرواية٠

وايمـا وود هاوس ٠٠ كانت تمارس هوايتها المفضلة فى هــذا المجتمع الريفى وكانت لعبتها هى « لعبة الزواج » هذه الهواية الممتعة التى كانت تمارسها « ايما » دائما ٠٠ دائما ٠٠ فكان عقلها ينشط ٠٠ وخيالها ينشط وأفكارها ٠٠ تمتـد وتمتــد لتجمع ما بين اثنين ٠٠ فى فكرها ٠٠ وفى خيالها ٠٠ ثم تطبيق الخيال ٠٠ على الواقع ٠

لقد عرفت أول ما عرفت هذه التسلية فى أول زواج نجح بطريقتها هذه ٠٠ لقد جمعت ما بين مربيتها « مس تايلور » وبين رجــل أرمل كان من المستحيل عليه أن يتزوج أو يفكر فى الزواج ٠٠ انه ٠٠ « مستر ويســتون » ٠

وعندما ذاقت حلاوة النجاح ٠٠ استمرات هذه اللعبة ٠٠ واحترمت ذكاءها الخارق ٠٠ ولكن يبـدو أنها كانت مغالية جدا فى تقــدير ٠٠ واحترام هذا الذكاء ٠٠ فكثيرا ما فشلت بعد ذلك ٠٠ ترتيباتها ٠٠ فى تزويج الشخصــيات التى تحيط بها ٠٠ وكثيرا ما تسـببت فى جروح وصدمات لأحبائها ٠٠ نتيجة لاعتزازها بذكائها ٠٠ وفى النهاية ٠٠ تزوج كل رجل ٠٠ وكل فتاة من محيط « ايما وود هاوس » بمن لم يخطر لها على بال ٠٠ مطلقا ٠٠ ولم يدخل ضمن أى تخطيط فى لعبتها هذه ٠٠ ؟

حتى هى ٠٠ شخصيا ٠٠ تزوجت رجلا لم تكن لتتخيل فى يوم من الأيام أنها سـوف تتزوجه ٠٠ لأنهـا كانت تعلن دائما ٠٠ بأنها لن تتزوج ٠٠ وأنها سوف تحيا بجوار والدها مستر « وود هاوس » ٠

فهـــل نـجحت ايما وود هاوس ٠٠ أم فشـلت ٠٠ وهل تعلمت من فشـــلها ٠٠ ؟

هذا ما سوف نعرفه من هذه الرواية ٠٠ التى تصور المجتمع الريفى الانجليزى ٠٠ الذى تتمثل كـــل مسرانه فى الزيارات والاجتماعات ٠٠ واللقاءات ٠٠ ومتعة تناول الشاى والأحاديث ٠٠ ؟

وسوف نرى تصوير جين أوستن لشخصية « ايما وود هاوس » التى ينشط خيالها ٠٠ وتفكيرها ٠٠ لكل حــدث ٠٠ لتبنى عليه استنتاجاتها وتمارس تـخطيطاتها ٠٠ لتنفيذ لعبتها المفضلة ٠٠ « لعبة الزواج »

لوسى يعقوب

جين أوســـتن

ولدت جين أوستن فى « ستيفنتسون » وهى قرية فى «بازنجتوك» فى انجلترا ٠٠٠٠٠ فى ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٥ ٠٠٠ وعاشت حياة القرية الهادئة كأى فتاة عادية فى أسرة انجليزية من الطبقة المتوسط فى ذلك الوقت ٠٠٠ ولم تلمسها الأحداث الخارجية حتى الثورة الفرنسية ٠٠٠ وهروب نابليون ٠٠٠ وكان ذلك من الصعوبة تماما بالنسبة للريف الذى عاشت فيه بعيدة بعدا تاما عن أحداث العالم كله ٠٠٠ وهـــذه الحياة هى التى وصفتها فى أكثر من نصف مؤلفاتها ٠٠٠ كان عالمها صـــغيرا ومحدودا ٠٠٠ ولكنه ينبض بالصدق ٠٠٠ ويفيض بالوعى الصادق ٠٠٠ والعلم والفهم ٠٠٠ حتى ليخيل الينا أن أبطال قصصها هم شـــخصيات حقيقية تعيش بيننا الآن ٠٠٠ وفى عالمنا هـــذا ٠٠٠ تماما كما شـــعر قراء وقتها ذاك ٠

ولا يمكن للمؤلف أن يكتب بصدق وانفعال وتشويق للقارىء الا اذا لم يكن على حب فيما يكتب ٠٠ ! وقد كانت « جين أوستن » غارقة فى حب « ايما وود هاوس » بطـلة روايتهـــا وايما وود هاوس ٠٠٠ وقع فى حبها كل قراء وعشاق أدب وفن « جين أوستن » ٠

وفى نوفمبر سنة ١٨١٥ حينما كانت « جين أوســتن » مع أخيها « هنرى » فى لنـــدن يشاهدان معا قصتها « ايما » بين يدى الناشر ٠٠٠ وقصتها الأخرى ٠٠٠ « مانســفيلد بارك » فى طبعـة ثالثة ٠٠٠ فقدت مشاعرها من الفـــرح وكان هنرى بها فخـــورا وهى تجلس بين معجبيها ٠٠٠ ومن بينهم « البرنس ريجنت » الذى عندما علم أنها فى المدينة ٠٠٠ أرسل اليها دعوة خاصة لزيارة مكتبته فى «كارلتون هاوس» وخلال زيارتها أخبرها مســـتر كلارك « أمين المكتبة » بأنه يشرفه أن يتلقى انتاجها الأخير ٠٠ ليقوم بنشره ٠٠ وكان يأمل « كما أخبرها » أن يتضمن هذا الانتاج حيـــاة القـــس ٠٠ ووصف ما يتخللها من أسرار

ببحث وصدق ·· وأمانة وأعطاها فكرة عن هذه الحياة وكان كل هدفه أن يرفع هذه القصة الى الأمير ·

ولم تصل أية امرأة كاتبة فى العالم الى شهرة « جين أوستن » التى استمرت فى الكتابة ولم تتوقف أبدا الا فى ظرف خارج عن ارادتها·

ففى الصفحة الأولى من المجلة الأسبوعية من الـ Sunday Magazine (صنداى ماجازين) ··· المؤرخة ٢٧ يناير سنة ١٨١٧ ·· ثم فى مارس سنة ١٨١٧ - والتى اعتادت أن تنشر قصص « جين أوستن » لوحظ أن الكتابة قد انقطعت ·· لمرضها الخطير ·

وبعد ·· فانه يمكن القول بأن جين أوستن كانت من عائلة متوسطة ·· تتكون من ستة أولاد ·· وابنتين ·· كانت أصغرهم « جين » وكاساندرا ·· أختها ·· لازمتها فى مدرسة داخلية ·· ومن هذه المدرسة ·· كانت جين تموت من أمراض هذه الشخصيات المحمومة فى القرن الثامن عشر ·· والتى انطبعت فى ذاكرتها انطباعا ·· أطلقته فيما بعد ··

وعادت الى المنزل بعد المرحلة الثانية من الدراسة ·· وكانت فى التاسعة ·· وملازمة أيضا ·· « لكاساندرا » أختها ·· فاذا كانت رأس « كاساندرا » ستقطع ، فان جين كانت ستصر على أن تشاركها أيضا فى هذا القطع ·

وبعد شهر من مرضها ·· ذهبت مع « كاساندرا » لتكون فى عناية دكتور فى « ونشستر » وهناك فى ١٨ يوليو عام ١٨١٧ ·· ماتت « جين أوستن » بين ذراعى أختها وحبيبتها ···· وتوأم روحها ·· « كاساندرا » وورى جثمانها فى كاتدرائية « ونشستر » ·

لوسى يعقوب

الفصل الأول

« ايما وود هاوس » جميلة ٠٠ نشطة ٠٠ وغنية ٠

منزل مريح ومنظم ٠٠ ويبدو انها قد حصلت على أفضل منحة فى العالم ٠٠ حتى تعيش حوالى أحدى وعشرين عاما من عمرها بقليل جدا من الكدر ٠٠ ليعكر صفوها ٠

كانت الصغرى لاختين ٠٠ وأب حبيب رقيق عطوف ٠٠ وأصبحت فى فترة مبكرة ٠٠٠٠ سـيدة لمنزله ٠٠ نتيجة لزواج أختها ٠٠ وكانت أمها قد توفيت منذ عهد بعيـد ٠٠ بحيث جعلهـا لا تتذكر شـيئا من حنانها ٠٠ وشغل مكانها بامرأة ممتازة ٠٠ عملت كمربية ٠٠٠ وتمكنت فى وقت قصير جدا بأن تحظى بمحبة الأم ٠

ستة عشر عاما قضتها « مس تايلور » فى منزل عائلة « مسـتر وود هاوس صديقة أكثر منها مربية ٠٠ شغوفة بالاختين معا ٠٠ ولكن « ايما » بصفة خاصة ٠٠ ؟ أما الاختين فكانت العـلاقة بينهما تربطها الصلة الأخوية المترابطة ٠٠ حتى قبل أن تتخذ صفة المربية ٠٠ فانها ٠٠ باخلاقها ٠٠ الهادئة الوديعة ٠٠ لم تمكنها من فرض أى سياج فى هذه العلاقة ٠٠ وغاب شبح التحكم والسيطرة ٠٠ وعاشوا سويا ٠٠ أشـد ما يكونوا حبا وصداقة ٠ وارتباطا ٠٠ وتآلفا ٠٠ وكانت ايما تتصرف كما تريد ٠٠ باعجاب وتقدير ٠٠ لادارة « مس تايلور » ٠٠

وفى الحقيقة ٠٠ أن الشر الحقيقى الـذى كان يكمن فى وضـع « ايما » كان فى قوة اعتدادها بتصرفاتها الشخصية ٠٠ وفى قلة التعاطف التفكير قليلا فى نفسها ٠٠ هذان العاملان كانا من الأسـباب المنغصة للكثير من المسرات وعلى أى حال ٠٠ فان الخطر فى الوقت الحالى ٠٠ لم يكن من الوضوح ٠٠ بحيث يمكن بأى معنى من المعانى أن يشكل أى خطر عليها ٠٠ أو سوء حظ ٠

وأتى الحزن ‥ حزن رقيق ‥ ولكن أبدا ‥ لم يأت ببداية غير محببة ‥‥ لقد تزوجت « مس تايلور » ‥ ؟ ان البداية التى جلبت الحزن ‥ كانت فى فقد « مس تايلور » ‥ ؟

كان ذلك فى يوم زفاف الصديقة الحبيبة ‥ ووجدت « ايما » نفسها فى حالة حزن قاتل ‥ بلانهاية ‥ وانتهى حفل الزفاف ‥ وانفض المدعوون ‥ ووجدت ايما نفسها فجأة ‥ هى وأبوها ‥ بلا رفيق ثالث متوقع أن يشاركهما العشاء ‥ والليل الطويل ٠

وذهب أبوها لينام كما اعتاد دائما بعد العشاء ‥ ولم يكن لدى ايما حينئذ ‥ الا أن تجلس ‥ وتفكر ‥ فيما ضاع منها ٠

لقد كانت كل البوادر تبشر بسعادة مقبلة لصديقتها ‥ فان « مستر ويستون » كانت له شخصيته ‥ غير العادية ‥ متيسر ‥ سن مناسب ‥ وصفات حلوة هادئة ‥ وكان هناك شىء من الرضاء ‥ يمكن أن يؤخذ فى الاعتبار ‥ وهو ‥ أنها هى نفسها « ايما » قد قامت بترتيب هذا الزواج ‥ وربط مستر ويستون بمس تايلور ٠

وكانت أحلى أمنياتها أن تنجح فى جمع شملهما ‥ ولكنه كان يوم أسود لما فعلت ‥ ان الرغبة والاحتياج لمس تايلور كان يزداد بها الحاحا فى كل ساعة من ساعات النهار ‥ ورأت فى خيالها ‥ مس تايلور ‥ بحنانها ‥ وعطفها ‥ وحب ستة عشر عاما ٠

كيف قامت بتعليمها ‥ وكيف كانت تلعب معها ‥ منذ أن كانت فى الخامسة من عمرها ‥ كيف أنها تنازلت عن سلطتها ‥ وكل حقوقها ‥ لكى تجعلها تستمتع برعايتها الخاصة ‥ وبصحبتها ‥ كيف قامت برعايتها ‥ وتمريضها ‥ والعناية بها خلال كل أمراض طفولتها ‥

هنا ‥ ؟ كانت تكمن مشاعر الاعتراف بالجميل ولكن الصلة التى قامت بينهما بعمق ومودة ‥ كانت فى الفترة التى أعقبت زواج « ايزابيلا » وأصبحت هى ومس تايلور بمفردهما ٠ كل للأخرى ‥ وهنا أيضا ‥ زاد الحب ‥ والترابط ‥ والتصقت ايما بها أصبحت صديقة

.. رفيقة .. حبيبة .. مفيدة .. رقيقة .. لطيفة .. ؟ كانت كلهـــا بنفســها بكيانها .. مع الأسرة .. تعرف كل شئونها .. وكل مايسعدها ويرضيها .... كانت حبيبة الكل .. وخاصة معها هى .. كانت تجد فيها نفسها .. تجد فيها انسانة عطوفة .. يمكنها أن تتحدث معها بكل خاطر يعن لها .. بكل فكر .. بكل رغبة وهى .. مس تايــلور .. تستمع اليها .. وتتقبل منها كل شىء .. بحب وتشوق .. أبدا لم تجد لها أى خطأ .. أو هفوة ..

كيف يمكنها أن تتحمل هذا التغيير .. ؟ حقا .. ان صديقتها لم تبعد عنها الا نصف ميل فقط .. لكن ايما كانت تدرك الفرق الكبير بين « مسز ويستون » فقط على بعد نصف ميل منها .. وبين «مس تايلور» معها فى المنزل .. وبكل صفاتها .. وأخلاقها الطبيعية الهادئة .. انها الآن فى خطر كبير .. من معاناة مثل هذا الانتقال .. انها تحب اباها .. بعمق .. ولكنه ليس بالرفيق الذى يصلح لهـــا .. يتقابل معها فى الحديث ولا فى المسرات .

أيضا . .فان آفة الفارق البعيد بينهما فى الســن .. ازدادت فى ظروفه الحالية .. وفى تصرفاته .. (فان مستر وود هاوس) لم يتزوج فى (سن مبكرة) .. ؟ وفى حالته التى جعلته يعيش طـــول حياته متمارضا .. بلا أدنى نشاط أو فكر فى العقل أو الجسد عتيق أكثر فى تصرفاته أكثر منه فى عمره .

ولكنه حبيب .. ومحبوب فى كل مكان .. لتعاطفه .. وانسانيته .. ومودته .... وطباعه الحلوة .. ولكن هذه الهبات .. لايمكنها أبدا أن تزكيه فى كل وقت .

أختها كذلك بالمثل .. لكنها تحررت قليــلا بالزواج .. وباقامتها فى لندن .. فقط على بعد ستة عشر ميلا .. كان أكبر من أن تدرك يوميا .. والآن .. عليها أن تصارع ليالى أكتوبر ونوفمبر وحدها .. فى « هارتفيــلد » .. قبـــل أن تحضر ايزابيلا وزوجها وأطفالها فى

« الكريسماس » .. ليملأوا عليها المنزل .. ويعيــدوا اليها .. بهجة الصحبة الممتعة ثانيا .

وكانت « هارتفيلد » محاطة بقرية شعبية كبيرة .. بها معـــارف كثيرون .. وكانوا ينظرون الى عائلة « وود هاوس » بتقدير كبير .. لاقامتهم من مدة طويلة .. ولكون أبوها .. مواطن عام .

كل هذا .. لا يغنى عن « مس تايلور » .. كان شيئا مستحيلا قبول هذا التغيير أو مثل هذا التغيير .. وكانت تتمنى أشياء مستحيلة .. لتحدث .. حتى يستيقظ أبوها .. ومن الضرورى أن تجعله مرحا .

ولكن كان عصبيا .. ويكره التغيير .. من أى نوع كان .. وعلى هذا .. فقد كان لرحيل « مس تايلور » تأثيرا سيئا على نفسه .. أنه شىء بائس لكليهما .. و « لمس تايلور » ولهما أيضـــا .. انهـا كانت ستعيش أكثر سعادة .. وأكثر هناء لو قضت بقية عمرها فى هارتفيلد وضحكت ايما .. وحاولت أن تخرجه من أفكاره .. ولكنه قال مثلما قال قبلا فى العشاء .

« مسكينة مس تايلور » .. لكم أتمنى أن تكون بيننا . يالها من رحمة .. أن يفكر فيها مستر ويستون هكذا .

قالت ايما : انا لا أوافقك يابابا .. وأنت تعرف أنه لا يمكننى أبدا أن أوافقك على هذا فان مستر ويستون رجل ممتاز .. لطيف المعشر .. وهو يستحق زوجة طيبة .. وأنت لن تجعل مس تايلور تعيش معنا الى الأبد .. وتتحمل كل أخلاقى وتصرفاتى المختلفة عنها تماما .. بينما يمكنها أن يكون لها منزلها الخاص .

— منزلها الخاص .. ؟ ولكن اين هى الفائدة من حصولها على منزل خاص .. هذا أكبر من منزلها ثلاث مرات .. وأنت أبدا يا عزيزتى .. لم تكن لك أية تصرفات شرسة .

— اننا على أى حال سنذهب لنراها .. وهما بالطبع سوف يحضران

لرؤيتنا ٠٠ سوف نتقابل دائما ٠٠ وعلينا أن نبدأ ٠٠ بزيارة الزفاف قريبا جدا ٠٠ اليس كذلك ٠٠ ؟

ـ يا عزيزتى ٠٠ من أنا حتى يمكننى الذهاب هكذا سريعا ٠٠ هكذا بعيدا ٠٠ وان « راندال » تعتبر بعيدة بالنسبة لى ٠٠ أبدا لايمكننى السير نصف هذه المسافة ٠

ـ أبدا ٠٠ يابابا ٠٠ أبدا ٠٠ لم يفكر أحد فى السير ٠٠ سوف نذهب بالعربة حتى نتأكد من ذلك ٠

ـ العربة ٠٠ ولكن جيمس لن يقبل ان يضع الجياد فى العربة لمثل هذه المسافة القصيرة ٠٠ وأين تكون الجياد المسكينة خلال هذه الزيارة ٠٠ ؟

ـ سوف نضعها فى اسطبل مستر ويستون يا بابا ٠٠ أنت تعلم أننا قد رتبنا كل ذلك وقد تحدثنا بشأنها أمس مع مستر ويستون ٠٠ أما عن جيمس ٠٠ فعليك أن تطمئن الى أنه يرحب دائما بالذهاب الى « راندالز » ليرى ابنته التى تعمل بمنزل مستر ويستون ٠٠٠ وأننى أشك فى أنه يرغب فى الذهاب الى أى مكان آخر غير « راندالز » ٠٠ أنت الذى فعلت ذلك يا بابا ٠٠ انت الذى أعطيت حنة هذا المكان الجميل ٠٠ لم يفكر أحد فى حنة الا حين تذكرتها أنت ٠٠ وجيمس معترف بجميلك ٠

ـ أننى سعيد جدا لأننى فكرت فيها ٠٠ لقد كان حظا حسنا ٠٠ لأن جيمس المسكين كان لا يمكنه الانفاق عليها ٠٠ اعتقد أنها ستكسب كثيرا من الخدمة هناك ٠٠ فهى فتاة لطيفة ٠٠ متدينة ٠٠ ومحدثة لبقة ٠٠ أننى أحمل لها كثيرا من التقدير ٠٠ دائما عندما تقابلنى تسألنى فى لهجة مؤدبة عن صحتى ٠٠ وعن حالى ٠٠ ودائما نستدعيها لأعمال الأسرة هنا ٠٠ تقفل الباب بالطريقة الصحيحة ٠٠ أننى متأكد من أنها ستكون خادمة ممتازة ٠٠ وسيكون وجودها مبعثا لسرور مس تايلور ٠٠ لأنها ترى وجها مألوفا لديها ٠٠وعندما يذهب جيمس لزيارة ابنته٠٠فانها سوف تسمع أخبارنا٠

وسرت ايما بهذه الأفكار المفرحة التى انبثقت فى مخيلة والدها ٠٠ وقررت أن تجعل لهذه الفرحة امتدادا لا يعكره شىء ٠٠ فوضعت مائدة اللعب ٠٠ ولكن ٠٠دخل زائر وكان من غير الضرورى وجود هذه المائدة٠

كان الزائر هو « مستر نايتلى » رجل لطيف فى السابعة أو الثامنة والثلاثين من عمره ولم يكن فقط صديقا حميما للعائلة ٠٠ ولكن أيضا ٠٠ مرتبط بها ٠٠ لكونه الأخ الأكبر لزوج « ايزابيلا » ويعيش على بعد ميل من « هايبرى » وزائر مستديم ٠٠ ولكنه كان يقابل دائما بالترحاب ٠٠ وفى هذه المرة بالذات ٠٠ قوبل برتحاب أكبر ٠٠ لأنه قادم ممن لهم بهم صلة فى لندن ٠٠ بعد عشاء متأخر هناك ٠٠ وغياب لعدة أيام ٠٠ وكان عنده من الأخبار ما يشوقهما لسماعها ٠

أما أخلاقه فكانت طيبة ٠٠ وله من سعة الصدر وطول الأناة ٠٠ ما يجعله يجيب على كل الاستفسارات ٠

وبعد ٠٠ « المسكينة ايزابيلا » وأولادها ٠٠ واجابته المرضية ٠٠ قال مستر وود هاوس بعرفان وتقدير :

— انه لمن كرم الأخلاق أن تأتى لتزورنا فى مثل هذه الساعة المتأخرة يا مستر نايتلى ٠٠ وأننى أخشى أن تكون قد قاسيت من مرارة الطريق ٠

— أبدا يا سيدى ٠٠ لقد كان ليلا مقمرا بديعا ٠٠ بحيث يجعلنى أعود اليه تاركا الدفء هنا ٠

— ولكننى أعتقد ٠٠ بأنك قد وجدت الطريق مظلما ٠٠ وموحلا ٠٠ وأتمنى ألا تصاب بالبرد ٠

— وحل ٠٠ قذارة ٠٠ أنظر الى حذائى ٠٠ ولا نقطة وحل ٠٠ او تراب عليه ٠

— هذا شىء مدهش ٠٠ لقد أمطرتنا السماء بشدة وغزارة ٠٠ حوالى نصف ساعة عندما كنا على الافطار ٠٠ وتمنيت لهم أن يوقفوا الزفاف ٠

— على فكرة .. أننى سعيد للغاية .. ومسرور جدا لرؤيتكما هكذا .. لم أتعجل تقديم التهانى .. وأتمنى أن يكون قد مر كل شىء على خير . .من منكما بكى أكثر .. ؟

— أوه .. مسكينة مس تايلور .. لقد كان شيئا محزنا .. محزنا حقا.

— اذا سمحتما لى .. مسكينان انتما .. يا مستر ويا مس وود هاوس .. ولكننى لا يمكن أن أقول .. مسكينة مس تايلور .. أنى أحمل لكما تحيات عميقة .. لك ولايما .. أما اذا كان الأمر يصل الى مرحلة التبعية أو الوجود .. فأننى أعتقد انه من الأفضل أن يكون هناك واحدا فقط .. يمكن اسعاده .. بدلا من اثنين .
قالت ايما مازحة :

— خاصة اذا ما كان هذا الواحد .. مخلوقا مشاكسا .. متعبا .. انا أعرف أن هذا هو ما يدور برأسك .. وما تود أن تقوله اذا لم يكن بابا هنــا .

قال مستر وود هاوس باطراقة ألم :

— فى الحقيقة .. أعتقد أن هذا حق ياعزيزتى .. أننى أخشى أن أكون فى بعض الأحيان شخصا « مملا » .. أو متعبا .

— حبيبى بابا .. ؟ أظن أنك لا تفكر فى أننى أقصدك .. أو تعتقد أن مستر نايتلى أيضا يقصدك .. أوه .. يا لها من فكرة مزعجة .. أبدا .. أبدا .. أننى أقصد نفسى فقط .. نفسى .. ودائما .. دائما . يريد مستر نايتلى أ نيتصيد لى الأخطاء .. أنت تعلم أننا نمزح .. فقط نمزح يا بابا .. ونقــول ما نحب أن نقــوله بعضنا لبعض .

وفى الحقيقة .. فان مستر نايتلى كان من القــلائل الذين يرون عيوب « ايما وود هاوس » والوحيد الذى كان يقول لها عنها .. ولم يكن هذا ليرضى « ايما » وتعلم أن اخطاءها لا يشــعر بها أبوها .. ولا يتوقع مثل هذه الظروف التى تجعلها تبدو غير كاملة أمام كل انسان.

قال مستر نايتلى : ان ايما تعرف جيدا أننى لا أجاملها ·· ولكننى لم أقصد أى شخص ان مس تايلور تعودت أن تسعد شخصين والآن ·· أصبح لها شخص واحد لتسعده ·· والفرصة أنها الآن هى الرابحة ·

وسعدت ايما بمرور هذه اللمحة القاتمة ·· وقالت :

— حسنا ·· أنت نريد أن تسمع كـــل شىء عن حفـــلة الزفاف ·· ويسعدنى أن أقول لك : لقد كنا كلنا فى غاية الانشراح ·· كل واحد فى أجمل منظر ·· وأحلى زينة ·· ولا دمعة واحدة ·· ولا يوجد أى عابس بيننا ·· لقد شعرنا فقط بأننا ··سننتقل لنصف ميل ·· ومتأكدين من اللقاء كل يوم ·

أجاب والدها :

— حبيبتى ايما ·· كيف يمكن تكييف مثل هذا الأمر ·· أبدا يا مستر نايتلى ·· انها فى الحقيقة شديدة الألم ·· لفراق مس تايلور وأننى واثق من أنها سوف تفتقدها أكثر مما تظن ·
وأدارت ايما رأسها ·· لتخفى مزيجا من الابتسامات ·· والدموع·

وقال مستر نايتلى :

— من المستحيل ألا تفتقد ايما مس تايلور ·· كانت لها نعم الرفيق·· ولكننا يجب أن لا نجعلها تتمادى فى هذا ·· عليها أن تدرك ماذا يعنى مثل هـــذا الزواج لمس تايلور ·· عليهـــا أن تدرك معنى استقرار مس تايلور فى مثل هذه السن ·· وان تدرك معنى وجود منزل خاص بها · ·كل صديق لمس تايلور يشاركها الشعور بالسعادة لمثل هذا الزواج ·

قالت ايمـــا :

— وأنت نسيت سعادة خاصة بى ·· فاننى أنا التى جمعت بين مس تايلور ومستر ويستون أنا التى رتبت هذا الزواج ·· أنت تعلم أنه من أربع سنوات وأنا أعمل لهذا الأمر قال النـــاس « لايمكن أن

يتزوج مستر ويستون ثانيا » وقلت أنا ٠٠ لا ٠٠ بل يمكن ٠
وهز مستر نايتلى رأسه لأيما ٠٠ وأجاب والدها بشغف :

— آه يا حبيبتى ٠٠ أننى أريد ألا تشغلى نفسك بعمليـــة الزواج ٠٠ وانني أصلى ألا تفعلينها ثانيا ٠

— أعدك بأننى لن أفعلها لنفسى بابا ٠٠ ولـكن ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ يجب أن أعملها لغيرى ٠٠ أنها أكبر متعة فى العالم ٠٠ وبعد كل نجاح ٠٠ آه ٠٠ ما أمتع هذا ٠ لقد قال كل الناس أن مستر ويستون لن يتزوج ثانيا٠٠ ذاك الذى ظل ارملا لمدة طويلة ٠٠ وبدا سعيدا طوال هذه المدة بدون زوجة ٠٠ كل العائلات ترحب به ٠٠ وهو مشغول بأعماله وصداقاته ٠٠ مبتسم دائما ٠٠ ومن يبدو هكذا ٠٠ قطعا لا يفكر فى الزواج ٠٠ بعض الناس يقولون ٠٠ بأن مســتر ويستون قد أقسم على فراش موت زوجته بأنه لن يتزوج ٠٠ ومن ناحية أخرى ٠٠ بعض الأعمام ٠٠٠٠ والعمات ٠٠ حالوا بينه وبين الزوجات ٠٠ لمصلحتهم الخاصة ٠٠ ولكننى أنا لم اقتنع بهـــذا القول ٠٠ ولا بأى قول آخر ٠٠ وكان ذلك منذ أربع ســنوات ٠٠ وفى اللحظة التى تقابلت معه ٠٠ أنا ومس تايلور ٠٠ فى زقاق « برود واى » ٠٠٠٠٠٠ واستعار لنا شمسيتين من الفلاح «ميتشيل» ٠٠ من هذه اللحظة ٠٠ تحرك فكرى ٠٠ لهذه اللعبة ٠٠ نعم ٠٠ منذ تلك اللحظة ٠٠ والآن ٠٠ بعد أن ذقت طعم النجاح ٠٠ لاتفكر أبدا ان اترك هذه اللعبة ٠٠ يا بابا ٠
قال مستر نايتلى :

— أنا لا أفهم ماذا تقصدين بكلمة « نجاح » اذا كانت أربع سنوات قد ضاعت لمثل هذا النجاح ٠٠ وتنشغل به سيدة صغيرة ٠٠ فيا له من نجاح بائس ٠٠ وعمل ضئيل يشغل فكر ســـيدة ٠٠ اما اذا كنت تقصــدين ٠

— وهذا ما أتخيله ٠٠ ان ترتيبك لهذا الزواج أى تخطيطك له ٠٠ انك قد قلت لنفسك فى يوم خامل : « ما أجمله من عمل – وما أروعه ٠٠ اذا ما تزوج مستر ويستون من مس تايلور ٠٠ ؟ وتكررين

لنفسك ‥ فهذا هو العمل الجميل ‥ ثم لماذا تكلمين عن النجاح ‥ أين مشاعرك ‥ ؟ وأين هذا العمل الذى تفخـــرين به ‥ ؟ ضمنت تخمينا محظوظا ‥ هل هذا كل ما يمكنك أن تقولينه ‥؟

ـــ أنى لأرثى لك ‥ ألم تستمنع أبدا من مثل هذا التخمين ‥ لقد اعتقدت فيك المهارة‥لقد رسمت صورتين للموضوع الذى تتشاجر من أجله ‥ ولكننى أعتقد أنه ربما تكون هناك صورة ثالثة ‥ شىء بين عدم فعل شىء ‥ وفعل كل شىء اذا لم أكن قـــد رتبت زيارات مستر ويستون هبا ‥ ودفعت بكل الأشـياء الصـــغيرة الشجاعة ‥ ومهـــدت كل الأمور الصـــغيرة ‥ كان من الممكن ألا يحدث شىء على الاطلاق ‥ أعتقد أنك تعرف « هارتفيلد » جيدا لكى تدرك كل هذا ٠

ـــ ان رجلا مستقيما ‥ مفتـــوح القلب مثل « ويســـتون » وامرأة مدركة ‥ واعية مثل « مس تايلور » ـ من البـــديهى أن يتركا سويا ‥ ليتمكنا من تدبير شئونهما الخاصة بنفسيهما ‥ لقـــد فعلت شيئا سيئا لنفسك ‥ أكثر مما فعلت شيئا حسنا لهما ‥ بتدخلك هذا ٠

قال مستر وود هاوس بادراك :

ـــ ايما لا تفكر أبدا فى نفسها اذا ما كانت تؤدى خدمة للآخرين ‥ ولكن ‥ يا عزيزتى ‥ أتوسل اليك أن لا تفعلى مثل هذه الزيجات بعد ذلك ‥ انها أشياء سخيفة ‥ وتقطع حلقة اتصال العائلة ٠

ـــ واحدة فقط ‥ واحدة فقط يا بابا ‥ لمستر ايلتون ‥ مســكين مستر ايلتون أنت تحب مستر ايلتون يا بابا ‥ يجب على أن أبحث له عن زوجة ‥ لا توجد واحدة فى « هايبرى » تستحقه ‥ ولقد مضى عليه الآن ‥ عاما ‥ بأكمله وقد نســـق منزله ‥ وأعاد رونقه ‥ وجعله جميلا ‥ مريحا ‥ بحيث أصبح من العار تركه وحيدا أكثر من ذلك ‥ لقد رأيته اليـــوم ‥ ينظر بحسرة الى أيديهما وهما تتصافحان ‥ وشـــعرت بأنه يريد أن أفعــل نفس

الشىء له ٠٠ أننى أفكر كثيرا فى مستر ايلتون ٠٠ وهـذا هو الطريق الوحيد الذى يمكننى أن ٠٠ أقدم له خدمة فيه ٠

— ان مستر ايلتون هذا ٠٠ رجلا لطيفا وطيبا ٠٠ وأنى أحمل له تقديرا عظيما ولكن ٠٠ اذا ما رغبت فى أن توليه بعض اهتمامك٠٠ فاسأليه أن يأتى للعشاء عندنا فى يوم ٠٠ هذا يكون شىء أفضل ٠٠ وأنى أتجرأ بأن أقول أنه سيكون من المودة ٠٠ أن يتكرم مستر نايتلى بمقابلته ٠

أجاب مستر نايتلى ضاحكا :

— بكل سرور يا سيدى ٠٠ فى أى وقت ٠٠ أننى أوافقك ٠٠ على أن هذا أفضل شىء يمكن تقديمه له ٠٠ وأنت يا ايما ٠٠ ادعيه للعشاء ٠٠ وقدمى له أفضل ما عندك من السمك والدجاج ٠٠ ولكن اتركيه ٠٠ ليختار بنفسه زوجته ٠٠ فان رجلا فى السادسة أو السابعة والعشرين ٠٠ هو رجل يمكنه أن يعتمد على نفسه ٠

الفصل الثاني

ولد مستر ويستون فى « هايبرى » ‥ من عـــــائلة محترمة ‥ ارتفعت فى الجيلين أو الثلاثة أجيال الأخيــــرة الى العائلات الموسرة الغنية بالأراضى والممتلكات ٠

تلقى تعليما طيبا ‥ ولكن ‥ لنجاحه المبكر فى الحياة ‥ فى بعض الأعمال الخاصة التى كان يقوم بها اخوته ‥ اشـــترك معهم ‥ وأثبت نجاحا لعقليته المتفتحة ثم دخل المجال العســـكرى ‥ وأخـــذ دوره فى التدرج ٠

وكان كابتن « ويستون » محبوبا ‥ وعنـــدما أتاحت له الحياة العسكرية فرصة تقديم « مس تشرشل » اليه ‥ وهى فتـــاة من عائلة كبيرة موسرة فى « يوركشير » لم يندهش أحد عنـــدما وقعت « مس تشرشل » فى غرامه ‥ الا أخاها وزوجته الذين لم يتقابلا معه ويملؤهما الغرور بأهميتهما ‥ وهذه الصلة ‥ تسببت فى كدرهما ٠

ولكن على أى حال ‥ فان مس تشرشل فى سن الرشد ‥ ولها كل الحقوق ‥ وكل الحرية للتصرف فى ثروتها الخاصة ‥ بلا أى التزام نحو العائلة ‥ ونفض مستر ومسز تشرشل أيديهما من هـــذه الاهانة البالغة ‥ وتم الزواج ‥ ولكنه لم يكن أبدا زواجا موفقا ٠ ولم يجلب السعادة ‥ فان مستر ويستون نرغب فى أن تكـــون الاثنين ‥ زوجة للكابتن ويستون ‥ وأيضا ‥ مس تشرشل من « انسكومب » حيث أنها كانت تفتقد الرفاهية التى تعودت عليها ‥ وغضب أخاها ‥ واضطرارها للعيش فى حدود الدخل البسيط ‥ كل هذا كان له التأثير المباشر فى عدم الشعور بالسعادة المتكاملة فى هذا الزواج ‥ كماأن شدة حساسية « كابتن ويستون » وشعوره بانه كان الســـبب فى هذا ‥ اذ أن عائلة « تشرشل » كانت تعتبره المسبب الأول لهذا الحدث المشين ٠

وعاد مستر ويستون فقيرا ‥ معدما ‥ اكثر مما كان قبل هـــذا الزواج ‥ بعد أن توفيت زوجته بعد ثلاث سنوات ‥ وتركت طفلا ‥

ارتفعت نفقاته ٠٠ ولو أنه كان سببا رقيقا فى مصـــالحة عائلة أمه ٠٠ نتيجة لمرضها الطويل ٠٠ واحتضنته عائلة « تشرشل » وأصبح فرانك الصغير ٠٠ يتمتع بالحياة الرغدة ٠٠ حيث أنه لم يعد هناك أطفالا غيره فى العائلة ٠

وهنا ٠٠ حدث تغيير شامل فى حياة مستر ويستون عنـــدما ترك العسكرية ٠٠ وانضم الى اخوته فى التجارة ٠٠ فى لندن ٠٠ وتوسـعت الأعمال ٠٠ واستقام دخله ٠٠ ولكنه ظل مقيما فى منزله فى « هايبرى» حيث أمضى معظم أيامه ٠٠ وارتباطاته الممتعة ٠٠٠٠ والأعوام التى تلت ذلك ٠٠ مايقرب من العشرين عاما ٠٠ مرت عليه فى سعادة٠٠٠ وانتعشت تجارته ٠٠ وارتبط فى أعمال تجارية فى « راند الز » وتحققت كل أمانيه الحلوة بارتباطه بامرأة ٠٠ مثل « مس تايلور » وارتفعت أسهم سعادته أكثر من اى فترة مرت به فى حياته الماضية ٠

ان مستر ويستون ٠٠ لم يكن أبدا رجلا غير سعيد ٠٠ فان طبيعته حمته من هذا الشعور حتى فى فترة زواجه الأول ٠٠ ولكنه فى زواجه الثانى ٠٠ اقتنع ٠٠ « كم يكون الزواج ممتعا مع امرأة حبيبة حقا ٠٠ وكيف أن النجاح يكون لذلك الاختيار الذى يختاره هو ٠٠ لا أن يكون هو المختار ٠

ولم يكن لديه الا أن يهنىء نفسه بهذا الاختيار ٠٠ وبثروته الخاصة به وهو وحده ٠٠ أما بخصوص فرانك ٠٠ فكان أكثر من مرتبط بارث خاله ٠٠ وأصبح من المقرر أن يحمل اسم « تشرشل » عند تقـدمه فى السن وكان هذا شىء غير مستحب قبلا ٠٠ كما أن والده ٠٠ لم يكن له أى علم بذلك ٠٠ أما خالة فرانك (زوجة خـــاله) فكانت امرأة « متقلبة المزاج » ٠٠ هوائية تتحكم فى تصرفات زوجها ٠٠ ولكن ٠٠ لم يكن أبدا فى طبيعة « مستر ويستون » أن يتصور أن التقلب والمزاج الأهوج ٠٠ يمكن أن يكون قويا ٠٠ او كافيا للتأثير على شخص عزيز وهو يؤمن أن ابنه شديد المعزة ٠٠ ؟ وانه ليرى ابنه كل عام فى لنـــدن ٠٠ وكان به فخورا والتقارير المشرفة التى تصل الى « هايبرى » كمثل أعلى للرجل المحبوب ٠٠ جعلته هو أيضا ٠٠ محبوبا ٠٠ ومثارا للفخر ٠

وكان « مستر فرانك تشرشل » واحدا من الذين يفخرون بهم فى « هايبرى » ·· وكان الحديث يدور دائما عن زيارته لها ·· ولكن ·· أبدا ·· لم تتم هذه الزيارة ·

والآن ·· وبعد زواج والده ·· « مستر ويستون » كان هناك تركيز تام ·· واهتمام تام ·· لتنفيذ هذه الزيارة ·· ولكن ·· لم يكن هناك أى اثارة لموضوع الزيارة ·· عندما تناولت « مسز بيرى » الشاى ·· مع مسز ومس « بيتنس » ولا حتى عنـــدما ردت مسز ومس بيتنس الزيارة ·· وقد سنحت الفرصة لاثارة موضوع مســتر فرانك تشرشـــل أخيرا ·· عندما أصبح معروفا بأنه قد أرسل خطابا فى هذه المناسبة لأمه الجديدة ·· وأصبح لأيام ·· ولا موضوع فى حديث الزيارات الصباحية فى « هايبرى » الا عن موضوع ذلك الخطاب الرقيق الذى تلقته « مسز ويستون » ·· فكان يقال :

أوه ·· اننى أعتقد بأنك قد سمعت عن ذلك الخطاب الرقيق الذى أرسله مستر فرانك تشرشل الى مسز ويستون ·· فى الحقيقة أنه خطاب رقيق جدا ·· لقد أخبرنى عنه مســتر وود هاوس ·· لقد قرأ مســتر وود هاوس الخطاب بنفسه ·· وهو يقول ·· انه أبدا فى حياته لم يشاهد أو يقرأ خطابا بمثل هذه الرقة والمودة ·

وفى الحقيقة ·· لقد كان هذا الخطاب هدية قيمة « لمسز ويستون » وتمكنت من أن تشكل فكرة حبيبة ·· عن الرجل الصغير ·· ولفتة مبهجة مثل هذه اللفته ·· جعلتها تدرك نواياه الطيبة ·· واضافة جديدة لكل التعبيرات والتهانى التى حصلت عليها فى زواجها وشعرت بأنها امرأة محظوظة ·· وعاشت لترى أى حظ نالته ·· ولم تكن متخيلة أبدا اللهم الا فراقها عن أحبابها ·· ولكن ·· صداقتهم لم تكن لتفتر أبدا ·· مهما بعدت عنهم ، وانها لتدرك تمام الادراك بأنهم فى بعض الأحيان يفتقدون وجودها ·· وتذكر بألم ·· فقدان « ايما » لرفيقة كانت تحتاجها فى كل لحظة ·· ولكنها ·· هى ·· ايما لم تكن ضعيفة الشخصية ·· فانها مساوية تماما ·· لوضعها الحالى ·· أكثر من أى فتاة أخرى ·· يمكن أن تجد نفسها فى مثل هذا الوضع ·· ولها من الوعى ·· والنشاط والروح

القوية ·· ما يجعلها تأمل الفرح والسعادة من خلال المتاعب والصعوبات التى تصادفها فى حياتها ·· وهناك أيضا تلك المسافة القصيرة بين « راند الز » و « هارتفيلد » مريحة لأنثى وحيدة ·· وفى ظروف « مسز ويستون » تهىء لهما ·· فرص اللقاء ·· وتمضية نصف ليالى الأسبوع معا ·

ومع كل التعاطف والمودة ·· والعلاقة الحلوة بين « ايما » ومسز ويستون ·· والصلة الحبيبة التى زادت وثوقا ·· وللعجب الشديد فان هذا ·· لا يمنع « مستر وود هاوس » من ترديد تعاطفه القديم ·· « مسكينة مس تايلور » وحتى عندما تغادر « هارتفيلد » وهى متأبطة ذراع مستر ويستون ·· لتقلهما عربتهما الخاصة ·· فانه مع ذلك ·· لا يملك الا أن يودعها بنظرة حانية ·· وهو يردد :

« مسكينة مس تايلور ـ مسكينة مس تايلور ·· كانت ستكون سعيدة لو بقيت هنا » ·

ولم يكن هناك أى شفاء من « مس تايلور » أو الانقطاع عن رثائها ·· ولكن بعد أسابيع قليلة ·· ترطب مستر وود هاوس ·· وانتهى من الشكوى لجيرانه ·· ولكنه عاد فتكدر ···· فى الفرح ·· من مثل هذا الحدث المحزن ·· وكعكة الزفاف التى كانت تسبب له غما كبيرا قد التهمت عن آخرها ·

وان معدته لا تتحمل شيئا دسما ·· ولم يكن يصدق أبدا أنه من الممكن أن يختلف الناس عنه ·· وكان يحذر كل من يراه ·· الا يأكل من كعكة الزفاف ·· وكان من الألم بحيث استشار « مستر بيرى » فى الموضوع ·· وكان مستر بيرى هذا ·· رجلا تحتسب زياراته لمستر وود هاوس كنوع من العلاج والراحة لحياته وكانت فتوى : مستر بيرى « أنه يمكن للناس الأكل من كعكة الزفاف ·· متى كان ذلك باعتدال ·· ولم تهدأ ثائرة « مستر وود هاوس » الا بعد أن التهمت الكعكة عن آخرها ولم يعد لها أى أثر ·

وكانت هناك همهمة غريبة ‥ تدور فى كل أنحاء « هايبرى » من أن : « كل أفراد عائلة « بيرى » قد شوهدوا وكل واحد منهم بيده قطعة من كعكة زفاف « مستر ويستون » ٠

ولكن ‥ بالطبع ‥ وبالتأكيد ٠٠٠

فان « مستر وود هاوس » لم يصدق ذلك ‥ أبدا ‥ أبدا ٠٠٠ !

الفصـــل الثـــالث

يعشق مستر « وود هاوس » المجتمعات ٠٠ على طريقته الخاصة ٠٠ ويعشق أكثر وجـــود أصـــــدقائه معه ٠٠ ومن طـــــول اقامته فى « هارتفيلد » ٠٠ وطبيعته المسالمة الطيبة ومن ثروته ٠٠ ومنزله الخاص ٠٠ تكونت دائرة خاصة من المعارف والأصدقاء لحفلات العشاء ٠٠ وتدخل فى هـــذه الدائرة مقاطعـة « هايبرى » وتشـــمل « راند الز » ٠٠٠ « ود ونويل آبى » ٠٠ ومقعد « مستر نايتلى » يجب أن يتضمن هذه الجلسات وليس ٠٠٠ وغالبا ٠٠ ما يكونوا حســـب رغبة « ايما » ٠٠ ولكن ٠٠ لأن له بعض المختارين الذين يتناولون العشاء معه ٠٠ أما فى حفلات العشاء ٠٠ فكان يدعو من يفضلهم هو بنفسه رغبة فى الاجتماع بأحد ٠٠ فلم تكن « ايما » بعاجزة عن أن تهىء له مائدة للعب الورق ٠

وجذبت هذه الليالى ٠٠ والسهرات العائلية « عائلة ويســـتون » ومستر نايتلى مصاحبا معه ٠٠ مستر ايلتون » وهو رجل يعيش وحيدا ٠٠ جذبته أيضا ٠٠ اجتماعات حجرة استقبال « مستر وود هاوس » الأنيقة ٠٠ وابتسامات ابنته الحبيبة التى لم يكن منها أى خطر ٠

وبعد هؤلاء ٠٠ تأتى المجموعة الثانية ٠٠ والتى تتكون من « مسز ومس بيتس ومسز جودارد » السيدات الثلاث اللاتى جندن خدماتهن لتلبية أى دعوة تصل اليهن من « هارتفيلد » ٠٠ تحملهن عربة مستر وود هاوس وتعيدهن ثانيا الى منازلهن ٠٠٠٠ ويعتقد مستر وود هاوس أنه لا ضررر هناك ـ بالنسبة لهذه الزيارات لا لجيمس٠٠ ولا ٠٠ للجياد ٠

ومسز بيتس ـ أرملة القس السابق فى « هايبرى » وهى ســـيدة عجوز ٠٠ تركت كل شىء تقريبا ٠٠ الا الشـــــاى ٠٠ ولعب الورق ٠٠ والتطريز ٠٠ تعيش مع ابنتها حياة بسيطة جـــدا ٠٠ وكانت تقابل فى « هارتفيلد » بكل حرارة وحب ٠٠ كسيدة لها مثل ظروفها ٠٠ وتحظى ابنتها باعجاب شعبى كبير ٠٠ كامرأة ٠٠ ليست صغيرة ٠٠٠ ولا وسيمة ٠٠ ولا غنية ٠٠ أو حتى ٠٠ متزوجة ٠٠ وتقف « مس بيتس » فى البيئة العامة التى يمكنها أن تحظى بكل المودة ٠٠ ولا يوجد عندها التفوق

الذهنى .. الذى يجعلها تبرز ذاتها .. أو لتجعل غيرها يتخوف منها .. ولم تتباهى أبدا .. لا بجمالهـا ولا بمهارتها .. ومر شـبابها دون أى خلاف أو اختـــلاف .. أو تمييز .. ثم كرســت حياتها للعناية بأمها الواهنة .. ثم السعى لايجاد دخل يغطى حياتهما ما أمكن .. ولهذا فهى امرأة سعيدة .. وامرأة لا يذكرها أحد .. الا بالخير .

لقد كانت طباعها الخاصة .. وتكوينها العجيب الذى كان يعجب كل انسان .. ويجذب اليها الناس ، انها تحب كـــل الناس .. وتهتم باسعاد كل الناس .. سريعة التعايش والتعاطف مع مشاعر كل شخص .. وتعتقد أنها أسعد المخلوقات .. ولها أكبر النعم .. فى الحصول على مثل هذه الأم ومثل هذا البيت .. ومثل هؤلاء .. الأصدقاء .. منزلا لا يحتاج الى شىء .. ان البساطة والبهجة فى طباعها .. القناعة والشكر فى روحها .. وكانت هذه من الأشياء التى يمدحها فيها كل من يعرفها .. ونوع من النعيم لنفسها .. وكانت محدثة لبقة .. لكل الأشياء الصغيرة .. بحيث صادف ذلك .. هوى فى نفس « مستر وود هاوس » الذى يعشق التفاهات والثرثرة .

أما مسز جود ارد .. فكانت تدير مدرسة .. ليست فخمة المظهر .. أو ضخمة التأسيس ولا هى بمكان يجمع المســتويات من العقليات المتفتحة .. لتلقى نوعا معينا من المناهج أو .. المثاليات فى العـــلم .. أو .. لتجميع أكثر ما تستطيع جمعه من دخل .. ولكنها مدرسة داخلية عتيقة أمينة أمانة حقيقية فى بيع كمية معتدلة من العلم والمعرفة .. والأخلاق .. والمثل للأطفال الذين لا يجدون طريقهم .. بالنسبة لظروف ولادتهم .. أو حياتهم العائليه المشتتة أو عدم استقرار الأمن فى هذه المنازل وذلك فى مقابل ثمن زهيد جدا بحيث تجـــد فيه الفتيات أنفسهن وقد تحصن بالعلم .. وبالدراية بالمعيشة البسيطة دون خوف عليهن من العودة الى الانحراف أو فى الافراط فى أمر أنفسهن .

وكانت مدرسة مسز جود ارد .. تحتل بقعة صحية من « هايبرى» وبيت فسيح رحب بحديقة .. وتعطى الأطفال كميات كافية من الطعام ..

تعطيهم الفرصة للفرح ٠٠ والمرح والحرية ٠٠ والانطلاق فى الحديقة فى الصيف ٠٠ وتلبسهم بنفسها ٠٠ وبيديها الجوارب الصوفية فى الشتاء ٠٠ ولم يكن هناك أى عجب فى رؤية مسز جودارد وورائها قطار طويل من مجموعتين ٠٠ نتكون كل مجموعة من عشرين طفلا ٠٠ وهى فى طريقها الى الكنيسة ٠

كانت امرأة بسيطة ٠٠ صريحة ٠٠ أم بطبيعتها ومشاعر تكوينها ٠٠ امرأة كافحت طويلا ٠٠ وتعبت فى شبابها ٠٠ والآن ٠٠ تجد نفسها فى وضع اسبوعى لزيارة « شاى » وتحمـــد فى نفســها كثيرا ٠٠ عطف « مستر وود هاوس » الذى انتشلها من وهدة عملها الروتينى الذى تدور فيه ٠٠ وتجلس فى عطلة كل أسبوع ٠٠ بجـــوار المدفاة لتكسب ٠٠ أو تخسر بضعة بنسات ٠

هؤلاء كن السيدات اللاتى وجدت « ايما » نفسها تتعايش معهن ٠٠ وسعيدة هى بهن لأجل خاطر والدها ٠٠ فلم يكن هناك أى علاج لغياب « مسز ويستون » ومسئوليتها التامة بالترفيه عن والدها ٠٠ غير ذلك وكانت تنشرح لرؤية والدها سعيدا ومرتاحا ٠٠ وهانئا وسعيدة أكثر ٠٠ بنفسها ٠٠ التى تكيف الأمور هكذا ٠٠ بحسن تدبير ٠٠ ولكن ٠٠ الاثر الحقيقى على نفسها لوجود مثل هؤلاء السيدات الثلاث ٠٠ جعلها تشعر بمرارة الأمسيات التى توقعتها بخوف عند رحيل ٠٠ « مس تايلور » ٠

وعندما جلست ذات صباح ٠٠ تتأمل أمامها يومها الحاضر ٠٠ تماما تستعرضه اذ بمذكرة تصل من مسز جودارد ٠٠ تسأل فيها ٠٠ بمنتهى الاحترام ٠٠ السماح لها باحضار مس سميث معها ٠٠ لقد طلبت طلبا ٠٠ بادي الترحيب ٠٠ لأن « ايما » تعرف « مس سميث » بالنظر فقط ٠٠ فهى فتاة فى السابعة عشر من عمرها ٠٠ شعرت ايما بالمودة نحوها من أول نظرة ٠٠ وكان الرد ٠٠ بالقبول والموافقة ٠٠ وتوج ذلك المساء ٠٠ بالسيدة الصغيرة الشقراء ٠

كانت « هارييت سميث » ابنة طبيعية لأحد الناس ٠٠ وضعها أحد الناس هذا منذ عدة سنوات فى مدرسة « مسز جود ارد » وانتشلها أحدهم

ايضا .. من حالة طالبة بالمدرسة الداخليـــة .. الى قاعة الاســتقبال الداخلية بالمدرسة .. وهذا ما كان معروفا عن تاريخها ليس لها أصدقاء غير معروفين .. ولكن .. ما عرف فى « هايبرى » أنها الآن .. عائدة من زيارة طويلة للمدينة من عند بعض الشابات اللائى كن معها بالمدرسة .

كانت فتاة جميلة حقا .. وتشكل جمالها .. بصورة أخاذة .. أعجبت بها ايما كل الاعجاب .. كانت قصيرة .. ممتلئة .. شقراء .. عيون ناضرة زرقاء .. شعر أشقر ومظهر منسق بديع .. ونظـــرة فى منتهى الحلاوة والروعة الأخاذة .. وفى نهاية المساء كانت ايما أكثر سعادة .. بأخلاقها .. وتصرفاتها .. مع جمالها شخصيا .. ووجدت نفسها شغوفة باستمرار العلاقة والصلة بينهما .

ولم يزعج « ايما » أى شىء فى حديث « مس سميث » بل وجدتها سريعة التآلف غير خجولة .. وغير صامتة .. بل كانت تبدو شاكرة .. ومقبلة على الصلة بينهما وبين « هارتفيلد » .. معجبة بكل شىء .

وعلى هذا .. يجب أن تشـــجعها « ايما » .. يجب أن تحظى بالتشجيع لهذه العيون الناعمة الزرقاء .. ولكل هذه النعم الطبيعية .. انها ولابد تقاسى من المعارف .. ومن المعاملة .. مثلا .. هذه العائلة التى حضرت من زيارتها فى التو واللحظة « عائلة مارتن » وايما تعرفهم جيدا .. حيث أنهم يستأجرون حقلا كبيرا من « مستر نايتلى » وهو يعتقد أنهم فى مستوى عال .. ولكنهم قساة .. وغير مهذبون .. وغير لائقين للتعاطف والود مع فتاة لا ينقصها الا قليل من المعرفة وقليل من الأناقة .. لتصبح كاملة .. تماما .. يجب عليها أن تحميها .. وأن تبعدها عن مثل هؤلاء المعارف وسوف تقدمها لمجتمع فاضل .. سوف تشكل آرائها .. وتصرفاتها سوف تكون هناك شيئا ممتعا .. جميلا .. وجديدا أيضا .. لتشغيل قدراتها ومكانتها فى الحياة .

وكانت « ايما » منشـــغلة تماما فى الاعجـــاب بهاتين العينين المضيئتين .. وهما تتحدثان وهما تنصتان .. وتشكل هذه اللمحات فيما تنوى أن تفعله .. وطار ذلك المساء بصورة غير عادية .. ومائدة العشاء

.. التى كانت تترقب دائما انتهاء موعدها بنفاذ صبر .. لم تشعر بها « ايما » ولم تشعر الا بتحركهم نحو المدفأة .. وبرشاقة .. ويقظة .. ورغبة راضية عن فكرتها الخاصة .. أدت كل واجبات الوجبة حاملة شرائح الدجاج .. والسكالوب وبسرعة فائقة .. تعرف أنها مرغوبة .. للساعات الباقية .. لضيوفهم .

وفى مثل هذه المناسبات .. فان مشاعر « مســـتر وود هاوس » تكون دائما فى حرب مريرة انه يعشق رؤية الغطاء وهو يبســـط على المائدة لأن هذه كانت « المودة فى حداثته ولكن .. حيثما يدنو من المائدة .. فهنا الطامة الكبرى .. فان هذا يجعله يبدو حزينا .. بائسا .. لرؤية أى شىء يوضع على هذا الغطاء .. وبينما يدعو كرمه الى تحية ضيوفه .. ودعوتهم الى تناول الطعام .. فان خوفه على صحتهم .. يجعله يحزن عندما يراهم ياكلون .

فلم يكن ما يوضع أمامه الا طبقا صغيرا من « الثريد » .. لذا كان يجد نفسه مضطرالمجاملة نفسه .. حين كانت السيدات بكل راحة .. ينتقين أفضل الأشياء ....

ـــ مسز بيتس .. دعينى أقترح عليك تذوق واحدة من هـــذا البيض .. بيضة مسلوقة سلقا خفيفا .. ليست مضرة بالصـــحة .. ان « سيرل » تعرف كيف تسلق البيض أفضل من أى انسان آخر .. اننى لا أنصح بأكل البيض المسلوق عند أى انسان آخر .. ولكن لا تخافى .. ان البيض صغير جدا كما ترين بيضة واحدة من البيض الصغير .. لن تضرك يا مس بيتس .. دعى « ايما ». تقدم اليك قطعة صـــغيرة من التورتة .. صغيرة جدا .. ان التورتة من التفاح .. لا تخافى من أى ضرر .. مسز جود ارد أنا لا أنصحك بأكل الكاسترد ما رأيك فى نصف كأس من النبيذ .. نصف كأس صغير ... موضوع فى كوب من الماء ... اننى لا أعتقد أن هذا لن يتناسب معك .

وتعطى ايما الفرصة لأبيها ليتكلم .. ولكنه يضفى على الضيوف

مزيدا من الجو المرضى وهذا المســاء ٠٠ كان له اعتبار خاص ٠٠ فان سعادة « ميس سميث » كانت محور اهتمامها ٠

ان لمس « وود هاوس » شخصية ذات شأن فى « هايبرى » ٠٠ لذا فقـــد غادرتها « ميس سميث » بامتنان ٠٠ لمــــا لقيته من مودة وترحيب ٠٠٠ ووداعها ٠٠ بمصافحة حارة ٠

الفصـــل الرابـع

أصبحت مودة « هارييت سميث » فى « هارتفيلد » شيئا مفروغا منه ·· وبسرعة قررت ايما طريقها ·· ولم تضيع الوقت سدى ·· بل توالت فى دعواتها ·· وتشجيعها وسؤالها للحضور فى أى وقت تشاء ·· وهكذا ··· قويت معرفتها ·· وأعطت كل الرضا لكلتيهما ·· كرفيقة فى السير ·· والنزهات ·· وكم وجدتها « ايما » مفيدة ومتعة ·· وفى هذا · كان افتقاد « مسز ويستون » شيئا هاما جـــدا ·· فان والدها لا يذهب أبدا الى الأدغال ·· حيث أن وجود فارق فى الأرض ·· يجعله يقاسى من المشى الطويل ·· ومنذ زواج مسز ويستون ·· كان السير الى « راندالز » غير ممتع لذا ·· فان وجود ·· « هارييت سميث » معها ·· أضاف ميزة جديدة الى مزاياها العديدة ·· وكلما عرفتها « ايما » أكثر ·· كلما أحبت كل شيء فيها ····· أكثر ·· وأكثر ·

وقطعا ·· لم تكن هارييت ماهرة ·· أو ذكية ·· ولكن كان لهـا من الوداعة ولين العريكة ·· وروح الشـــكر ·· ما يجعلها بمنأى عن الغرور ·· وترغب فقط فى أن تجد من يرعاها ·· وترتفع اليه بنظراتها وتحظى بصحبة طيبة ·· وبالنســبة لايما ·· فان هارييت سميث ·· كانت الصديقة الصغيرة التى تتمناها تماما ·· ما يفتقده منزلها وصديقة مثلها ·· لا يمكن أبدا أن تمنح ·

ان مسز ويستون كانت لازمة ·· وضرورية لأنها أساسا ·· توجيهها ·· أما ·· هارييت فلا يمكن أن تحبها كواحدة مفيدة ·· أو تفيدها فى حياتها ·· وأيضا بالنسبة لمسز ويستون ·· فليس هناك أى شيء يمكن تقديمه لها ·· أما بالنسبة لهارييت ·· فهناك كل شيء ·

ان أول المحاولات لهذه الاستفادة ·· هى السعى لمعرفة والديها ·· ولكن ·· هارييت لا يمكنها أن تقول ·· كانت مستعدة أن تقول كل شيء فى امكانها أن تقوله ·· ولكن بالنسبة لهذا الموضوع ·· وهذه الأسئلة ·· فكانت بلا جدوى ·· وكانت ايما مرغمة أن ترضى نزواتها ·· ولكنها أبدا ·· لم تصدق أنه فى مثل هـــذا الوضع ·· لم تتمكن من اكتشاف

الحقيقة فان هاريت لم يكن لهـــا وعى ولا ادراك ٠٠ كانت تقتنع بأن تسمع وتصدق فقط ما تختاره مسز جود ارد لتقوله لها ٠٠ ولا تدرك أبعد من ذلك ٠

وكانت مسز جود ارد ٠٠ والمدرسة ٠٠ والبنات ٠٠ وشئون المدرسة ٠٠ عامة ٠٠ يشكل بطبيعة الحال جزءا كبيرا من محادثاتهما ٠٠ وبالنسبة لصداقتها لعائلة « مارتن » فى « الآبى جيل فارم » كان يشكل الجزء الأكثر اتساعا ٠٠ ويشغلون حيزا كبيرا فى تفكيرها ٠٠ لقد أمضت معهم شهرين من أسعد الشهور التى مرت بها ٠٠ والآن هى تحب أن تتعلم عن مباهج هذه الزيارة وتصف المتع والراحة ٠٠ وغرائب ذلك المكان وكانت ايما تشجعها على الكلام ٠٠ مستمتعة كل الاستمتاع بمثل هذه الصورة المختلفة تماما عن المجموعات الأخرى ومســـتمتعة أكثر بشـــبابها ٠٠ وبساطتها التى تجعلها تتكلم بكثير من الاعزاز ٠٠ عن مسز مارتن ٠٠ وكيف أن لديها قاعتين للاستقبال ٠٠ واحدة منهما جميلة مثل غـــرفة استقبال مسز جود ارد ٠٠ وعن وجود خادمة عاشت عندها أكثر من خمسة وعشرين عاما ٠٠ وأن لديهم بقرات كثيرة ٠٠ اثنتان منهما من نوع الديرتى وبقرة صغيرة « ولش » جميلة جـــدا فى الحقيقة وعن مسز مارتن ٠٠ وقولها ٠٠ عن البقرة اذ أنها تحبها كثيرا ٠٠ « هذه بقرتى » وأن لديهم منزلا صيفيا بديعا فى الحديقة الكبيرة وأنهم سوف يشربون فيه الشاى فى العام المقبل ٠٠ منزل صيفى جميل ٠٠ يتسـع لأكثر من خمسة وعشرون شخصا ٠

ولوقت ما ٠٠ كانت مستمتعة دون أى تفكير فى السبب المباشر ٠٠ ولكنها بعد أن ابتدأت فى تفهم أحوال العائلة ٠٠ أكثر ٠٠ انبثقت فيها أحاسيس أخرى ٠٠ لقد أخذت عنهم فكـــرة خاطئة ٠٠ متصورة أنها أم وابنة ٠٠ ابن وزوجته ٠٠ من يعيشون سويا ٠٠٠ ولكن عندما اتضح أن مستر مارتن الذى يحظى بأكبر قسط من الاستحسان ٠٠ والذى كان يذكر اسمه دائما بالاكبار والاعزاز ٠٠ ولم تكن هناك ٠٠ السيدة الصغيرة مسز مارتن ولا زوجته بطبيعة الحال توقعت ايما خطرا على صديقتها الصغيرة ٠٠ المسكينة من كل كرمه ٠٠ ورقته ٠٠ وعطفه ٠٠ واذا لم تهتم بها ٠٠ وتراقبها ٠٠ فانها سوف تحاسب نفسها عن ضياعها الى الأبد ٠

وفى مجال هذه المحاسبة . تضاعفت الأسئلة فى العـدد .. وفى المعنى ... وطبيعى .. فقد قادت هذه الأسئلة « هارييت » للتكلم أكثر عن مستر مارتن .. ولم يكن لديها أى مانع من الاسترسال فى هـــذا الكلام .. بل وأبدت استعدادها التام للحديث عن مشاركته لها فى نزهاتها الليلية فى ضوء القمر .. ولعبهما المرح .. وتمادت فى وصف مــدى التزامه برغباتها .. وكيف أنه فى يوم ما .. سار حـــوالى ثلاثة أميال ليبحث عن أثمار الجوز .. لأنها ذكرت فى حديث .. كم هى مغرمة بهذه الثمار .. وكل شىء تطلبه كان يلتزم فورا باجابة طلبها .. وفى مرة أحضر ابن راعى الأغنام الى حجرة الاستقبال .. ليغنى لها .. لقد أمتعها الغناء كثيرا . وهو .. مستر مارتن .. يمكنه أن يغنى أيضا .. انه يعرف كل شىء .. وانها تعتقد أنه ماهر جدا .. ولديه قطيعا بديعا .. وعندما كانت معهم .. وجدت أن العطاءات المقدمة لشراء أصوافه أكثر من كل أصحاب الأغنام..وتعتقد أيضا أن كل انسان يحبه.. ويقول عنه أشياء جميلة . .ولقد أخبرنها مسز مارتن .. فى يوم ما .. (وهنا ارتفعت دماء الخجل الى وجنتيها) أنه لا يمكن أن يوجد أفضل منه كابن .. لذلك .. فانها متأكدة تماما أنه عندما يتزوج .. سيكون زوجا طيبا .. ليس لأنها تريده أ نيتزوج أبدا .. فهى لم تكن فى عجلة من موضوع الزواج .

وفكرت ايما .. : « آه منك يا مسز مارتن .. ؟ انك تعرفين الطريق الذى منه تسلكين » وعندما غادرتهم .. كانت مسز مارتن كريمة جدا.. لترسل معها الى مسز جود ارد أورة جميلة .. بديعة .. وعندما رأتها مسز جود ارد زينتها ليوم الأحد .. ودعت المدرسات الثلاث .. مس ناش .. ومس بيتس .. ومس ريتشارد سون .. للاحتفال بها معها .

— أعتقد أن مستر مارتن .. رجلا لا يحب القــراءة .. أكثر مما يهمه فى محيط عمله .

— أوه .. نعم .. لا .. هذا .. أنا لا أعرف .. ولكننى أعتقد أنه قد قرأ كثيرا . .ولكن ليست القراءات التى تفكرين فيها .. لقد قرأ التقارير الزراعية .. وكتب أخرى كثيرة تقبع فى أرفف النافذة

ولكنه يقرأها كلها لنفسه ٠٠ وفى بعض الأحيان ٠٠ قبل أن يذهب للعب الورق ٠٠ فانه يقرأ شيئا بصـــوت عال ٠٠ من خلاصـــة الموضة ٠٠ ؟ لهوا وتسلية ٠

وأعرف أيضا ٠٠ أنه قد قرأ « قسيس ويكفيلد » ٠٠ ولم يقـــرأ ٠٠ « خيال الغابة » ٠٠٠ ولا « أطفال الكنيسة » ٠٠ ولم يسمع أبدا بمثل هذه الكتب من قبل أن أذكرها له ٠٠ ولكنه صمم على شرائها فى أسرع وقت ممكن ٠

وكان السؤال التالى هو :

— كيف يبدو مستر مارتن ؟

— أوه ٠٠ ليس وسيما ٠٠ ليس وسيما تماما ٠٠ لقد فكرت فى البداية أنه شديد البساطة ولكننى لا أعتقد أنه كذلك الآن ٠٠ الانسان بعد وقت يمكنه أن يعرف ٠٠ ولكن ٠٠٠ هل لم ترينه أبدا ٠٠ أنه دائما وأبدا فى « هايبرى » وهو يركب جواده ٠٠ ويسير فى طرقات هايبرى كل أســـبوع ٠٠ فى طـــريقه الى كنجستون ٠٠ هو يمر بك غالبا ٠

— ربما يكون كذلك ٠٠ وربما أكون قد رأيته خمسين مرة ٠٠ دون أن تكون لدى أية فكرة عن اسمه ٠٠ وعمن يكون ٠٠ فـــلاح يافع ٠٠ يمتطى ظهر جواد ٠٠ هيه ٠٠ من يكون ٠٠ ؟ أو ربما يكون سائرا على قدميه ٠٠ انه آخر نوع من الأشـــخاص الذى يمكن أن يلفت نظرى ٠٠ ان الخاصة من الناس هم الذين لا أجد نفسى معهم ٠٠ وكلما نقص المستوى أجد نفسى بطريقة ما ٠٠ ذات فائدة لهم ٠٠ ولعائلاتهم ٠٠ أجد نفسى فيمن يحتاج الى مساعدتى ٠٠ ولكن ٠٠ بالنسبة لفلاح ٠٠ فهو لا يحتاج منى الى أية مساعدة ٠٠ وبالتالى لا يلاقى منى أى التفات ٠

— أوه ٠٠ تاكدى انك لست غريبة عنه ٠٠ انه فى الحقيقة يعرفك جيدا بالشكل ٠٠ ؟

— انا لا أنكر أنه فيما يبدو رجلا محترما بالتاكيد ٠٠ وأتمنى له كل ما هو حسن ٠٠ ما تخيلك لعمره ٠٠ ؟

— كان فى الرابعة والعشرين فى ٨ يونيو الماضى وأنا ولدت فى الثالث والعشرين ٠٠ فقط أسبوعين ويوم واحد الفرق بيننا ٠٠ أليس هذا شىء غريب ٠٠ ؟

— فقط الرابعة والعشرين ٠٠ انه صغير جـــدا ٠٠ ليستقر ٠٠ حقا ان والدته على حق فى عدم نعجلها لهذا الاستقرار ٠٠ أعتقد أنهما فى حالة مريحة هكذا ٠٠ واذا ما فكرت فى زواجه ٠٠ فلا أقل من ست سنوات أخرى ٠٠ ليجد فرصة فى امرأة صغيرة تناسبه ٠٠ بثروة قليلة ٠٠ وجمال مرغوب ٠

— ست سنوات أخرى - أوه ٠٠٠ عـــزيزتى مس وود هاوس ٠٠ انه سيكون فى الثلاثين من عمره ٠

— وهذا أقل سن للرجل ليتزوج ٠٠ خاصة اذا كان مستقلا ٠٠ وكانت له ثروته الخاصة ٠٠ ومهما كانت الثروة التى ورثها عن أبيه ٠٠ فانه قطعا يطمع فى تنميتها ٠٠

— فى الحقيقة ٠٠ هما يعيشان فى غاية الرفاهية ٠٠ وليس لديهما أحد بالمنزل ٠٠٠ ولكن مسز مارتن تفـــكر فى احضـــــار صـــبى فى العام القادم ٠

— أتمنى ألا تقعى فى مشكلة اذا ما تزوج ٠٠ أقصد ٠٠ حينما لا تتأقلمى مع زوجته ٠٠ وأيضا اخوته ٠٠ وتعليمهن العالى ٠٠ فان مأســـاة مولدك ٠٠ ربما تجعلهم يحرصون على ضمك الى مجتمعهم ٠٠ ليس هناك أى شك فى كونك ابنة رجـــل محترم ٠٠ ويجب أن تدعمى مركزك على هذا الأساس ٠٠ وبقوتك الذاتية وبالطبع ٠٠ ستكون هناك مجموعة كبيرة يسعدها جدا ٠٠ الحط من شأنك ٠

— نعم ٠٠٠ نعم ٠٠٠ بالتاكيد سيكون كذلك ولكننى بزيارتى لهارتفيلد ولطفك الزائد معى يا مس وود هاوس ٠٠ جعلنى لا أخاف ما يفعله أى انسان بى ٠٠

— انك تدركين قـــوة التأثير جيـــدا يا هارييت ٠٠ وأنا أريد لك استقلال الشخصية ليس بهارتفيلـــد أو بمس وود هاوس أريد لك بشخصيتك المودة مع أخوات مستر مارتن ٠٠ والصداقة مع زوجته حين يتزوج ٠٠ وعلى ما أعتقد ٠٠ تكون ابنة فلاح ٠٠ جاهلة ٠

— تأكدى باننى لا أفكر أبدا فى أن مستر مارتن ربما يتزوج ٠٠ بل أننى أتمسك بصداقتى لاخواته ٠٠ خاصة ٠٠ اليزابيث ٠٠ وهن من نفس مستوى تعليمى ٠٠ ويؤلمنى جدا أن ابتعد عنهن ٠٠ أما اذا تزوج مستر مارتن فلاحة جاهلة ٠٠ فاننى ٠٠ بالتأكيد أعتقـد أنه من الأفضل ألا أزورها ٠

وكانت ايما تراقبها خلال هذه التفاعلات والانفعالات التى تنعكس عليها أثناء هذه المحادثة ووجدت أنه لا خطر من حب هناك ٠٠٠ لقد كان الرجل الشاب أول معجب لها وهى ٠٠٠ تثق بأنه لا شىء هناك أكثر من ذلك ٠٠ وأنه لا صعوبة من جانب هارييت فى انشـــاء علاقة صـــداقة خاصة بها ٠

وقد قابلتا مستر مارتن فى اليوم التالى ٠٠ أثناء سيرهما فى طريق « دونويل » وكان هو أيضا يسير على قدميه ٠٠ وبعد أن نظر اليها نظرة تدل على الاحترام ٠٠ ثم نظر الى رفيقتها نظرة رضاء صادق ولم تحزن ايما لفرصة اللقاء هذه ٠٠٠٠٠ ولا للخطوات التى سارتها معه ٠٠ ففى أثناء حديثهما معا ٠٠ كونت نظرتها الثاقبة الفكرة كاملة عن مستر روبرت مارتن ٠٠ مظهره مرتبا ٠٠ ويبدو شابا حساسا ٠٠ وشخص بلا أية ميزات ٠٠ وعند محاولته التشبه « بالجنتلمان » ٠٠ سقطت الأرض تحت قدميه وتداعت كل الخصائص التى ربحنها هارييت ٠٠ ولم تكن طباع هارييت رقيقة ٠٠ فانها حين تأملت رقة طباع والدها ٠٠ تعجبت كل العجب ٠٠ وبدا لها بعد ذلك ٠٠٠ ان مستر مارتن ٠٠ لا طباع ولا خصائص له على الاطـــلاق ٠

وبقيا سويا لدقائق ٠٠ وأتت هارييت اليهـا وهى تعدو بابتسامة

على وجهها ٠٠ وروح متوثبة ٠٠ بحيث تمنت لهـــا مس وود هاوس أن تهدأ حـــالا ٠

آه ٠ ٠تذكرى كيف حدثت مقابلتنا معه ٠٠ ياله من أمر عجيب ٠٠ أنها كانت صدفة أنه يقول انه لم يفكر أبدا فى أننا يمكن أن نسير فى هذا الطريق ٠٠ انه كان يعتقد أننا نسير فى طريقنا غالبا ٠٠ ودائما الى راند الز ٠٠ أنه لم يتمكن من الحصول على رواية « خيال الغابة » كان مشغولا جدا ٠٠ وكان فى كنجستون ٠٠ بحيث نسى تماما ولكنه سيذهب ثانيا فى الغد ٠٠ وللعجب ٠٠ ربما يحدث وتقابله أيضا فى الغد ٠٠ حسنا يا مس وود هاوس ٠٠ هل وجدتيه كما كنت تتوقعين ٠٠ ؟ ماذا تعتقدين فيه ٠٠ ؟ هل تعتقدى أنه بسيط وواضح ٠٠٠ ؟

ـــ شديد الوضـــوح بلا شك ٠٠ ولكن هـــذا لا يقاس بجانب محاولته التضرف تصرفات « الجنتلمان » ولكن ٠٠ لم يكن عندى أدنى فكرة عن كونه ماجنا ٠٠ أننى أعترف بأننى كنت أتصـــوره فعلا اقرب قليلا الى الجنتلمان ؟

قالت هارييت فى صوت جريح مهان :

ـــ أوه ٠٠٠ انه ليس رقيقا كجنتلمان حقيقى ٠٠ ؟

ـــ أعتقد يا هارييت انك بعد معايشتك معنا ٠٠ ووجودك بين رجال مهذبين ٠٠ حقيقيين سوف تصدمين بنفسك من الفرق بينهم وبين مستر مارتن ٠٠ ؟ فى « هارتفيلد » وجدت نماذجا لرجال مثقفين ٠٠ أننى أتعجب ٠٠ فانه بعد رؤيتك لهم٠٠ لن تتمكنى من مصاحبة مستر مارتن ثانيا دون اعتبارك أنه مخلوق دنىء ٠٠ وأنك فى يوم ما كنت تكنين له بعض الرضاء ٠٠٠ وبعض القبول ٠٠ ألا تشعرين بذلك الآن ألم تصدمى بعد ؟ أننى متاكدة من أنك قد صدمت فعلا من مظهره المنحرف ٠٠ وطباعه الجافة وصـــوته الفظ الخشن ٠٠ الذى سمعته ٠٠ وأنا واقفة هنا ٠

ـــ قطعا هو ليس مثل مستر نايتلى ٠٠ ليست له تلك الاجواء البديعة

.. ولا طريقة سير مستر نايتلى .. والفرق واضح تماما .. لكن مستر نايتلى رجل بديع جدا .. جدا .

ــ ان جو مستر نايتلى .. ملحوظ تماما .. وليس من العـــدل أن تقارنى مستر مارتن به انه ليس الرجل الذى تعودت عليه أخيرا .. وماذا عن مستر ويستون .. ومستر ايلتون قارنى مستر مارتن بأى واحد بينهما .. قارنى بين تصرفاتهما وأخلاقهما .. بين سيرهما .. كلامهما .. صمتهما .. لا بد وأن تجـــدى الفرق .. والفرق الشاسع الواضح تماما ..

ــ آوه .. نعم ... نعم .. هناك فرق كبير .. ولكن مستر ويستون رجل عجوز .. لا بد وأن يكون مستر ويســتون بين الأربعين .. والخمسين .

ــ وهذا ماشكل أخلاقه الطيبة .. فكلما نما الانســـان .. نمت معه صفاته .. أهم شىء يا هاربيت هو أن تكون صفات الانسان حسنة .. قولى لى يا هاربيت .. كيف يكون حال مستر مارتن اذا ما قارب عمر مستر ويستون .

ــ فى الحقيقة .. لا يمكننى أن أقول شيئا .

ــ لكن هناك على الأقل تخمين لما ســوف يكون .. سيكون متضخما تمام التضــخم .. فــلاح سوقى .. فظ .. لا يفكر الا فى الربح والخسارة .

ــ سيكون كذلك .. انه شىء ردىء .. ردىء جدا .

ــ وكلما زادت أعماله واتسعت .. ومن الظروف المحيطة به .. سوف ينسى ذلك الكتاب الذى أوصيته به .. لأنه لن يتذكر الا السوق .. وماذا يفعل رجل ناجح بالكتاب .. ؟ أنا لا أنكر بأنه سوف ينجح .. وينجح .. وسوف يصبح رجلا غنيا جدا فى وقت ما ، وهذا بالطبع سوف لا يدهشنا .

وكانت اجابة هارييت :

— أننى أتعجب من أنه لم يذكر الكتاب ٠

— من جهة واحدة ٠٠ ربما يمتاز أسلوب مستر ايلتون عن مستر نايتلى ومستر ويستون فان الأخيرين عنـــدهما مقـــدار كبير من اللطف ويعتبران من النماذج الانسانية الرائقة ٠٠ وهناك أيضا التفتح ٠٠ وسرعة البديهة وعدم الفظاظة فى مستر ويستون ٠٠ تلك الصفات٠٠ التى يحبها فيه كل انسان ، وعلى عكس ذلك ـ فأننى أعتقد أنه يمكن لأى شاب أن يتخذ مســـتر ايلتون مثالا له ٠٠ فهـــو شخص لطيف ٠٠ مـــرح ٠٠ ولـــكن ٠٠ يا هارييت ٠٠٠٠ ألا تعتقدين أنه ناعما أكثر من اللازم ٠٠ أو أنه يفتعل ذلك ليسعدك ٠٠ ألم أخبرك بما قاله عنك فى اليوم الماضى ٠٠ ؟

وقالت لها بعض الكلمات الخاصه الحـــارة التى دفعت الدماء الى وجهها وابتسمت هارييت قائلة بأنها كانت دائما تعشق بأن مستر ايلتون شخص محبوب ومرغوب جدا ٠

وكان مستر ايلتون هو الشخص الوحيد الذى ركزت عليه ايما ٠٠ لادخاله فى رأس هارييت وفكرت فى أنها قد تكون لعبة رائعة لو تمكنت من التخطيط لها ٠

لقد رتبت لها فى نفس التاريخ ٠٠ الذى خطت فيه هارييت سميث أولى خطواتها نحو هارتفيلد وبطول ما فكرت فيها ٠٠ بطول ما رسخت فى ذهنها ٠٠ ان مركز مستر ايلتون مناسب والرجل فى حد ذاته لا غبار عليه ٠٠ وفى الوقت نفسه بلا عائلة ٠٠ بحيث يمكن أن تعارض بالنسبة لمولد هارييت ٠٠ وله منزل مريح ٠٠ وله دخل لا بأس به ٠٠ ولا علم له أو معرفة بمكنونات العالم ٠

وفعلا ٠٠ أرضت نفسها بتفكير ٠٠ يعلل بأن مستر ايلتون يعتقد فى قرارة نفسه بأن هارييت سميث فتاة جميلة ٠٠ وبايمان بانه بعد قليل جدا من المقابلات فى هارتفيلد ٠٠ يكون الأساس كافيا من جانبه ٠

آه ... انه رجل وسيم .. ويعتبر فعلا رجلا وسيما .. والفتاة التى أعجبت بها هى نفسها .. « ايما وود هاوس » لابد وأن تحوز أيضا على أعجاب مستر ايلتون .. وأن تكون هذه الفتاة هى « هارييت سميث » .

الفصـــل الخامس

قال مستر نايتلى : ـ

ـــ لا أعرف ما هو رأيك يا مسز ويستون فى هذه العلاقة الوطيدة بين « ايما » و « هارييت سميث » أنا أعتقد أنه شىء ردىء جدا ٠٠ ؟

ـــ شىء ردىء ٠٠ أحقا تعتقد أنه شىء ردىء ٠٠؟ ولم هذا الاعتقاد ٠٠؟

ـــ أعتقد أنهما لن تفيدا بعضهما ٠

ـــ انك تدهشنى ٠٠ ان ايما سوف تفيد هارييت ٠٠ وســـوف تعطيها ألوانا جديدة من الفوائد أيضا « هارييت ستكون قطعا ٠٠ مفيدة لايما ٠٠ لقد تتبعت علاقتهما بسرور كبير ٠٠ أى شعور مختلف بيننا ٠٠ أنت تعتقد بأن صداقتهما لا جدوى منها ٠٠ أعتقد أن هذا سيكون واحدا من أولى خلافاتنا حول « ايما » يا مستر نايتلى ٠

ـــ ربما تعتقدين باننى أوجد سببا للخلاف معك ٠٠ وليـــكن معلوما لديك ٠٠ أن ويستون بعيد كل البعد عن هذه المعركة ٠٠ انها معركتك أنت وحدك ٠

ـــ مما لاشك فيه ٠٠ أن مستر ويســتون كـــان سيقف بجانبى لو كان موجودا معنا ٠٠ لأنه يشاركنى نفس التفكير فى هذا الموضوع ٠٠ فلقد كنا نتحدث عنه بالأمس فقط ٠٠ وتوافقنا فى مدى حظ ايما لتجد مثل هذه الرفيقة فى « هايبرى » ٠٠ ؟ مستر نايتلى ٠٠ أننى لن أسمح لك بان تكون حكما عادلا فى هذه الحالة ٠٠ لقد تعودت أن تعيش بمفردك ٠٠ ولا يمكنك أبدا أن تقدر قيمة الرفيق ٠٠ وربما أى رجل لا يمكنه تقدير مدى الراحة التى تشـــعر بها المرأة حين صداقتها لامرأة أخرى من بنات جنسها وخاصة بعد أن تكون قـــد تعودت على رفيقة لها طول عمرها ٠٠ ويمكننى أن أتصور اعتراضك على هارييت سميث من أنها ليست الصديقة المثالية التى يجب أن تكون عليها صديقة « لايما » ٠٠ ولكن من الناحية الاخـــرى ٠٠ مادامت ايما ترغب فى رؤيتها ٠٠ فى تشكيل أفضل ٠٠ سيكون هذا داعيا لها أن تجعلها تشاركها القراءة ستقران ســـويا ٠٠ أنا أعرف ايما ٠٠ انها تعنى ذلك ٠

— ان ايما تقرأ منذ كانت فى الثانية عشر من عمرها ٠٠ لقد رأيت مرارا ٠٠ كشوفات طويلة ٠٠ بالكتب فى مكتبتها ٠٠ وفى بعض الأحيان ٠٠ كنت أجـد أن الكتب مرقمة ترقيما ابجـديا وأحيانا أخرى ٠٠ أجد أن هناك كتبا يحكمها ذوقها الخاص واعتقـد أن لديها الآن كشوفات عظيمة ٠٠ لقراءاتها ٠٠

ومع ذلك ٠٠ فاننى أعتقد بل وأومن من أنها لن تستوعب شـيئا من الصناعة أو الصبر حيث قد فشلت مسز ويستون فى تحريكها ٠٠ ولهذا أقر أيضا أن هاربيت سميث لن تتمكن من فعل أى شىء ٠٠ انك أبدا لم تتمكن من ارغامها على قراءة نصف ما كنت تريدين لها أن تقـرأ ٠٠ وأنت تعرفين جيدا ٠٠ من أنك لم تتمكنى من فعل ذلك ٠

أجابت مسز ويستون بابتسامة رقيقة :

— أننى أجرؤ على القول ٠٠ بأننى أتذكر بأن ايما رفضت أى شىء ٠٠ أو امتنعت عن فعل أى شىء ٠٠ رغبت أنا فيه ٠

قال مستر نايتلى ذاهلا :

— ما هذا ٠٠ ما هذا ٠٠ ؟ ان أى انسان يرى ويسمع ٠٠ ويتذكر ٠٠ يمكن أن يقرر ٠٠ وبكل بساطة أن ايما قد أفسدت ٠٠ لكونها أمهر واحدة فى عائلتها ففى العاشرة كانت تجيب على أسـئلة تحير أختها التى كانت فى السابعة عشر كانت دائما سريعة البديهة وكلها ثقة واعتداد بالنفس ٠٠ ايزابيلا بطيئة ومحجمة ٠٠ وسيدتكم ٠٠ وفى الثانية عشر كانت ايما سيدة المنزل ٠٠٠٠ وسـيدتكم جميعا ٠٠ وبفقدها أمها ٠٠ فقدت الشخص الوحيد الذى كان يمـكن أن يظللها بجناحيه ٠

لقد ورثت ذكاء أمها وهى تدين لها بذلك ٠

— أننى آسفة يا مستر نايتلى لعدم تبعيتى لتوصياتك ٠٠ فاننى بصفتى عايشت عائلة « مستر وود هاوس » كنت أريد وصفا آخر ٠٠ أننى أظن أنك لم تتكلم عنى كلمة طيبة لأى انسان ٠٠ وأنى متأكدة من

أنك كنت دائما تؤمن بأننى غير كفء لادارة العبء الذى حملته .
قال مبتسما :

— نعم ... انك قد وضعت فى مكان أفضل هنا .. مناسب جدا لزوجة ولكن أبدا ليس لمربية .. ولكنك كنت تعدين نفسك لتكونى زوجة طوال مدة اقامتك فى هارتفيلد .. انك لم تقدمى لايما تعليما كاملا .. ولكنك كنت تتلقين منها هى .. تعليما طيبا .. فى مسائل الزواج .. ءى اطاعتها وتنفيذ رغباتك .. واذا ما كان (ويستون) قد سألنى لأرشح له زوجة .... قطعا لم أكن لأذكر له الا اسم « مس تايلور » .. ؟

— وشكرا .. شكرا لك .. أننى لا أستحق أن أكون زوجة لرجل مثل مستر ويستون .

— لأقول الحقيقة .. أننى أخشى ألا تتحمل طاقاتك .. ربما يضيق ويستون بكل هذه الراحة .. على أى حال .. دعينا لا نيأس أو ربما يأتى الازعاج من ناحية ابنه .

— ارجو ألا يحدث .. هذا شىء غير مستحب لا .. لا يا مستر نايتلى .. لا تدخل من هذه الزاوية .

— لا .. لست أنا فى الحقيقة .. أننى فقط أذكر الامكانيات .. أننى أضمن .. وأتمنى من كل قلبى أن يكون الفتى .. «ويستون» فى كيانه .. و «تشرشل» فى ثروته .. ولكن .. « هارييت سميث» لم أفعل ما يجب فعله بالنسبة لهارييت سميث أننى أعتقد أنها أحقر نوع لرفيق .. يمكن أن يكون لايما انها لا تعرف شيئا عن نفسها .. وتنظر الى ايما كانها تعرف كل شىء .. انها تمتدحها فى كل تصرفاتها وجهلها .. وفى تملقها .. كيف تتصور «ايما» أنها هى نفسها يمكنها أن تتعلم شيئا بينما « هارييت لا تفارقها فى تملقها .. أما بالنسبة لهارييت فاننى أقرر أنها هى أيضا لن تستفيد شيئا من هذه الصحبة .. ان هارتفيلد ستلفظها خارجا مع كل من لها مثل ظروف مولدها ..؟ أننى أكون مخطئا لو أن ايما فكرت فى وصفها .. فى الحياة .. انها دفعة فاشلة .

(ايما)

ــ أننى لا اعتمد أكثر منك على تصرف « ايما » أو لست أكثر قلقا على راحتها الحالية ٠٠ لأننى لا أرقى لرفعتها ٠٠ وكم كنت أود أن تبدو فى أحسن حال فى الليلة الماضية ٠

ــ أوه ٠٠ انك تتكلمين عن شخصها ٠٠ لا عن عقلها ٠٠ أليس كذلك ٠٠ حسن جدا أننى لن أحاول أن أنكر أن ايما كانت بديعة ٠

ــ بديعة ٠٠ بل قل ٠٠ جميلة ٠٠ جميلة ٠٠ ورائعة الجمال ٠٠ هل يمكنك أن تتخيل شيئا متكامل الجمال ٠٠ اكثر من وجه ايمـــا وشـــكلها ٠

ــ أنا لا أعرف هذا الذى يمكن أن اتخيله ٠٠ ولكننى أعترف بأننى قلما رأيت وجها أو شكلا ٠٠ أكثر متعـــة لى ٠٠ منها ٠٠ ولكننى صديق قديم عجوز ٠

ــ هذه هى العين ٠٠ عين فاحصة صادقة ٠٠ ذكية ٠٠ أى مظهـــر للصحة الكاملة ٠٠ ؟ أى طول لطيف وحجم ـ ؟ انها زهـــرة ٠٠ ليست فى شكلها اللطيف فحسب ٠٠ ولكن أيضـــا فى الجو الذى يحيط فيها ٠٠ رأسها ٠٠ حركاتها لمحاتها ٠٠ نظراتها ٠٠ اننا نسمع أحيانا كلمة عن طفل بقولهم ٠٠ « انه صورة للصحة » والآن ٠٠ اقول لك ان ايما تعطينى دائما فكرة الصـــورة الكاملة للصـــحة النامية ٠٠ انها حبيبة ٠٠ حلوة ٠٠ اليست كذلك يا مستر نايتلى ٠

اجاب مستر نايتلى :

ــ اننى لا أجد فى شخصها أى غلطة ٠٠ واعتقـــد أنهـــا تماما كما تصفينها ٠٠ وأحب أن أنظر اليها ٠٠ وأعتبر أنها وسيمة جدا ٠٠ ولكنها تبدو منشغلة قليلا ٠٠ مسز ويستون ٠٠ أننى لن أتكلم عن عدم قبولى لصحبة هارييت وايما ٠٠ أو عن تخـــوفى من الضرر الذى سوف يلحق بهما هما الاثنتان ٠

ــ ولا أنا يا مستر نايتلى ٠٠ أننى واثقة تماما من أنه لن يصـــيبهما أى ضرر مع كل أخطاء حبيبتى الصغيرة « ايمـــا » فهى مخلوقة

رائعة .. أين .. أين سنجد افضل منها .. ابنة .. أو طفلة .. أو أخت .. أو أصدق منها صديقة .. لا .. لا .. أن لها صفات يوثق بها أبدا لن تقود أحد الى الخطأ.. واذا ما أخطأت مرة .. فهى محقة .. وصادقة مائة مرة .

— حسن .. حسن جدا .. أننى لن أزعجك أكثر من ذلك .. ستصبح ايما ملاكا ولسوف أحتفظ بضغينتى وحقـــدى لنفسى حتى يأتى «الكريسماس» ويحضر جون وايزابيلا .. ان جون يحب ايما بتعقل وفهم .. وعلى ذلك لن تكون عواطف عمياء .. وايزابيلا تفـــكر دائما كما يفعل هو .. فيما عدا .. عـــدم خـــوفه الكافى على الأطفال .. وأننى واثق بأننى ساكسب آرائهم .. كلهم معى .. معى .. فى هذا الشأن .

— أننى أعرف انكم كلكم تحبـــونها حقيقة .. ولكن لا تكونوا غير عادلين .. أو غير عطوفين ولكن .. أوه .. اغفر لى يا مســـتر نايتلى اذا ما أخذت حريتى فانا أعتبر نفسى كما تعرف .. ان لى بعض الحق فى الكلام .. أننى أعتقـــد بانه لن يثار أى شىء بين ايما .. وهارييت سميث . اقصـــد أى حـــديث متوقع عنك .. وخاصة أن والدها يؤيد هذه الصداقة .. وأنها مصدر سعادة لهـــا هى نفسها .. لا تندهش يا مســتر نايتلى من أننى أقـــدم لك تضحية فانها من بقايا عملى فى هذا المكان .

صاح مستر نايتلى :

— أبدا .. أبدا .. أننى شاكر لك هذا .

— ان مسز جون نايتلى تنزعج بسرعة .. وسوف تتأذى اذا ما سمعت شيئا يسؤها عن شقيقتها .

— اطمأنى .. ارتاحى .. لن أثير أى شىء .. ساحتفظ به لنفسى .. لا تخافى أننى مخلص جدا لايمـــا .
قالت مسز ويستون بلطف :

— وأنا أيضا .. وكثير .. كثير جدا .

— أنها تصرح دائما بأنها لن تتزوج ٠٠ ولكن لا فكرة عندى من أنها قد صادفت الرجـــل الذى يمكنها أن تهتم به ٠٠ انه شىء مؤسف للغاية أن تقف ايما هذا الموقف ٠٠ أننى أتمنى أن أراها تقع فى الحب ٠٠ انه سيكون شيئا حسنا بالنسبة لها ٠٠ ولكن لا يوجد أحد هنا يمكن أن يرتبط بها ٠٠ انها تسير وحيدة فى الحياة ٠

قالت مسز ويستون :

— بينما هى فى منتهى السعادة فى هارتفيلد ٠٠ فاننى لا أشجع أى زواج بالنسبة لها فى الوقت الحالى ٠٠ فأنا من جانبى ٠٠ لا أريد أى مضايقات تصيب مستر وود هاوس المسكين ٠

فانه كانت هناك بعض من هذه الأفكار وبعض من الرغبات الطيبة ٠٠ بخصوص ايما ٠

وهناك تسال مستر نايتلى :

— هل هناك أمطار تبدو فى الجو ٠

وبالطبع ٠٠ لم يكن هناك أى شىء يقال بعد ذلك ٠٠ لا بالنسبة لايما ولا بالنسبة للجو ٠٠ وخاصة فى « هارتفيلد » ٠

الفصـــــل الســـادس

لم تشعر « ايمــــا » بأى شك فى انها قــــد وجهت هارييت الى الاتجاه الصحيح وأيقظ منها شـــعور الامتنان والتعاطف الى غاية طيبة لأنها قد وجدتها أكثر مودة بعد ابدائها ملاحظة ٠٠ عن صــفات مستر ايلتون ووسامته ٠٠ لأنها كانت قد اقتنعت تماما بانه يسير فى الطريق السليم المرسوم ٠٠ للوقوع فى الحب ٠٠ ؟ ان لم يكن قد وقع فعلا ٠٠ لقد تكلم عن هارييت وصفاتها ٠٠ وأخلاقها بحرارة ٠٠ وخاصة بعد تقديمها فى « هارتفيلد » ٠٠٠ فان هـــذا كان من أقـــل البراهين التى جعلت الصلة تنمو ٠

قـــال :

— لقد أعطيت ، مس سميث » كل احتياجاتها لقد جعلتيها سهلة ٠٠ حلوة الشمائل لقد كانت مخلوقة جميلة ٠٠ عندما حضرت اليك ٠٠ ولكن ٠٠ فى اعتقادى أن الجاذبية التى أضفتيها اليها ٠٠ أرفع ٠٠ وأسمى مما قد أضفته عليها ٠٠ الطبيعة ٠

— اننى سعيدة لاعتقادك بأننى كنت ذات فائدة لها ٠٠ ولكن هارييت لم تتلق الا القليل ان لها شمائلها الحلوة ٠٠ الطبيعية ٠٠ ومتمكنة من نفسها ٠٠ فعلا ٠٠ أننى لم أقدم لها الا القليل ٠٠ والقليل جدا ٠
قال مستر ايلتون بشهامة :

— اذا كان مسموحا لرجل ٠٠ ان يعارض سيدة فاننى أقول بأنك قد أعطيتها ٠٠ قرارات الشخصية ٠٠ وعلمتيها كيف تفكر فى نقاط وأمور لم تمر فى طريقها من قبل ٠

— تماما هو كذلك ٠٠ وهذا ما أذهلنى أساســــا ٠٠ اضافات ممتازة للشخصية ٠٠ مهارة تامة ٠

— أننى متأكـــــد أن سرورك كان عظيما ٠٠ قط لم أقابل استعدادا حبيبا ٠٠ صادقا مثل هذا ٠

ولم تكن ايما أكثر سعادة فى أى يوم من الأيام ٠٠ أكثر من سعادتها

فى ذلك اليوم عندما حقق رغبة فجائية لها ٠٠ وهى ٠٠ الحصول على صورة لهارييت ٠

— هل لم تأخذ أبدا صورة ٠

وكانت هارييت فى هذه اللحظة ٠٠ توشك أن تغادر الحجرة ٠٠ وتوقفت فقط لتقول بدلال مرغوب ٠

— أوه ٠٠ يا عزيزيتى ٠٠ أبدا ٠٠ أبدا ٠
وغابت عن النظر ٠٠ بأسرع مما توقعت ايما ٠

— أى كنز ثمين لصورة لها ٠٠ أننى أدفع أى مبلغ نظير هذه الصورة ٠٠ أننى أعشق جمالها ٠٠ اذا ما طلبت هارييت أيامى كلها لأخذ صورة لها سيكون هذا ممتعا لى ٠٠ بل شديد الامتناع ٠
صاح مستر ايلتون :

— أننى أتضرع اليك ٠٠ سيكون هذا ممتعا حقا ٠٠ دعينى أتوسل اليك يا مس وود هاوس لاختيار مثل هذا الذكاء الخارق ٠٠ للعمل فى مصلحة صديقتك ٠٠ أننى أعرف ما هو رسمك ٠٠ هل تعتقدينى جاهلا ٠٠ اليست هذه الغرفة غنية برسوماتك وازاهيرك ٠٠ وهل لا يوجد عند مسز ويستون نماذج حبيبة فى غرفة استقبالها براند الز ٠

قالت ايما فى نفسها :

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ أيها الرجل الطيب ٠٠ وماذا يجدى فى هذا ٠٠ انك لا تفهم شيئا فى الرسم ٠٠ لا تحاول أن تتغزل فى ٠٠ احتفظ بغزلك وهيامك ٠٠ لوجه هارييت ٠

ثم بصوت عال :

— حسنا ٠٠ حسنا جدا يا مستر ايلتون ٠٠ انك اذا ما أعطيتنى التشجيع ٠٠ فاننى سوف أحاول أن أفعل ذلك ٠٠ ان ملامح هارييت رقيقة ٠٠ ورقيقة جدا ٠٠ بحيث يكون من الصعوبة رسمها ٠٠ كما أن شكل العينين ٠٠ وخطوط الفم ٠٠ تحتاج لدقة تامة لتصويرها ٠

— تماما ٠٠ تماما ٠٠ هو ذلك ٠٠ شكل العينين ٠٠ وخطوط الفم ٠٠ أنا لا أشك أبدا فى نجاحك ٠٠ أتوسل اليك ٠٠ انها كما قلت ٠٠ ستكون كنزا رائعا ٠

— ولكننى أخاف يا مستر ايلتون ألا ترغب هارييت فى الجلوس أمامى ٠٠ انها تفكر قليلا فى جمالها الخاص ٠٠ وهل لم تلاحظ سؤالها لى ٠٠ الذى كان يعنى تماما : ولماذا ترسم صورتى ٠٠ ؟

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ لقد لاحظت ٠٠ وأننى أؤكد لك أن هذا لم يخف على ٠

— ولكننى ٠٠ مازلت أتصور بأنها لن تقتنع ٠

وفى الحال ، كانت هارييت تدخل الغرفة ثانيا ٠٠ وتم الاقتراح فورا ٠٠ وبدأت ايما استعداداها للبدء فى العمل فورا ٠٠ واستقر الرأى على أن يقررا أى الأوضاع تناسب هارييت ٠٠ الوجه فقط ٠٠ بروفيل ٠٠ أو النصف ٠٠ أو الطول كله ٠٠ وأحضرت ايما الفرشاة وأدوات الرسم٠٠ وألوان الماء ٠٠ لقد أحرزت ايما نجاحا كبيرا فى الرسم والموسيقى ٠٠ انها تلعب الموسيقى بفن رائع ٠٠ وتغنى وترسم ٠٠٠٠ لكل منظر ٠٠ وكل طراز ٠٠ ولكنها لم تصل الى درجة الامتياز ٠٠٠٠ ولم تكن آسفة ٠٠ ولا حزينة ٠٠ ولا تود الايقاع أكثر مما تستحق ٠٠ وكل الصور التى قامت برسمها ٠٠ كانت تدل على جدارة تامة للرسم ٠٠ وبها روح ٠٠ وبها حياة ٠٠ وكانت نظرة الاثنين لها ٠٠ كلها اعجاب ٠٠ فان رسم مس وود هاوس لابد وأن يكون ممتاز ٠

قالت ايمـــا :

— ليس هناك تغيير كبير فى الوجوه ٠٠ لم يكن عنـــدى غير وجه عائلتى للدراسة هذه صورة لأبى ٠٠ وأخـــرى أيضا ٠٠ لأبى ٠٠ ولكن الفكرة من جلوسه الساعات للرســم أثارت ثائرته ٠٠ حتى أننى أضطررت أن أرسمها خفية ولا واحدة منهما تشبهه تماما ٠٠ مسز ويستون مرة أخرى ٠٠ وأخرى ٠٠ وأخرى دائما صـــديقتى

الحنون ·· فى كل مناسبة ·· تجلس دائما ·· كلما طلبت منهـــا الجلوس ·· وهـــذه شقيقتى ·· حقيقة هى تماما ·· بملامحها الأنيقة ولكن ·· الوجه ليس هو تماما ·· كان من الممكن أن أرسمها أدق من ذلك لو صبرت على الجلوس أمامى مدة أطول ·· ولكنها كانت قلقة ومتعجلة للقيام والذهاب الى أطفالها ·· وهنا تأتى كل تجربتى لثلاثة من هؤلاء الأطفال الأربعة ·· هم هنرى ·· جون ·· وبيــلا ·· كانت المحاولة شاقة لرسم ثلاثة أطفال فى سن ثلاث أو أربع سنوات ·· وهـــذا هو رسمى للطفل الرابع ·· كان طفـــلا رضيعا ·· رسمته كما كان تماما ·· على الأريكة ·· يبدو بصحة وجمال ·· يحبب المـــرء فى رؤياه ·· وتميل راســـه فى راحة وانحناء أننى فخورة بالسعيد « جورج » ·· ان زاوية الأريكة تبدو جميلة ·· وهنا رسم آخر ··وأبدع رسم ·· لرجل صغير الحجم ·· انه رسم للجسم كله ·· آخر وأحب أخ لى ·· «مستر جون نايلتى» لقد أجمعنا ·· أنا ومسز ويستون أن الصورة تشبهه تماما ·· وأنه وسيما وسيما وطبيعيا جدا ·· ولكن بعد ذلك جـاء الاستحســان البارد من المسكينة العزيزة ايزابيلا : آه انها تشبهه قليلا ··

ولكن ·· تأكدا من أنها لم تكن صورة عادلة ·· وقد عانينا كثيرا لارغامه على الجلوس بعد ذلك ·· ثم وبعد ذلك أيضا ·· لم أنته منها أبدا وكان علينا أن نعتذر كل صباح ·· لكل زائر ·· لهذا الاختلاف ·· وقد أقسمت من وقتها ألا ارسم أى مخلوق ·· أبدا ·· أبدا ·· بعد ذلك ولكن لأجل خاطر هارييت ·· وعدم وجود ازواج وزوجات فى الوقت الحالى ·· فاننى سوف أحنث بقسمى الآن ·

وبدا مستر ايلتون مأخوذا وسعيدا بالفكرة ·· وظل يردد : لا أزواج ولا ·· زوجات فى الوقت الحالى ·· الحقيقة تماما كما أوضحت ·

وقد بدأت ايما فعلا تفكر اذا ما كان من الأفضل عـــدم وجودهما سويا ولكنها كانت تريد أن ترسم ·· لذا وجب عليها ابعاد هذا الخاطر ·· ويمكن دراسته فيما بعد ·

وابتدأ العمل .. وسرعان ما تقرر أن تكون الصـــورة كاملة .. بالألوان تماما مثل صورة « مستر جون نايتلى » واقترحت ايمـــا - أن تستند هارييت بذراعها على المدفأة .

وجلست هارييت باسمة .. متوردة الوجنتين بانفعال الشباب ... ومزيج حلو من تعبير النضارة .. وتركيز العينين .. ولكنها كانت خائفة الا يمكنها الاستمرار على هذا الوضع .. اذ ان وقوف مستر ايلتون من خلفها مراقبا لكل نظرة .. وكل حركة .. كان لابد وأن يفســد هـذه الجلسة .. ورجته ايما أن يجلس بعيدا فى مكان ما .. وشغلته بالقراءة قائلة : أنه سيكون شيئا جميلا أن يقرأ لهما .. وسيكون هذا تعطفا رقيقا حقيقا .. وسوف تخفف القراءة عنهما جفاف الموقف .. وحتى تستمع اليه مس سميث .

وكان مستر ايلتون سعيدا كل السعادة .. وهارييت تصغى اليه .. وايما مسترسلة فى الرسم .. وكانت تعطيه الاذن ليرى الصورة .. وعند أول بادرة سماح .. كان يقفز من مقعده .

كان يبدو عليه الاعجاب .. ولكن ايما لم تتمكن من تقدير نظراته .. فان حبه .. ومجاملته لم يكن معترضا عليه .

وكانت الجلسة كلها مرضية تماما .. وسعيدة جدا .. حتى أنها رغبت فى أن تستمر فيها فى اليوم التالى .. انها تريد أن تضيف اليها أناقة أكبر .. وانها واثقة أنها ستكون صورة بديعة فى النهاية .. وتذكار جميل لكليهما .. واحدة لجمالها .. والأخرى لمهارتها وفنها .. ومشاركة مستر ايلتون كانت رابطة تدعو الى الاضافة .

وجلست هارييت فى اليوم التالى .. ومستر ايلتون .. كما سمح له بملازمتها للقراءة .

قالت ايما : بأى حال من الأحوال .. فاننا سنكون أكثر ســعادة باعتبارك واحدا من المجموعة .

وبنفس الدقة ٠٠ والمجاملة ٠٠ ونفس النجاح والرضا ٠٠ كان لقاء اليوم التالى ٠٠ وتكامل مع النجاح التام للصور ٠

وأسعدت الصورة ٠٠ كل من شاهدها ، ولكن أكثرهم كان مستر ايلتون ٠٠ فانه كان فى نشوة متصلة ٠٠ ودافع عنها ضد أى ناقد معتدى ٠٠ وأبدت مسز ويستون رأيها قائلة :

— لقد أغدقت مس وود هاوس على صديقتها كل الجمال الذى أحبته ٠٠ لقد ألبستها ثوب المحب ٠٠ وأبدعت فى تصويرها ٠٠ أن التعبير فى العينين صحيح تماما ٠٠ مع أن مس سميث ليس لديها هذه الرموش ٠٠ وهذه الحواجب انها الغلطة التى لا توجد فعلا فى وجهها ٠

أجاب مستر ايلتون :

— هل تعتقدين ذلك ٠٠ أننى أبدا لا أوافقك فاننى لم أر طوال حياتى شبها مثل هذا ٠ لعلك تسمحين بتأثير الظلال ٠

وقال مستر نايلتى :

— لقد جعلتيها طويلة جدا يا ايما ٠٠ ؟

وكانت ايما تعرف ٠٠ بأنها فعلا قد قصدت أن تفعل ذلك ٠

وأضاف مستر ايلتون بحرارة :

— أوه ٠٠ قطعا ليست طويلة جدا ٠٠ لا ٠٠ انها تعطى الفكرة تماما كطول مس سميث الحقيقى ٠

وقال مستر وود هاوس :

— انها بديعة جدا ٠٠ صنعت بروعة تماما ككل رسوماتك يا عزيزتى ٠٠ أننى لا أعرف أحدا يرسم رسما جميلا كما تفعلين أنت ٠٠ الشىء الوحيد الذى يلاحظ فى هذه الصورة هو أنها وكأنها تجلس فى العراء ٠٠ وليس على أكتافها سوى شال صغير ٠٠ ما يجعل الناظر اليها يعتقد على الفور بأنها سوف تصاب بالبرد ٠

— ولكن يا بابا .. من المفروض انه يوم حار فى الصيف .. أنظر الى الشجر .

— ولكن .. ليس من الأمان الجلوس فى العراء .

صاح مستر ايلتون :

— أنت يا سيدى .. لا تقل شـيئا .. ولكننى أعترف بأنه من أمتع الأشياء جلوس مس سميث فى العراء .. وتعانق الأشجار بمثل هذه الروح .. أى وضع آخر كان لابد وأن يقلل كثيرا فى اضفاء هـذه الشخصية .. الحلاوة .. الوداعة فى صفات مس سميث . كـل شىء .. كل شىء .. آيه .. انها أكثر من رائعة أبدا لا أتمكن من تحويل عينى عنها . .أبدا لم أر مثل هذا الشبه العجيب .

وكان الشىء الثانى المطلوب .. هو وضع اطار للصورة .. وهنـا كانت بعض الصعوبات .. انها يجب أن تعمل فورا .. وفى لندن .. ويجب أن يوضع بين أيدى فنيين مهـــرة .. يمكن الاعتماد عليهم .. وايزابيلا التى كانت دائما ملجأ لكل الطلبات .. يجب ألا يلجأ اليهـا فى مثل هذه الحالة . .فان مستر وود هاوس لا يمكن أن يتحمل خروجها من منزلها فى ضباب ديسمبر .. ولكن حالا ما وجد المخرج .

قال مستر ايلتون أنه اذا ما كان يعتمـــد عليه .. ويوثق به لأداء هذه الرسالة أية سعادة .. اذا ما قبلت هذه الرغبة وقام بتنفيذها .. انه يمكنه السفر الى لندن فى أى وقت .. وأنه ليس فى الامكان التعبير عن مدى امتنانه اذا ما كلف بهذا العمل .

— أوه .. هذا شىء جميل حقا .. بالتأكيد .. بالتأكيد .. سيكون العمل مقبولا .. ومشكورا .

وكان على مستر ايلتون أن يحمل الصورة معه الى لندن .. لاختيار الاطار ويعطى التوجيهات وفكرت ايما فى أنها قد تكون أكبر أمانا معه .. اذا لم يكن فى هذا الأمر ازعاجا له .. فى حين أن هذا الأمر كان يبدو له مخيفا انه لم يكن فيه الازعاج الكافى .

وحينما تسلم مستر ايلتون الصورة ·· صاح جزلا :

— يالها من مهمة ثمينة ·

وفكرت ايما ·· «أن الرجل غالبا ما يبدو شهما··اذا ما أحب ··»

انني يجب أن أقول هذا ·· ولكننى أعتقد أن هناك مئات الطرق المختلفة في الحب ·· انه شاب ممتاز ·· وسوف يناسب هارييت تماما ·· انه سيكون كما يقول هو نفسه دائما : « تماما ·· هكذا » ولكنه يدرس الايماءات ·· والاشارات ··والمجاملات أكثر من المبادىء ·· ولكن هذا سيكون على حساب امتنان هارييت ·

الفصـــــل الســـابع

وفى نفس اليوم من سفر مستر ايلتون الى لندن .. وجدت ايمـا مناسبة طيبة تمكنها من تقديم خدماتها لصديقتها .. وكالعادة .. كانت هارييت فى هارتفيلد .. وفى الحال .. بعد الافطـار خرجت .. ثم عادت ظهرا لتناول الغذاء .. ولقد كانت عودتها سريعة ومفاجئة بنظرة متعجلة .. تنبىء بحدوث شىء غير عادى .. وتعلن عن تلهفها لرواية هذا الحدث .. وسرعان ما أفرغت كل ما فى جعبتها من كلام يتعبها .

لقد سمعت على فور عودتها من عند مسز جود ارد أن مستر مارتن كان هناك منذ ساعة تقريبا وعندما لم يجدها .. وهذا ما لم يكن يتوقعه .. ترك لها طردا صغيرا مرسلا اليها من احدى شقيقاته .. وعاد ثانيا بأسرع مما أتى .. وعندما فتحت الطرد .. وجدت بجانب الاسطوانتين اللتين ... اعارتهما لاليزابيث لنقلهما .. خطابا لهـا هى شخصيا .. وهذا الخطاب منه هو .. «مستر مارتن» ويحتوى على عرض صريح مباشر بالزواج ... !

آه ... من كان يصدق ذلك .. وخطاب رقيق جدا .. آه .. انها فى شدة العجب ، كتبه بطريقة تدل على حب كبير لها .. وهى فى حيرة .. لا تدرى ماذا تفعل .. لذا فقد أسرعت الى صديقتها مس وود هاوس بأسرع من البرق لتسالها .. عما يمكنها أن تفعله فى هذه الحالة .

وشعرت ايما ببعض الخجل لتصرف صديقتها الملهوفة .. وما يبدو عليها من شدة الفزع والشك .

صـاحت ايمـا :

— فى رأيى .. أن الفتى قرر الا يضيع الوقت فى متاهات .. بل أنه سوف ينفذ هذا الأمر بنفسه .

صاحت هارييت :

— اتوسل اليك اقرأى الخطاب .. اقرأيه .. أننى أتمنى أن تقرأيه .

(ايمـــا)

ولم تغضب ايما لهذا الاندفاع ٠٠ وقرأت الخطاب ٠٠ كان اكبر من كل التوقعات فلم تكن هنـــاك أية أخطاء لغـــوية ٠٠ بل كان كمقطوعة انشائية لا تشين أى رجل مثقف ٠٠ اللغة ٠٠ والأسلوب قوى ٠٠ والمشاعر فياضة ٠٠ وصادقة ٠

كان الخطاب قصيرا ٠٠ ولكنه حارا ٠٠ وينبض بالصدق ٠٠ ويعطى ابطباعا حسنا ٠٠ وشعورا رقيقا بعواطف جياشة ٠

وكانت هارييت تترقب رأيها فى قلق وتوتر ٠

أخيرا جدا ٠٠ تمكنت ايما من السيطرة على مشاعرها بقولها :

— حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ انه خطاب جيد ٠٠ أوه ٠٠ هــل هو قصـــير جـــدا ٠٠ ؟

أجابت هارييت : نعم٠٠ نعم٠٠ فى الحقيقة هو خطاب قصير جدا٠

قالت ايمـــا :

— انه خطاب جميل يا هارييت ٠٠ أعتقد أنه لا بد وأن تكون قـــد ساعدته فى كتابته واحدة من أخواته ٠٠ أننى أبدا لا أتصور هذا الفتى الذى كان يتحدث اليك فى ذلك اليوم ٠٠ يمكنه أن يعبر عن نفسه وعواطفه كل هذا التعبير ٠٠ بقدراته الخاصة ٠٠ ولكن ٠٠ طريقة الكتابة ٠٠ ليست طريقة كتابة امرأة بلا شك ٠٠ هو رجل رقيق ٠٠ أعتقد أن له مشاعر طبيعية تجعله يفـــكر بقوة ووضوح هكذا ٠٠ ولا يجد نفسه الا حين يمسك القلم ٠٠ حينئذ يمكنه أن يجد الكلمات الصادقة ٠٠ هكذا بعض الرجال ٠٠ لا يمكنهم التعبير الا بالكتابة ٠

وأعادت اليها الخطاب :

— خطاب مكتوب كتابة جيدة يا هارييت ٠٠ أكثر ما كنت أتوقع ٠
قالت هارييت التى مازالت تنتفض ترقبا :

— حسنا ٠٠ وماذا يمكننى أن أفعل ٠٠ ماذا ٠٠ ؟

— ولكن ·· ماذا يحيرك ·· وماذا يجعلك تترددين ·· بالطبع ·· يجب أن تجيبيه بمنتهى السرعة ·

— ولكن ·· انصحينى يا مس وود هاوس · ماذا يجب أن أقول ··

— ماذا ؟ لا ·· لا ·· من الأفضل أن يكون الخطاب منك أنت ·· من نفسك سوف تعبرين عن نفسك أنت أننى متأكدة من ذلك ·· الخطاب يكون صريحا بلا مواراة ·· أوشك ·· بلا كلمات مضغومة أو مزدوجة ·· خطاب يعبر عن فكرك بصراحة ·· ولا يوحى بالأسى ·· أو بخيبة الأمل ·

وغضت هارييت من بصرها وهى تقول :

— اتعتقدين باننى يجب أن أرفضه ؟

— يجب أن ترفضيه ـ ؟ هارييت يا عزيزتى ماذا تعنين ـ ؟ ربما أكون مخطئة ولكنك تلجئين الى حكمى ·· وانك يجب أن تردى عليه بمشاعرك الحقيقية من نفسك أنت ومن نبع مشاعرك ·
وصمتت هارييت ·· بينما استمرت ايما فى الحديث :

— تعنين أن أجمع له كلمات محترمة ـ

— لا ·· لا ·· ليس هذا ما أعنيه ·· لا أننى أسالك ماذا أفعل ·· بماذا تنصحيننى أن أفعل ·· اتوسل اليك أيتها العزيزة مس وود هاوس أن تخبرينى بما يجب على أن أفعله ·

— أننى لن أقدم اليك اية نصيحة يا هارييت ·· ليس لدى ما يمكننى عمله فى مثل هذه الحالة ·· هذه مسألة يجب أن تقرريها أنت بمشاعرك وحدك ·

قالت هارييت وهى تقلب الخطاب ·· بين يديها :

— ليست لدى حساسية تتيح لى الاحساس بحبه لى الى هذا الحد ·
وصمتت ايما للحظة ·· ولكنها خافت من قوة تاثير هذا الخطاب على هارييت ·· لذا وجدت من الأفضل أن تقول لها :

— أننى أضع هذه المسألة كقاعدة عامة .. اذا ما ترددت امرأة فى الرد بقبول رجل أو رفضه .. فمن الأفضل لها أن ترفضه .. اذا لم تتمكن على الفور من الرد بنعم .. ففى هـــذه الحالة .. هى تتخذ قرارها بنصف قلب .. لا تتخيلى أننى أحاول التأثير عليك .

— أوه .. أنا متأكدة من شدة تعاطفك معى .. ولـــكن .. اذا كنت تقولين لى فقط .. ماذا أفعل .. أوه .. لا .. أننى لا أقصد ذلك ان عقل الانسان هو الذى يجب أن يقرر .. ماذا عليه أن يفعل .. لا يجب أن يتردد الانسان فى أمر جاد مثل هذا الأمر .. انه من الأمان أن أقـــول لا .. هل تعتقـــدين أنه من الأفضـــل لى أن أقول لا .. ؟

وابتسمت ايما فى عطف :

— ان كلمتى ليست نهاية العالم .. أننى لن أتمكن من نصيحتك بأى طريقة . ان لم تكونى أنت نفسك حكما على نفسك ..وبنفسك.. ولسعادتك .. اذا .. كنت تفضلين مستر مارتن .. وتؤمنين كل الايمان بأنه الشخص الوحيد الذى ترتاح اليه مشاعرك وترتاحين لصحبته .. لماذا اذا التـــردد .. ؟ آه .. انك تلتهبين حياء .. هارييت .. لا تظلمى نفسك .. لا تهربى من نفسك .. فى هـــذه اللحظة بالذات . فيمن تفكرين ـ ؟

وكان التعاطف حارا وصادقا .. وبدلا من أن تجيب هارييت .. استدارت واتكأت على حافة المدفأة .. تفكر .. ومازال الخطاب يتأرجح بين أصابعها بحالة ميكانيكية . .وانتظرت ايما بفارغ الصبر ولكن .. بلا آمال عريضة .

وفى النهاية .. وبقليل من التردد .. قالت هارييت :

— مس وود هاوس .. بما أنك تقدمين لى رأيك .. فيجب على أن أفعل هذا الأمر بنفسى .. وقد قـــررت الآن تماما .. واستعنت بعقلى الذى أجابنى بكل حزم لأرفض مستر مارتن .. هل تعتقدين بأننى على صواب .. ؟

— كل الصواب ... كل الصواب يا عـــزيزتى هارييت .. لقد فعلت ما كان يجب فعله بينما كنت أنت معلقة .. كنت أنا أحفظ مشاعرى لنفسى . .ولكن .. الآن وبعد أن قررت تماما .. لا أجد أى تردد فى موافقتك على هذا القرار .. أننى سعيدة الآن .. لقـــد كنت سأحرم من رفقتك اذا ما أخذك مستر مارتن .. أننى لم أقل شيئا حتى لا تقررى تحت تاثير كلماتى .. وكنت سأفقد صديقة عزيزة لى أبدا . .لم اكن لأتمكن من زيارة مسز روبرت مارتن ســـيدة المزارع فى طاحونة الكاتدرائية .. والآن يمكننى أن أطمئن عليك الى الأبد .

ولم تفطن هارييت الى الخطر المحيق بها .. ولكن الفكرة صدمتها بعنف ... وصرخت باكية مذعورة .

— لا يمكنك زيارتى .. وكـــونى متأكدة بأنك أبدا لن تفعليها . ولكننى لم أفكر فى هذا من قبل .. ولسوف يكون هذا مخيفا .. ولكن ماذا عن الهرب يا عزيزتى مس وود هاوس ؟ اننى أبدا لن أعطى بديلا ولأى شىء فى العالم مقابل ســعادتى وشرفى لكونى صديقتك وحبيبتك .

— فى الحقيقة يا هارييت .. سيكون شىء مؤلم وقاس للغـــاية اذا ما فقدتك .. ولكن يا هارييت .. ربما أكـــون قد انتزعتك من مباهج المجتمع .

— حبيبتى .. كيف أتحمل هذا .. انك تقتليننى يا مس وود هاوس .

— أيتها المخلوقة الحبيبة .. انك مطرودة من مزارع الكاتدارئية .. انك تنتمين الى الجهل والسوقة .. طول حياتك .. واننى أتعجب .. كيف أتى هذا التاكيد لهذا الفتى أن يسألك شيئا كهذا .. لابد أن يكون له رأى خاص به وحده .

وكان رد هارييت :

— لست أدرى .. ولكننى دائما .. سوف أحمل له كل المشاعر الطيبة

.. وان لى رأيا جميلا بمستر مارتن .. ولا يمكننى مقارنته بأى شخص آخر .. وقد أثر فى كثيرا كتابته لمثل هذا الخطاب يجعلنى أحمل له كل الاعزاز والاكبار . .ولكن فكرة أن أتركك .. اعتقد أن هذه لن تدخل أبدا فى اعتبارى فى يوم ما .

— أشكرك يا صديقتى الحلوة الصغيرة .. أبدا لن نفترق .. ان المرأة لن تتزوج على الفور رجلا .. لأنه طلب منها الزواج ويمكنه كتابة خطاب معتدل .

— أوه .. لا .. ولكنه خطاب قصير جدا .. أيضا .

وشعرت ايما بقلة ذوق صديقتها .. ولكنها تركت هذا الشعور يمر لصدقها فى اظهار مشاعرها .. وتركتها تعتقد انه يمكن أن يكتب خطاب أفضل من هذا .

— أوه .. نعم .. نعم .. لا أحد يهتم بخطاب ولكن أفضل شىء .. هو ان يكون الانسان دائما مع رفيق لطيف .. أننى مقرة تماما فى رفضه .. ولكن كيف أفعل .... وماذا أقول .. ؟

وأكدت ايما لها أنه لا صعوبة هناك فى الرد .. وأشـــــارت عليها بكاتة رد صريح مباشر .. وعاونتها ايما فى كتابته .. وكانت هارييت متوجسة من اتهام أمه وأخته لها .. بعد الاعتراف بالجميل .

ولكن الخطاب .. كتب وأرسل . .وانتهى الأمر .... وأصبحت هارييت بمأمن منه .

وفى لهجة حزينة .. قالت هارييت :

— أننى لن أدعى أبدا الى « طاحونة الكاتدرائية » .

— أوه .. أنا لا أوافقك فى هذا الشعور هارييت .. لقـــد أصبحت ضرورة هامة فى هارتفيلد .. فلماذا اذا «طاحونة الكاتدرائية»..؟

— ولكننى متاكدة بأننى لا أريد الذهاب هنـــاك .. فاننى لم أتذوق

السعادة الا فى هارتفيلد ‏٠٠‏ وفى بعض الأحيان أفكر ‏٠٠‏ كيف أن مسز جود ارد ستصحبها الدهشة لو علمت بما حدث ‏٠٠‏ ومتأكدة أيضا ان مس ناش تعتقد أنه لم يتزوج أحد مثل زواج أختها ٠

— يا عزيزتى هارييت ‏٠٠‏ ان الانسان يقدر مدرسته ‏٠٠‏ وأننى أثق تماما إن مس ناش تقدرك فى المدرسة أكثر تقديرا منك لو تزوجت ‏٠٠‏ فان أعين الناس فى قرية صغيرة ‏٠٠‏ ترى أى انتباه أو اهتمام أى شخص ‏٠٠‏ وأعتقد أن سلوكنا وتصرفاتنا توضح نفسها ٠

واحمر وجه هارييت وابتسمت ‏٠٠‏ ولكن ‏٠٠‏ سرعان ما تذكرت رفض مسز مارتن ٠ ٠فقالت بحنان :

— الآن ‏٠٠‏ هو قد تسلم خطابى ‏٠٠‏ وأننى أتمنى إن اعرف ماذا يفعل الآن هو وأخواته ‏٠٠‏ اذا لم يكن هو سعيد ‏٠٠‏ هن أيضا سيشعرن بعدم السعادة ‏٠٠‏ أتمنى ألا يهتم كثيرا بهذا الخطاب ٠

صاحت ايما :

— دعينا نفكر فى أصدقائنا الغائبين ‏٠٠‏ فى هذه اللحظة ‏٠٠‏ ربما يكون مستر ايلتون يعرض صورتك على أمه واخواته ‏٠٠‏ ويخبرهم أن الأصل أجمل من الصورة ‏٠٠‏ وبعد أن يسألوه خمس أو ست مرات يسمح لهم بذكر اسمك الحبيب ٠

— صورتى ٠ ٠ولكنه ترك صورتى فى بوند ستريت ٠

— هل فعل ذلك حقا ‏٠٠‏ ؟ اذا أنا لا أعرف شيئا ٠ ٠عن مستر ايلتون يا صغيرتى الحلوة هارييت ‏٠٠‏ أننى اعتمد على أن صورتك ليست فى « بوند ستريت » حتى يريها لاخواته ويشاهدوا الحسن والجمال ‏٠٠‏ وحرارة التعبير وخيالهم الواسع فوق كل هذا ٠

وازدادت ابتسامة هارييت اتساعا ٠

الفصل الثامن

وقضت هارييت ليلتها فى هارتفيلد ٠٠ ولأسابيع مضت ٠٠ كانت أكثر من نصف وقتها هناك ٠٠ وبالتدريج خصصت غرفة خاصة بها ٠٠ ووجدت ايما أنه أكثر أمانا وعطفا أن تحتفظ بها أكبر وقت معهم ٠٠ فى الوقت الحالى وكانت ملزمة أن تذهـــب فى اليوم التـــالى الى مسز جود ارد ٠٠ ولكن تقرر أن تعود ثانيا لتقيـــم فى هارتفيلد وتمكث بها بضعة أيام ٠

وعندما ذهبت هارييت ٠٠ حضر مستر نايتلى ليجلس بعض الوقت مع مس وود هاوس وايما ٠

وكان مستر وود هاوس قد قرر أن يحرج قليلا للتمشية ٠٠ قال :

— حسنا ٠٠ أننى أثق من أنك سوف تغفر لى يا مستر نايتلى شيئا ٠٠ تعتبره جافا لكننى آخذ بنصيحة ايما لأتريض لثلاثة أرباع الساعة ٠٠ والشمس مشرقة ٠

— يا سيدى العزيز ٠٠ لا تعتبرنى غريبا ٠

— وأننى أترك لك رفيقا ممتازا ٠٠ وايما سوف يســعدها أن تحتفى بك بينما آخذ أنا جولتى الشتوية ٠

— حسنا تفعل يا سيدى ٠

— يسعدنى أن أتمتع بصحبتك يا مستر نايتلى ٠٠ ولكننى أسير ببطء شديد ٠٠ كما أنه يوجد لديك مشوار طويل ٠٠ « لدونويل آبى » ٠

— أشكرك يا سيدى ٠٠ أشكرك ٠٠ وسوف أقــوم أنا أيضا لأحضر لك معطفك وأفتح لك باب الحديقة ٠

وخرج مستر وود هاوس ٠٠ ولكن مستر نايتلى سرعان ما عاد الى مجلسه ثانيا ٠٠ وابتدأ يتحدث عن هارييت ٠٠ ويمتدحها ٠٠ بمديح لم تسمعه ايما من قبل ٠

قال : أننى لا أقدر جمالها مثلك ، ولكنها مخلوقة صغيرة .. بديعة ..... وصفاتها تتشكل بالمحيط الذى يحيطها .. وبالأيدى الأمينة التى ترعاها .... وهذا سوف يحولها الى امرأة عالية القدر .

— أننى سعيدة لأسمع منك هذا .. والأيدى الأمينة لن تبخل عليها بهذه الرعاية .

قال مستر نايتلى :

— تعالى .. اعتقد أنك قلقة جدا لمجاملة .. حسنا .. سوف أقدمها لك .. لقد كنت درع الأمان لها من اضطرابات ورعونة فتاة المدرسة .. حقيقة هى مدينة لك .

— شكرا .. سأكون راضية لو اقتنعت فعلا بأننى كنت ذات فائدة لها .

— هل تتوقعين حضورها ثانيا . . هل تقولين هذا الصباح .

— اننى أترقبها كل لحظة ، ولكنها غابت بصورة لم أكن أتوقعها .

— ربما أعاقها شىء عن الحضور .. ربما بعض الزائرين .

— ثرثارات « هايبرى » التعسات المتعبات .

— وهارييت لا تعتبر كل الناس متعبون كما تعتبرينهم أنت .

وأدركت ايما أن هذا حق .. لذا لاذت بالصمت وأضاف هو قائلا بابتسامة :

— أنا لا أعتزم تحديد المكان أو الزمان ، ولكننى أستطيع أن أقول لك بأن لدى من الأسباب الطيبة لتجعلنى أومن بأنك سوف تسمعين عن بعض مغامرات صديقتك الصغيرة .

— حقا .. كيف هذا ، ومن أى نوع .

قال ومازال الابتسام يداعب شفتيه :

— من نوع خطر جدا .. أوكد لك .

— خطر جدا ‥ يمكنني أن أفكر في شيء واحد ‥ من يحبها ‥ هو من يضع ثقته فيك .

وكانت ايما ‥ يداعبها نصف الأمل في أن مستر ايلتون قد أبدى لمحة ما ‥ وكان مستر نايتلي من الرجال الذين يؤخذ بنصائحهم وكانت تعرف أن مستر ايلتون ينظر اليه بعين التقدير .

أجاب : عندي سبب للتفكير بأن هارييت سميث سوف تحصل سريعا على عرض بالزواج ومن جانب غير متوقع بتاتا ‥ « روبرت مارتن » هو الرجل ‥ فان زيارتها لطاحونة الكاتدرائية هـــذا الصيف ‥ تبدو أنها قد فعلت هذا الأمر ‥ هو غارق في حبها ‥ ويقصد أن يتزوجها .

قالت ايمـــا :

— هو يقصد زواجها ‥ ولكن هل تعتقد أن هارييت نفسها تقصد أن تتزوجه ‥ ؟

— حسن ‥ حسن جدا ‥ هو يقصد فعلا أن يقدم اليها هذا العرض ‥ لقد أتى عندي في الأبرشية منذ ليلتين ‥ لاستشارتي في هذا الأمر ‥ وهو يعلم أنني أقدره هو وعائلته ‥ وأعتقد أنه يعتبرني واحدا من أفضل أصدقائه ‥ لقد أتى يسألني اذا ما كان يجب عليه أن ينهي هذا الموضوع سريعا ‥ أو أنني أرى أنها مازالت صغيرة ‥ وهل أوافقه على هذا الاختيار ‥ وهل تتناسب مع مجتمعه ‥ وكنت في منتهى السعادة لكل ما قال ‥ أبدا لم أسمع شخصا يتكلم افضل من روبرت مارتن ‥ انه يركز على الموضوع بلا مقدمات ‥ بلا لف ولا دوران ‥ وصائب الحكم على الأمور ‥ لقد أخبرني بكل شيء ‥ ظروفه ‥ تخطيطه ‥‥ وماذا يقتـــرح عمله في ظروف هذا الزواج ‥ ولم أتردد في اقراري لهذا ‥ الزواج ‥ فانه يمكنه تحمله وتكييف كل ظروفه ‥

وفي هذه الحالة ‥ مدحت السيدة الصغيرة الشقراء ‥ وخرج من زيارتي وهو يؤمن بأنني أفضل صديق ‥ وأعظم مستشار ‥ قابله في

حياته ٠٠ ولقد حدث هذا فى الليلة التى قبل البارحة ٠٠ والآن ٠٠ بما أنه قد مر وقت طويل دون أن يتكلم مع السيدة الصغيرة ٠٠ وبما أنه لم يظهر البارحة ٠٠ ليتكلم ٠٠ اذا فمن البديهى أنه الآن يطرق باب مسز جود ارد ٠٠ زائرا ٠٠ ثرثارا ٠٠ تعسا ٠٠ وكانت ايما تبتسم بينها وبين نفسها ٠٠ أثناء حديث مستر نايتلى :

— أرجوك يا مستر نايتلى ٠٠ كيف عرفت أن مســـتر مارتن لم يتكلم البارحة ؟

أجاب مندهشـــا :

— قطعا لم يتكلم ٠٠ أننى أبدا لم أعـــلم ٠٠ ولكن ٠٠ ربما يمكن الاستدلال على ذلك ٠٠ ألم تكونى معه طوال اليوم ٠٠؟

— تعالى ٠٠ سأقول لك شـــيئا فى مقابل ما قلته لى ٠٠ لقـــد تكلم البارحة ٠٠ لقد كتب ٠٠٠ ورفض ٠

وكان هذا أكثر مما يصدق ٠٠ وارتفعت الدماء حـــارة الى وجنتى مستر نايتلى ووقف ٠٠ بنظرة دهشـــة ٠٠ وعـــدم استحسان ٠٠ وكرامة مهدورة ٠

— اذا ٠٠ هى غبية كبيرة ٠٠ كما لم أتصور أبدا ٠٠ وماذا عن هذه البلهـــاء ؟

صاحت ايمـــا :

— ينبغى أن تتأكد أن أمر الرفض كبير جدا عند الرجل ٠٠ عنه عند المرأة ٠٠ فان الرجل لا يتصور أبدا أن هناك امرأة يمكن أن ترفضه ٠٠ انها دائمة الاستعداد لتقبل غرضه بكرم ٠

— على أى حال ٠٠ لا يتصور الرجل ذلك ٠٠ وأننى أســـأل فقط ٠٠ ما معنى كل هذا ٠ ٠هاربيت سميث ٠٠ ترفض روبرت مارتن ٠٠ مجنونة ٠٠ مجنونة أليست هى كذلك ٠٠ ولكننى أتمنى أن تكونى مخطئـــة ٠

— لقد رأيت أجابتها .. لا شئ هناك للايضاح .

— أنت رأيت اجابتها .. ولقد كتبتها أنت أيضا بنفسك يا ايمـــا .. هذا فعلك أنت .. لقد أجبرتها على رفضه .. انها كانت مرغمة.. وأنت التى فعلت ذلك .

— وحتى لو كنت فعلت ذلك .. فاننى يجب ألا أشـــعر بأننى قـــد أخطأت .. مستر مارتن رجل محترم . ولكننى لا أقره ليكون مساويا لهارييت .. انه لمن المؤسف حقا أنهما قد تماديا فيها .
وصاح مستر نايتلى بانفعال شديد :

— غير مناسب لهارييت .. ؟ (بعد فترة صمت وتفكير .. أضاف) :

— فى الحقيقة .. نعم .. ليس مناسبا لها .. هو فعلا .. أرفع منها فى الصفات .. والمركز .. ايمـا . ان ســـحر هذه الفتاة قـــد أعماك - ؟ ما هى صفات هارييت سميث - ؟ ســـواء من ناحية المولد الطبيعية أو على وجه التحديد .. الشرعية ... ما هى هذه الصفات التعليم . .من هى لتكون أعلى من روبرت مارتن ؟ هى ابنة طبيعية لانسان مجهول .. بلا مقاطعة محددة .. وطبيعى أيضا بلا أقارب محترمين .. هى معروفة فقط كنزيلة فى مدرسة داخلية .. انها ليست فتاة حساسة أو فتاة لها علم .. أو معرفة.. وأنها لم تتعلم شيئا مفيدا وصغيرة جدا .. وبسيطة جدا .. يجعلها تكتسب أى شئ بنفسها .. فى سنها هذا .. لا خبرة لديها .. وحالتها هذه لا تسمح لها بالاستزادة أو الاستفادة من أى شئ .. هى جميلة وبديعة التكوين .. ومعتدلة المزاج وهذا هو كل شئ بالنسبة لها .. وأما نصيحتى له .. فانها نبعت أساسا من شعورى بحبه .. ولكن .. فى نفس الوقت .. كنت متأكدا أن هذا غبن بالنسبة له .. وليس فى صالحه فى شئ .. وأنه حظ كبير بالنسبة لهارييت .. ولم أكن أتخيل أن يحدث هذا .. ولكننى أيضا فكرت فى أن هذه الزيجة سوف تسعدك أنت يا ايما .. لأنها خبطة طيبة .. أوه ... هى ضربة حظ .

— أننى أتعجب من أنك لم تعرف ايما جيدا .. ماذا يكون مستر مارتن

أكثر من خبطة طيبة لصديقتى الصغيرة .. الحبيبة .. أننى لست آسفة على مغادرتها « هايبرى » للزواج من رجـل أنا لا أعترف أبدا كجار لى أننى أتعجب .. كيف تظلم ايما .. وكيف تتصور أنه سوف يكون عندى مثل هذا الشعور .. انك لست عادلا بالنسبة لصفات هاربيت .. ربما تبدو مختلفه تماما للآخرين .. عنها منى أنا .. ربما يكون مستر مارتن منتمى .. ولكن مما لا شك فيه أن مرتبتها فى المجتمع .. وحيث تتحرك هى الآن .... أرفع منه .. انه انحطاط .

— انحطاط لعدم الشرعية .. والجهل .. للزواج من رجل جنتلمان ذكى .. فلاح .

— بالنسبة لظـروف مولدها .. فانها لا تنتمى لأى شخص .. هى ليست مسئولة عن تحمل أخطاء اناس أحضروها الى هذا العالم .. ومن النادر أن يشك أحد فى أنها ابنة رجل جنتلمان .. وجنتلمان عنده ثروة ، وهى فعلا الآن ابنة جنتلمان حقيقى بانتمائها لى .. وبصحبة بنات الرجال الأشراف ولن يشك أحد .. أو يعترض أو ينكر من أنها ممتازة .. وأرفع من مستر روبرت مارتن .

قال مستر نايتلى :

— أيا كان والداها .. فانه يبدو عـدم رغبتهما فى انتمائها لمجتمع فاضل .. بدليل أيداعها فى مدرسة مسز جودارد .. بعد تعليمها تعليما بسيطا .. وتركها بين مسز جودارد .. تتحرك فى محيطها .. وتنتمى لمجتمعتها .. وهى وصديقاتها .. أعتقد أن هذا كافيا لها .. وهى أيضا لا تتمنى أى شىء أفضل من ذلك لنفسها .. الى أن انتشلتيها أنت .. وجعلت منها صديقتك .

كانت بلا طموح .. وسعدت فى فترة تواجدها عنـد عائلة مارتن فى الصيف .. لم يكن لديها حينئذ أدنى فكرة عن الترفع واذا ما كان لديها الآن . فانك لست أبدا . صديقة لهاربيت سميث . ان مستر مارتن لن ينسى أبدا شعوره بأنه أرسل خطابا لامرأة لترفضـه .. ان عنده الشجاعة الكافية للتصرف .

ورأت ايما ٠٠ أنه من الأفضل ألا ترد ردا مباشرا على هذا الكلام٠

— انك صديق حميم لمستر مارتن ٠٠ ولكن كما قلت لك من قبل ٠٠ انك ظالم لهارييت حين تقول عنها ٠٠ انها ليست لديها الصفات التى تؤهلها للزواج ، ان هارييت ليست ماهرة ٠٠ ولكن عندها من الأحاسيس الطيبة ٠٠ التى لا تدركها أنت ٠٠ انك لا تجد وصفا لها ٠٠ الا أنها فتاة جميلة ٠٠ وهـــذه ليست صـــفات عملية ٠٠ ان الموضوع ليس موضوع جمال ٠٠ انه يجب أن تتعلم هارييت تعليما جيدا ٠ ٠وبطبيعتها الطيبة ٠٠ ستكون شيئا عظيما ٠٠ ان الرجال لا يتزوجون الجمال فقط ٠٠ لقد نضجت العقليات ٠٠ والجمـال وحده لا يكفى ٠٠ وأعتقد أن الجمال والعلم ٠٠ والتصرفات ستكون شيئا عظيما لهارييت ٠

— من رايى يا ايما ٠٠ انك باصرارك هذا ٠٠ وسوف تجعليننى أقتنع أنا أيضا وليكن ما تشاءين ٠

— لتكن متأكدا من أننى أدرك أن هذا هو شعورك فعلا ٠٠ ان هارييت من الفتيات التى يشتهيها أى رجل ٠٠ من اللفتة الأولى ٠٠ تثير انتباهه وتحرك مشاعره ٠٠ هارييت يجب أن تستعرض ٠٠ وتختار ٠٠ وتختار ٠٠ وأنت نفسك لو فـــرض ٠٠ وأردت أن تتزوج فهى المرأة المناسبة لك ٠٠ وهى الفتاة التى لم تتعد الســـابعة عشر ٠٠ وتخطو على أولى عتبات الحياة ٠٠ مبتدئة مجهولة ٠٠ لا يعرفها أحد ٠٠ وتلقى ما تلقى من الاعجاب ٠٠ فما بالها بعد سنوات ٠٠؟ هل لأنها حصـــلت على أول عرض للزواج ٠٠ تسرع بالقبـــول ؟ لا ٠٠ لا ٠٠ بربك دعها ٠٠ دعها ٠٠ لتأخذ وقتها ٠٠ ولتأخـــذ طريقها فى الحياة ٠

قال مستر نايتلى :

— لقد اعتقدت دائما بأنها مودة بلهاء ٠٠ ومع أننى احتفظت بهذه الأفكار لنفسى ٠٠ الا أننى أدرك تماما بأنها ليســـت فى صـــالح هارييت ٠ ٠انك سوف ترفعينها عاليا بهـــذه الأفكار عن جمالها

(ايمـــــا)

الخاص .. بحيث أنها فى فترة بسيطة .. سوف تقتنع بأنه لا يوجد من يليق بها .. وهذه التفاعلات بعقل ضعيف .. سوف تكون سببا فى ضررها .. وليس هناك أسهل من اثارة خيالات شابة صغيرة فى السمو والرفعة .. مس هارييت سميث لن تجد عروضا جيدة .. تبرز سريعا .. ومع أنها فتاة جميلة .. جدا .. الا أن الرجال أصحاب الرأى والفكر .. والتعقل .. حين يختارون .. فانهم لن يختاروا زوجات غبيـــات .. ؟ ورجال العــــائلات .. لن يكونوا شغوفين بربط حياتهم بفتاة مجهولة الأصل .. وغالبية الرجال .. سوف يشعرون بالخوف من الارتباط بالمشـــكوك فى مولدهم .. دعيها تتزوج .. روبرت مارتن لتكون فى مأمن .. ومكانة واحترام .. وسعيدة الى الأبد .. ولكن .. اذا ما شجعتيها على التوقع لزيجة أعلى .. وألا تكون سعيدة الا مع رجل مرموق .. وعنده ثروة .. فانها ستظل كما هى .. فتاة المدرســـة الداخلية لمســز جود ارد .. البقية الباقية من حياتها .. أو على الأقل .. عندما تكبر .. ربما تتمكن وتكون سعيدة هذا اذا ما تمكنت من الامساك والظفر بابن مدرس ما .

— نحن نفكر بطريقة مختلفة تماما فى هذه النقطة يا مستر نايتلى .. واذا ما استمرينا على هذا الأساس .. وفى هذا النقاش .. فلن نجنى سوى الغضب نعم فان كل منا سوف يغضب الآخر ... من جهة سماحى لها بالتزوج من روبرت مارتن .. فهذا محال .. لقد رفضته هى .. بنفسها .. وبارادتها واذا ما تقـــدمت اليها بهذا الطلب .. فسوف يكون مضحكا للغاية لأنها قد رفضته فعـــلا .. وبخصوص هذا الرفض .. فاننى لن أنكر الآن .. بأنه كان لى فيه .. بعض التأثير عليها ، ولكننى أوكد لك أن هذا التأثير كان قليلا جدا .. منى .. أو من أى شخص آخر .. ليؤثر فيها هكذا .. ان مظهره يعاديه وأخلاقه وتصرفاته سيئة للغاية .. أننى أؤكد لك .. أنها ربما .. اذا لم تكن قد رأت رجالا غيره .. فلربما تجـده انسانا معقولا جدا .. أما الآن .. وبعـــد اختلاطها بالمجتمع ..

وبعد ان رأت كل هذه الصحبة من الرجال الممتازين ٠٠ أعتقد أن الرجال ٠٠ ما هم الا تعليم ٠٠ وأخلاق ٠

صاح مستر نايتلى :

— هراء ٠٠ هراء ٠٠ ان أخلاق مستر مارتن ٠٠ وتصرفاته كلها محبة ٠٠ واخلاص ٠٠ وعقلية فى منتهى الصدق والاعتدال بحيث لايمكن أن يرقى اليها مستوى « هارييت سميث » ٠

ولم تجب ايما ٠٠ وحاول مستر نايتلى أن يبدو مرحا ٠٠ لا مباليا بالأمر ٠٠ ولكنه فى الحقيقة كان غير مرتاحا لما حـــــدث ٠٠ ومتعجلا للخروج أما ايمـــا ٠٠ فلم تدرك تمام الادراك ما فعلت ٠٠ فهى لم تزل تؤمن أنها أقدر على تكييف هذه المسائل النسائية٠٠ أفضل منه٠٠ ولو أنها لا تحمل لآرائه عامة ٠٠ بعض الاحترام ٠ ٠بحيث ساءها أن تراه جالسا قبالتها فى حالة غير مقبولة ٠٠ وجلسة غاضـــبة ٠٠ ومرت لحظات فى هذا الصمت الكريه ولم تجد ايمـــا بدا من الحديث عن الطقس ولكنــه لم يحر جوابا ٠

كان يفكر ٠٠ ونتيجة لهذا التفكير ٠٠ انبعثت هذه الكلمات :

— لم يقصد روبرت مارتن شيئا كثيرا ٠٠ وأظن أنه سوف يدرك ذلك قريبا ٠٠ أما حبـــك لهارييت ٠٠ ومحاولتك أن يتزوجها مستر ايلتون ٠٠ فاننى أقول لك انك تحاولين فى سراب ٠

وضحكت ايما ضحكا عاليا ٠٠ بينما استمر هو قائلا :

— ايلتون لن يفعل ذلك ٠٠ ايلتون نوع جديد ٠٠ جدا من الرجال ٠٠ ونائب قس محترم جدا ٠٠ « لهايبرى » ٠٠ أبدا لن يفعل مثل هذا الفعل الطائش من الممـــكن أن يتكلمبرقة ٠٠ مع هارييت ويعرف جيدا قيمة الدخل الطيب ٠٠٠٠٠ كما يعرف أيضا أنه رجل وسيم ٠٠ محبوب ٠٠ اينما ذهب ٠٠ وأنا أعلم أنه لن يضيع نفسه ٠٠ كما أننى قد سمعت أن شقيقاته على صلة بعائلة كبيرة ٠ عندها شابات ٠٠ لكل منهن دخل سنوى يقدر بعشرين ألف جنيه ٠

وقالت ايمـــا وهى تضحك :

— أننى شاكرة يا مستر نايتلى لأنك لفتت نظرى للاهتمام بمستر ايلتون ومحاولتى تزويجه من هاربيت ‥ انك فتحت عينى على هـــذا الأمر ولكن فى الوقت الحالى ‥ أننى افضل أن أحتفظ بهاربيت لنفسى ‥واذا ما كنت أريد أن ألعب لعبة التزاوج هذه ‥ فانها قطعا تكون بعيدة عن (راندالز) ٠

قال مستر نايتلى ‥ وهو ينهض استعدادا للخروج :

— صباح الخير لك ٠

وخرج ‥ وهو شديد الألم والتأثر ‥ شـاعرا بخيبة أمل الرجل وهز رأسه فى أسى ‥ واختفى ٠

وبقيت ايما أيضا فى حالة من الكدر ‥ تغوص فى أفكارها ‥ قلقة لغياب «هاربيت» ربما يكون مستر مارتن قد ذهب الى مسز جود ارد وقابل هاربيت هناك وانتهى الموضوع ‥ وبذلك تكون محاولاتها قـــد فشلت تماما ٠

ولم يخلصها من هذه التخيلات المؤلمة الا ظهور هاربيت ‥ بروح مرحة ونفس ثابتة بحيث جذبت كل انتباه ايما ‥ لقد عادت ثانيا ‥ لا تفكر فى مستر مارتن ‥ بل لتتحدث عن مستر ايلتون ‥ لقد أخبرتها مس ناش ‥ شيئا ما حتى أنها عادت لتعيده على مسامع ايما بفرح شديد ٠

لقد جاء مستر « بيرى » الى مسز جود ارد ليعود طفلا مريضا ‥ وقال لها مستر بيرى أنه حين عودته ليلة أمس من «كلايتون بارك» قابل مستر ايلتون ‥ ولدهشته ‥ وجد أنه فى طريقه الى لندن ‥ وسوف لا يحضر قبل باكر ‥ وألح عليه مستر بيرى فى عدم الذهاب قبل حضور حفل النادى ويمكن تأجيل السفر ليوم واحد فقط ‥ لكن مستر ايلتون أجاب بأنه لو كانت القيامة ستقوم ٠ ٠فانه لن يؤجل السفر الى لنـــدن ولو لدقيقة واحدة‥ولم يفهم مستر بيرى ‥ ولكنه كان متأكدا كل التأكيد

.. ان فى الأمر .. « امرأة » وأخبره بذلك .. وبدا مستر ايلتون واثقا من نفسه .. مبتسما .. واستمر فى طريقه بروح عالية وقد أخبرتها مس ناش بكل هذا وتكلمت كثيرا عن مستر ايتلون قائلة : « انه يبدو ساحرا .. وهى تعجب .. أية أعمال هذه التى تجعله يسافر .. هكذا ملهوفا .. متعجلا .. ولكنها على أى حال ... تقرر بأن أى امرأة يختارها مستر ايلتون . هى قطعا أسعد امرأة فى العالم ... وامرأة محظوظة جدا .. فانه بلا شك .. لا يوجد مثيل .. أو نظيـــــر .. لوسامة ... وجاذبية مستر ايلتون .

الفصل التاسع

ربما يتشاجر مستر نايتلى معها .. ولــكن « ايمــا » لا يمكنها أبدا أن تتشاجر مع نفسها .. لقد كان شــديد الأسى .. بحيث أنه لم يقم بزيارة « هارتفيلد » ثانيا الا بعد فترة طويلة جــدا .. أكثر من المعتاد .. وعندما تقابلا .. دلت نظراته الجافة .. القاســية أنه لم يغفر لها بعد .. وكانت هى حزينة .. ولكن غير نادمة .. فان أحلامها وخططها .. سرعان ما تبلورت فى الأيام القليلة المقبلة .

وجاءت الصورة باطار أنيق .. مع عودة « مسز ايلتون » ووضعت فى مكان بارز فوق المدفاة .. فى قاعة الاستقبال .. ووقف هو لينظر اليها .. وقال كلمة اعجاب كما تعود أن يقول .. وحمدت ايما صنيع مستر مارتن لخلق الفرصة التى كانت تنتظرها .

وكانت كل آمالها أن تعمل على الرقى بعقلية صديقتها .. بكميات وافرة من القراءة والمحادثات .. وكان هــذا لا يقودها الا الى بعض الفقرات التى لا تغنى ولا تشبع..كانت خيالاتها تمتصها أكثر من العمل.

وكانت الأمسيات التى تشغل هاربيت فى الوقت الحالى .. هى تجميع الألغاز .. وحلها .

وفى مثل سنها .. كانت هذه العملية غير عادية .. وكانت مس ناش .... رئيسة المدرسات عند مسز جود ارد .. قد كتبت مالا يقل عن ثلاثمائة لغز .. وهاربيت التى تعلمت منها بداية هذه العملية .. تمنت هى « مس وود هاوس » أن تجمع أكثر .. وأكثر .. وهاربيت بمساعدة ذاكرة « ايمــا » وذوقها .. تمكنت من تشــكيل القالب .. والكمية .. بصورة جيدة .. كما أن مستر وود هاوس لم يكن أقل شغفا بهذه العملية من البنات .. وكان يأمل أن يتذكر الألغاز الكثيرة التى كان يحفظها فى صغره .. وهو متأكد أنه سوف يتذكرها فى حينها وهى دائما تنتهى بكلمة : « وكيتى شقراء » ولكن عقلها متجمد ...

أيضا فانه كان يأمل أن يوافيه صديقه مستر بيرى بمجموعة من هذه الألغاز ... وهو يعتقد أنه سوف ياتى بالكثير منها ...

وكان مستر ايلتون من الأشــخاص الذين طلبت منهم « ايمــا » المساعدة أى الغاز جيدة يتمكن من جمعها ٠ وأن تكون حسنة اللفظ ... لا ترمى الى فكر سىء ... ولا تشير الى الخبث ... وحضر أخيرا ومعه هذه القطعة الشاعرية الرقيقة ... والتى كانت معروفة تماما :

أولا أحــزانى بدأت ...
حيث قدر على ... لأشــعر ...
وكان ... كأحلى ترياق ...
يخفف عنى الحــزن ... وأبرأ ...

وحزنتا كثيرا ... لأنهما كانتا فعلا قد قامتا بحل هذا اللغز من قبـــل ..

قالت ايمــا :

ــ لم لا تكتب لنا أنت بنفسك يا مستر ايلتون ... شىء جديد وسهل بالنسبة لك ؟

ــ لا .. لا .. أننى لم أكتب شيئا من هذا القبيل ... لا ... أنت ... ولا مس سميث يمكن أن تتحمله ...

ولكن ـ اليوم الثانى أتى بأمل جديد .. لقد حضر لدقائق فقط ليترك ورقة على المائدة تحتوى كما قال هو على لغز كتبه صديق له .. لسيدة صغيرة فى موضوع اعجاب ـ ولكن من تصرفاته .. اكتشفت ايما على الفور .. انها منه هو شخصيا ..

قال : أننى لا أقدمها لمجموعة مس سميث وبما انها تخص أحــد أصدقائى فاننى أرى انه لا حق لى فى عرضها على أعين العامة ـ ولكن ربما انت لا تمانعين فى النظر اليها ...

وكان هذا الحديث موجها لايما ـ أكثر منه لهارييت ٠٠ بحيث ادركت ايما على الفور أنه يجد انه من السهل عليه أن ينظر فى عينها هى ٠٠ ولا يمكن النظر فى عينى صديقتها ٠٠٠

وفى الحال ٠٠ كان قد اختفى ٠٠

قالت ايما وهو تبتسم ـ وتمد يدها بالورقة لهارييت :

خذيها ٠٠ انها لك ٠٠٠

ولكن هارييت جفلت ٠٠ واحجمت عن الامساك بالورقة ٠٠ مما دعا ايما ان تفتحها هى بنفسها لتقرأ :

« لغـــز ؟ »

الى مس ٠٠٠ ؟

« أول رغباتى كانت المال ٠٠ وعظمة الملوك ٠٠ أسياد الأرض ٠٠ فخامتهم ويسر حياتهم ٠٠ وصورة أخرى ٠٠ تراءت لى ٠٠ للرجل ٠٠ تحمله هناك ٠٠ للملوك البحار ٠٠ لكن ٠٠ آه ٠٠ طارت الاحلام كلها ٠٠ القوة ٠٠ الحرية ٠٠ طارت ٠٠٠ طارت ٠٠ سيد الأرض ٠٠ وملك البحر ٠٠ أصبح عبدا ٠٠ عبدا لامرأة ٠٠ حبيبة وحيدة ٠٠ والآن ٠٠ على استعداد ـ لكل هذا السحر ٠٠ ان يرقـــد ٠٠ فى احضانه عيون ناعســة ٠٠٠

وتحجرت عيناها على الورقة ٠٠ ادركت المعنى ٠٠ قرأتها للمرة الثانية زيادة فى التأكد ـ ثم سلمتها لهارييت ٠٠ وجلست مبتسمة وهى تقول لنفسها فى الوقت الذى كانت فيه هارييت تمر بعينيها على الورقة بكل غباء ٠٠ التوتر ٠٠ والأمل ٠٠٠

« حسنا ـ حسنا يا مستر ايلتون ٠٠ فى الحقيقة انها تورية رائعة ٠٠ اننى اهنئك عليها اتوسل اليك يا مس سميث ٠٠ اقبلى لغزى ٠٠ وافهميه ٠٠ لعله يكون مقبولا ٠٠ من العيون الناعسة ـ أو ٠٠ ليرقد فى احضان العيون الناعسة ٠

فى الحقيقة تماما ٠٠ هارييت وعيونها الناعسة ٠٠ اقرأى كلماتى ـ بحنان هارى ـ هارى ـ هارييت ٠٠ سحر هارييت ٠٠ ـ حسن جدا ـ كله يسيرالى الأحسن ٠٠ الرجـــل ٠٠ لابد وان يكون غارقا فى الحب حتى يتمكن من التعبير والوصف هكذا ٠٠ « آه هو انت ـ نعـــم انت يا مستر نايتلى ٠٠ هذا كله ـ يرجع الفضل فيـــه أولا ٠٠ وأخيرا ٠٠ اليك ٠٠ وأعتقد أن هذا سوف يقنعك بأنك ٠٠ لمرة واحدة فى حياتك كنت فيها مخطئا ـ انها أحجية رائعة فى الحقيقة ٠٠٠٠ وتؤدى الغرض تماما ٠٠ ان الأشياء سوف تصل الى أزمة ٠٠ فى القريب العاجل ٠

وكانت مرغمه ان تفيق من خيالاتها التى أخذت وقتا طويلا على تلهف هارييت وتعجبها ٠٠ واسئلتها ٠٠٠

— ماذا يمكن أن يكون هــــذا يامس ودد هاوس ٠٠ ليس لدى أى فكرة ٠٠٠ ولا يمكننى أبدا التخمين فيما يمكن أن يكون ٠٠ وماذا يمكن أن يكون ٠٠ أرجوك حاولى أن تفسريه يا مس وود هاوس ٠٠ ارجوك ـ ساعدينى ٠٠ اننى أبدا لم أصادف شيئا صعبا كهذا ٠٠ ؟ هل هى مملكة ٠٠ ؟ أننى اتعجب ٠٠ من يكون الصديق ومن تكون الفتاة ٠٠ هل تعتقدين انها فتاة طيبة ٠٠ وهل يمكن أن تكون امـــرأة ٠

انه يقول : امرأة امرأة حبيبة ٠٠ تحكم وحدها ٠٠ ؟

هل تكون ٠٠٠ « نبيتون » ٠٠ ؟

أو حورية ٠٠ ؟ أو القرش (سمك البحر) لا ٠٠ ان كلمة القرش من مقطع واحد فقط لابد وان يكون الانسان ذكيا جدا حتى يمكن أن يحل هذا اللغز ٠٠ أوه ٠٠ مس وود هاوس هل تظنى بأننا سوف نجد هذا اللغز ٠٠ ؟

— أوه ٠٠ ما هذا يا عزيزتى هارييت ٠٠ ماذا تقولين ٠٠ حورية ٠٠ وقرش كيف تفكرين ٠٠ ما الفائدة فى ان يحضر الينا لغـــزا من صديق عن الحوريات والاسماك٠٠ أعطنى الورقة ٠٠ واصغى الى٠٠ تقرأ ايما : الى مس ٠٠ « سميث »

« دعواتى الأولى ‥ الغنى والجاه ‥
وملوك ورفاهية - ورخاء ‥
- انها محكمة - ؟

والمشهد الثانى - لرجل تحمله ملوك البحار ‥ « انها باخرة » ‥

ولكن آه ‥ المحكمة - والباخرة - وقوة الرجل وحريته ‥ ورجل الارض ‥ والبحر - اضحى عبدا - وامرأة حبيبة ‥ تحكم وحدها ‥

انه اطراء ضعيف ‥ ثم بعد ذلك تأتى عريضة الدعوى ‥ التى اعتقد يا عزيزتى هارييت بانك لن تجدى أى صعوبة فى حلها ‥ اقرأيها براحة - وهدوء الى نفسك ‥ وهنا - وبلا ادنى شك ‥ سوف تفهمين ‥ بانها قد كتبت من أجلك - ولك أنت وحدك ‥

وقرأت هارييت السطور ‥ وانتشت فرحا - واحمرت وجنتاها للاطراء والغزل وافحمتها السعادة بحيث لم تتمكن من الكلام - ولم تكن ترغب ايضا فى الكلام ‥

وتكلمت ايما نيابة عنها :

- هناك نقطة مقصودة ‥ ومعنى مقصود فى هذا الاطراء ‥ وانا لا أشك مطلقا بأنك كنت الغرض الذى يصبو اليه مستر ايلتون ‥ وسوف تتسلمى فى الحال ‥ ما يؤيد هذا الاطراء ‥ ان حالة التفكير فى ذهنه ‥ تتماشى تماما مع رغباتى فى هذا الموضوع ‥ فمنذ أن عرفتك ‥ يا هارييت - وأنا أتمنى ان يحدث هـــذا ‥ تماما كما حدث الآن ‥ اننى أبدا لم اتســاءل اذا ما كانت الصلة بينك وبين مستر ايلتون مرغوبة أو طبيعية ‥ لأننى رأيت منذ البداية انها مساوية ‥ ومتســاوية ‥ وانكما انتما الاثنان تلائمان بعضكما البعض ‥ اننى سعيدة جدا ‥ واهنئك ياحبيبتى هارييت ‥ أهنئك من كل قلبى ‥ انه عمل يجعل كل امرأة ‥ واية امرأة تعمله ‥ تشعر فيه بالفخر ‥ انها صلة لا تقدم الا الخير ‥ انها ســوف تعطيك كل شىء تتمنينه ‥ الاعتبار ‥ المكانة

الاستقلال ‥ الحرية ‥ ومنزل خاص بك - انها سوف تضعك فى دائرة اصدقائك ‥ الحقيقيين - قريبة من هارتفيلد - ومنى انا‥ وتزيد من رابطتنا والتصاقنا الى الأبد ‥ هذه المصاهرة ‥ التى لن تجعل حمرة الخجل ترتفع الى وجه كلينا .

وكل ما استطاعت أن تقوله هارييت أو تفعله هو أن تحتضن ايما ‥ وتقول :

— حبيبتى مس وود هاوس ‥ حبيبتى مس وود هاوس ولـــكن ‥ سرعان ما افسحت العواطف مجالا للحديث وصاحت هاريت :

— انت دائما على حق فى كل ما تقولينه ‥ واننى افترض أو سأتمنى أن يكون هذا حقيقيا ‥ ولكننى أبدا لا اتخيل ان يكون مســـتر ايلتون أو اتصور بأننى استحق رجلا مثل مستر ايلتون ‥ أنه يمكن أن يتزوج أى واحدة يتمناها ‥ ولا يختلف اثنان فى ابداء الرأى عنه - وفى أنه ممتاز ‥ أوه فقط أتذكر هذه الابيات الحلوة ‥

« الى مس ‥‥ ؟ »
آه ‥ يا الهى ‥ كم هو ماهر ‥ كم هو ذكى ‥
هل يمكن أن تكون هذه الكلمات ‥ لى أنا ‥ ؟
ويعنينى أنا ‥ أحقا هذا ‥‥

— اننى لن اسأل أى سؤال ‥ أو استمع الى أية أسئلة فى هذا الشأن ‥ انه شىء مؤكد - اقبليه على مسئوليتى ‥ انه نوع من التحايل للعبة ‥ يبدأ بها الفصل الأول ‥ ثم يتبعها بالحقيقة المؤكدة ‥‥

— أنه نوع من الاشياء التى لايمكن أن يتوقعها أى انسان ‥

— اننى متأكدة ‥ من أنه من شهر لم يكن عندى أنا شخصيا أية فكرة حتى أخذ هذا الموضوع العجيب مكانه ‥ عندما تحابت مس سميث ومستر ايلتون فى الحقيقة كان هذا شيئا عجيبا وأمرا غير عادى‥ فهناك أشخاص تشكل ظاهريتهم التشابه الغريب - والشكل والتوافق الاغرب ‥ انت ومستر ايلتون من هـــؤلاء الاشخاص ‥ وفى

وضعكما .. لكل من يراكما معا تكملان بعضكما البعض .. مع كل ظروف حياتك ومولدك .. ان زواجكما سيكون متكافئا كزواج .. «راندالز» .. فان طبيعة جو « هارتفيلد » تشكل الحب .. وتعطيه رائحة السير فى طريقه المرسوم .. وفى الطريق الذى يجب أن تسير فيه .. « انه طبيعة الحب الصادق .. الذى يسير دائما بنعومة .. ورفق « فهناك فى ... هارتفيلد مطبـــوعة لشاكسبير تجرى معناها فى الرسالة السابقة .

ــ نعم .. حقيقى ـ وفعلا .. لابد ان يكون مستر ايلتون غارقا فى حب حقيقى .. معى أنا أنا .. من بين كـــل النـــاس .. التى لا أعرفه .. ولا أعرف كيف اتكلم معه .. وهو الرجل الوسيم .. الوسيم جدا .. الرجل الذى ينظر اليه كل الناس باعجاب .. تماما مثل مستر نايتلى ـ رفيقه .. ذلك الرجل الذى لا يأكل أكلة .. واحدة .. دون اختيارها .. الرجل الذى يتلقى دعوات أكثر من عدد أيام الأسبوع .. ومثالى .. فى الكنيسة .. لقد وضعت مس ناش النواية .. منذ أول لحظة وصـــل فيها الى « هايبرى » آه يا عزيزتى .. عندما أعود بذاكرتى الى أول مرة رأيته فيها .. آه .. اتذكر .. كمكنت عديمة الفكر وقتئذ .. وكم تصرفت ببله .. لقد اسرعت بالاختباء أنا واثنتين معى خلف الستار .. عندما سمعنا وقع أقدامهم .. وخرجت مس ناش ونهرتنا وطردتنا خارجا .. واهتمت بنفسها . .على أى حال .. فانها عادت ونادت على انا .. مرة أخرى .. وتطلعت اليهما .. كان جميـــلا رائعا وهو يتابط ذراع مستر كول ...

ــ هذه على أى حال مصاهرة .. يجب أن تكون مقبولة من أصدقائك .. ليضعوك فى مستوى عظيم .. اذا كانوا يرغبون لك فى زيجة سعيدة فهذا رجل له من شخصية المحبوبة ما يؤكد سعادة هـــذه الزيجة .. واذا ما كانوا يرغبون لك الاستقرار والحياة فى نفس المدينة .. والمحيط الذى اختاروه لك .. سيكون هذا مناسبا تماما .. واذا ما كان اعتراضهم الوحيد أنهم لا يريدون لك زواجا عاديا

· ·فهنا زواج يؤكد ثروة مريحة · ·واستقرار مادى · ·ومعنوى ·· كبير وارتفاع عظيم يجب أن يرضيهم ···

ـــ نعم ـ نعم ·· هذا حقيقى ـ كم تتكلمين ·· بحلاوة وجمال اننى أحب ان استمع اليك ·· أنت تفهمين كل شىء ·· انت ومستر ايلتون ـ كلاكما مماثل للاخر فى الذكاء والمهارة ·· هذا اللغز ·· اذا ما كنت درست اثنى عشر شهرا ·· أبدا لم أكن لاتمكن من كتابة شىء مثله ···

ـــ اننى أعتقد أنه قصد من أن يبدى مهارته بعد أن أوشك نجمه على الأفول امس ···

ـــ وانا أعتقد ـ بلا تحيز ـ ان هذا اللغز هو أحســـن لغز قرأته فى حيــــاتى ··

ـــ فى الحقيقة ·· اننى أبدا لم اقرأ واحدا أقرب الى الغرض المطلوب ايضاحه من هذا اللغز ···

ـــ وانه طويل جدا ·· أطول من كل الالغاز التى صادفتنا من قبل ··

ـــ اننى لا أهتم بطول اللغم ·· قدر اهتمامى بمضمونه ·· مثل هذه الأشياء من الصعب أن تكون صغيرة ·· أو قصيرة ···

وكانت هارييت جد مشوقة لتستمع الى بقية السطور ـ وثارت فى ذهنها ·· المفارقة ـ المرضية ···

وباشراقة سعيدة ـ قالت :

ـــ انه شىء واحد فقط للفهم بطريقة عادية ·· اذا ما كان هناك أى شىء يمكن أن يقال ·· فهناك من يجلس ويمسك بالقلم ليكتب خطابا وآخر يختصر الخطاب ليقول ما يريده فى أبيات والغاز ـ مثل هذه ···

اما ايما ـ فلم تكن بها رغبة فى رفض ابيات مستر مارتن ···

واستمرت هارييت تقول :

ـــ مثل هذه السطورة الجميلة والطريق الاخير به آه ·· مس

وود هاوس .. كيف ساعيد هذه الورقة .. أو كيف اقول بانني قد فهمتها
- آه .. ماذا يمكننا أن نفعل فى هذا الأمر ..

— أتركيه لى .. لا تفعلى انت اى شىء أنه سيكون هنا هذا المساء - وأنا أقدر ان اتكلم - وسوف أعيدها اليه ولا تخافى يا حبيبتى - عيناك الناعستان سوف تختاران الوقت المناسب للتالق والاشعاع .. ثقى بى يا حبيبتى ...

— أواه . .يا مس وود هاوس - ما اتعسنى .. اذا لم انقـــل هذا اللغز البديع الى كراستى .. اننى متأكدة من أنه ليس لدى مثله فى مجموعتى ...

—أتركى السطرين الأخيرين - وعلى ذلك .. لن يكون هناك أى سبب يمنعك من أن تنقليه الى كراستك ....

— أوه .. ولكن السطرين ...

— انهما أحلى ما فى اللغز ...

— محفوظين .. للمتعة الخاصة .. وللمتعة الخاصة ...

— احفظيهما .. سوف لا يتغير المعنى .. أو يؤثر على باقى الابيات وهذا اللغز .. ضميه الى مجموعتك .. وسوف يكون افضل بدون هذين السطرين ان شعر الحب .. يجب أن يشجع .. اعطنى كراستك .. سوف أكتب لك .. وعلى هذا - لن يكون هناك - أي انعكاس عليك ..

وأعطتها هارييت الكراسة .. ولو ان عقلها لم يتمكن أبدا من نبذ هذه الأجزاء الأخيرة - وحتى تتاكد من أن صديقتها تكتب اعترافا بالحب - لأن هذا الاعتراف يبدو غاليا .. وعزيزا جدا .. لاعلانه على الملأ ...

قالت : لن أدع هذه الكراسة تفلت من يدى أبدا ... لن أسلمها لأى مخلوق - ابدا - أبدا ...

قالت ايما : حسن جدا - هـــذا شىء طبيعى للغاية .. ويسعدنى ايضا ولكن .. ها هو أبى قادم .. لعلك لن تعترضى اذا ما قرأت هذه الأبيات عليه ؟ انها سوف تضفى عليه مزيدا من السعادة .. انه يعشق

مثل هذه المجاملات والعواطف التى تقدم للمرأة .. وله الروح المحبة العاشقة من ناحيتنا جميعا .. يجب ان تدعينى اقرأها له ...

وبدت هارييت صامته كالقبر ...

— حبيبتى هارييت .. لا يجب أن تعطى كل هذا الاهتمام لمثل هذه الأبيات .. أنك سوف تدمرين عواطفك بهذا التشبث الابله .. اذا ماكان يريد أن يجعلهذا اللغز سرا بينك وبينه ـ ماكان قد وضعه أمامى بل أنه قدمه لى أنا .. وليس لك .. لا تضعى كل هذه الاهمية لبعض مشاعر الاعجاب ودعى الأمور تجرى بيننا ببساطة ـ وسلاسة ...

— أوه ـ طبعا ـ طبعا ـ اننى لا أريد ان أكون مضحكة هكذا .. افعلى ما يحلو لك ...

ودخل مستر وود هاوس ـ وبروحه المرحة استفسر قائلا :

— والآن .. يا عزيزتى ماذا عندكما فى الكراسة .. هل اضفتما اليها جديدا ...

— نعم بابا ـ لدينا شيئا نقراه لك . .شىء جديد جدا .. ورقة صغيرة وجدناها على المائدة هذا الصباح .. اعتقد أن هناك جنية وضعتها هنا ـ انها لغز بديع جدا .. لقد انتهينا للتو .. من نقله الى الكراسة ..

وقرأتها له .. لأنه كان يجب أن يستمع الى أى شىء يقرأ له .. ببطء وبوضوح .. وتقرأ له البيت ـ مرة ـ ومرتين ـ وبشرح لكل جزء ـ وكان هو سعيدا جدا ... ومستمتعا كل الاستمتاع وخاصة بالاطراء فى النهـاية ...

قال : حقيقة .. هذا وصفا حقيقيا لامرأة .. لامرأة محبوبة .. انه لغز بديع حقا .. ويمكننى بكل بسـاطة ان اكتشـف الجنية التى احضرته .. الى هنا .. لا أحد يكتب مثل هذا الكلام الجميل ـ الا أنت يا ايمـا ...

واطرقت ايما بابتسامة - وبعد برهة قال :

— ليست هناك أية صعوبة فى اكتشاف ذلك .. وليس هناك أى صعوبة فى كتابتك أنت وذلك - فان أمك كانت لها مثل هذه المهارة فى كتابة الالغاز آه - فقط اذا ما كانت لى مثل ذاكرتها - أننى ابدا لا أتذكر شيئا - فقط ما سمعته أنت منى أردده دائما .. ويمكننى أن استجمع ذاكرتى للفقرة الأولى - ولكن هناك العديد والعديد منها ...

« كيتى فتاة شقراء .. لكن متجمـــدة العواطف اشعلت النار فى قلبى .. وأحزنتنى .. وغمزت للفتى .. الغريب .. واقترب منها .. خائفا .. وهكذا .. كان .. وكان قدرى ...

وهذا هو كل ما استطيع أن أتذكر ولكننى أعتقد أنك تحفظينه يا ايمـــا ..

— نعم بابا .. انه مكتوب فى الصفحة الثانية - وقد نقلته من المجموعات المختارة من « جاريك » ... كما تعلم ...

— آه .. نعم .. نعم .. هذا حقيقى .. ولكننى لا أتذكر أكثر من .. « كيتى شقراء .. ولكن متجمدة العواطف ..

وهذا الاسم .. يجعلنى اتذكر المسكينة « ايزابيلا » فانها قريبة جدا من كاثرين .. اننى أتمنى أن تكون بيننا فى الاسبوع القادم .. هل فكرت يا عزيزتى اين سوف نضعها هى والاطفال ...

— أوه بالطبع - بالطبع بابا .. ستقيم فى نفس حجرتها .. التى اعتادت أن تقيم فيها دائما .. وهناك غرفة الأولاد - كالعادة - ولماذا يكون هناك أى تغيير - لماذا .. ؟

لا أعرف - لا اعرف يا عزيزتى - ولكنها عندما كانت هنا - اعنى منذ عيد الفصح الماضى .. وفقط لبضعة أيام - وأصبح مستر جون نايتلى محاميا .. أوه هذا غير صريح .. مسكينة ايزابيلا .. لقد أخذت بقسوة من بيننا كلنا ..... وياللحزن .. عندما تحضر ولا تجد «مس تايلور» هنا أيضا ...

— أوه بابا - أعتقد أنها لن تندهش كثيرا على الأقل ...

— أوه - لا أعرف يا عـــزيزتى - ولكننى فقط متأكد بأننى اندهشت جدا أول ما سمعت انها سوف تتزوج ...

— يجب ان ندعو مستر ويستون للغداء معنا .. عندما تحضر .. ايزابيلا ...

— نعم - نعم يا عزيزتى - اذا ما كان هناك وقت - وفى نبرة حزينة انها سوف تحضر لتمضية أسبوع واحد فقط - وهـــذا ليس وقتا كافيا لأى شىء ...

— انه فعلا - حظ سىء - حتى أنهم لن يتمكنوا من قضاء أكثر من أسبوع بيننا .. ولكن يبدو ان مستر جون نايتلى عنده أعمال تحتم عليه العودة الى المدينة ثانيا .. فى يوم ٢٨ منه وعلينا أن نكون شاكرين بابا .. من أنه لن يأخذ منا ثلاثة أيام للكنيسة .. وهو يمكث معنا - أكثر مما يمكث معهم ..

— فى الحقيقة .. سيكون أمر صعب جـــدا يا عزيزتى اذا لم تمكث ايزابيلا فى هارتفيلد ...

وفى الحقيقة ... فان مستر وود هاوس .. لا يسمح باى حق .. من أى شخص أو أى حق على ايزابيلا .. الا حقه هو فقط ... وصمت قليلا ثم قال :

— ولكن .. يجب أن أبحث هـــذا الأمر .. ولم تكن ايزابيلا مطالبة بمغادرتنا هكذا .. سريعا .. واننى سوف أحاول - بل واصر على ان تبقى بيننا مدة أطول هى والأطفال ..

— أوه بابا .. لا أعتقد أبدا « بانك سوف تنجح فى حملها على البقاء ... ايزابيلا لا تتحمل أبدا بعدها عن زوجها ...

وانها فعلا - كانت حقيقة مفزعة .. يعرفها مستر وود هاوس جيدا .. لذا فانه لم يجب الا باطراقة - وآهة .. مما دعا ايمـــا الى سرعة

تغيير الحديث .. لما لاحظته من استيائه لتعليق ايما .. عن شدة تعلق ايزابيلا .. بزوجها ...

قالت ايما : أعتقد أن هارييت سـوف تمتعنا بصحبتها هنا - في فترة وجود أخى .. وأختى .. انها سوف تسعد كثيرا مع الأطفال .. اننا فخورين بهم جدا .. اليس كذلك يابابا .. الا يبعث هؤلاء الأطفال على الفخر والاعجاب اننى فى حيرة ... من ياترى سوف يحوز أكثر باعجابها ... هنرى .. أو .. جون ...

— لا أدرى . لا أدرى .. ايهما سيكون أقرب اليها - اعزائى الصغار كم يفرحوا بمجيئهم هنا . فى هارتفيلد يا هارييت ...

— اننى أجرؤ أن أقول .. بأنهم كذلك ياسيدى اننى متأكدة تماما .... ولكننى لا اعرف .. أى من الطفلين سيكون أقرب الى ..

— هنرى ولد لطيف .. اما جون فهو يشـبه والدته تماما .. هنرى هو الاكبر .. انه يسمى باسمى لا باسم والده .. جون هو الولد الثاني .. وسمى باسم والده .. ويتعجب بعض الناس لذلك - وايزابيلا تصرفت تصرفا جميلا لقد اصرت على أن تسميه هنرى .. وهو ولـد ذكى .. ولهما .. الاثنان طرقا لطيفة جدا .. سوف يحضران - ويقفان بجوار مقعدى ليقولا لى : جدى .. هـل يمكن أن تعطينا قطعة من الدوبارة .. ومرة سألنى هنرى أن أعطيه سكينا .. ولكننى أجبته بأن السكاكين لم تصنع الا للاجداد فقط .. واننى أعتقد أن والدهما يعاملهما ببعض الجفاء .. والقسوة ...

قالت ايما : انه يبدو لك أنت فقط بأنه جاف وقاسى .. لأنك شديد الحنان والرقة ولكنك اذا ما قارنت بينه وبين غيره من الآباء اعتقد بأنك سوف تغير رأيك فيه .. وحسب تصرفهما - فانه ينبغى أن يسمعا كلمة قاسية من حين لآخر ولكنه أب حبيب دائما .. قطعا مستر جون نايتلى هو أب حنون وحبيب .. والطفلين مغرمين به ..

— ثم يدخل عمهما .. ويرفعهما الى أعلى .. حتى يلمسـا السقف .. بطريقة مفزعة مخيفة ..

ولكنهما يعشقان هذه الطريقة .. بابا .. انهما يحبانها كثيرا .. ومتعة لطيفة لهما .. واذا لم يفعل عمهما ذلك ـ فانهما يشعران بالاستياء منـــه ..

ـــ حسن ـ انا لا افهم ذلك .. لا أفهمه ...

ـــ هذه حالنا كلنا يابابا .. نصف العالم .. لا يمكن أبدا أن يدرك أو يفهم مسرات الآخرين ...

وفى اليوم التالى .. عندما كانت الفتيات منهمكات فى الاعداد للغذاء ظهر بطل اللغز الحبيب .. واختفت هارييت سريعا ـ اما ايما ـ فقد استقبلته بابتسامتها المعتادة ولمحت عيناها حيرته ـ وتردده .. من انتظاره لمعرفة وقع هذا اللغز ...

قالت له ايمـــا :

ـــ يجب ان تبلغ اعتذارى لصديقك الذى كتب هــــذا اللغز .. الجميل ـ فان مثل هذا اللغز الجميل .. يمكن أن يوجه لأى امرأة .. أو لاثنتين .. ويجب عليه .. ان يتأكد من عواطف المرأة .. قبل ان يرسل اليها مثل هذا اللغز ...

ولمحت عيناه كراسة هارييت ـ وغمغم قائلا :

ـــ اعتقد أن صديقى يمكن أن يعتبر هــذه اللحظة من أســـعد لحظات حياته .

وبعد هذه الكلمات .. انسحب بأسرع مما حضر ـ ولكن ايما ـ بالرغم من كل صفاته المميزة .. فانها قد لاحظت ميوله الاستعراضية واخفت ضحكة ملحة تاركة المشاعر الحلوة .. والسعادة .. لهذه المميزات لعزيزتها الصغيرة .. « هارييت » ...



الفصـــــل العاشــر

والآن ·· وفى منتصف ديسمبر ·· فان الجو ·· كان يسمح للفتاتين برياضتهما المعتادة ·· وفى الصباح ·· زارت ايما عائلة مريضة ·· فقيرة تعيش فى قرية تبعد قليلا عن « هايبرى » ···

وكان لابد للذهاب الى هذا الكوخ النائى ·· المرور بالابرشية ·· وطبيعى الا يفلت هـــذا المبنى من تعليقـــات الفتـــاتين ·· وكانت ملاحظه ايمـا :

— ها هو - ستكونين فى يوم ما ·· أنت وكراستك فى هـــذا المنـــزل ··

واجابت هارييت :

— أوه - ياله من منزل بديع وكم هو جميل ·· وهناك الستائر الصفراء التى تحبها مس ناش كثيرا ···

قالت ايما : اننى غالبا لا أسير فى هذا الطريق - ولكننى على ما يبدو سوف اتعايش معه ·· واعتاد على هذه الأسوار ··· والبوابات ·· والبحيرات ··· وهذه القطعة من « هايبرى » ···

ووجدت هارييت نفسها فى حـالة ملحة - وتطلع شـــديد لزيارة الابرشية حيث أنها لم تدخل مثلها طوال حيـــاتها ·· وكانت رغبتها ملحة ·· وشوقها يكاد يعصف بها - مما أكد لايما ·· ان هذه الرغبة تنبع من شدة تعلقها ·· وحبها لمستر ايلتون ···

قالت ايما : اننى أتمنى أن ادخلها أيضا ·· ولكننى لا أرى هنا أى خادم لاسأله ·· أو حتى لم احضر اليه رسالة من والدى ··

واطرقت ايما تفكر - ولكن - لم تصل الى أى نتيجة ··
وقطعت هارييت الصمت قائلة :

مس وود هاوس ٠٠ اننى اتعجب ٠٠ كيف انك لم تتزوجين حتى الآن ٠٠ مع كل هذا الجمال ٠٠ وهذه الجاذبية ٠٠٠

وضحكت ايما واجابت :

ـــ ان جمالى لا يكفى يا هارييت ليقنعنى بالزواج ـ فانه يجب على أيضا ان أجد شخصا واحدا على الأقل يتمتع بمثل جمالى وجاذبيتى ٠٠ ولو انه ليست لدى أى فكرة عن الزواج كلية ٠٠٠

ـــ آه ـ وهكذا تقوليه ـ اه ـ ولكننى أبدا لا أصدق٠٠لا أصدق٠٠

ـــ أعتقد أنه يجب على ان أقابل شخصا متميزا عن أى شخص صادفته فى حياتى ٠٠ حتى يتمكن من اغرائى ٠٠ مســـتر ايلتون كما تعلمين (وأسرعت بضبط نفسها) خارج عن هـــذا الموضوع ٠٠ واننى لا أرغب حتى فى ان اصادف رجلا « مثله » حقيقة ـ ان لم انجذب الى الشخص ـ فلن أتزوج أبدا ٠٠ وحتى اذا حدث ٠٠ وتزوجت ٠٠ فاننى أتوقع باننى سوف أندم على ذلك ٠٠

ـــ اه يا حبيبتى ٠٠ هذا شىء فظيع ـ مؤلم ـ لاسمع امرأة تتــكلم هكذا ٠٠٠

ـــ ليست لدى الرغبة المعتادة من النساء للزواج اما اذا غرقت فى الحب فهذا شىء مختلف تماما ولكننى أبدا ما عرفت الحب ـ أنه ليس طريقى ٠٠ وليست طبيعتى ٠٠ واننى أعتقد باننى ايضا ٠٠ لن أعرف ٠٠ وبدون الحب ـ فاننى أعتقد باننى سوف أكون بلهاء اذا ما غيرت وضعى هذا ٠٠٠ وفكرت فى الزواج لماذا ٠٠ ؟ ثروة ٠٠ ؟ لا أريدها ٠٠ عمل ٠٠ لا أريده ٠٠ أهمية ـ تأثير لا ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ اريد ـ اننى أومن بأن هناك قليل جدا من النساء المتزوجات سيدات منازلهن وأزواجهن مثلما أنا سيدة منزلى فى هارتفيلد ـ وأبدا ٠٠٠٠ أبدا لا أتوقع أن أكون محبوبة بصدق وبأهمية وبحق دائما ٠٠ فى عيون الرجل مثلما أنا فى عينى والدى ٠٠٠

ـــ هاه ٠٠ وأخيرا تصبحين عانسا مثل مس بيتس ٠٠

ـ هذا تصور بغيض يا هارييت ٠٠ واننى لو فكرت يوما فى اننى سوف أصبح مثل مس بيتس ٠٠ ثرثارة ٠٠ بلهاء ٠٠ غبية ٠٠ اتكلم عن كل شىء ٠٠٠ وافشى أسرار نفسى ٠٠ فاننى أعدك باننى سوف أتزوج غدا ٠٠ ولكننى أعتقد بأنه لا يوجد هناك أى تشابه بينى وبينها ٠٠ غير اننى لم أتزوج مثلها ٠٠

ـ ولكن ٠٠ مع كل هذا ٠٠ سوف تصبحين عانسا ٠٠ وهـــذا شىء مخيف مخيف ـ مرعب ٠٠ مرعب ٠٠

ـ لا بأس ٠٠ لا بأس ٠٠ لن أكون عانسا فقيرة أنه الفقر فقط الذى يجعل العانس ضئيلة فى عيون الناس ٠٠ امرأة وحيدة ٠٠ بدخل محدود ٠٠٠٠٠ ستكون عانسا مضحكة ٠٠ وغير مرغوب فيها ـ ملهاة الأولاد والبنات ـ ولكن امرأة وحيدة ـ بثروة محترمة ـ تكون دائما محترمة ـ ودائما محط الانظار ودائما مرغـــــوب فيها ـ وممتعة لأى شخص ٠٠ اننى أعتقد بأنه لو كان لمس بتس قليل جدا من الثروة ومدت يدها ـ بسته بنسات فقط ـ لأصبحت محبوبة وجذابة ٠٠ هو الفقر وحده الذى يضفى عليها هالة العنوسة ٠٠

ـ حبيبتى ٠٠ وأنت ـ ما الذى سوف تفعلينه عندما يتقدم بك العمر ما الذى سوف يشغلك ؟

ـ اذا ما كنت أعرف نفسى يا هارييت ٠٠ فاننى كما أعرف ـ نشطه مشغولة الذهن دائما ٠٠ بافكار متجددة ٠٠ ولا ادرى لماذا سوف احتاج للعمل عندما ابلغ الأربعين أو الخمسين عنه فى الواحد والعشرين ـ ان عمل المرأة هو العين واليد ٠٠ والعقل ٠٠ كل ذلك ٠٠ سوف يكون يقظا متفتحا ٠٠ نشطا متجددا كما هو الآن ٠٠ ولكن باهتمامات أخرى ٠٠ فاننى لو رسمت قليلا فسوف اقرأ أكثر ٠ ٠واذا تركت الموسيقى فسوف انسج سجادة ٠٠ هذه الرغبة ٠٠٠ والتشوق للعمل ـ وحب العمل ٠٠ هى الحياة ٠٠ وكل هذا ٠٠ فى الحقيقة سوف يشغلنى تماما ويمنعنى من التفكير فى الزواج ٠٠ وساكون سعيدة دائما بدون زواج ٠٠ بكل أطفال اختى الذين أحبهم وارعاهم ٠٠ وعلى الارجح سيكون لديها الكثير منهم ٠٠ سيكون هناك ما يشغلنى كثيرا عن كل رغبة وكل خوف ولا تنسى

ابنة الأخت أو ابن الأخت ٠٠ سـيكون معى دائما - دائما ٠٠ « ابنة أخت » ٠٠٠

— أوه - هل رايت ابنـة أخت « مس بيتس » لابد وانك قـد شاهدتينها معها مئات المرات ولكن ٠٠ هل تعرفينها ٠٠٠

— نعم ٠٠ اننى دائما مجبرة على معرفتها ٠٠ عند مجيئها الى هابيرى ولقاءات الـ « جودباى » - هيه - ان السـماء تئن من اسم « جين فاريفكس » ان خطاباتها لخالتها تلف وتدور فى كل هايبرى ٠٠ لقد سئمت هذا الاسم وأوشك أن أموت غما ٠٠٠

وكانتا قد اقتربنا من الكوخ - وتوقف كل كلام ٠٠ ان ايما كانت تقدم خدماتها بشعور صادق حقيقى ٠٠ وتفتح كيس نقودها ٠٠ بتعاطف وحب وكانت ترى أن الفقـر ٠٠ والمرض ٠٠ والجهـل ٠٠ هو ما أتت لترعاه ٠٠ وحين مغادرتهما للكوخ ٠٠ قالت ايما :

— هذا هو المنظر الذى لن يبرح خيالى أبدا ٠٠ أعتقد أنه لمدة طويلة لن أنسى منظر هذه المخلوقات التعسة ٠٠ وها أنت ترين - ان هذا ينسينى كل شىء عداه ٠٠٠

اجابت هارييت :

— حقا - حقا يا ايما ٠٠ فان الانسان لا يمكن الا أن يفكر فى شىء غير هذا المنظر ٠٠٠

— وفى الحقيقة - ان تاثيره لن يزول سريعا ٠٠ بل سـيترك اثاره فى نفسى ٠٠٠

قالت ايما هذا وهما تخطوان آخر خطواتهما من حديقة الكوخ ٠٠ وسارتا معا فى الزقاق الطويل واستمرت ايما فى الحديث ٠٠٠

— نعم - نعم - أعتقد أنه لن ينمحى من ذاكرتى أبدا ٠٠٠
والتفتت ايما من حولها - لتلقى نظرة أخيرة على معالم الطريق - حين سمعت صوت رفيقتها يصيح :

— أوه - عزيزتى - لا - لا - ..

وظهر مستر ايلتون فى الحال .. ووقف أمامها فى لحظة .. لم تتح لايما الا أن تقول :

— اه - هارييت .. ها قد أتت نتيجة حسنة لافكارنا .. حسنا ..

ثم بابتسام رائق قالت :

— أنه التعاطف الذى يريح تلك النفوس البائسة .. والراحة التى تسبغ على نفوسنا نحن من تقديم المساعدة بقدر الامكان ..

ولم تجب هارييت الا بقولها :

— اوه - نعم - نعم - يا عزيزتى ..

حيث قد لحق بهما الرجل .. وسار معهما .. وكان الحديث فى أول المقابلة .. حول الحاجة - والمعاناة التى تعيشها تلك الأسرة الفقيرة .. قال مستر ايلتون انه كان بسبيل زيارتهم ..

وفكرت ايما - ليزيد الترابط بينهما فى هذه المقابلة العجيبة .. ولاشتعال الحب » آه » كان يجب على الا أكون هنا ...

وبقلق سريع - بترت نفسها من صحبتهما .. وعرجت فى طريق جانبى ضيق .. وتركتهما يسيران سويا فى الطريق .. الرئيسى ...

ولدهشتها - وجدت ان هارييت بتصرفها المندفع .. فى طريقها الى مرافقتها واللحاق بها .. وحاولت ايما بشتى الطرق .. الانسحاب .. من صحبتهما .. لتعطيهما فرصة الانفراد بعضهما البعض .. وشغلت نفسها بالحديث الى طفلة صغيرة تقف أمام كوخ .. ولدهشتها أيضا .. لحق بها مستر ايلتون - وشاركها الحديث مع الطفلة - بحيث لم تجد ايما بدا من مرافقتهما فى الطريق .. وعندما وصلوا بالقرب من الأبرشية انحنت هارييت الى حذائها .. وتوقفت عن السير قائلة ..

— آسفة - جزء من سيور الحذاء قد انقطعت .. أوه .. يالى

من رفيقة متعبة .. أرجوك يا مستر ايلتون أن تسمح لنا بالدخول الى المنزل حتى تساعدني مديرته .. باعطائى قطعة من الدوبار - أو الخيط لربطها فى الحذاء وحتى يمكننى مواصلة السير ..

وبدا السرور على مستر ايلتون - ورحب ترحيبا حارا - ودخلوا الى المنزل وحانت الفرصة - واعطت هارييت الحذاء لمديرة المنزل - ثم تركتها ايما - ودخلت الى حجرة جانبية .. بابها منفرج قليلا .. وحانت منها لفتة .. وهنا تبسمت ابتسامة النجاح للخطة .. لقد شاهدت العاشقان يتناجيان .. بجوار النافذة ...

وفكرت ايما « آه » انه حريص .. حريص جدا . .ولكن هذه اللحظة هى قمة السعادة لكليهما .. وسوف تقودهما حتما - الى الانتصار الأكبر ...



الفصـل الحادى عشـر

والآن .. يجب ترك مستر ايلتون لنفسه .. لشئونه .. وعواطفه.. وسعادته .. فلم تعد لايما طاقة لوزن سرعة سير الأمور .. كما ان قرب زيارة شقيقتها المتوقعة .. ثم القائمة فعلا ..

أصبحت فى الوقت الحالى شغل ايما الشاغل .. والموضوع الرئيسى للمتعة والسعادة ..

ففى خلال العشرة أيام التى قضتها العائلة الزائرة .. لم يعد لايما الوقت الكافى للاهتمام بشئون المحبين .. فان هناك أشخاص جدد أولى بالاهتمام .. والرعاية .. وعلى العاشقين.. تدبير أمورهما بنفسيهما ..

وقد دهش مستر ومسز جون نايتلى للتغير الذى طرأ على «سيرى» فانه فى خلال العام الذى تغيبا فيه .. ومنذ زواجهما .. وانفصالهما عن « هارتفيلد » « ودونويل ابى » .. لم يتمتعا بمثل هذه الاجازة . .حيث اعطوا اجازه هذا الخريف كلها .. للسباحة .. وللأطفال .. فى « سيرى » ..

وكان مستر وود هاوس كريما لأجل خاطر .. « ايزابيلا » أن يرسل العربة والجياد لتحمل مستر ومسز جون نايتلى وأطالفهم الخمسة .. وعدد من المربيات ووصل الجميع الى « هارتفيلد » بسلام - ولم يكن يسيئه فى كل هذا - الا الفترة القصيرة التى سوف يقضونها فى « هارتفيلد » وكان مستر ومسز جون نايتلى يحاولان بقدر الامكان مراعاة شعور مستر وود هاوس وعدم التسبب فى أى ازعاج له ... أو لراحته ..

وكانت « مسز جون نايتلى » امرأة بديعة التكوين .. انيقة .. امرأة تتحلى بصفات هادئة رقيقة .. تحب اباها وشقيقتها .. ولا ترى أى خطأ فى تصرفهما أو مسلكهما .. ولم تكن شديدة الفهم .. أو سريعة البديهة مثل « ايما » .. تهتم بأطفالها .. أكثر من اهتمامها بنفسها ..

عندها مخاوف ٠٠ وبعض التوتر مغرمة بمستر وينجفيلد فى المدينة ـ غراما مخيفا ـ تماما مثل غرام والدها ٠٠ العنيف ٠٠ بمستر بيرى ٠٠ كانا يشبهان بعضهما البعض فى مشاعرهما ٠٠٠٠ واخلاقهما ـ صـــفة الاخلاص لكل جيرة قديمة ٠٠

وكان مستر جون نايتلى رجلا طويلا ٠٠ جنتلمانا أصيلا ٠٠ شديد المهارة والذكاء ٠٠ فى ارتفاع دائم فى مهنته ٠٠ رصين ٠٠ هادىء ٠٠ محترم فى عمله وشـــخصيته ولكن ليس من الأشـــخاص الذين يستمتع بصحبتهم ٠٠ ولا يعنى هذا أنه مريض الشعور ٠٠ ولكن مشاعره لم تكن كاملة من نحو الآخرين ٠٠ وعواطف زوجته الحلوة الحارة ـ تؤذيه فى بعض الأحيان ـ ان عنده الصفاء الذهنى وسرعة البديهة ٠٠ التى تنقصها ٠٠ ويمكن أيضا فى بعض الأحيان ان يقول قولا قاسيا خشنا ٠٠ ولم يكن شديد التعلق بشقيقة زوجته الشقراء انها شديدة الذكاء والمشاعر ٠٠ التى لا تلتقطها ايزابيلا ٠٠ بل تلتقطها هى ٠٠ ربما تابى مشاعره اطراء شقيقة زوجته ٠٠ ولكن هناك شعور بينهما ٠٠ بالصداقة ٠٠ والاخوة بلا تحيز ٠٠ ولكن كثيرا ما يلمح منها النظرة اللائمة التى توجهها اليه لعدم احترامه لوالدها ٠٠ انه فى الحقيقة ٠٠ يحب مستر وود هاوس ولكنه لا يؤيده فى مشاعره الفياضة ٠٠ لأتفه المسائل وظهر ذلك حين جلسوا معه وهز مستر وود هاوس رأسه فى أسى ٠٠ ليجذب انتباه ابنتيه ٠٠ وقال فى نبرة حزينة ٠٠ لما حدث من تغيير مؤلم فى « هارتفيلد » ٠٠٠

ـــ اه يا عزيزتى ـ مسكينة مس تايلور ٠٠ أنه شىء مفجع ٠٠٠

صاحت ابنته فى اسعداد تام للعطف والتعاطف ٠٠٠

ـــ أوه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ياسيدى ٠٠ أعتقد انك تفتقدها كثيرا ٠٠٠ وعزيزتى ايما ٠٠ أيضا ٠٠ يالها من خسارة قاسية لكما انتما الاثنان ٠٠ اننى حزينة لاجلك ٠٠ ولا أتصـــور كيف يمكنك العيش بدونها ٠٠ فى الحقيقة انه تغيير مفجع ٠٠ مفجع ٠٠ حزين وبائس ٠٠ ولكننى اتمنى ان تكون هى سعيدة بهذا التغيير ياسيدى ٠

— ايه ـ سعيدة ـ سعيدة ـ أتمنى ذلك ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ ولكننى لا أعرف الا أن هذا المكان فارغ بدونها ٠٠

وهنا سأل مسر جون نايتلى ٠٠ « ايما » بهدوء ٠٠ عما اذا كانت هناك أية اشاعات حول ٠٠ عائلة « راندالز » ٠٠

— أوه ـ ابدا ٠٠ ابدا ٠٠ اننى لم أر مسز ويستون سعيدة طوال ٠٠ حياتها معنا ٠٠ مثلما اراها الآن ٠٠ ان بابا يتحدث فقط من واقع مشاعره الخاصة ـ وألمه لفراقها ٠٠

وكانت الاجابة اللطيفة ـ هى :

— حسن ـ حسن جدا ـ هذا جميل لكليهما ٠٠

وسألت ايزابيلا بتلك النغمة المؤثرة التى تلمس أوتار قلب والدها الحنـــون :

— وهل تراها أحيانا ياسيدى ٠٠ ؟

وتردد مستر وود هاوس قبل ان يجيب :

— ليس فى فترات قريبة ـ ولا كما ارغب ٠٠ يا عزيزتى ٠٠

صاحت ايما :

— اوه ٠٠ بابا ٠٠ اننا لم نفتقد وجودها بيننا ولا يوم منذ يوم زواجها لابد وان نرى احدهما فى أى يوم ـ أو أى وقت فى الصباح أو فى المساء ٠٠ لابد من أن نرى مستر ويستون أو مسز ويستون ٠٠ وعادة هما الاثنان معا ٠٠ اما فى « راندالز » أو هنا ٠٠ وأنت كما ترى ان ايزابيلا حاليا مقيمـة هنا ٠٠ وهما فى غاية الحساســية فى زيارتهما ٠٠ وفى الحقيقة ٠ ٠ان مستر ويستون لطيف مثلها بابا ٠٠ اذا ما كنت ســوف تستمر فى الكلام بهذه النغمة٠٠المعتوهة ـ فانك سوف تعطى ايزابيلا فكرة عن أننا هنا كلنا نفتقد مس تاليور ـ والحقيقة انهما لا يعطيان لنا أى فرصة لهذا الشعور ٠٠٠

قال مستر جون نايتلى :

ــ وهذا يجب ان يــكون ٠٠ وما تمنيته من خطاباتكم ٠٠ ان رغبتها فى اظهار اهتمامك بها ٠٠ ليس به أى شك ـ وهذا ما كنت أردده لك دائما ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ فاننى لا اعرف ماذا حــدث من تغيير فى هارتفيلد ٠٠ والآن ٠٠٠ ها هى ايما قد قدمت حلا مرضيا ـ واتمنى أن يكون قد ارضاك أنت أيضا ٠٠

قال مستر وود هاوس :

ــ ولم التأكد ٠٠ بالطبع انا لا انكر ان مسز ويستون تأتى الينا غالبا ولمرات عديدة ـ ولكنها ـ سرعان ما تأتى ٠٠ وسرعان ما تعــود ثانيا ٠٠

ــ سيكون قاسيا جدا على مستر ويستون يا بابا ٠٠ ان تمكث بيننا لمدة ٠٠ طــويلة ٠٠ انك نســيته تماما ٠٠ نسيت مستر ويستون المسكين ٠٠

قال مستر نايتلى بابتهاج :

ــ أعتقد ان لمستر ويستون بعض الضرر ٠٠ انت وأنا يا ايما ـ سوف نكون بجانب هذا الزوج البائس ٠٠ اننى زوج ٠٠ وأنت لم تصبحى زوجة بعد ٠٠٠ ومطالب الزوج المسكين سوف تتساوى فى الاحساس بها ٠٠ اما بخصوص ايزابيلا فانها فترة زواج طويلة ولا شك أن طول هذه الفترة سوف يبعد بينها وبين الاحساس الكافى بشعور مستر ويستون لأنه زوج أو زواج حديث ٠٠ لذا ٠٠ فهى تضعه على هامش مشاعرها على قدر ما تستطيع ٠٠

صاحت زوجته وقد سمعت الجزء الاخير فقط من محاضرته الطويلة ٠٠ عن الازواج المساكين ٠٠

ــ أنا ٠٠ أنا ياحبيبى ٠٠ هل تتكلم عنى أنا ٠٠ أننى متأكدة بأنه أبدا لا يوجد من يدافع عنك أنت ومستر ويستون أكثر منى أنا ٠٠ ان لم تكن التعاسة فى منزل مس تايلور ٠٠ « هارتفيلد » ما كنت فكرت

فيها أبدا ·· الا أنها أسعد امرأة فى الدنيا لتتزوج رجــلا ممتازا مثل مستر ويستون ·· اننى أعتقد أنه لا يوجد رجل فى مثل صفانه الحلوة·· بالطبع بعدك أنت واخوك ·· اننى لم أجد من يماثله فى أخلاقه ·· اننى أبدا لا أنسى عندما ساعد هنرى فى طيارته ·· ووقوفه معه ·· ليجعلها تطير ·· ويسعده ·· فى ذلك اليوم الشديد الريح ·· فى العيد الماضى ·· ولا انسى لطفه ·· ورقته فى سبتمبر الماضى عندما كتب خطابه فى منتصف الليل ·· ليؤكــد لى ·· أنه لا توجــد حمى قرمزية فى « كوبهام » ـ لا يوجد قلب مثل قلبه ·· ولا اخلاق مثل أخلاقه ـ اذا كان هناك من يستحق فعلا ـ فهى فقط ·· « مس تايلور » ···

سأل مستر نايتلى :

ـــ واين الرجل الصغير ·· هل كان حاضرا فى حفل الزفاف ·· أم لا ··

ـــ اجابت ايما :

انه لم يحضر هنا بعد ·· لقـــــد كان من المتوقع أن يحضر بعـد الزواج ··· ولكنه لم يفعل ··

قال الأب :

ـــ يجب ان تخبريهما عن الخطاب يا عزيزتى لقد أرسل خطابا للمسكينة مسز ويستون ·· يهنئها فيه بالزواج ـ وكان خطابا رسميا ـ لطيفا جدا ـ لقد أعطته لى لاقرأه ـ وفى الحقيقة ـ اننى أعتقد ان هذا العمل ·· كان شيئا جميلا ·· جدا ·· ولكننى ـ لست ادرى ان كانت هذه هى فكرته ·· ربما تكون فكرة خيالية فانه مازال صغيرا على مثل هذا التصرف ··

ـــ بابا العزيز ·· صغيرا ·· ما هـــذا بابا ·· أنه فى الثالثة والعشرين من عمره ·· ان الزمن يمر بسرعة ·

ـــ الثالثة والعشرين ـ هل هو حقيقة فى الثالثة والعشرين ·· اوه ··· اننى لم افكر فى هذا ·· فانه كان فى الثانية من عمره عندما فقد

والدته اوه ٠٠ فى الحقيقة ان الوقت يطير ٠٠ والذاكرة سيئة جدا ـ على أى حال ٠٠٠ لقد كان خطابا بديعا للغاية ـ واضفى سعادة بالغة على مستر ومسز ويستون اننى أتذكـــره ٠٠ انه كان مكتوبا من « ويموث » بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٠٠ ويبتدى هكذا : « سيدتى العزيزة » اوه ٠٠ ولكننى نسيت الآن مضمونه ـ وكان موقعـــا « ف٠ش تشرشـــل » اننى أتذكر ذلك تماما ٠٠

صاحت مسز جون نايتلى بقلبها الطيب :

ــ كم هو شعور جميل ـ وعظيم منه ٠٠ اننى أبدا لا أشك فى انه شاب محبوب ٠٠ ولكن ٠٠ ياللأسى ٠٠ والحزن ٠٠ من أنه لا يعيش فى المنزل مع والده ٠٠ هناك دائما صدمات تهز الطفل ـ اذا ما انفصل عن أبويه ٠٠ وبيته الطبيعى ٠٠ انا لا أقدر ان اتكهن بما سوف تعمله مسز ويستون ٠٠ وكيف يمكنها أن تتصرف فى بعد هذا الفتى عن أبيه ٠٠

واعقب مستر جون نايتلى على ذلك قائلا بمنتهى البرود ٠٠

ــ لا أحد يحسن الظن بعائلة تشرشل ٠٠ ولكن هل يمكن أن تتصورى ان مستر ويستون يشعر بشعورك عندما يأخذون منك هنرى أو جون ٠٠ ان مستر ويستون ٠٠ ولو انه شخص بسيط ٠٠ مرح الطباع ٠٠ وليست له مثل هذه المشاعر القوية ـ الا أنه يأخذ كل الأمور بمجرياتها٠٠ وكما يجدها ٠٠ ويتخذ منها مادة فكهة لراحة ما يسميه « بدنياه الخاصة هذا بالاضافة الى قوته ـ وقدرته فى الأكل والشرب ٠٠ والمرح ٠٠ ولعبه مع جيرانه ٠٠ خمسة مرات فى الأسبوع وهذا بالنسبة له ٠٠ أفضل من العواطف العائلية ـ أو أى شئون خاصة بالمنزل ٠٠

واساءت ايما بالحديث بهذا الشكل ٠٠ عن مستر ويستون ـ وكانت على وشك ان تبتره ٠٠ أى أن تبتر هذا الحديث السخيف ـ ولكنها صبرت على مضض وخاضت محركة انتصارها على نفسها للصمت ٠٠ وحتى تدع هذه اللحظة تمر بسلام ٠٠ وكان عندها هذا الشعور الذى يعطى أهمية كبرى ٠٠ للعلاقات العائلية ٠٠٠

الفصـــل الثانى عشـــر

كان من المفروض ... أن يتناول مستر نايتلى الطعام معهم ... ولو أن هذا ضد مشاعر مستر وود هاوس .. الذى لا يود أن يعكر عليه أحد .... صفو مشاعره .. ومشاركته فى ابنته ايزابيلا .. فى اليوم الأول لوصولها .. وكانت هذه الدعوة من تدبير ايما .. وبالرغم من علاقتها الطيبة بالأخوين « نياتلى » الا أنه كانت عندها متعة خاصة فى انتهاز فرصة دعوة مستر نايتلى (الأخ) .. لتحسين الموقف بينهما .. نتيجة لخلاف وقع بينها وبينه ..

وتمنت أن يصبحا صديقين من جـــديد .. وأعتقدت أنه الوقت المناسب لتصفية الموقف .. فانه أبدا لا يريد أن يعترف بالخطأ .. وهى أبدا لا تعترف بخطأ .. أى خطأ .. مهما حـــدث .. ولكن يبدو أن الوقت قد حان نسبيا أنه كان هناك خلافا بينهما .. بل وامتداد أواصر الصداقة .. وعلى هذا .. فأنه عندما دخل الى الحجرة .. كانت ايما تحتضن واحدة من الأطفال .. أصغرهن .. طفلة حلوة .. لطيفة .. لها من العمر ثمانية أشهر فقط .. والتى كانت تزور هارتفيلد لأول مرة بالطبع .. وسعيدة كل السعادة برقصاتها بين ذراعى خالتها .. ومع أنه بدا بنظرات جوفاء .. وأسئلة مقتضبة .. الا أنه سرعان ما مد يديه بمودة .. وترغيب .. وأخذ الطفلة من بين ذراعيها فى تودد تام .. وشعرت ايما بأنهما قد عادا صديقين .. وعند سماعها لكلمات التدليل .. والاعجاب التى وجهها للطفلة .. لم تتمالك من منع نفسها من أن تقول:

ــ كم يكون مريحا .. عندما نفكر مثل أطفالنا .. بالنســـبة للرجال والنساء .. تكون آرائنا مختلفة فى بعض الأحيان .. ولكن .. مع الأطفال .. فاننا لا نتمالك أبدا من أن نوافقهم ..

ــ فعلا .. اذا ما كان المرء معتـــادا لأى مخلوق من الرجال والنساء .. أبدا لا يكون منقادا .. ومسيرا مثل القيادة لهؤلاء الأطفال.

ــ لتكن متأكدا .. أننى اذا ما أخطأت .. فلى عذرى ..

قال مبتسما :

— وعذر مناسب ·· فأنني كنت فى السادسة عشر من عمرى ·· عندما ولدت أنت ···

أجابت :

— اذا ·· هذا شىء مختلف تماما ·· وبلاشك ·· أن حكمنا فى تلك الفترة من عمرنا ·· يختلف بتقدم العمر ·· الا تعتقد أن واحدا وعشرين عاما يمكن أن تقرب الفهم بيننا ···

— نعم ·· نعم ·· وبقدر طيب ···

— ولكن ·· ليس بالقدر الكافى ·· الذى يمكن أن يعطينى فرصة النجاح ·· اذا ما فكرنا بطريقة مختلفة ···

— مازالت عندى ميزة عنك ·· وهى ·· ستة عشر عاما من الخبرة ·· ولم أكن فى يوم ما ·· امرأة صغيرة جميلة ·· ولا طفلة أفسدها التدليل ·· تعالى تعالى يا عزيزتى ايما تعالى ·· ولنكن أصدقاء ·· ولا تعيدى ذكرى الماضى ···· دعيه ·· اتركيه ·· لشأنه ·· قولى لخالتك بأننا يجب أن نعطيك مثالا حسنا بدلا من نبش أخطاء الماضى ·· وانها اذا لم تكن قد أخطأت فى الماضى فأنها الآن ·· تخطىء·

صاحت ايما :

— هذا حقيقى ·· حقيقى يا صغيرتى ايما ·· أكبرى وصيرى امرأة أفضل من خالتك ·· كونى أكثر مهارة ·· وأقل لوما ·· والآن يا مستر نايتلى كلمة أخرى أو أكثر ·· ونكون متساويين ·· ولا توجد غلطات من جانبى ·· فقط أريد أن أعرف اذا ما كان مستر مارتن ·· قد صدم بحرارة ···

وكانت اجابته فقط ··

— الرجل ·· لا يمكن أن يكون أكثر من ذلك ···

— آه .. حقيقى .. اننى آســـفة .. تعــالى .. تعــالى وصافحنى ...

وتم ذلك فى ود .. وتعاطف شديد .. عندما ظهر مســتر جون نايتلى ليتبادل التحية مع شقيقه ..

— كيف حالك يا جورج ...

— وأنت يا جون .. ما هى أخبارك ...

« بنفس الطـــريقة .. الانجليزية .. المتبعـــة .. « الصـــادقة المشاعر .. » .

ومر المساء .. هــادئا مريحا .. حيث نحى مســتر وود هاوس أوراق .. اللعب جانبا .. للتفــرغ فى محادثة مريحـــة .. مع حبيبته « ايزابيلا » وانقسم الفريق الى جزئين .. فى جانب .. الأب وابنته .. وفى جانب آخر .. الاخوان « نايتلى » يتحدثان فى مواضيع عامة .. وايما .. تروح وتجىء بين الجانبين .. لتلقى كلمة هنا .. أو كلمة هناك .. تبعا « للمناسبة » .

. وكان حديث الأخوين يدور حول الأرض .. ومستر جون يعطى استشاراته القانونية .. وانهمكا فى حـــديث طويل .. متناســين من حولهما ...

أما الجانب الآخر .. فكان يشتعل عاطفة ... بين مستر وود هاوس .. وابنته ايزابيلا .. قال لها .. وهو يضغط على يديها بين يديه فى ود وعطف ..

— حبيبتى المسكينة ايزابيلا .. ياله من عمر طويل منذ آخـر مرة كنت هنا وكذ أنت متعبة بعد رحلتك الشاقة .. يجب ان تذهبى الى فراشك مبكرة .. ياحبيبتى .. أننى أقترح ان تأخـــذى كـوبا من الثريد قبل النوم .. وأنا أيضا سـأخذ كوبا بديعا من الثريد معك .. آه .. حبيبتى ايما .. ما رأيك فى أن نأخذ كلنا .. ثريدا ...

ولعلم ايما ٠٠ أن هذا غير مستحب بالنسبة للأخوين نايتلى ٠٠ وبالنسبة لها هى أيضا ٠٠ فقد أمرت باحضار كوبين فقط من الثريد ٠٠ وقال مستر وود هاوس بصوت عميق :

ـ لقد كان عملا مزعجا يا حبيبتى أن تمضى الخريف فى « ساوث اند » بدلا من حضورك هنا ٠٠ أنا ٠٠ ليس عندى أى فكرة عن هواء البحر ٠٠٠

ـ مستر ونجيفيلد دائما يوصى بهواء البحر يا سيدى ٠٠ والا لما ذهبنا الى هناك انه يصفه كعلاج لكل الأطفال ٠٠ وخاصة ذلك الالتهاب فى حلق « بيلا » فهو دائما يصف لها هواء البحر والاستحمام كعلاج لها ٠٠٠

ـ آه ٠٠ ولكن يا عزيزتى ٠ ٠أن بيرير يشك كثيرا فى فائدة البحر ٠٠ وأنا شخصيا أعتقد أنه ضار لكل شخص ٠٠ وكما أننى متأكد تماما بأننى لو نزلت فيه لقتلنى على الفور ٠٠٠

وهنا شعرت ايما ٠٠٠ أن هذا الموضوع خطر ـ ويجب بتره فورا ٠٠ لذا فقد صاحت :

ـ تعالى ٠٠ تعالى ٠٠ أرجوك لا نتكلم عن البحر ٠٠ أنه يثير اعصابى ٠٠ ويجعلنى أشعر بالتعاسة أنا التى لم أر « ساوث اند » فى حياتى ٠٠٠٠٠ ايزابيلا يا حبيبتى ٠٠ انك لم تتنازلى حتى بالاستفسار عن مستر بيرى ٠٠ مع أنه لم ينساك يوما واحدا ٠٠ ؟

ـ أوه ٠٠ الطبيب مستر بيرى ٠٠ كيف حاله يا سيدى ٠٠

ـ بخير ٠٠ بخير ٠٠ ولكنه ٠٠ آه ٠ مسكين ٠٠ هو مسكين ٠٠ معكر المزاج ٠٠ ليس لديه الوقت للاهتمام بنفسه ٠٠ شىء محزن ٠٠ ولكنه مطلوب فى البلدة كلها ٠٠ أنه يلف ويدور حولها ٠٠ طوال الليل والنهار ٠٠ أننى أعتقد أنه لا يوجد رجل عنده مثل هذه الخبرة ولا هذه المهارة ٠٠

ـ ومسز بيرى والأطفال ٠٠ كيف حالهم ٠٠ هل كبر الأولاد ٠٠

أننى أحب مستر بيرى كثيرا ٠٠ وأتمنى أن يزورنا قريبا ٠٠ سوف يسعده قطعا رؤية أطفالى الصغار ٠٠

— أتمنى أن يحضر هنا غدا ٠٠ فان لـــــدى بعض الأسئلة عن حالتى ٠٠ وأنت يا عزيزتى ٠٠ حال وصـوله ٠٠ أعرضى عليـــــه حلق الصغيرة بيلا ٠٠

— اوه يا سيدى العزيز ٠٠ أن حلقها قد تحســـن كثيرا بحيث اطمئن عليه ٠٠ اذا ما كان الاستحمام أو غيره قد أفادها ٠٠ فاننى أدين لشفائها لنصيحة مستر ونجلفيد الرائعة للاستحمام فى أغسطس ٠٠٠

— يا عزيزتى ٠٠ ان الاستحمام غير مفيد ٠٠ وغير مستحب ٠٠ وأننى لو كنت أعرف انك تريدين الاستشارة ٠٠ لكنت تكلمت مع ٠٠ وهنا ٠٠ صاحت ايما ٠٠

— أنه يبدو انكما قد نسيتما تماما مسز ٠٠ ومس بيتس ٠٠ أننى لم أسمع أى سؤال عنهما ٠٠٠

— أوه ٠٠ البيتس الطيبين ٠٠ اننى شديدة الخجل من نفسى ٠٠ ولكنك ذكرتيهما فى معظم خطاباتك ٠٠ أرجو أن تكونا بخير ٠٠ العزيزة الطيبة العجوز مسز بيت ٠٠ سأذهب غدا مع الأطفال ٠٠ وهذه الرائعة مس بيتس ٠٠ كيف حالها يا سيدى ٠٠

— على العموم ٠٠ هما الآن فى احسن حال ٠٠ لكن مسز بيتس أصابها برد شديد منذ شهر تقريبا ٠٠٠

— أوه ٠٠ كم أنا حزينة لها ٠٠ ولـــكن مســـتر ونيجفيلد ٠٠ اخبرنى أنه لا خطورة من البرد فى الخريف ٠٠ هذا اذا لم يصـــل الى درجة ٠٠ الانفلونزا ٠٠

— آه ٠٠ لقد أصابها برد شديد يا عزيزتى ٠٠ ولكنه لم يصل الى الدرجة التى وصفتينها ٠٠ لقد قال بيرى ٠٠ ان البرد شائع ٠٠ ولكنه لا يكون ثقيلا كـما هو فى نوفمبر ٠٠ ان بيرى يســـميه ٠٠ « موســـم المرض » ٠٠

ـ لا .. لا .. أنا لا أعرف أن مستر ونيجفيلد يعتبره مرضا خطيرا الا اذا ..

ـ يا طفلتى المسكينة .. أنه دائما فى لنــدن يكون « موسم المرض » لا أحد أنه شىء مخيف أن تكونى مجبرة على العيش هناك .. بعيدا هكذا .. والهواء فاسد .. و ..

ـ لا .. فى الحقيقة أبدا .. ان الهواء هناك .. ليس فاسدا .. أن المقاطعة التى تعيش فيها فى لندن .. ممتازة عن غيرها .. من المقاطعات التى تعيش فيها فى لنــدن .. ممتـــازة عن غيرها .. من المقاطعات لا يمكن أن تساوينا بلندن عامة . .يا ســـيدى العزيز .. ان مقاطعة « برنسويك » تختلف تماما عن كل أنحاء لندن .. انها منطقة .. جافة الهواء .. أننى كنت أكون تعيسه جدا لو عشت فى الجزء الآخر من المدينة .. لا يوجد مكان يرضينى أن أعيش فيه مع أطفالى الا هذا المكان .. ومستر وينجفيلد يقترح هذه المقاطعة دائما .. لنقاء هوائها ..

ـــ آه يا عزيزتى .. ولكنها ليست مثل هارتفيلد .. سوف ترين بعد أسبوع واحد من وجودكم هنا فى هارتفيلد .. ذلك التغيير الشائع الذى سوف يطرأ عليكم .. ستصبحون مخلوقات جديدة تماما .. وأننى الآن .. لا يمكن أن أقول بأن أحدا منكم يبدو فى صحة جيدة ....

ـــ أننا متألمة لأسمع منك هذا يا سيدى .. ولكننى أوكد لك .. أنه لولا هذا الصداع اللعين الذى يصيبنى فى بعض الأحيان .. فأننى أقرر بأننى فى صحة جيدة .. واذا ما بدا لك الأطفال أكثر شحوبا .. قبل ذهابهم الى الفــراش فذلك لأنهم بذلوا مجهـــودا كبيرا أكثر من المعتاد .. من الرحلة .. ومن فرحتهم بالحضــور الى هنـــا .. وأننى أرجو أن تراهم فى صورة أفضل صباحا .. بعد راحتهم وهدوئهم .. ومستر وينجفيلد .. يؤكد بأنه أبدا لم يرنا فى مثل هذه الحال الطيبة من النواحى الصحية والمعنوية والنفسية .. كلنا .. كلنا .. أنا والأولاد ..وأننى على الأقل .. أعتقــد بأنك لن تتخيل أيضا أن مســتر نايتلى يبدو مريضـا ...

— حبيبتى ٠٠ لا يمكننى أبدا مجاملتك ٠٠ فأننى أرى ان مستر نايتلى أبعد ما يكون عن الصحة ٠٠ ويبدو بالفعل ٠٠ مريضا ٠٠

وعندما سمع مستر جون نايتلى اسمه « صاح »

— ما الخبر ٠٠ هل تتكلم عنى يا سيدى ٠٠ قالت ايزابيلا :

— أننى آسـفة يا حبيبتى ٠٠ فأن أبى يراك مريضا ٠٠ ولكننى اتعشم أن يكون ذلك فقط ٠ ٠من التعب ٠ ٠والارهاق ٠٠ ليس الا ٠٠ لكم كنت اتمنى أن يراك مستر وينجفيلد قبل مغادرتك البيت ٠٠٠

قال مستر نايتلى موضحا باستياء :

— يا ابزابيلا ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ أرجوك أن لا ترهقى نفســك بالاهتمام بما أبدو ٠٠ أهتمى فقط بمعالجة نفسك ٠٠ وأطفالك٠٠ودعينى أبدو كما أبدوا ٠٠٠

وبمعالجة ناجحة ٠٠ ومحاولة لاعادة توجيه الحديث الى ايزابيلا ووالدها صاحت ايما باهتمام :

— أنا لم أفهم تماما ما كنت تقوله لأخيك عن مستر جراهام ٠٠ هل طلبت منه أن يترك سكوتلاند ٠٠ ليهتم بضيعته ٠٠ ولكن ٠٠

هل أرسل الرد ٠٠ أم هى نفس الحساسية القديمة ٠٠ ؟

وتمكنت فعلا من تحويل مجرى الحديث ٠٠ لتتساءل ايزابيلا عن جين فاريفكس ٠٠ قالت مسز جون نايلتى :

— هذه الحلوة الحبيبة جين فاريفكس ٠٠ اننى لم أرها من مدة طويلة ٠٠ الا فى لحظات بعيدة ٠٠ مصادفة فى المدينة ٠٠ كم هو ممتع لها أن تزور جدتها وخالتها ٠٠ ودائما أعتذر عن عدم حضور ايما ٠٠ وكيف انه من الصعوبة عليها الحضور الى « هايبرى » ولـكن الآن ٠٠ لقد تزوجت ابنتهم ٠٠ وأعتقد أنه يمكن للكولونيل ومســز تشاميل ٠٠ أن يتركوها وشأنها ٠٠ أنها تكون رفيقة ممتعة لايما ٠٠٠

ووافق مستر وود هاوس على هذا القول ولكنه أضاف :

— حبيبتنا الصغيرة الحلوة .. هارييت سـميث نوع آخر من الشباب .. أنك سوف تحبين هارييت .. وايما لا يمكنها أبدا أن تجد رفيقة أحلى منها ...

— كم أنا سعيدة لأسمع هذا .. لكن فاريفكس .. شخصية جذابة .. ممتازة .. ومتماشية تماما مع مس ايما ...

وكانت هذه هى النغمة السائدة فى هذه اللحظة .. ومرت بسعادة وتعاطف وأمتاع .. ولكن لم ينته المساء دون العودة الى بعض الاثارة والمناقشة .. لقد وصل الثريد .. ودارت المناقشة حول فائدته من عـدمه ثم حول أيامهم فى « ساوث اند » والطاهية التى استأجروها هناك .. والتى لم تتمكن أبدا من فهم .. أو صنع كوب من الثريد المتماسك .. كيف .. ؟ ولكن ليس خفيفا كما كانت تصنعه .. ولم تكن أبدا تتقن صنع أى شىء .. وكانت لا تتقن أيضا الا فتح الأذنين ... انها كانت شديدة الخطورة فى التلصص والانصات ...

قال مستر وود هاوس وهو يركز عينيه على وجه ايزابيلا فى شغف:

— آه ... ؟

ولكنه لم يكمل حديثه .. فأن التعبير البائس الذى ظهر على وجه ايما .. أوضح بأن هذا الموضوع يسيئها ...

صاحت :

— أليس هناك نهاية لهـذا الحـديث .. و .. ساوث اند .. ساوث اند .. ؟ أرجوك أن تستمتع بشرابك اللذيذ الساخن .. ودعونا نمضى فترة هادئة ..

على أى حال .. وبعد بضـعة دقائق .. عاود مستر وود هاوس الحديث قائلا :

— ولكننى مع ذلك .. حزين .. حزين جدا .. لأنك ذهبت الى البحر هذا الخريف بدلا من أن تمضيه معنا ...

— ولماذا تحزن يا سيدى .. اننى أوكد لك .. أن هذه الفترة .. كانت مفيدة جدا .. لصحة الأطفال ...

— على كل حال .. اذا كان لابد من الذهاب الى البحـــر .. فالأفضل البعد عن « ساوث اند » فهى مكان غير صحى .. وقد ذهل مستر بيرى عندما سمع بذهابك الى هناك ...

— أنا أعرف أن هناك فكرة سيئة عندكم من ناحية «ساوث اند» ولكنك مخطىء تمام الخطأ يا سيدى .. لقد استمتعنا بوقتنا .. كلنـــا هناك .. وقد قال مستر ونيجفيلد أنه من الخطأ اعتبار هذا المكان غير صحى .. وذلك .. لدرايته بالمناخ .. ولفهمه لطبيعته .. حيث أن أخاه وعائلته .. أعتادوا على قضاء أجازاتهم فى « ساوث اند » ..

— يا حبيبتى .. كان يجب عليك أن تذهبى الى « كرومر » .. لقد مكث بيرى أسبوعا فى كرومر .. وهو يقرر .. أنه أروع شاطىء فى العالم .. بحر متسع .. هادىء وهواء نقى .. وكما أعلم .. فان المساكن تبعد عن شاطىء البحر فى « ساوث اند » حوالى ربع ميل .. مزعج .. غير مريح .. كان يجب عليك استشارة « بيرى » ...

— ولكن يا سيدى .. كان الغرض من الرحلة هو ما تغطيه من فائدة .. لا بطول الأميال أو قصرها ...

— اوه .. يا عزيزتى .. أن بيرى يقول :

« حيث توجد الصحة .. كل شىء يهون فى سبيلها .. » ومادمت قد عزمت على السفر .. لا يهم اختيار المكان .. كان من الأفضل لك الا .. تغادرى لندن على الاطلاق من هذه الرحلة المتعبة .. لاستنشاق الهواء الفاسد .. هذا هو ما يقوله بيرى .. أنه قد لاحظ مدى قراركم المريض ...

وتحفزت ايما لانهاء هذا الموضوع عندما وصل الى هـــذه النقطة المهاجمة .. ولكن حال دون انطلاقها .. صوت زوج شقيقتها .. وهو يتكلم فى نبرة قوية جافة ...

ــــ من الأفضل لمستر بيرى أن يحتفظ برأيه حين يسأل عنه .. ما شأنه هو لأخذ عائلته الى مكان ـ أو لآخر .. أعتقد أننى أيضا لى حكمى فى تصرفاتى وأننى لا اقتنع بتوجيهـــاته .. تماما مثل عــــدم اقتناعى بعقاقيره .. وأطرق قليلا .. ثم استرسل فى برود تام :

ــــ اذا ما تمكن مستر بيرى من أن يخبرنى كيف يمكن نقـــل زوجة وخمسة أطفال لمسـافة مائة وثلاثين ميـــلا .. بأقل التكاليف .. وبنسبة تقل عن مسافة حوالى ٤٠ ميلا .. فى هذه الحالة سوف أفضل « كرومر » عن « ساوث اند » .. بكل سرور ...

وقاطعه الأخ .. نايتلى .. صائحا ..

ــــ حقا .. حقا .. هذا يكون جميلا .. فعلا أن يكون جميلا .. ولكن جون .. انك لم تخبرني عن فكرة قضاء بضعة أيام للاستحمام فى « لانجهام » ... وأعتقد انك سوف تعطينى رأيك غدا فى الكنيسة ...

وقد تالم مستر وود هاوس جدا .. من كلمات الاستخفاف بصديقة « بيرى » الذى يحمل له كل العواطف .. والحب .. ولكن .. نظرات ابنتيه « ايزابيلا » وايما « جعلتاه يصمت » .. على مضض ....

الفصـــل الثالث عشـــر

كان من الصعوبة العثور على من هو أسعد حالا من مســـز جون نايتلى خلال زيارتها القصـــيرة لهارتفيلد ·· لم تكن لترى ·· الا وهى تجوب فى أنحاء الطرقات كل صباح ·· مارة بجيرانها القدامى ·· ومن حولها أطفالها الخمسة وفى جلستها المسائية ·· مع أبيها ·· واختها ·· تقص أحداث يومها ·· ولم تكن تتمنى أكثر من أن تتريث الأيام الباقية من الانسحاب منها ·· لقـــد كانت زيارة ممتعة على الرغـــم من قصر مـــدتها ···

على أى حال ·· فان أمسياتهم لم تكن مزدحمة بالأصـــدقاء مثل الصباح ·· وكانت هناك مناسبة هامة تدعوهم للغذاء فى الخارج ·· هى ·· مناسبة « الكريسماس » ولن يقبل مستر ويســـتون أى اعتذار لأنهم يجب عليهم كلهم ·· أن يأخذوا طعامهم فى هذا اليوم فى « راندالز » ·· حتى مستر وود هاوس الذى اختار وفكر فى كيفية هذا الانتقال ·· كيف سيذهبون ·· وهم بهذا العدد الكبير ·· وما هو الترتيب الذى يجب أن يصدر ·· ولكن بما أن عربة ابنه ·· وابنته ·· والخيـــل ·· كبيرة ·· وموجودة وعلى أتم استعداد ·· فقد هدأ باله من هذه الناحية ولم يجد ما يقوله الا بأنه يأمل فى أن تجـــد ايمـــا مكانا بجوارها ·· لعزيزتها هارييت ايضا ··

كانت هارييت ·· ومستر ايلتون ·· ومســـتر نايلتى الأخ ·· هم المجموعة الوحيدة ·· التى كانت مدعوة الى هذا الحفل ···

وفى المساء ·· قبل ذلك الحدث الكبير ·· لأنه فعـــلا كان حدثا كبيرا ·· اذ ان مستر وود هاوس سوف يأخذ طعامه خارج منزله يوم ٢٤ ديسمبر ·· وهو حدث لم يسبق له مثيل فى هارتفيلد ·

أصيبت هارييت بحمى شديدة ·· وبرد شديد ·· ونقلت الى رعاية « مسز جودارد » وذهبت اليها « ايما » فى اليوم التالى ·· فوجدت أن

حرارتها قد ارتفعت .. وأنها لا تقدر على الكلام من التهاب حنجرتها .. مما منعها عن التعبير عن خسارتها العظمى .. فى عدم حضور حفل « راندالز » - وقليل من العبرات .. وجلست معها ايما أطول مده ممكنه .. وفى غياب مسـز جودارد .. رفعت من روحها المعنوية كثيرا .. وكيف أن مستر ايلتون سوف يصاب بالحـزن والألم .. عنـدما يعلم بخالتها .. ولم تتركها الا وهى فى حالة نفسية حسـنة .. وفى راحة تامة .. بعد أن أكدت لها .. أن الجميع سـوف يفتقدون حـلاوتها - وجمالها .. ولم تكد ايما تخطو بضع خطـوات من باب .. « مسـز جود ارد » حتى قابلت مستر ايلتون بنفسه قادما .. وبادرته ايما بحالة العزيزة هارييت .. التى ساءته كثيرا .. وأخبرها بأنه سوف يقدم لها تقريرا يوميا عن حالتها .. وفى أثناء سيرهما .. لاح لهما مستر جون نايتلى عائدا من زيارته اليوميـة لدونويل .. مع ولديه الكبيرين .. والصحة بادية عليهم من هواء القرية .. ورياضة المشى ...

وكانت ايما ماتزال تصـف آلام صديقتها والتهابات الحنجرة .. وكيف أن مسز جود ارد تصف حالتها بأنها سيئة للغاية .. حين بدا مستر ايلتون منزعجا أشد الانزعاج :

— آه .. آوه .. التهاب فى الحنجرة - أتمنى ألا يكون مرضا معديا .. يجب أن تعرضى نفسك على طبيب يا ايما .. لابد يا ايما .. يجب أن تأخذى حذرك .. لئلا تكونى قد أصبت بالعدوى .. لم لا يراها مستر جيرى ...

وبما أن ايما لم تكن منزعجة على نفسها .. فانها قالت أن الحالة بالنسبة لصديقتها هى المؤلمة .. ولكن عناية مسز جود ارد بها .. من أكبر الأسباب التى تطمئنها .. وكانت ايما ترمى الى هدف آخر .. لذا فقد غيرت مجرى الحديث قائلة :

— اوه .. انه برد شديد .. ولو كانت هذه الدعوة فى مكان آخر .. أو من أناس آخرين .. لفضلت حقيقة عدم الخروج اليوم .. ولكن بما أن ابى قد ركب رأسه - وأصر على الذهاب .. فأنه يبدو أنه

لا يشعر بالبرد اطلاقا ٠٠ كما أننى أخشى أن يصدم عدم ذهابى ٠٠ مستر ومسز ويستون ٠٠ وفى حالتى لا يمكن الاعتذار ٠٠ آه ٠٠ أنه يبدو لى يا مستر ايلتون أن صوتك يخرج بحشرجة قليلة ٠٠ ولا يمكن أن تتنبأ بما يمكن أن يحدث لك من تعب فى الغد ٠٠ أظن أنه من الأفضل لك يا مستر ايلتون البقاء بالمنزل اليوم ٠٠ والاهتمام بصحتك هذه الليلة ٠٠

وبدا مستر ايلتون حائرا ٠٠ أى كلام يرد به ٠٠ على اهتمام مثل هذه السيدة الجميلة ٠٠ وبدا أنه قد اقتنع تماما بأن بوادر البرد تطرق أبواب حنجرته ٠٠ وأن الليلة برد ٠٠ وبرد شديد ومن الأفضل له أن يعتكف فى فراشه ٠٠ وأن يسأل على صحة هارييت كل ساعة من ساعات هذا المساء ٠٠

قالت ايمـــا :

— خيرا ٠٠ ماتفعل ٠٠ وســوف نقــدم اعتذارك لمستر ومسز ويستون ٠٠٠

وللمفاجاة القاسية ٠٠ وجدت زوج أختها يعرض عليه بكل ترحاب مكانا له فى عربته ٠٠ اذا ما كان أعتراض مستر ايلتون الوحيد هو برودة الطقس ٠٠٠ وللدهشه ٠٠ قبل مستر ايلتون الدعوة ٠٠ برضاء وفرح ٠٠٠

وكأنها لم تفعل شيئا ٠٠ سيذهب مســتر ايلتون ٠٠ وأبدا ٠٠ لم تكن ابتسامته بأشد اتساعا منها فى هذه اللحظة ٠٠ ولا بريق عينيه ٠٠ فى صورة لم ترها ايما من قبل ٠٠٠

قالت ايما لنفسها :

— « حسن جدا ٠٠ هذا شىء غريب ٠٠ بل أغرب من الغرابة ٠٠ بعد كل هذا ٠٠ ينضم الى الحفل ٠٠ ويترك هارييت مريضة خلفه ٠٠ منتهى الغرابة فى الحقيقة فعلا ٠٠ منتهى الغرابة ٠٠ ولكننى أعتقد أنه ٠٠ غالبا ٠٠ فى الرجال خاصة العزاب منهم ٠٠ عندهم شهوة الطعام فى الخارج ٠٠ والتواجد فى مجتمع يرضى كرامتهم وغرورهم ٠٠ ان هذا

تقريبا من بعض مهامهم فى الحياة ·· وهذا أيضا يمكن أن ينطبق على مستر ايلتون ويسعد رجلا مثله ·· مع مافى حالته من حب ·· لمريضة تتألم ·· لا يستطيع أن يرفض دعوة ·· يستعرض فيها كيانه ·· ويأكل دائما ·· اذا ما سأل ·· ويلبى الدعوة اذا ما دعى ·· ولا شىء يمنعه ·· أنه يمكن أن يشارك هارييت الألم ·· ويذكر ذلك بأسى ·· ولكنه ايضا يمكن أن يأكل بشهية ·· بدونها ···

وحين هم مستر ايلتون بمغادرتهم ·· تكلم فى نبرات حانية عطوف عن العزيزة هارييت وأكد أنه سوف يزورها عند مسز جود ارد ·· وسيوافيهم بأنبائها ·· وأومأ برأسه محييا ·· تاركا أجمل الأثر ·· وكاسبا للجولة ···

وبعد فترة صمت ·· ابتدأ جون نايتلى الحديث قائلا :

— أننى أبدا لم أصادف شخصا عنده كل هذا التصميم والاصرار على أن يبدو محبوبا مثل مستر ايلتون ·· اذا ما كان يريد ارضاء السيدات !

أجابت ايما :

— ان تصرفات مستر ايلتون غير سليمة ·· ولكن اذا ما كانت الرغبة فى الاسعاد ·· والأمتاع ·· فلكل شخص نظرته ·· ولكن ·· اذا ما حاول الشخص استعراض عضلاته ·· فهذا شىء غير مستحب ·· ولكننى أعتقد أن هناك بعض المشاعر الطيبة عند مستر ايلتون لا تقدر بثمن ···

قال مستر جون نايتلى بسرعة :

— نعم ·· نعم ·· يبدو أنه يكن لك كل الأعجاب ···

أجابت بابتسامة مندهشة :

— أنا ··· أنا ··· هل تتخيل أننى أهم مستر ايلتون ···

— آه .. نعم .. انه خيال مربى الآن فقط .. يا ايما .. واذا لم يكن قد خطر ببالك ذلك من قبل .. فأرجوك أن تضعيه فى الاعتبار منــــذ الآن ...

— مستر ايلتون يحبنى أنا .. يالها من فكرة ...

— أنا لا أقول ذلك أو أعنيه ... ولكننى أريد منك أن تأخذى هذه الملاحظة .. فى الاعتبار .. وتوالى .. ارتفاع التعاطف بينكما .. وأعتقد أن سلوكك معه .. به شىء من التشـــجيع أننى أتكلم كصــــديق يا ايمــا .. عليك أن تهتمى بنفسك .. وبما تفعلين .. وماذا تقصدين من أفعالك .. وتصرفاتك ...

— أننى أشكرك جدا .. ومع ذلك .. أوكد لك .. أنك مخطىء كل الخطأ .. ومســـتر ايلتون وأنا .. صـــديقان حميمان .. لا أكثر ولا أقـــل ...

وسارت مستمتعة بهذا الشعور الذى ثار بها .. من مواقف يأخذها الناس على محمل غير محملها .. وعلى هذه النصائح والاستشارات التى يقدمونها من وجهة نظرهم .. هم .. تبعا .. للظروف التى تستدعى هذه النصيحة ...

ولم يرد .. مستر جون نايتلى .. بل ابتسم لجهلها .. وعـــدم تقبلها النصيحة الخالصة ...

وكان مستر وود هاوس .. قد هيأ نفسه تماما للزيارة .. بالرغم من اشتداد البرد .. وجلس فى العـــربة مع ابنته الكبرى ... تفيض به المشاعر والفرحة .. والدهشة لهذا التحرك والسعادة المتناهية .. التى يعيش فيها .. ولكن البرد كان مفزعا .. وفى نفس الوقت .. كانت تتحرك العربة الثانية .. والغمام يغمر الأفق .. والسحاب ينذر بعاصفة .. وأمطار .. وبدا العالم شديد البياض .. فى وقت قصير جدا ...

ولاحظت ايما .. أن رفيقها فى العـــربة ليس فى حالة نفســـية

حسنة .. فأن الاستعداد والسفر .. فى مثل هذا الجو .. بجانب تضحيته الكبرى بترك أطفاله بعد الغذاء مباشرة .. كان عملا غير مستحب .. وغير مقبول .. على الأقل .. لم يجد مستر جون ثايتلى .. فى هذه الزيارة أى شىء يدعو الى الابتهاج .. مما دعاه الى التعبير عن استيائه طوال الطريق .. وقال :

— لابد وأن يكون للرجل رأيا عظيما فى نفسه عندما يسأل الناس ان يتركوا جلستهم الخاصة بجوار المدفأة .. ويخرجوا من بيوتهم فى مثل هذا اليوم لأجل خاطر رؤياه ... لابد وأنه يعتقد فى نفسه شدة الاغراء والجاذبية .. أننى أبدا لا أفعل شيئا كهذا .. ان هذا فوق الاحتمال ان السماء تمطر ثلجا .. هذه الحماقة التى لا تسمح للناس بأن يرتاحوا فى بيوتهم .. وحماقة الناس التى لا تدعهم يستمتعون بهذه الراحة .. حينما يكون باستطاعتهم هذا الاستمتاع .. اذا ما كنا ملزمين بقضاء مثل هذه الليلة .. لعمل .. أو لواجب .. لكنا تضررنا كثيرا .. ووجدناها شيئا فوق طاقتنا واحتمالنا ... ولكن .. ها نحن الآن .. هنا .. بملابس خفيفة .. وأجساد مقرورة .. تسير الى أين .. بلا أى عذر .. مناوئين أحكام الطبيعة .. التى توحى الينا بقضاء مثل هذه الليلة فى بيوتنا .. ونحمى أجسادنا بالأغطية ما أمكن .. وها نحن .. ذاهبون .. متضررون .. نمضى خمس ساعات مقبضة فى منزل رجل آخر .. لنرى .. أو نسمع ما سمعناه أمس .. واليوم .. وما سنسمعه غدا .. نسير فى جو مفزع .. مخيف .. ولنعود فى جو أسوأ .. أربع جياد .. أربع خدم .. مسحوبين لخدمة مخلوقات تتأفف من البرد .. مخلوقات عاطلة .. جاهلة التصرف .. لتذهب الى غرف باردة .. مقرورة .. وصحبة .. أسوأ مما كانوا سيجدونها فى منازلهم ...

وكانت ايما فى حالة لا تسمح لها بالرد على استيائه الحقيقى ... ولم تشك .. أو تحاول حتى محاولة الكلام .. منعا للشجار .. وتركته يتكلم .. ويتكلم .. منكمشة فى ركن العربة .. وهو يغلق النوافذ .. ويسدل الستائر .. ويتذمر .. ويتأفف .. دون أن تفتح شفتاها .. ولو ببنت شفة ...

ووصل الركب ٠٠ وأنزلت السلالم ٠٠٠

ومعهم مستر ايلتون بكياسته ٠٠ بابتسامته ٠٠ ووجدتها ايما فرصة لتغيير الموضوع ٠٠ وكان فى الحقيقة ٠٠ يبدو مرحا ٠٠ حتى ان ايما أعتقدت أنه ربما قد تلقى تقريرا حسنا عن هارييت فأنها قبل نزولها فى هارتفيلد ٠٠ ـ واستعدادها ٠٠ لارتداء ملابسها ٠٠ أرسلت تستفسر عن صحة هارييت فكان الرد : « كما هى ٠٠ لم تتحسن بعد » ٠٠

قالت ايما :

ـــ لقد تلقيت تقريرا سيئا من مسز جود ارد وكانت اجابتها بان هارييت لم تتحسن ٠٠ ومازالت فى حالة سيئة ٠٠٠

واستطال وجهه فى الحال : ـ وبدا صوته رقيقا ٠٠ حييا ٠٠ حين اجـــاب :

ـــ أوه ٠٠ لا ٠٠ لا أننى حزين لأقول لك بأننى كنت على وشك أخبارك بأننى أنا أيضا قبل الاستعداد للسفر ٠٠ سألت على مس سميث ٠٠ وفعلا كان الرد بأنها ليست على مايرام ٠٠ ولـــكن ليست أسوأ مما كانت ٠٠ وأعتقد أنها ربما تكون قد تحسنت الآن وخصوصا بعد اعطائها المقوى هذا الصباح ٠٠٠

وابتسمت ايما وهى تجيب :

ـــ أعتقد أن زيارتى كانت بفائدة ٠٠ لشكواها العصبية ٠٠ ولكن ليست لالتهاب الحنجرة ٠٠ انه برد قاسى فى الحقيقة ٠٠ لقد كان مستر بيرى فى زيارتها ٠٠ كما أرجح انك تعرف ذلك ٠٠

ـــ نعم ٠٠ لقد خمنت ذلك ٠٠ وأننى لا أعلم ٠٠٠

ـــ انه أعتاد على شكواها ٠٠ ومرضها ٠٠ وأتعشم أن يصلنا نحن الاثنين فى الغد ٠٠ تقرير طيب عنها ٠٠ ولكن ٠٠ من الضرورى جدا ٠٠ أن نشعر بعدم الارتياح ٠٠ لمثل هـــذه الخسارة التى لحقت بمجموعتنا اليـــــوم ٠٠

— مرعبة .. مرعبة .. فعلا مرعبة .. فى الحقيقة سوف نشعر بها كل دقيقة .. ونفتقدها فى كل لحظة ...

وأطرقت ايما .. ولم تتكلم .. وبعد دقيقة واحدة .. ابتدأ هو يتكلم فى مواضيع عديدة .. بصوت كله رشاقة وحيوية .. وبهجة ...

قـــال :

— ياله من إقتراح رائع .. كساء العربة بفراء الخروف .. انهـا كاملة .. دافئة .. عربة رجل جنتلمان حقا .. أوه .. ياله من مساء بارد .. ولكن فى هذه العربة .. وهذا الدفء .. لا نشعر بشىء من كل هذا الصقيع .. ها .. قليل من الثلج فى الخارج .. على ما يبدو ...

اجاب مستر جون نايتلى :

— وأعتقد بأننا سنحظى بكمية كبيرة منه ..

وعقب مستر ايلتون :

— انه طقس الكريسماس .. انه معروف تماما ويجب أن نعتبر انفسنا محظوظين من أنه لم يبتدىء أمس .. لو حدث هذا .. لحرمنا من هذه الصحبة .. ومنعنا من هذا الحفل .. انه فعلا الموسم .. والقطس المعهود .. المستحب للقاء الأصدقاء .. لقد حجزنى الثلج مرة .. لمدة أسبوع فى منزل صديق لى .. ولم يكن هناك أمتع من ذلك .. ذهبت لقضاء ليله .. واحدة .. فلم أخرج من المنزل الا بعد سبع ليالى ...

وبدا عدم تشجيع مستر جون نايتلى على هـذه السعادة .. التى عبر عنها مستر ايلتون وقال له .. بمنتهى البرود :

— أننى لا أتمنى أن يحتجزنى الثلج لمدة أسبوع فى «راندالز».

وللمرة الثانية .. بدت ايما فى غاية الأندهاش لتصرفات مستر ايلتون .. ومشاعره من ناحية المجموعة .. فأنه بدا .. وكأنه قد تناسى هارييت تماما فى الصحبة الممتعة ....

واستمر يقول :

— أننا متأكدون تماما من الدفء الممتاز .. والراحة التامة .. مستر ومسز ويستون يستحقان جائزة فى الكلام .. وحسن الضيافة .. وأنهما اجتماعيان من الطراز الأول .. ولو أنها ستكون حفلة صغيرة ولكن .... عندما تكون المجموعة ممتازة ... سيكون الانسـجام .. والتعاطف والود .. غرفة طعام مسز ويستون لا تستوعب أكثر من عشرة أشخاص .. وأنا شخصيا أفضل فى هذه الظروف .. أن أجـد راحتى فى أى مكان .. ومع أى شخص .. واستدار الى ايمـا .. يقول لهـا بصوت ناعم .. منغم :

— أعتقد أنك توافقيننى على هذا الرأى .. أليس كذلك ... أظن أننى سوف احتاج لأرائك .. واعتقد أن مستر نايتلى .. من كثرة اعتماده على مثل هذه الحفلات فى لندن .. لا يفيده أن يتركنا وشاننا .. دون ما تدخل فى مشاعرنا ..

قاطعه مستر نايتلى بجفاء :

— أنا لا أعرف شيئا عن الحفلات الكبيرة فى لندن يا سيدى .. أننى أبدا لم اتناول طعامى .. مع أى شخص غريب ...

قال مستر ايلتون فى لهجة اشفاق :

— حقيقى ليست لى أنا أيضا اية فكرة عن طغيان القضـاء فى حياة الانسان الخاصة .. حسنا يا سيدى .. سوف ياتى الوقت الذى تجد فيه نفسك .. قليل العمل ... وكثير الاستمتاع ..

أجاب مستر نايتلى .. وهم يخترقون البوابة :

— ان استمتاعى الأكبر .. هو عندما أجد نفسى ثابتا .. فى « هارتفيلد » ..

الفصـــــل الرابع عشـــر

كان لابد من حدوث التغيير لـكل رجل من الرجال الداخلين الى قاعة الاستقبال فى منزل مسز ويستون ٠٠ فانه كان يجب على مستر ايلتون أن يتحكم فى نظراته الفاحصة ٠٠ ومستر جون نايتلى ٠٠ أن يقل من نظراته اليائسة وعلى ذلك ٠٠ ينبغى على مستر ايلتون أن يقل من ابتساماته ٠٠ وأن يزيدها ٠٠ مستر نايتلى ٠٠ أما ايما ٠٠ فكانت المخلوقة الوحيدة التى تشعر بسعادة حقيقية من هـذه الزيارة ٠٠ فان مستر ويستون كان حبيبا ٠٠ عزيزا عندها ٠٠ ولم يكن هناك أيضا أى مخلوق فى العالم ٠٠ يمكن أن ٠٠ يشارك ايما فى مسراتها ٠٠ وأفراحها ٠٠وأحزانها ٠٠ وأفكارها ٠٠ أحلامها ٠٠ وآمالها ٠٠ وأحداثها الصغيرة ٠٠ صلتها بوالدها ٠٠٠ بهارتفيلد بكل همسة ٠٠ بكل نبضـة حب ٠٠ ومشاعر ود ٠٠٠ وتعايش صادق ٠٠ سوى « مسز ويستون » كانت المتعة الحقيقية ٠٠٠٠٠ والمشاركة القوية فى كل ما يعن لكل منهما من خواطر ٠٠ وأحاسيس كانت هذه هى السعادة بالنسبة لها ٠٠ ليس لليوم فقط ٠٠ بل لكل نظرة منها ٠٠ الى مسز ويستون الى ابتسامتها ٠٠ الى لمساتها ٠٠ الى همساتها ٠٠ الى حنانها ٠٠ الى صوتها ٠٠ كل هذا ٠٠٠ كان هبة عظيمة لايما ٠ وما يحدث حولها ٠٠٠ لا يمكن أن تشعر به فى غمرة سعادتها ٠٠ اللانهائية ٠٠ مع حبيبتها ٠٠ مسز ويستون ٠٠٠

ومر افتقادهم لهارييت ٠٠ ومرضها ٠٠ مرورا سريعا حال وصولهم ٠٠ فقد أخذ مستر وود هاوس مجلسه المريح ٠٠ وسرد تاريخ مرض هارييت ٠٠ وقصة حضور « ايزابيلا » حتى وصل الى ما كان يرضيه تماما ٠٠ وهو أنه يجب على جيمس حضـوره الى « راندالز » ليرى ابنته ٠٠ وكانت مسز ويستون تصغى اليه بمحبة وشغف ٠٠ ولا يفوتها أى كلمة من كلماته ٠٠ فكان فى هذا تشجيعا كافيا له على الاستمرار فى الحديث ٠٠ ثم بعد ذلك ٠٠ اتجهت بـكل عواطفها ٠٠ لتحسى حبيبتها ٠٠ « ايما » ٠٠٠ وكان مشروع ايما هو تجاهل مستر ايلتون تماما ٠٠ ونسيانه بكل معانى النسيان ٠٠ ولكنها للأسف وللحزن

الشديد .. وجدت أن تباعدها عنه .. جعله يتقرب اليها .. بل ويلتصق بها .. ووجدته بجوار كوعها .. مبديا سـعادته بها .. مستحسنا لكل كلمة .. مادحا لها فى كل مناسبة .. وبدلا من نسيانه .. أذهلتها هذه المفاجأة .. وازعجها عدم وفاء مشـاعره لحبيبته هارييت .. وجعلها هذا الاهتمام .. تتساءل بينها وبين نفسها .. :

« وهل من الممكن لهـذا الرجل أن يكون قـد ابتدأ بتحويل دفة عواطفه من هارييت .. الى أنا ....

هل يكون حقيقة .. كما تخيل زوج شقيقتى .. لقد أبدى اعجابه دائما بحرارة عواطفها .. واهتمامها بوالدها ومحبتها لمسز ويستون .. كما سبق ... وتدله اعجابا بلوحاتها .. أنه يبدو فعلا غارقا فى الحب .. بعد كل هذا الذى فعلته لتربط بينه وبين هارييت .. وهزت رأسها .. لتتمكن من الانصات لما يدور من حديث حولها ...

سمعت مستر ويستون يتكلم ويقول :

— ابنى فرانك ....

مرددا كلمة ابنى .. ابنى .. ابنى مرات عديدة .. ومن مقاطع الكلمات التى تمكنت من التقاطها .. استطاعت أن تفهم من أنه يتوقع زيارة قريبة من ابنه .. وقبل ان تتمكن من استيعاب الموضوع والمشاركة فيه .. كان قد مر وانتهى .

والآن .. ومع تصميم ايما على عدم الزواج بتاتا .. الا أن هناك شيئا ما فى الاسم .. فى الفكرة .. عن « مستر فرانك تشرشل » .. ودائما تمتعها وتثير خيالها .. فانها كانت دائما تؤمن .. وخاصة بعد زواج والده من .. مس تايلور » .. من أنها .. لو كانت تنوى الزاوج .. فلن يكون هناك أصلح منه .. شخصيته .. وحالته .. انه يناسبها تماما .. من كل الوجوه ... وكان يبدو دائما .. وبالنسبة للصلة التى تربط عائلتيها .. وكانه مرتبط بها .. وكانه قد خلق لها .. وكانت تعتقد .. أن كل فرد فى العائلة .. عندما يفكر فى زواج .. « فرانك

تشرشل » فسوف تقفز صورتها على الفور ·· كشخص مقترح ·· مناسب لهذا الزواج ·· حتى مستر ومسز ويستون ·· كان يبدو وكأنهما يرتبان هذا وكانت تجد سعادة كبرى فى تخيل متعة هذه الفكرة ·· ورضائها التام عنها ···

لذا ·· كان توقيت اظهار عواطف مستر ايلتون ·· توقيتا مريضا ·· وغير مناسب ·· ولكنها تحملته بكل أدب ·· وصبر ·· وكانت نتيجة مبشرة ··فقد انتقل الى جوارها مستر ويستون وبادرها بالتحية والضيافة قائلا :

— أننا الآن فى حاجة الى اثنين فقط ·· ليكتمل العدد الصحيح ·· أننى كنت أتمنى أن أرى اثنين هنا ـ لتكتمل هذه المجموعة ·· صديقتك الصغيرة الجميلة ·· « مس سميث » وابنى ·· فرانك ·· حينئذ كان يمكننى أن اقول بأننا متكاملين ·· أننى أعتقد بأنك لم تسمعينى فى قاعة الاستقبال وأنا أقول للضيوف ·· بأننا نتوقع حضور فرانك ·· لقد تلقيت منه خطابا ·· يخبرنى فيه بأنه سوف يكون معنا ·· قبل أسبوعين ···

وتكلمت ايما بحالة معنوية مرتفعة ·· غارقة فى السعادة ·· مؤيده قوله ·· بأن المجموعة ·· كانت تكتمل ·· بحضور مستر فرانك تشرشل ·· ومس هارييت سميث ···

أضاف مستر ويستون قائلا :

— لقد كان يرغب فى الحضور ·· عندنا منذ شهر سبتمبر ·· كل خطاب من خطاباته كان يبدى فيه هذه الرغبة ·· ولكن لم يتمكن من التحكم فى وقته ·· أنه من الأشخاص الذين يسعدون ·· ويسعدون ·· وأننى الآن ·· أتوقع حضوره بدون أدنى شك فى الأسبوع الثانى من يناير ···

— يا لها من سعادة رائعة لك أنت ومسز ويستون لابد وأنها

مشتاقة أن تعرفه عن قرب ·· ان سعادتها ·· تفـــوق سعادتك يا مستر ويســـتون ···

— نعم ·· نعم ·· انها كذلك ·· ولو أنها لا تعتمد كثيرا على حضوره. ·· مثل اعتمادى أنا ·· لأنها لا تعرف المجموعات ·· مثلما أعرفها أنا ···· هناك أسرار أسرار كثيرة فى العائلات ·· سوف يحضر بعض الأصدقاء فى الزيارة « لانسكومب » فى يناير ·· وقد اعتادت أن تدعوها منذ سنتين أو ثلاث سنوات ·· لذا فانا واثق تماما ·· ان فرانك سيكون هنا فى منتصف شهر يناير ···

أجابت ايمــا :

— أنا لا أعرف (انسكومب) ولكن ·· اذا ما كنت تعتقد انه سوف يحضر ·· فاننى أنا ايضا أعتقد ذلك ·· لأنك تعرف «انسكومب » جيـــــدا ···

— نعم · ·نعم ولو أننى لا أعرف هذا المكان ولم أزره فى حياتى ·· أوه ·· انها امرأة شاذة ·· ولكننى ابدا لم أسمح لنفسى أن أتقول عليها أمام فرانك ·· أننى أعتقد أنها لا تغرم الا بنفسها ·· ولو أنها كانت دائما أبدا عطوفة ·· عليه ·· بطريقتها الخاصة ·· وفى رأيى أن هذا العطف يثير عواطفها ·· وأود أن أقول شـــيئا لم أتمكن أبدا من قوله أمام أحد ··· ان هذه المرأة لها قلب متحجر ·· من ناحية الناس عموما ·· وروح شيطانه ··

واستمتعت ايما كل الاستمتاع بهذا الموضوع حيث ابتدأته على الفور مع مستر ويستون ·· بعد انتقالهم الى قاعـــة الاستقبال ـ متمنية لهم البهجة ·· فى لقائهـــا الأول مع فرانك ·· ولو أنه قطعا ·· سيتسـم بالتوتر ·· ووافقتها مسز ويستون على أن اللقاء بالفعل ·· يبدو مقلقا ··

— ولو أننى شخصيا أخشى أن تنتهى هــــذه المقابلة ·· الى لا شىء ·· لابد وأن يكون مستر ويستون قد شرح لك الموقف تماما ··

— نعم ·· أعتقد انه لا يعتمد على شىء قـــدر اعتماده على

تصرفات مسز تشرشل المريضة ‥ التى اعتقد أنهـــا الان أهم شىء فى العـــالم ‥

أجابت مسز ويستون وهى تبتسم :

ـــ يا ايمتى الحبيبة ‥ وما أهمية هذه النزوة ثم التفتت الى ايزابيلا قائلة :

ـــ لعلك لا تعرفين شيئا عن هذا يا عزيزتى ‥ مسز نايتلى ‥ أن مستر ويستون وأنا ‥ نعتمد فقط على رؤية مستر فرانك تشرشل تبعا لأهواء خالته لمزاجها ‥ وفى الحقيقة ‥ كل شىء يتوقف على هذا المزاج ‥ لك ‥ لكما أنتما الاثنين ‥ ابنتى الحبيبة ‥ يمكن أن أقرر الصدق ‥ أن مسز تشرشل تحكم «أنسكمب» وهى امرأة شديدة الشذوذ ‥ مريعة الأهواء ‥ وحضوره الآن ‥ يتوقف على رغبتها ‥ وترحيبها ‥ بهذه الزيارة ‥

قالت ايزابيلا :

ـــ اوه ‥ مسز تشرشل ‥ كل انسان يعرف مسز تشرشل أننى متأكده أن كل شخص يتعاطف مع الرجل الصغير ‥ المسكين ‥ ليعيش مع طباع شاذة وأخلاق مريضـــة ‥ شىء مخيف ‥ مخيف ‥ مفزع للغاية ‥ هذه الحياة التى لا نعرف عنها شيئا ‥ ولكنها دون شك ‥ حياة ‥ هى التعاسة والشقاء يالها من نعمة ‥ لأنها لم ترزق باطفال ‥ يا للمخلوقات الصغيرة البائسة ‥ كيف كانت تكون حالتهم ‥ وماذا كان يمكنها أن تفعل بهم ‥

وتمنت ايما لو كانت تتحادث مع مسز ويستون بمفردها ‥ دون ما وجود « ايزابيلا » ‥ فان انسياب مشاعرهما ‥ كان حتما سيعطيها فرصة للوقوف على كل شىء يخص مستر فرانك ‥ وكان يمكنها أن تركز انطباعاتها على شخصيته من هذا الحديث ‥ ولكن ‥ انتهى الأمر ‥ لأن مستر وود هاوس لحق بهم فى قاعة الاستقبال ‥ لقد مل الجلوس ‥ دون شراب ودون محادثة أى شخص ‥ لذا فقـــد أسرع بالتحرك للجلوس مع من يجد راحته فى مجلسهم ‥

وفى أثناء حديثه مع ايزابيلا ٠٠ وجدت ايما فرصة سانحة لتقول:

— اه - اذا أنت تضع مثل هذه الاعتبارات فى زيارة ابنك ٠٠ أننى حزينة من أجلك ٠٠ المقدمة تبشر بعدم الارتياح ٠٠ ولكننى أتعشم أن ينصلح الحال ٠٠٠

— نعم ٠٠ وكل تأخيـر ٠٠ وتأخيـــر ٠٠ يزيد من التوتر ٠٠ والقـــلق ٠٠

— وأنى أخشى أن يصلنا بعض الاعتذار ٠٠ وأنا لا أعتمد كثيرا على جانبه فان رغبة « التشرشلز » واضحة تماما ٠٠ فى ابقائه بجانبهم ٠٠ انها غيرة ٠٠ نعم انهم يحقدون على محبته لوالده ٠٠ بالنسبة لهم ٠٠ أنا لا آمل خيرا ٠ ٠ولكن ٠٠ بالنسبة لى ٠٠ فأنا أعتقد أن مستر ويستون الصغير ٠٠ سوف يقرر الحضور ٠٠

قالت ايمـــا :

— بل يجب أن يحضر ٠٠ حتى ولو كان سيبقى يومين فقط ٠٠ فيجب عليه أن يحضر ٠٠ ولا يمكن أن يقر أحد ٠٠ ما يتخذ معه ٠٠ الرجل يجب أن ينفذ رغباته ٠٠ كما يريد هو ٠٠ لا كما يريد الصغير ٠٠ لا أحد يقدر أن يقف ضد رغبة شاب ٠٠ يريد أن يمضى أسبوعا مع والده ٠٠ اذا رغب هو شخصيا فى ذلك ٠٠

أجابت مسز ويستون :

— على المرء ٠٠ أن يعيش فترة فى انسكومب ليعرف طريقة حياة هذه العائلة ٠٠ قبل أن يحكم هـــذا الحكم ٠٠ أن « انسكومب » تحكم بقوانين غير معقولة ٠٠ وكل شىء يعطيها حق هذا الحكم ٠٠

— ولكنها ٠٠ جد مغرمة به ٠٠ وهو حبيب اليها ٠٠ والآن ٠٠ بناء على فكرتى عن مسز تشرشل ٠٠٠

أنها بدلا من أن تحكم من الزوج ٠٠ فانها الآن وانقيادا لعاطفتها ٠٠ يمكن أن تحكم من ابن الأخ ٠٠

— ايتها الحبيبة ايما . .لا تعتمدى على طباعك الحلوة .. ومشاعرك الفياضة .. لكى يمكنك أن تتهمى شخصا رديئا .. أو تحكمى عليه .. يجب أن تسيرى فى نفس طريقته .. ولا يمكنك أن تتخيلى مدى تأثيرها على تصرفاته وحياته ...

وأصغت ايما اليها .. ثم قالت ببرود :

— سوف لا أرتاح .. الا حينما يحضر ...

أضافت مسز ويستون :

— لابد وأن له تأثيرا قويا فى نقاط أخرى .. ولكن .. بالنسبة لحضوره .. فهذا يتوقف على الظروف .. والأحداث التى تدور هناك .. فى انسكومب ..



الفصل الخامس عشر

كان مستر وود هاوس ٠٠ على أتم الاستعداد لتناول الشـــاى ٠٠ ٠٠ وعندما تناوله ٠٠ أصبح أيضا على أتم الاستعداد للعودة الى المنزل ٠٠ فى الوقت الذى لم يلاحظ فيه رفقاءه الثلاثة ٠٠ تأخر الوقت فقد ظهر مستر ويستون ٠٠ مبتهجا ٠٠ مناديا دون أى انتباه لفراق من أى نوع ٠٠ ولكن ٠٠ فى النهاية ازدحمت قاعة الاستقبال « مستر ايلتون » ٠٠ بروح مرحة ٠٠ كان أول الداخلين ٠٠ وكانت مسز ويستون ٠٠ وايما تجلسان معا على أريكة ٠٠ وسمح لنفسه على الفور ٠٠ وبدون دعوة خاصة ٠ ٠بوضع نفسه بينهما ٠٠ وجلس بين مسز ويستون وبين ايما ٠٠ هكذا ٠٠ وبروح مرحة أيضا ٠٠ وروح طيبة منها هى أيضا « ايمــا » تنبع من السعادة التى أضفاها عليها خيالهـــا من توقع حضور فرانك تشرشل ٠٠ كانت مستعدة ٠٠ أن تنسى عدم كياسته الماضية ٠٠ وعادت تقبل منه تعليقاته برضا ٠٠ وخاصة ٠٠ عندما ابتدأ موضوعه الأول ٠٠ عن هارييت ٠٠ هنا ٠٠ كانت على تمام الاستعداد للاصـــغاء اليه ٠٠ بابتسامة حبيبة ٠٠

أبدى قلقه الزائد على صديقتها الشقراء ٠٠ الحبيبة ٠٠ هل عرفت ٠٠ أو سمعت منذ وجودهم فى « راندالز » ٠٠ ؟

كان فعلا يبدو قلقا ٠٠ فى غاية القلق والانشغال ٠٠ وجلس يتكلم لوقت طويل عن التهـــاب حنجرة هارييت ٠٠ وايما تصـــغى اليه ٠٠ بترحاب ٠٠٠

ولكن ٠٠ فى النهاية ٠٠ أدار الاسطوانة على الوجه الآخر ٠٠ وبدلا من ابداء قلقه على هارييت ٠٠ أصبح الخوف عليها هى ٠٠ ونصحها بعدم الذهاب الى غرفة المريضة ٠٠ وعليها أن تعرض نفسها على مستر بيرى على الفور ٠٠ ولابد أن تكون هناك عدوى بحنجرتها ٠٠ لم تظهر بعد٠٠ والتفت الى مسز ويستون يسأل مساعدتها :

ـــ هل يمكن أن تنصحى مس وود هاوس بعـــدم الذهاب الى

هاربيت عند مسز جود ارد ·· هل يمكن أن تساعدها فى عرضها على مستر بيرى ··

أنه لن يهدأ ·· ولن يرتاح الا بعد أن يسمع وعد من مسز ويستون بذلك ··

وأضاف قائلا :

— هكذا ·· منتهى الاهمال والتهاون فى نفسها ·· لقد طلبت فى أن ·· أهتم بنفسى ·· وألزم فراشى اليـــوم ·· لاتجنب البرد ·· والتهاب الحنجرة ··· هل هذا عدل يا مسز ويستون ·· ؟ احكمى أنت بيننا ·· الست على حق فى شكواى هـــذه ·· اننى متأكد من حكمك العـــادل ··

ولاحظت ايما دهشة مسز ويستون ·· ولم تدر ماذا تفعل ·· فى اندفاعه المذهل الذى لفت الأنظار ·· ولم تستطع الا أن تلقى اليه بنظرة ·· ولكن هذه النظرة ·· زادت من انفعاله ·· واندفاعه ·· فلم يكن منها ـ الا أن قامت من على الأريكة ·· وذهبت الى مقعد بجوار أختها ·· مولية اليها كل اهتمامها ·

ولم تعرف ايما ·· كيف انتهى هذا الموضوع ·· لأن مستر جون نايتلى دخل الى القاعة ·· بعد أن عاين حالة الطقس فى الخارج ·· معلنا أن الأرض قد كستها الثلوج ·· ومازالت السماء تسقط ثلجا ·· برياح ثقيلة ·· وانتهى حديثه بكلمات لمستر وود هاوس :

— هذا يبرهن متعة لقاءات الشتاء ياسيدى ·· وشىء جـــديد أيضا ··· للجياد والعربة ·· والسائقين حين يأخـــذون طريقهم وسط عاصفة من الثلوج ···

مسكين مستر وود هاوس ·· لقد لزم الصمت من شدة الفزع ·· ومن هول الموقف ·· ولكن كان على كل شخص أن يقول شيئا ·· بعضهم مندهش ·· والآخر غير مندهش ·· من عنده سؤال ·· ومن يحاول أن

يرطب مشاعر مستر وود هاوس ·· ويحاول تهدئته ·· وحاولت ايما أن تحول انتباهه عن زوج ابنته ·· الذى يحاول بشتى الطرق ·· اقلاق مشاعره ·· دون مارحمة ولا شفقة ···

واستطرد مستر نايتلى قائلا :

— أننى معجب جدا بطريقتك فى معالجة الأمور يا سيدى ·· للمغامرة فى مثل هذا الطقس بالطبع ·· لقد لاحظت أن الطقس يبشر بثلوج سريعة ·· وكل فرد منا لابد أنه قد شاهد قطرات المطر ·· وحبات الثلج ·· وهى تتساقط قبل رحيلنا ·· وأننى فعلا ·· معجب بروحك ·· وأعتقد أننا سوف نعود كلنا الى المنزل سالمين ·· وبعد ساعة ·· أو ساعتين على الأكثر ·· سيكون الثلج قد كسا كل الطريق ·· ويجعله عسير العبور ·· ولكن ·· عندنا عربتان ·· اذا ما تزحلقت الأولى وانقلبت بنا ·· يمكن استعمال الأخرى ·· ويمكننى أن أؤكد أننا سنكون فى أمان فى « هارتفيلد » قبل منتصف الليل ···

أما مستر ويستون ·· فانه تكلم بصورة أخرى لطيفة ·· كلها ود واخاء ···· قال :

— ان الثلج يتساقط فعلا بكثرة ·· وأن هذا يضايق مستر وود هاوس ·· ويجد له عذرا فى رغبته ·· فى سرعة العودة ·· وأنه يرى أن هذا فى صالحه ·· لأنه سوف يتيح له فرصة ·· استضافتهم فى الليل ··ويمكن تدبير مكان لهم ·· فى « راندالز » ·· ملتفتا الى زوجته لتأييده فى الحديث ·· ولتأيده فى رغبته ·· التى انزعجت لها ·· لعدم حيلتها فى امكانية تدبير المبيت فى غرفتين مربعتين ·· فقط فى منزلها ···

وبعد طول صمت وانصات ·· لم يجد مستر وود هاوس ·· ما يقوله الا :

— ايما ·· حبيبتى ·· ماذا سنفعل ·· ماذا ··· سنفعل ·· ماذا ؟ ماذ ··· ؟

ولكنه عندما نظر الى وجهها ٠٠ ووجـــد راحتها واطمئنانها ٠٠ ثقتها فى كفاءة ٠٠ الخيل ٠٠ ومهارة السائق « جيمس » ووجود أصدقاء مخلصين من حوله ٠٠ كل هذا ٠٠ أعطاه الأمان ٠٠ ورفع من روحه المعنوية ٠٠ بصورة ملحوظة ٠٠

ولكن ابنته الكبرى ٠٠ كانت اخوف ما تخافه واشد ما يزعجها ٠٠ هو امكانية احتجازهم فى « راندالز » ٠٠ واقترحت أنه بالنسبة لوعورة الطريق ٠٠ وعدم وجود أماكن كافية للمبيت فأنه يمكن لايما ووالدها قضاء فى « راندالز » وتعود هى وزوجها الى « هارتفيلد » ٠٠٠

والتفتت الى زوجها قائلة :

ـــ من الأفضل أن تأمر باعداد العربة على الفور يا حبيبى ٠٠ واذا ما وقعنا فى أى مأزق ٠٠ فيمكننى أن أكمل الطريق على قدمى ٠٠ أننى لا أشعر بالخوف أبدا ٠٠ ويمكننى أيضا تغيير حذائى ٠٠ أنت تعرف بأننى لن أشـعر بالبرد ٠٠ من شـــدة انفعالى وتلهفى على العـــودة الى المنزل ٠٠٠

أجاب هـــو :

ـــ حقا ٠٠ هيه ٠٠ ؟ اذا يا حبيبتى ايزابيلا ٠٠ أنت ٠٠ وأنت بالذات لن يصيبك البرد ٠٠ وأنت ٠٠ أنت بالذات ٠ ستقطعين الطريق سائرة على قدميك ٠٠ أوه ٠٠ أننى متألم للخيل ٠٠

والتفتت ايزابيلا تنشد مساعدة مسز ويستون ٠٠ ولم تتمكن مسز ويستون الا من تأييدها ٠٠ ودارت ايزابيلا واتجهت نحو ايما ٠٠ التى أبدت أملها فى امكانية عودتهم كلهـــم الى هارتفيلد معا ٠٠ وفى نفس الليلة ٠٠ وكان الجميع يناقشون المسألة ٠٠ عندما دخل مستر نايتلى الأخ ٠٠ والذى كان قد غادر القاعة ٠٠ فور تهكم أخيه ٠٠ وأعلانه هطول الأمطار ٠٠ والثلوج ٠٠ وهبوب العواصـــف وذهب ليستطلع حالة ٠٠ الطقس على الطبيعة ٠٠٠

لقد دار حول المنطقة .. وعبر قليلا فى طريق « هايبرى » .. كان الثلج مستويا .. بطول الطريق .. على عمق نصف بوصة .. وفى أماكن أخرى .. لم يكن كثيرا .. بحيث يغير لون الأرض الى البياض .. الناصع .. السحب تنسحب .. مبشرة بقرب انقشاعها نهائيا .. والتقرير النهائى كان :

« أنه لا خطورة بتاتا فى السفر فى نفس هذه الليلة .. والعودة الى هارتفيلد » ...

وتنفست ايزابيلا الصعداء .. ولكنه بالنسبة لايما .. ووالدها .. فلم يكن الرأى مقبولا .. كان المبيت فى « راندالز » بالنســبة لمستر وود هاوس ... شيئا مريحا جدا .. بلا أدنى خطورة متوقعة فى العودة الى المنزل .. بينما كان الاخرون يستحثون التعجيل بالتأهب لرحيل .. وبعضهم يوصى بالمبيت فى « راندالز » ..

حسمت « ايما » ومستر نايتلى الموقف فى جملتين قصيرتين :

— والدك يرتاح .. ولن يهدأ .. لماذا لا تذهبى أنت ..

— أنى على أتم الاستعداد اذا ما كان الآخرون مستعدين ..

— هل أقرع الجرس ... ؟

— نعم .. أفعــل ...

وهنا قرع الجرس .. وأعدت العربة .. فى دقائق .. وفى الحال .. كانت حفلة « راندالز » قد انتهت .. ولو أن ايما كانت تتمنى أن يظهر من بينهم معارض .. أو مشاغب ليعوق من رحيلهم .. المفاجىء .. ولكن .. للأسف . لم تتحقق هذه الأمنية الغالية ...

وأتت العربة .. وكالسعادة دائما .. فى مثل هذه المناسبات .. فان مستر وود هاوس كان السباق للجلوس فى العربة .. بمساعدة مستر ويستون .. ولكنه كان خائفا من ازدياد تســاقط الثلج .. وخائفا أكثر على حبيبته المسكينة « ايزابيلا » عندما يشتد الظلام .. وتسير العربة

فى طريق وعر .. وهناك أيضا .. ايما المسكينة فى العربة الخلفية .. ولم يدر ماذا يفعل .. وقال أنه من الأفضل أن يجتمعوا كلهم فى عربة واحدة .. اذا ما استطاعوا .. وتكلم مع جيمس وطلب منه أن يسير ببطء شديد .. وأن يلاحظ ترابط العربتين .. واتصالهما الدائم ..

وقفزت ايزابيلا بجوار والدها .. ثم جون نايتلى .. الذى تناسى بأنه لا ينتمى اليهم .. وجلس الى جوار زوجته ايزابيلا بكل بساطة .. وعلى ذلك .. وجدت ايما نفسها تصعد الى العربة الثانية .. ويلحق بها مستر ايلتون .. ليجلسا سويا .. معا فى العربة « وجها لوجه » .. وأغلق باب العربة هكذا بكل قسوة .. للحظة مريعة .. لم تكن متوقعة .. وختاما غير سعيد ليوم بهيج . .ولو أنها كانت سعيدة به منذ لحظات .. وافاضت فى الحديث معه عن عزيزتهما هارييت .. الا أنها فى هذه اللحظة . .كان لابد لها من تحمله ثلاثة أرباع ميل .. هكذا حدث .. وأنه يبدو .. أنه قد أكثر من شرب نبيذ مستر ويستون المعتق .. وأصبح فى حالة متسيبة .. تدفعه للكلام دون توقف .. وبلا وعى .. أو شعور .. ولكى تمنع من استرساله فى طرق أى موضوع .. غير مستحب اليها ..فى الحال .. ابتدأت هى فى صياغة المواضيع .. تكلمت عن القطس .. وعن الثلوج .. وعن هذا الليل .. ولكن ما أن اخترقت العربة بوابة المنزل .. حتى كانت مواضيعها .. هباء .. واذا بمسـتر ايلتون .. يطارحها الغرام .. مستر .. ايلتون حبيب هارييت .. أصبح عاشقا متيما بها .. عابدا « لها » يتمنى .. ويأمل .. ويخاف أن تصده .. وهو الذى يذوب وجدا وغراما ...

وهكذا كان .. بدون أى اعتذار .. تدفقت كلمات العشق من فمه .. مستر ايلتون .. حبيب هارييت .. أصبح عاشـقا لها .. حاولت أن توقفه عند حده .. حاولت أن تصده .. أن تمنعه .. أو توقظ ضميره .. أن .. وأن .. ولكن دون جدوى . كان كالطوفان .. مندفعا فى تدفق عواطفه بلا حدود وشعرت أنه مخمور .. وصمتت على مضض .. حتى تمر هذه الساعة بخير .. وفكرت فى أنها يمكن أن تتماشى معه هـذه

الفترة القصيرة لتمر بسلام ٠٠ وتنقشع عنه هذه الحالة ٠٠ غير الطبيعية ٠٠قالت :

— أننى مندهشة جدا يا مستر ايلتون ٠٠٠

هل هذا الكلام لى أنا ٠٠ لقد نسيت نفسك ٠٠ أنك قد خلط بينى وبين صديقتك ٠٠ أى رسالة ٠٠ أى خدمة أقدمها لك ٠٠ وأوصلها لمس ســـميث ٠٠

وأضاف كلماتها باستهزاء ٠٠ واستخفاف ٠٠ وتهكم :

— مس سميث ٠٠ رسالة لمس سميث ٠٠ هاه ٠٠٠

ومضى فى التفكير ٠٠ ماذا تقصد هى بهذا الكلام ٠٠ أنه يؤكد لها غرامه بها هى ٠٠ ماذا تقول :

قالت :

— مستر ايلتون ٠٠ هذه حالة لا تحتمل ٠٠ حالة غير طبيعية ٠٠ انك لست أنت ٠٠ لا يمكنك أن تتكلم معى أو مع هارييت بمثل هذه الحالة ٠٠ التزم ٠٠ وركز نفسك ٠٠ حتى لا تزيد فى القول ٠٠ وأننى على استعداد للمغفرة ٠٠ والنسيان ٠٠

ولكن مستر ايلتون ٠٠ كان قد قصد شرب الخمر ٠٠ لبث الشجاعة فى أعضائه ٠٠ وأعصابه ٠٠ فى روحه ٠٠ فى مشاعره ٠٠ وفى فك عقدة لسانه ٠٠ أنه يعلم جيدا ما يقول ٠٠ وقد قصـــد فعلا أن يقوله ٠٠ أنه لا يريد أن يسمع اسم « مس سميث » أنه يطرق الموضوع ٠٠ رأسا لها هى ٠٠ وأنه مشتاق لأن يسمع اجابة سريعة على تساؤله ٠٠٠

وبعد معركة عنيفة ٠٠ بين مشاعرها المتضاربة ٠٠ تمالكت نفسها لتقـــول :

— لم يعد هناك أى شك ٠٠ فى أنك قصدت أن تظهر نفسـك على حقيقتها ٠٠ يا مستر ايلتون ٠٠ ان دهشتى فوق ما يمكن تصوره ٠٠

(ايمـــا)

أو التعبير عنه بعد كل هذه المحاولات ‥ والخدمات من جانبى ومعايشة مشاعرك وعواطفك مع « مس سميث » بعد كل هذا الاهتمام ‥ والحب الذى لمسته منك من ناحيتها يوميا ‥ بعد أن أوقفت نفسى على التوفيق بينكما ‥ بعد أن وضعتنى هذا الوضع ‥ تتحول بعاطفك نحوى أنا ‥ هذه أخلاق غير سوية ‥ حقيقة لم أكن أنتظرها منك أبدا بعيدة كل البعد عن التماشى معك فى هذه الوظيفة وهذه اللعبة الحقيرة ...

صاح مستر ايلتون :

ـــ ياللسماء ‥ يا الهى ‥ ما معنى هذا ‥ كيف يمكن تفسير ذلك مس سميث ‥ مس سميث ‥ أننى أبدا لم أفكر فى مس سميث ولم اجعلها فى يوم ما ‥ هــدفا لمشــاعرى ‥ أبدا لم أعطها ‥ أى اهتمام ‥ ولكن ‥ لأنها ‥ صديقتك ... أننى لم أهتم ‥ ولا أهتم ‥ ولن أهتم ‥ اذا ما كانت حية ميتة . اذا ما كان قد حدث أى لبس ‥ وتصورت أنه يمكننى مبادلتها العاطفة فهذا شىء محزن ‥ محزن للغاية ‥ وأننى آسف جدا لهذا الالتباس الكريه ‥ وسوء الفهم غير المقصود ‥ مس سميث ‥ « مس سميث » ولكن ‥ هل حقيقة يمكن أن يفكر انسان فى مس سميث اذا ما كانت بالقـــرب منه « مس وود هاوس » لا ‥ لا ‥ بشرفى لا ‥ وبكل الصـدق ‥ ليس هناك أى التواء فى الشخصية ‥ أننى أبدا لم أفكر الا فيك أنت ‥ أبدا ‥ لم اول أى شخص آخر اهتمامى ‥ هى أنت ‥ أنت ‥ من البداية للنهاية ‥ وأى شىء فعلته ‥ أو قدمته ‥ أو قلته ‥ لم يكن الا حبا ‥ وهياما ‥ واعجابا ‥ وارضاء لك ... حقيقة ‥ أنت لا تقولين الصدق ‥ أنت لست جادة فيما تقولين ‥ لا تشكين فى عواطفى ‥ بالطبع ‥ بالطبع ‥ نعم ‥ نعم ‥ تماما ‥ أنت لا تشـــكين فى عواطفى ‥ أننى متأكد تماما ‥ من أنك قد رأيتينى ‥ وسمعتيننى ‥ وفهمتيننى تماما ‥ تماما .

من المستحيل وصف مشاعر « ايما » فى هذه اللحظة ‥ وعند سماعها مثل هذه المشاعر الفياضة ومن كل ما سمعت ‥ ورأت ‥ وراحت

فى ذهول صامت ... شجع مستر ايلتون على الاستمرار فى المفاجاة .. وحاول أن يمسك يدها بين يديه .. ثابتا .. موضحا « بابتهاج وفرح » :

— انت ايتها الساحرة .. مس وود هاوس .. اسمحى لى بأن أقطع لحظة الصمت الرائعة هذه التى تعترف بأنك قد فهميتننى منذ زمن بعيد ...

صرخت ايما :

— لا .. لا يا سيدى .. انها لا تعترف بشىء بعيد .. بعيد جدا عن فهمك .. لقد كنت هائما فى اخطائك طوال فترة الصمت هذه .. بالنسبة لى أننى شديدة الأسى .. والأسف ... لأنك قد أعطيت مشاعرك ورغباتك .. اوهاما خاطئة .. لا شىء سوف يغير من ارادتى وفهمى .. ورغباتى .. صلتك بهاربييت سعادتك بالقرب منها .. وأنا كنت أساعدكما .. وأتمنى لك النجاح .. وهل تعتقد أن زياراتك لنا فى هارتفيلد كانت تخفى على .. وهل تعتقد بأننى لم أدرك .. مدى تفكيرك .. واهتمامك الجدى بها ...

صاح هو بهياج شديد :

— أبدا .. أبدا .. لم يحدث .. لم يحدث .. أننى أؤكد لك .. بل أقسم .. بأننى لم أفكر جديا .. وأبدا لم أفكر فى « مس سميث » .. مس سميث نوع طيب .. لطيف من الفتيات وأكون سعيدا لو استقرت حياتها .. وأخذت وضعها الطبيعى باحترام وثقة .. واتمنى لها رغبة طيبة أكيدة .. وأننى لا أشك مطلقا فى أن هناك رجالا كثيرين لا يأبهون بموضوع الـ .. ؟ .. لكل شخص مستواه .. ومنبته .. لكن « بالنسبة لى انا .. لا .. وأبدا لا .. لا .. فاننى أفكر كثيرا .. كثيرا جدا .. قبل الضـــياع ..

اننى لا أريد أن أحدد مصيرى بتساو يائس .. ليس لدى الاستعداد .. لا علن نفسى مساويا لمس سميث .. لا .. لا يا سـيدتى .. أن

زياراتى لهارتفيلد لم تكن الا لك ·· لك أنت ·· وانت وحدك فقط ·· والتشجيع الذى تلقيته منك ··

قاطعته ايما بهياج وغضب :

ـــ تشجيع ·· أى تشجيع يا ســـيدي ·· أنا أعطيتك تشجيعا يا سيدى ·· ماذا تقول ·· انك مخطىء فى تصورك ·· لقد وجدت فيك معجبا فقط لصديقتى الصغيرة ··· ومن كل النواحى وفى نظرى ·· لم تكن الا انسانا عاديا ·· ولم تكن أكثر من رجل عادى ·· أننى شديدة الأسف ·· ولكن ·· الآن ·· يجب أن تنتهى هـــذه الغلطة الشنيعة ·· تنتهى قبل أن تبتدىء ·· مس سميث ·· يجب أن تعرف نظرتك اليها ·· ولكن ·· على الأرجح ·· بعيدا ·· بعيدا جدا عنى أنا ·· وليست لدى أى فكرة عن استمرارها ·· ويجب بترها فورا ···

وغضب غضبا شديدا عند سماعه هذه الكلمات ·· التى أوقفته عند حده ·· بلا أى دعوة للاستمرار فى حديث انتهى ·· وكان عليهماأن يقطعا الدقائق الباقية من الرحلة ·· فى صمت قاتل ·· ولولا خوفه من ملاحظة مستر وود هاوس ··· لنزل من العربة ·· وأكمل طريقه سيرا على الأقدام ·· لقد كان غضبه شديدا عارما ·· ولم تشعر ايما الا والعربة تقف أمام منزله ·· ويهبط سريعا ·· ليجد نفســـه أمام الباب ·· فلم تتمالك نفسها من أن تجامله بتحية المســـاء ·· التى أعادها اليها ·· ببرود وكبرياء ·· وفى مثل هذه المشاعر الغريبة وجدت ايما نفسها قد وصلت فى النهاية الى « هارتفيلد » ···

وبمحبة واشتياق ·· قابلها والدها ·· الذى كان خائفا عليها ·· فانه يعتقد أنه لا يوجد سائق ماهر ·· سوى جيمس ·· ويبدو أن حضورها ·· جعل كل شىء يسير سيرا حسنا ·· فان مستر نايتلى ·· كان خجلا من تصرفاته المريضة ·· وبدا فى منتهى اللطف ·· والانسانية ·· مبتهجا براحة والدها ·· وكان اليوم التالى ·· هـــادئا لطيفا ·· للجميع ·· الا هى ·· فلم يكن ذهنها صافيا ·· بل تختلط فيه الأمور ·· بالكلمات

.. بالعواطف .. ذاهلة .. حائرة .. متعجبة .. وكانت فى حاجة شديدة الى تركيز .. واهتمام وتماسك .. حتى تبذو .. طبيعتها كما هى .. وحتى تنعكس اشـــعاعات حيـــويتها .. وذكائها على كـــل المحيطين بها ...



الفصل السادس عشر

وتم تصفيف شعرها ٠٠ ثم صرفت الوصيفة ٠٠ وجلست ايما ٠٠٠ لتفكر ٠٠ فى تعاسة ويأس ٠٠٠

لقد كان عملا فاشلا حقا ٠٠ كل ما كانت تتمناه ٠٠ وتخطط من أجله ٠٠ انقلب رأسا على عقب ٠٠ هكذا ٠٠ حب هارييت ٠٠ ان هذا ألعن ما فى الموضوع ٠٠ كان كل شىء يسير سيرا حسنا ٠٠ ولكن فى صالح هارييت ٠٠

هل كانت مخطئة ٠٠ هل فشل تقديرها هل كان ما فعلته ٠٠ خاطئا ٠٠ تماما ٠٠

وقالت لنفسها :

« اذا لم أضغط على هارييت ٠٠ وأحول عواطفها نحو هذا الرجل ٠٠ ما كان حدث ما حدث به ولم يكن هناك أى ضرر فى تحويل عواطفه نحوى ٠٠ ولكن المسكينة ٠٠ هارييت ٠٠ كيف يمكن تكييف هذا الأمر ٠٠ لقد اعترف بأنه لم يفكر أبدا فى هارييت ٠٠

وعادت بذاكرتها الى الوراء ٠٠ تسترجع الأحداث ٠٠ لقد أخذت الموضوع مأخذا جديا ٠٠ وخططت ٠٠ وسارت به الى أبعد الحدود ٠٠ الصورة ٠٠ كم كان فرحا ٠٠ مغرما بالصورة ٠٠ واللغز ٠٠ ومئات المناسبات والظروف الأخرى ٠٠٠٠ وتأكدها من أن اللغز كان اعترافا صريحا ٠٠ ولكن « العيون الناعمة » من كان يقصد ٠٠ من كان يستطيع الدخول الى عقل مثل هذا الرجل ٠٠

واعترفت بأنها قد أخطأت فى التقدير ٠٠ وفى تقدير اخلاقيات هذا الرجل ٠٠ ولكن تصرفاته كلها كانت تدل على احترام لها ٠٠ ومعزة لصداقتها لهارييت ٠٠

لقد لفت نظرها من قبل ٠٠ مستر جون نايتلى ٠٠ نعم ٠٠ لقد نبهها الى اهتمام مستر ايلتون بها ٠٠ بل وغرامه ٠٠ وحول تفكيره فى الاهتمام بفكرة زواجه منها ٠٠ ولكنها لم تكن ترى فى مستر ايلتون ٠٠

غير شخص فخور بنفسه لا يهتم بمشاعر وعواطف الآخرين ...

وهى ترى فيه رجلا يريد الارتفاع على حسابها .. فانها لم تشعر بصدق عواطفه .. ولا بحرارتها .. انها كانت كلمات جوفاء .. يطلقها بصوت ناعم .. ليس به أى ارتعاشات وانفعالات الحب .. أنه فقط يريد الفوز بحب « مس وود هاوس » من هارتفيلد .. « ذات الثلاثين ألف جنيه سنويا » ولم يكن من السهل عليه الحصول على كل هذا الا بالتلاعب بالعواطف .. وانها تؤمن بأنه لو فشل فى الفوز بها .. فأنه ســوف يستدير على الفور الى أى « مس » أخرى .. دخلها ٢٠ ألف وحتى ١٠ آلاف .. سنويا فهذا لا يهم .. المهم هو الدخل .. فقط ...

ولكنه يتكلم عن تشجيعه .. وهذا يعنى .. أنه يقصد الزواج .. وعن تلميحه بعدم تناسب هارييت معه .. شىء مضحك حقا .. يجب عليه أن يعلم ... أنها هى « ايما » ترقى عنه مكانة .. عليه أن يعلم أن عائلة .. « وود هاوس » لها مكانتها منذ عــدة أجيــال ... فى « هارتفيلد » .. فرع صغير من عائلة تاريخية عــريقة .. وأن عائلة « ايلتون » لاشىء لاشىء بجانبها .. ولم يظهر مستر ايلتون فى المجتمع الا من سنتين فقط .. وهى الأصل والجذور والأصــالة .. العراقة .. والنسب والأمجاد ... عائلة عريقة .. راسخة .. كلها أريحية وكرم .. وهو لا يملك الا افتعاله الرقه .. والمرح .. وهى أن كانت قــد جرحت مشاعره قليلا .. فلكى توقفه عند حده .. ولم تكن مخطئة أبدا فيما فعــلت ..

الغلطة الأولى ـ والاسوأ تقبع هنا .. عند باب بيتها .. لقد كان من البله والغباء .. أن تتخذ بجميع الناس أو بمعنى أصح .. تزويجهم .. ملهاه لها .. كانت مغامرة بعيدة ولعبة تبدو لها فى غاية البساطة.. ولكنها انتهت بعقدة مريعة .. وهى تشعر الآن .. بالخجل .. الخجل الشديد والعار .. من فعل مثل هذا الشىء الذى لن تعود اليه .. مطلقا .

قالت لنفســها :

ـــ أنا .. هل أنا التى دفعت المسكنة هارييت فى طريق هذا

الرجل ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ هى أنا ٠٠ أنا التى قربتها منـــه ٠٠ ولفت انظارها اليه ٠٠ أنها لم تكن تفكر فيه أبدا بل كان كل تفكيرها ٠٠ منصبا على أنا ٠٠ كنت سعيدة مستمتعة ٠٠ وهى ٠٠ فعلت ما فعلت لرغبتها فى اسعادى أنا ولكن ٠٠ اذا ما كنت قد ابتدأت ٠٠ بهذا التكتيك ٠٠ كان من الواجب على بعد ذلك أن أتوقف ٠٠ وأترك كل شيء للزمن ٠٠ والحظ ٠٠ والقدر ٠٠ لقد أعطيتها فعلا ٠٠ فرصة الانتماء الى مجتمع أفضـل ٠٠ فكان فى هذا الكفاية لانتشالها من وحدتها ٠٠ ومجتمعها ٠٠ والآن ٠٠٠ الفتاة المسكينة ٠٠ ماذا تفعل ٠٠ أننى لا أشكل لها الا نصف صديق ومن سوف أجد ٠٠ ليعوضها عن هذا البـــديل ٠٠ الآخر ٠٠ من ياترى يكون مناسبا لها ٠٠ مســـتر وليام كوكس ٠٠ لا أنه ٠٠ أنه ٠٠ ما هو الا محام صغير ٠٠ سفيه ٠٠

وأحمر وجهها ٠٠ ثم ضـحكت لتفكيرها التـــافه ٠٠ واستجمعت أفكارها ٠٠٠٠٠ لتركزها بجدية تامة ٠٠ لقد فعلت شـــيئا رديئا جـدا للمسكينة هارييت ولابد من أنها سوف تقاسى ٠٠٠ وتتألم ألما شديدا ٠٠ ولابد أيضا أن تشغلها بأعمال كثيرة تنسيها صدمتها ٠٠٠ وكانت ليلة ليلاء ٠٠ كلها ألم ٠٠ وتعاسة ٠٠ وتأنيب ضمير ٠

ولكن ٠٠ شباب وحيوية ايما ٠٠ تمكنتا فى الصباح ٠٠ من اضفاء روح الأمل والاشراقة على مشاعرها ٠٠ ونظرتها ٠٠ ومحت عنها آلام الليل ٠٠ وأتت اليها باشراقة حب وأمل ٠٠ جديد ٠٠

لقد كان شيئا كبيرا جدا ٠٠ أن يكون مستر ايلتون ٠٠ غارقا فى حبها ٠٠٠ معجبا بها كل هذا الاعجاب ٠٠ وهارييت لم تكن المخلوقة التى ترضى عواطفه ٠٠ وأن هارييت كما قال ٠٠ لن تكون بذات فائدة لأى شخص آخر ٠٠

وكانت هذه أفكار بهيجة حقا ٠٠ بعد ليـــــل كـله ثلوج وآلام ٠٠ وحيرة ٠٠٠ وقلق ٠٠٠

أما الطقس ٠٠ فكان صقيعا وثلوجا ٠٠ حتى أنه حبســـها لمدة

طويلة ..... أصبحت فيها كالسجينة .. يبتدىء اليوم بأمطار وثلوج .. وينتهى الليل بصقيع وجليد .. ومنعها كل ذلك من الخروج والذهاب الى الكنيسة ... أو حتى الاتصال بهارييت .. ولا حاجة بها الآن .. لانتحال الاعذار لغياب مستر ايلتون ..

لقد كان طقسا يجبر كل شخص على الهجوع فى بيته .. وكانت تتألم لوالدها .. وتبغى له صحبة ممتعة ...

قال مستر وود هاوس :

— آه .. مستر نايتلى .. لم لا تبقى أنت أيضا بالمنزل .. مثل المسكين مستر ايلتون ...

وكانت هذه الأيام .. بالنسبة لايما ... أياما مريحة .. لتركيز افكارها ... وأيضا لتحسين الجو بين مستر نايتلى ووالدها .. وبعد تصرفاته السفيهه فى « راندالز » .. فانه فى هذه الفترة حاول أن يتعامل برقة ولطف .. ويتكلم بكل بساطة وحبور .. مع كل شخص .. ولكن ..مع كل هذه المتعة والسعادة ... والجو العائلى المريح .. كان هناك شبح يهدد صفو سعادتها .. هو « كيفية تفسير الموقف لهارييت ... كان من المستحيل عليها تصور ما يمكن حدوثه ... وكان هذا الأمر .. يسبب لايما .. انزعاجا « كبيرا » ...

الفصـــل السابع عشـــر

من الطبيعى ‥ أن زيارة ‥ مستر ‥ ومسز جون نايتلى كان لابد لها أن تنتهى ‥ بتحسن الطقس ‥ ومع كل الحاح ‥ مستر وود هاوس ‥ لابنته ايزابيلا … أن تبقى معه ‥ هى ‥ والأولاد ‥ الا أنه فى النهاية ‥ وجد أن كل محاولاته قد ذهبت سدى ‥ وأن المنزل قد أصبح خاويا ٠ الا منه ‥ ومن تأوهاته ‥ على المسكينة ايزابيلا التى تفنى نفسها لأولادها ‥ وعائلتها ‥ لا تشعر أبدا بغلطاتهم ‥ ولا هفواتهم ‥ وانها المثل الأعلى للأنثى ‥ الكاملة ٠

ومع لياليهما المعتادة ‥ ايما ووالدها ‥ وصلت مذكرة فى ليلة ما ‥ من مستر ايلتون ‥ موجهة الى مستر وود هاوس ‥ يرسل تحياته ‥ ويخبره بانه مزمع على الرحيل من « هايبرى » فى اليوم التالى ‥ متوجها الى « باث » لقضاء بضعة أسابيع بدعوة من بعض الأصدقاء ‥ وأنه كان يتمنى أن يراه قبل رحيله ‥ ولكن الظروف لم تسمح له بذلك …

وقابلت ايما هذه الأخبار ‥ بدهشة مرحة ‥ فأن غياب مستر ايلتون فى هذه الظروف بالذات كان شيئا مرغوبا فيه ‥ وأعجبت به لهذا التصرف …

لم تكن الرسالة موجهة الا لوالدها ‥ أما هى ‥ فلم يذكر اسمها ‥ ولم يرسل اليها أى تحية ‥ مما أثار تعجب وتساؤل والدها …

على أى حال ٠ فان والدها ‥ كان مندهشا جدا لهذا الرحيل المفاجىء ‥ وخوفه من انه سوف يلاقى مكروها فى هذا السفر ‥ ومن تعليقاته ‥ أنه لم يجد شيئا مهما فى هذه المذكرة ‥ أما ايما ‥ فكانت فى انطلاقة مشاعرها ‥ لآفاق أخرى …

فقد صممت على الا تترك هارييت فى الظلام أكثر من ذلك ‥ ولابد أن تكون الآن قد تماثلت قليلا للشفاء ‥ من البرد الذى كانت تعانى منه ‥ وهذه فى اعتقادها ‥ أنسب فرصة لاخبارها ‥ بالموضوع ‥ قبل عودة الرجل …

وعلى هذا الأساس . ذهبت فى اليوم التالى الى مسز جود ارد .. وكانت كل توقعاتها خاطئة وكل تصوراتها فى الاسابيع السنة الماضية .. ابعد ما تكون عن الحقيقة ... وكان الاعتراف .. أول ما أثبت خجلها .. ومنظر هارييت .... ودموعها .. جعلها تؤمن .. بأنها لن تحترم نفسها أبدا ... ولن تغفر ما عاشت .. فعلتها الشنعاء .. وأبدا .. لن تحيا فى سلام .. بينها وبين نفسها .

ولم يكن هناك من تؤاخذه هارييت على هذا العمل .. ولم تكن تلوم أحدا .. فان مشاعر وعواطف رجل .. مثل مستر ايلتون .. كان من الكثير عليها أن تصدقها .. وانها كانت تؤمن دائما .. بأنها لا تستحق .. ولكن .. كصديق وحبيب ... لمس وود هاوس فأن هذا معقول .. ومعقول .. ومقبول .. وممكن .. بل ومناسب لها تماما .

وانهمرت دموعها مدرارا .. سيولا وأنهارا .. مما جعل ايما .. تحتقر نفسها .. وأصغت اليها .. واستمعت اليها .. وحاولت بكل مشاعرها .. وعواطفها أن تهون عليها .. الموقف .. وفى الحقيقة اذا كان هناك من أبدى تفوقا .. وسموا .. فانها هى .. « هارييت » وحدها .. كانت أفضل منها هى .. ومن مستر ايلتون .. وعاهدت ايما نفسها على أن تقف حياتها لراحة هذه النفس ما عاشت ...

وكان الشىء الثانى الذى يجب عليها تنفيذه .. هو العمل على راحة هارييت .. لا أن تحاول أن تلعب معها دور الخاطبة مرة أخرى .. بل أخذتها معها الى هارتفيلد .. وحاولت أن تشغل كل وقتها بالكتب .. وتسليتها بالاحاديث .. واللعب .. لتبعد عنها .. التفكير .. فى مستر ايلتون ...

وبعد ذلك .. كان على ايما أن تكيف الأمور وأن تعمل على عودة المودة ... .. واللقاءات مع مستر ايلتون .. بمواجهة صريحة .. دون ما تورية فى المشاعر والعواطف .. دون ما خيانة من أحد .. أو خوف .. بل للحقيقة الواضحة .. ووضع النقط على الحروف ...

وفى الحقيقة ·· كانت هارييت مغرمة بمســـتر ايلتون ·· كانت لا ترى أى انسان يسمو اليه ·· وبدا لايما أن هذا طبيعى جدا ·· فهى قد حولت عواطفها البكر اليه ·· وكان هو أول رجـــل فى حياتها ·· فلا غرو من التهاب مشاعرها ·· بحبها الأول ···

وعلى أى حال ·· سوف يتوقف كل هذا على عودة مستر ايلتون·· فأنه اذا ما تناسى عواطفـــه نحوها ·· فانها ســـوف تظهر له ما تكنه هارييت له ·· من مشاعر حب صادقة ···

وكان هذا هو ما تقرر ·· وكان هذا هو أسوأ ما فى الأمر ·· على ثلاثتهم مواجهة هذا الموقف ومعاودة الاتصال والصداقة ·· وعلى كل واحد منهم أن يجتهد لحسم هذا الموضوع الشائك ···

وكانت هارييت ·· السابقة فى اثارة هـــذا الموضوع فان مســتر ايلتون ·· كان معشوقا من كل المدرسات عند مستر جود ارد ·· والبنات الكبيرات ·· أيضا ·· وحاولت هارييت أن تبدو طبيعية ·· وبأنها قد شفيت فعلا من مرضها ·· ومن حبها ··· وحاولت أن تقنع نفسها ·· وتقنع ايما ·· بأنها ليست وحدها من تحبه · بل كل من يصادفه يحبه ·· فهذا اذا ·· شىء طبيعى جدا ···

ولكن ايما بالرغم من محاولة اقناع نفســـها بأن هارييت فى دور النقاهة ·· من المرض ·· ومن الحب ·· الا أنها ·· أبدا ·· أبدا ··· لم ·· ولن تجد الراحة ·· والسلام ·· مع نفسها ···

الفصـــل الثامن عشـــر

فى الوقت المتوقع .. لحضـــور مســـتر فرانك تشرشل .. كانت مخاوف مسز ويستون .. تزداد .. لئلا يحضر .. وفعلا .. وصل خطاب منه يعتذر فيه لعدم وجود وقت عنده .. ويعد بالحضـور عندما تسمح له الظروف ..

وفى الحقيقة .. لقد صدمت مسز ويستون أى صدمة .. بل وأكثر من زوجها ان رغبتها فى رؤية الشاب .. كانت كبيَرَة .. ولكن دائما .. لا تتحقق الآمال وفق ما تشتهى .. وسرعان ما طار الأمــل الأول .. ليعود غيره .. ولنصف ساعة .. كانت دهشة مسز ويستون .. وغضبها شديدا .. ولكن سرعان ما خفت حدته .. عندما أقنعها زوجها أن حضور فرانك .. بعد شهرين أو ثلاثة أفضل كثيرا من حضوره الآن .. وأن هذا الوقت مناسب جدا وأنه فى هذه الفترة .. يمكنه أن يمكث بينهم مدة أطول من أنه لو حضر الآن ...

وهكذا خفت وطأة المفاجأة .. وحل محلها الارتياح تدريجيا .. ولكنها كانت تعيد قراءة الاعتذار .. ومع أن زوجها قد تناسى الأمر .. الا أنها ظلت تقاسى منه فترة طويلة ...

ولم تكن ايما .. فى هذه الفترة .. فى حالة تسمح لها .. بالاهتمام بحضور مستر فرانك تشرشل .. أو عدم حضوره .. فان الصحبة فى الوقت الحالى .. لم تكن لتبهجها .. لقد أرادت أن تبعد عن كافة أنواع الاثارة والاغراء .. كما أنها ارادت أن تبدو دائما - بحالتها المعهودة .. وشخصيتها الطبيعية .. حتى يمكنها أن تتعايش مع مستر .. ومســز ويستون وتشاركهما مشاعرهما فى هذه الصدمة .. تعبيرا عن صداقتها .. وحبهـــا ...

وكانت ايما أول من أعلن الخبر لمســتر نايتلى .. وعن انعكاسه السيء فى أهل « راندالز » ...

أجاب مستر نايتلى ببرود :

— ولكننى أقول .. أنه يجب عليه أن يحضر وقتما يريد ...

— أنا لا أعرف .. لم تتكلم هكذا انه يتمنى أن يحضر ولكن خاله وزوجة خاله .. لن يسمحا له بذلك ...

— أنا لا أصدق أنه ليست لديه الشجاعة الكافية عندما يقـــرر الحضور .. فانه عليه أن ينفذ ... أن هــذا شيء بعيد التصـــديق .. ويحتاج الى دليل .... أو برهان ..

— كم أنت شاذ .. ماذا فعـــل لك مستر فرانك تشرشل حتى تصوره كمخلوق غير طبيعى ...

— انا لا أتصوره مخلوقا غير طبيعى .. ولكننى أعتقد .. أنه قد نال من التعليم القدر الذى يسمح له .. أن يقـــرر أموره بنفسه .. لا شيء بل متعته ومسراته الخاصة .. والعيش بين أناس جعلوه مثالا لهم .. ولا غرو فى أن معايشته .. وحياته .. مع أناس .. متكبرين.. انانيين قد جعله هو الآخر .. متكبرا .. انانيا مثلهم .. وأننى أعتقد أيضا .. أنه اذا ما كان فرانك تشرشل يرغب فى رؤية والده .. لقـــرر الحضور فى الفترة بين شهر سبتمبر .. ويناير .. رجل فى مثل عمره .. ما هو ـ ثلاثة .. أو أربعة وعشرون ولا يقدر ان يفعل ما يريد .. هذا مستحيل .. مستحيل ...

— هذا يمكن قوله بمنتهى السهولة فى مثل ظروفك وحالتك .. لأنك تشعر بهذا .. ولأنك سيد نفسك ـ وسيد أفعالك .. وسيد وقتك .. انك اردأ قاض ى العالم يا مســـتر نايتلى .. من الصـــعوبات .. من الالتزامات .. من الارتباطات التى لا تعرها أنت .. ولا يمكنك أبدا ان تشعر بها .. أن تحكم فيها ..

— ان هذا شيء غير طبيعى .. لرجـــل الرابعة والعشرين .. ليست عنده حرية التفكير .. والتصرف أنه لا يريد مـــالا .. ولا يريد حرية .. ولا يريد شيئا .. ان عنده كل شيء .. اننا نسمع عنه كثيرا .. أنه يحكم المملكة .. وانه يذهب الى أى مكان يريده .. وقتما يريد ..

ومن وقت ليس بالقصير ٠٠ ســـمعنا أنه كان بشاطىء ما ٠٠ ثم بمكان آخر ٠٠ وهذا يدل على أنه يمكنه فـــراق ٠٠ « التشرشلز » وقتما يريد أن ٠٠ يفارقهم ٠٠٠

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ ربما ٠٠ فى بعض الأحيان ٠٠ وفى بعض الأوقات ٠٠ وهو يستطيع ٠٠ ولكن ٠٠٠

— وهذه الأوقات يستطيعها ٠٠ اذا ما كان يعرف أنها تعطيه بعض المتع والمسرات ٠٠٠

— ان هذا ليس عدلا بالمرة ٠٠ لكى تحكم على أناس ليست لديك أية فكرة عن أحوالهم ٠٠ وظروفهم ٠٠٠ أو حتى تعـــرف شـــيئا عن عائلتهم ٠٠ انه كان يجب أولا : أن تتعايش مع عائلة « لانسكومب » وتعرف أخلاق مستر تشرشل ٠٠ قبل أن تقرر ٠٠٠ ما يقدر أن يفعله ٠٠ وما لا يقدر ٠٠ ربما يمكن أن يفعل اشـــياء فى أماكن ٠٠ ومع أشخاص ٠٠ لا يمكن أن يفعلها فى أماكن أخرى ٠٠ أو مع أناس آخرين ٠٠٠

— هناك شىء واحد فقط يا ايما ٠٠ ما يمكن أن يفعله الرجل - حينما يختار ٠٠ وهذا الشىء هو واجبه ٠٠ ان من واجب فرانك تشرشل أن يعطى بعض اهتمامه لوالده ٠٠٠ أنه يعد ٠٠ ويسأل بخطاباته ٠٠ ولكنه ٠٠ لا يفعل ٠٠ واعتقد انه اذا ما أراد أن يفعل ٠٠ فيمكنه بالفعل أن يفعل ما يريد ٠٠٠ أن الرجل ٠٠ يجب أن يضحى بكل شىء ٠٠ فى سبيل والده ٠٠ أنا أعلم بأن هذا سوف يسيئه لو سمع منى ما أقول ٠٠ ولكننى فى الوقت الحاضر لا أكن له أى احترام لهذا الفعل الحقير ٠٠٠

قالت ايما ضاحكة :

— ولكن ٠٠ ربما يكون هناك سبب آخر لعدم حضوره ٠٠ لا أحد الا أنت من يتصور هذه التصورات ٠٠ من عدم حضوره ٠٠ ولـــكن ٠٠ بالرغم من كل هذا ٠٠ فانه لا توجد لديك أية فكرة عن الموقف ٠٠ لو أن مستر فرانك تشرشل ٠٠ وقف فى منتصف الحجرة ٠٠ وصاح فى خاله وزوجة خاله بأنه يصمم على الذهاب ٠٠ الى والده ٠٠ أى تصرف تعتقد يكون هذا التصرف ٠٠٠

— صدقينى يا ايما ·· الرجل الرقيق المشاعر ·· الذى ينتمى الى أبيه ·· لابد وأن يفعل ذلك - وأن يتحدى الجميع - العواطف يجب أن تضاف الى الاحترام ··· وابن الأخت الذى كان بارا بهم يجب أن يكونوا هم أيضا بارين به ···

أنهم يعرفون - كما يعرف العالم كله - أن هذه الزيارة ·· يجب ·· ويجب أن تتم ·· وبسرعة ·· ويجب أن يرى والده ·· وبينما يتوقع الأب ·· ونتوقع نحن حضوره ·· نجد هذه الاعذار الواهية ··

— اننى اشك في هذا ·· انك مغرم باختلاق هذه الأراجيف ·· وانك دائما تهاجم أصحاب السلطة والنفوذ ·· اننى يمكن بكل بساطة أن أتصور ·· أنك أنت يا مستر نايتلى ·· اذا ما استبدلت مكانك ·· ووضعت فى مكان مستر فرانك تشرشل ·· فى هذه الحالة ·· كان يمكنك أن تتكلم تبعا للوضع ·· والحالة ·· وربما يكون لحديثك تاثيرا أكبر ·· وايضا لا يمكن « للتشرشلز » أن يفندوا اقوالك ·· لأنك تتعايش معهم ·· وتقول حقائق ··· ولكن بوصفك الحالى ·· وأنت لا تفهم ظروفهم ·· ونظمهم ·· وحياتهم ·· فاعتقد بأنه لا حق لك فى هذه المهاجمة ·· ولا حق لك فى الكلام ·· وأنت فى مثل هذه الظروف ···

— اذا ·· لقد فشلت ···

— أبدا ·· بالعكس ·· اننى فقط ·· ارجو ·· وأريد منك أن تحاول فهم ·· ذلك الرجل اللطيف ·· المحبوب وتسير معه أطوار حياته ·· وتشعر بشعوره ·· فى عائلته طفلا ·· وفتى ·· وشابا ·· وأن تتعايش مع كل ظروف ·· وأطوال حياته ···

— رجلك الحبيب المحبوب هذا ·· هو رجل ضعيف جدا ·· هذا هو رجلك ·· اذا ما كان لم يتصرف الحق ·· وفعل ما فعل ضد رغبة الآخرين ·· فى الوقت الذى كان يجب عليه أن يقوم بواجبه ·· بدلا من المناقشات والخطابات ·· اننى يمكن أن أسمح له بمخاوف طفل ·· ولكن لا أسمح له بتاتا بمخاوف رجل ·· كان يجب عليه أن يقف بجانب والده ·· هل هذا صعب ·· هل هذا كثير ···

صاحت ايما :

ـــ اننا أبدا .. لن نتفق فى رأى عليه ... ولكن هذا ليس بشىء غير عادى .. وليست عندى على الأقل .. أية فكرة عن كونه رجـــلا صغيرا ضعيفا .. ولو أننى متأكدة بأنه ليس كذلك .. مستر ويستون .. ليس بأعمى .. ولا بجاهل حتى يترك ولده لهذه الاخلاقيات .. ولأنه الوحيد . .وكل ما اعتقده ـ بل وأؤمن به ـ أن حضوره كان سيحرد من بعض المزايا .. والمغامرات .. أو أن هذا سوف يحميه من أناس كثـــيرين ...

ـــ آه .. نعم .. كل المزايا لبقائه .. بدلا من أن يتحرك يعيش حياة خاملة .. فارغة ـ بدلا من اسعاد وبهجة الآخرين .. يحاول بشتى الطرق أن يجد الأعــــــذار .. لتبرير موقفه .. ويدوس على كل القيم والمبادىء فى العالم .. لاقرار السلام العائلى .. ويمنع والده حتى من حق الشكوى والتذمر .. والتالم .. أننى أتقزز من خطاباته ...

ـــ ان مشاعرك فردية .. فان خطاباته تبدو أنها ترضى كل فرد .. الا أنت ..

ـــ أننى أشك فى أن هذه الخطابات ترضى مسز ويســتون .. من الصعب جدا ارضاء مثل هذه السيدة .. والتى تتحلى بالمثل والقيم والمبادىء .. والمشاعر السريعة .. الحساسة .. اللماحة .. والتى تقف منه موقف الأم .. وهو يتجاهلها .. طبيعى أنها تشعر الآن بالبنز من حياته .. لا .. لا يا عزيزتى ايما .. رجلك الحبيب لا يمكن أبدا أن يكون حبيبا أو محبوبا .. أنه يكون محبوبا أو حبيبا ـ اذا ما كانت له الصفات الحميدة والاخلاق الطيبة .. بل .. ويمكنه أن يتحلى بلياقة .. وكياسة وذوق .. ذوق الانجليز .. والاحساس بمشـــاعر الناس .. أبدا « أبدا » لا شىء يوحى بأنه حبيب .. أو .. محبوب ...

ـــ يبدو أنك قد صممت نهائيا على اتهامه ...

أجاب مستر نايتلى باستياء :

ـــ أنا .. أبدا .. أنا لا أريد أن أظن به السوء .. أو أصر على اتهامه ...

— أنا مستعد تماما أن أفهم أخـــلاقه ·· وتصرفاته كأى رجل برجل ·· ولكننى لا أسمع شيئا الا أنه شخص قد تربى فى عز ورفاهية ·· جميل المظهر ـ ناعم التصرفات والاخلاق ···

— حســن ـ حســن جدا ـ اذا لم يكن هناك أى شىء ـ يمكن اضفاءه عليه ـ أكثر من ذلك ·· فهو كذلك فقط ·· يكون كنزا ثمينـــا فى « هايبرى » اننا لا نجد كثيرا ·· رجـــلا ·· جميلا ·· محبوبا ·· مقبولا ·· غنيا ·· لا تملك أن تتصور يا مســتر نايتلى ·· كم سيضفى حضوره من المشاعر الرقيقة الحـــلوة ·· ولن يكون هناك أى موضوع للحديث ما بين دونويل وهايبرى ·· الا شيئا واحدا فقط ·· هو مستر فرانك تشرشل ·· سيكون هو موضوع الساعة ·· ولا شىء عداه ···

— أرجو المعذرة ·· اذا كان هذا الشخص كما تقولين واذا كان فقط شخص مليح ·· غندور ·· معجب بذاته ·· مذهل ·· أعتقد أنه لن يشغل أى حيز من تفكيرى أو وقتى ···

— ان فكرتى عنه ·· أنه يمكنه أن يتأقلم مع كل ذوق ومع كل طبع ·· اذ أنه مثقف تثقيفا جامعيا ـ ويمكنه التعايش مع كل الاذواق والطبقات والافكار ـ فمعك أنت أعتقد أنه سيتحدث معك عن الفلاحة ·· ومعى أنا عن الرسم ·· والموسيقى ·· وهكذا مع كل شخص ·· لأن عنده أفكارا واسعة ·· بالنسبة لدراساته فى كل الفروع والميادين ·· كما أنه ·· تكيفا منه للمواقف ·· سيدير هو الاحاديث ·· أو سيتابع الأحاديث لأنه متحدث بارع ·· هذه هى كل فكرتى عنه ·· أجاب مستر نايتلى بصــدق :

— أما أنا ·· فلا يشكل لى الا تصورا بانه مخلوق تافه ·· مهلهل المشاعر ·· والعواطف رجل مثله ·· عظيم ·· فى الرابعــة والعشرين ـ كان من المفروض أن يكون حاكما ـ على مملكته ·· يبدو عجيبا ·· جاهلا ·· لا يمكن التحكم فى نفســـه وفى وقته يا عزيزتى ايما ·· ان فكرتك الطيبة سوف تدحض فور حضوره ····· ورؤيته على الطبيعة المخـــزية ··

صـرخت ايمـسـا :

— أننى لن أتكلم عنه ولا كلمة واحدة بعد ذلك ٠٠ انك تقلب كل الأفـكار ـ لشـيطانية افكارك ولن نثير هـذا الموضوع ـ الا حين حضوره ٠٠٠ انكما الاثنان ـ متحاملان ٠٠٠ ومغرضان ٠٠٠

— مغرض ٠٠ هل أنا مغرض ٠٠٠ ؟

— ولكننى أنا ٠٠ وبكل اصرار وشـدة ٠٠ وبدون أن أشـعر بالخجل من ذلك ٠٠ فان حبى لمستر ومسز ويستون يعطينى فكرة تامة مقررة فى صالحه ٠٠٠ قال مستر نايتلى فى لهجة كلها غضب وانفعال ٠٠ جعلت ايما تتراجع على الفور وهى أيضا فى حالة غضب شديد ٠٠٠

— أنه شخص لا يمكننى أن أكون عنه فكرة من كلمة تروح ٠٠ وكلمة تجىء ٠٠

ولم تدر ايما سببا لغضبها ولا لانفعالها ٠٠ ولا لدفاعها عنه ـ ولم تفكر ٠٠ يوما أن تتحيز لشخص لا تعرفه ٠٠ كل هذا التحيز ٠٠ لم ٠٠ لم ٠٠ انها لا تدرى ٠

الفصل الثامن عشر

فى صباح يوم ٠٠ رأت ايما وهارييت ٠٠ وفى رأى ايما ٠٠ أنها قد تكلمت بما فيه الكفاية عن مستر ايلتون ٠٠ فى ذلك اليوم ٠٠ ولعلمها أن هارييت لا تتحمل مزيدا من الآلام ٠٠ ولا خطايا ٠٠ أكثر مما تحملت ٠٠ فانها تناست هذا الموضوع تماما ٠٠ أو حاولت أن تتناساه ٠٠ ولكنه ٠٠ أثير فى ذلك الصباح ٠٠ بعد أن ٠٠ اعتقدت تماما فى أنها قد نجحت فى بتره بترا نهائيا ٠٠٠ فبعد أن تحدثتا لبعض الوقت عن معاناة الفقراء فى برودة هذا الشتاء ٠٠ القارس ٠٠ وظلت ايما تصف شعور هؤلاء الفقراء ٠٠ وواجب مساعدتهم ٠٠ اذ بها لا تسمع من هارييت الا الرد التالى ٠٠ فى صوت حزين متألم :

— مستر ايلتون كان دائما رحيما ٠٠بالفقراء ٠٠ وهنا ٠٠ وجّدت ايما نفسها تبحث عن طريقة سريعة لنسيان هذا الموضوع ٠٠٠

وكانا على وشك الاقتراب من المنزل الذى تعيش فيه مسز ٠٠ ومس بيتس ٠٠٠ وفكرت أن تزورهم ٠٠ فانهما تسعدان دائما ٠٠٠ بالاهتمام والزيارة ٠٠ وكانت تعلم ٠٠ أنها من القلائل اللائى يحظين بالاحترام ٠٠ والترحيب ٠٠ وتشعران معها ٠٠٠٠ بالراحة والثقة ٠٠٠

ومن انها قد سمعت تلميحات عديدة من مستر نايلتى ٠٠ أن فى زيارة هاتين المخلوقتين مضيعة للوقت ٠٠ وانهما من الطبقة الثانية ٠٠٠ والثالثة فى « هايبرى » ٠٠ الا أنها فى هذه اللحظة ٠٠ لم تمر ببابهما ٠٠ وتستمر فى السير ٠٠ بل توقفت ٠٠ وقالت لهارييت ٠٠ أنهما سوف تزوران مسز ومس بيتس ٠٠ فلابد أن تكون هناك أخبارا من « جين فاريفكس » ٠٠٠

والمنزل ٠٠ كان شقه حديثه ٠٠ أهمها غرفة المعيشة ٠٠ حيث يستقبلون فيها زوارهما بكل الترحاب والحرارة ٠٠ والمراة النظيفة ٠٠ المرتبة العجوز مسز بيتس ٠٠ تحتل ركنا مريحا ٠٠ ويداها تعملان فى أشغال الابرة ٠٠ ومن شدة فرحها ٠٠ بزيارة مس وود هاوس ٠٠ قامت من على كرسيها ـ حتى تجلسها مكانها ٠٠ والنشطة المتحدثة اللبقة

« مس بيتس » شكرتهما على هذا العطف ·· وسألت عن صحة « مستر وود هاوس » وطلبت منهما أخذ قطعة من الكيك الذى صنعته أمها ··· قـــائلة :

ـــ مسز كول ·· كانت هنا منـــذ لحظة ·· وكانت فى منتهى اللطف ـ لتمكث معهما ساعة ـ وأكلت من الكيك ·· الذى تتمنى مس بيتس أن تتفضل مس وود هاوس بتذوق قطعة منه ···

وكان لذكر عائلة « كول » تأكيدا بأن اسم مستر ايلتون سيتبع ـ حيث كانت هناك مودة تامة بينهم ·· وأن مستر كول قد سمع شيئا بعد سفر مستر ايلتون ·· وعلمت « ايما » بما هو آت بعد ذلك ·· ولا بعد أن تسمع ما جاء بخطاب « جين فاريفكس » فانها يجب أن تعرف اذا ما كانت قد ذهبت الى الاحتفالات أم لا ·· واذا ما كانت هى النجمة الأولى فيها ·· وكانت ايما تحاول الكلام بطريقة تلزم هارييت بعـــدم التفوه بأى كلمة ···

وهذا هو ما كانت قد رتبته ايما قبل دخولها من باب المنزل ·· ولكنها لم تتوقع نجاح « جين فاريفكس » فى الوصول الى طريق مستر ايلتون ·· ولكنه وصل اليها عن طريق « مس بيتس » ·· لقد قفزت قفزة ·· الى عائلة « كول » لتتسلم خطابا سريعا من ابنة اختهـــا ·· وقالت مس بيتس :

ـــ آوه ·· نعم ·· نعم ·· أنا أعلم أن مستر ايلتون محجوز للرقص فى « باث » لقد كانت مسز كول لطيفة جدا ·· وأعطتنا كـــل وقتها للحديث عن « جين » ·· لانها فور دخولنا عنـــدها ·· ابتدأت تسأل عنها ·· أن جين محبوبة جدا هناك ·· وأنا أعتقد أن جين تستحق كل هذا ·· أكثر من أى شخص آخر ·· لذا فقد ابتدأت حديثها هكذا ··

« أنا أعلم ·· أنكم لم تسمعوا أى شىء عن جين أخيرا ·· لأنه ليس وقتها للكتابة ··· ولكننى عندما أجبتها على الفور وقلت لها :

فى الحقيقة عندنا أخبار .. لقــد وصـــلنا خطاب منها هـــذا الصباح ..... ولا يمكن أن أعبر عن دهشة مسز كول ـ أبدا لم أر أحدا فى مثل هذا الاندهاش .. قالت مسـز كـــول : حقيقة .. وبشرف .. أتقولين الصدق ...

أجبتها أنا .. نعم .. نعم .. أنه الصدق .. والصدق بعينه ...

قالت : حسنا .. حسنا هذا شىء غير متوقع أبدا .. دعينى استمع لما تقـــول ...

وايما .. بطريقة مهذبة ... دخلت فى الموضوع الذى تقصـده مباشرة ... وقالت لها وهى تبتسم فى لذة واستمتاع ...

ــ أوه .. هل سمعت شيئا فى الفترة الأخيرة عن مس فاريفكس .. أننى سعيدة جدا .. أتمنى أن تكون بخير ...

أجابت الخالة بسعادة تامة .. وهى تسرع بالتقاط الخطاب ...

ــ أوه .. ها هو .. أننى متاكدة من أنه ليس بعيدا عن هنا .. ولكننى كنت قد وضعت مريلتى عليه .. ها أنت ترين أنه كان مختفيا تحتها .. ولكننى بحثت عنه كثيرا ... وكنت متاكدة من أنه لابد وأن يكون على المائدة لقد كنت أقرأه لمسز كول .. وحتى بعـــد أن ذهبت ظللت أقرأ فيه .. وأعيد قراءته لأمى .. لأن فى هذا .... فرحة كبرى لها .. خطاب من جين يالها من متعة .. وياله من حدث ... لا يحدث كثيرا أخيرا وجدته ..تحت مريلتى ..وبما أنكشديدة اللطف والمحبة.. والرغبة فى سماع ما تقوله جين ... آه ـ ولكن قبل كل شىء .. يجب على أن أقرر الحق فى صالح جين .. وأن أعتذر نيابة عنها .. لخطابها القصير .. خطاب قصير جدا .. فقط صفحتان .. ها أنت ترين وكل الورقة علامات وتعجبات ـ ونقوش ورسومات .. وتتعجب أمى دائما .. بل وتندهش من أننى استطيع أن أقرأه .. وأستوعبه جيدا .. ودائما تقول قبل فتح الخطاب :

ــ حسن يا هيتى .. والآن .. أعتقد أنك سوف تقومين أولا : (ايمــــا)

بفصل الكلمات والنقوش والرسومات بعضها عن بعض ·· ثم بعد ذلك ·· تقرأنيه ·· أليس كذلك ····

ثم أخبرها أنا : أنا متأكدة من أنها قد فعلت كل ذلك وحدها ·· لم يساعدها فيه أحد وكل كلمة هى من عندياتها ·· وأعتقد أنه لم يكتبه لهـا أحد ·· وانها قـد كتبت كل كلمة ·· ورسمت كل رسـم ·· ولو أن نظر أمى ليس قويا ··· كما كان ·· ولكن الحمد للـه ·· انها ترى جيدا « بالنظارة » ·· انها نعمة ·· أن أمى طيبة ·· طيبة جـدا ·· حقيقة هى طيبة ·· وكانت جين تقول لها دائما عندما تكون عندنا : جـدتى أننى متأكدة من أن نظرك كان قويا جدا لترى كما ترين الآن ··

وتنسجين مثل هذه الأشغال البديعة ··· أوه ·· أننى فقط أتمنى أن تظل عينى مثل عينيك فى أواخر أيامى ···

كل هذا الكلام المتواصل ـ السريع ـ اضطر مس بيتس أن تتوقف قليلا لتتنفس ·· وقالت ايمـا كلاما لطيفـا ·· عن روعـة خط مس فاريفكس ···

أجابتها مس بيتس : أوه ـ أنت لطيفة جدا ·· وأنا شـاكرة لك هذه السطور أنت تكتبين كأروع كاتبة ·· وخطك الممتاز وتحكمين مثل هذا الحـكم على خط جين ·· أوه ·· أننى متأكدة أنه لا يوجد شـخص يحبنا ويقدرنا ويضفى علينا البهجة والسعادة ·· مثل مس وود هاوس ·· أوه ·· ـ أن أمى لا تسمع ·· أن سمعها ثقيل ·

ثم وجهت الحديث الى أمها قائلة :

ـــ مام ·· مام ·· هل تسمعين ما تقوله مس وود هاوس ·· أنها معجبة جدا بخط جين ··

وكانت فرصة لايما أن تستمع الى المجاملة السخيفة ·· التى قالتها مرتين قبل أن تتمكن العجوز من فهمها ·· وظنت ايما أن مس بيتس تتحايل للهروب من خطاب جين فاريفكس ـ حين استدارت اليها مس بيتس ·· وأثارت انتباهها :

ـــ أوه ٠٠ ان صمم أمى تافه جدا كما ترين ٠٠ فقط على أن أرفع صوتى قليلا ٠٠ وأكرر الكلام مرتين ٠٠ أو ثلاثة لتستمع اليه وتفهمه ولكن فقط ٠٠ عندما تعتاد على صوتى ٠٠ والعجب انها دائما ٠٠ تسمع جين أسرع منى ٠٠ أن جين تتكلم بوضوح ٠٠ على أى حال ٠٠ فانها لن تجد جدتها قد ازدادت صمما ٠٠ عنها منـــذ عامين ٠٠ التى تعتبر مدة طويلة من الزمن فى حيـــاة ماما ٠٠ وهو فى الحقيقة ٠٠ كذلك ٠٠ عامين كاملين دون أن نراها ٠٠ انها أبدا لم تغب عنها مثل هذه المدة الطويلة ٠٠ ولما كنت أقول لمسز كول ٠٠ كيف ستعرفها الآن ٠٠ ســـألتنى ٠٠٠

ـــ هل تتوقعان زيارة مس فاريفكس قريبا ٠٠٠

ـــ أوه ٠٠ نعم ـ نعم ـ الأسبوع القادم ٠٠٠

ـــ حقيقة ٠٠ هذا شىء عظيم ٠٠ شىء مبهج ٠٠٠ شىء مفرح للغـــاية ٠٠٠

ـــ شكرا ٠٠ شـــكرا أنك لطيفة للغاية ٠٠ يا مس وود هاوس نعم ـ نعم الأسبوع القادم ٠٠ تصورى هذا ٠٠ أن كل شخص مندهش ٠٠ وكل فرد يقول هذا ٠٠ أنا متأكدة من أنها سوف تكون ســـعيدة برؤية أصدقاءها فى « هايبرى » ٠٠ تماما مثل سعادتهم برؤياها ٠٠ نعم ـ نعم ٠٠ الجمعة أو السبت ٠٠ انهالم تتمكن من التحديد ـ لأن الكولونيل تشامبل سوف يستعمل العربة فى أحد هذين اليومين شىء جميل منهم أن يرسلوها وحدها طوال الطريق ولكنهم دائما يفضلون ذلك ٠٠ أوه نعم ٠٠ الجمعة أو السبت القادم ٠٠ هذا هو ما كتبته فى خطابها وكان هذا هو السبب الذى كتبت من أجله هذا الخطاب ٠٠ لأنه لولا هذا السبب ما كنا نتوقع أن نسمع عنها شيئا قبل الثلاثاء أو الأربعاء القادم ٠٠٠

ـــ أوه ٠٠ نعم ٠٠ هذا فعلا ما تخيلته ٠٠ لقـــد كنت خائفة الا أتمكن من سماع أى أخبار عن مس فاريفكس اليوم ٠٠

ـــ أوه ـ هكـــذا أنت ٠٠ وأيضا نحن ٠٠ لولا هـــذا الظرف الاستثنائى ٠٠ ان مامى شديدة الفرح لحضورها قريبا ٠٠ لأنها سوف تمكث معنا ٠٠ ثلاثة أشهر على الأقل ٠٠ ثلاثة أشهر كما تقول ٠٠ وكما

ستسمعين عندما أقـرأ لك الخطاب الموضـــوع هو ٠٠ أن التشامبلز ٠٠ سيذهبون الى «ايرلندا» ٠٠ مسز ديكسون ٠٠ طلبت من ابيها وأمها أن يذهبا على الفور لرؤيتهما ٠٠ ولم يكن فى عزمهما أن يذهبـــا قبـــل الصيف ٠٠ ولكنها لم تعد تصبر على بعادهما ٠٠ وتريد رؤيتهما حالا ٠٠ لأنها منذ أن تزوجت فى أكتوبر الماضى ٠٠ لم ترهما ٠٠ ولم تتعود الغياب عنهما من قبل ٠٠ لأكثر من اسبوع واحد على الأكثر ٠٠ لأنها تشـــعر بالغربة فى مملكة غريبة ٠٠ ولو أننى لا أعتقد ذلك ٠٠ على أى حال ٠٠ لقد كتبت خطابا « عاجلا » لأبويها ٠٠ وأنا لا أعـــرف ما جاء به ٠٠ ولكن هذا ما سوف نراه فى خطاب جين ٠٠ التى كتبت اسم مستر ديكسون ٠٠ واسمها ٠٠ وانهما سوف يقابلانهما فى « دوبلين » وليعودوا كلهم الى « بيلى كريج » ٠٠٠ وهو مكان بديع ممتع ٠٠ لقد ســـمعت جين كثيرا عن جمال هذا المكان ٠٠ من مستر ديكسون ٠٠٠ أقصـــد أنها لم تسمع عنه من أى شخص آخر ٠٠٠ ولكنه شىء طبيعى جدا كما تعلمين أنه يجب أن يتكلم كثيرا عن مكانه حين يعطى العنـــوان ٠٠ وبما أن جين قد اعتادت أن تذهب معهم فى كـــل مكان ٠٠ فان كولونيل ومسز تشامبل كانا لا يريدان لابنتهما أن ترافق الا مســـتر ديكسون ٠٠ وأننى لا الومهما أبدا على ذلك فانها بالطبع قـــد سمعت كثيرا عن منزله فى ايرلندا ٠٠ وأعتقد أنه قد أعطاها ٠٠ كثيرا من الصـــور ٠٠ والمناظر التى صورها هو بنفســـه ٠٠ عن المكان ٠٠٠ أنه رجل لطيف محبوب ٠٠ وأعتقد أن جين ٠٠ كانت ستذهب الى ايرلندا لكل هذه الأسباب ٠٠

ـــ وفى هذه اللحظة ٠٠ والتوقع الذى أصاب مشاعر « ايما » بخصوص « جين فاريفكس » وذلك الفاتن ٠٠ مستر ديكسون ٠٠ وعدم ذهابها الى ايرلنـــدا ٠٠ قالت رغبـــــة منها فى أكتشـــاف مزيدا من الاكتشافات ٠٠٠

ـــ آه ٠٠ لابد وانك تشعرين بانك محظوظة لأن مس فاريفكس سوف تترك كل هذه الصحبة الممتعة ٠٠ والمـــكان الرائع ٠٠ وصداقتها الخاصة مع مستر ديكسون ٠٠ لتأتى عندك ٠٠ أعتقد أنه كان من الصعب جدا ٠٠ أن يسمح لها كولونيل ـ ومسز تشامبل بعدم ٠٠٠٠ موافقتهما على هذه الرحلة ٠٠ أليس كذلك ٠٠٠

— نعم .. نعم .. هذا حقيقى .. هذا حقيقى .. الشىء الذى كنا نخشاه .. هو أن تبتعد عنا هذه المسافة الطويلة .. وكان حينئذ من الصعب عليها أن .. تحضر هنا .. ولكن .. الأمــور كلها أنقلبت الى العكس .. والى الأحسن .. لقد أصر مستر ـ ومسز ديكسون على دعوة « جين » وحضورها مع كولونيل .. ومسز تشامبل .. وكان هذا هو المقرر .. ولكن جين تقول .. كما سوف تسمعيننى عندما أقرأ الخطاب أنها تقول .. أن مستر ديكسون .. ولو أنه شخص جذاب الا أنه لم يكن أبدا فى خاطرى .. وحتى الخدمة التى أداها لجين فى « وبميوث .. حين كانوا فى الباخرة واهتزت القلاع واهتزت معها «جين» .. وفقدت توازنها .. وسقطت فى الماء .. وكادت أن تغرق تقريبا .. لولا أن أمسك بها مستر ديكسون .. ورفعها بشدة .. أوه .. أننى أرتعش عندما أفكر فى هذا .. الحادث .. أنه تاريخ نتحدث عنــه دائما .. ومن يومها وأنا أقدس مستر ديكسون ...

— هذا عجيب .. فانه بالرغم من دعوة أصدقائها العاجلة .. ورغبة مس فاريفكس الشخصية فى زيارة ايرلند ـ فانها تحــرم نفسها من كل هذه المتع .. وتاتى لتمضى وقتها معك .. ومع مسز بيتس ...

— فعلا .. فعلا .. هــذا هو فعلها الخاص .. وهــذه هى ارادتها الخاصة .. واختيارها الخاص ويعتقد كولونيل ومستر تشامبل .. أنها .. صوابا فعلت .. فى الحقيقة .. هما يرغبان فى أن تغير جين الهواء .. وأن تعيش فترة فى المكان الذى اعتادت أن تتنفس هواءه فأن صحتها كانت على غير ما يرام فى الأيام الأخيرة ..

— أوه .. أننى مهتمة بهذا الأمر .. وأعتقد أنهما قد تصرفا بحكمة .. ولكن .. لابد .. وأن تكون مسز ديكسون قد أصيبت بخيبة أمل كبيرة .. فأننى على ما أعلم .. تعتبر من نوعيات الجمال الملحوظ .. وأبدا لا يمكن مقارنتها بمس فاريفكس ـ أوه .. لا .. لا .. أعتقد أنك مضطرة أن تقولى مثل هذه الأقــوال .. ولــكن .. فى الحقيقة لا .. لا .. نعم .. ليست هناك أية مقارنة بينهما ... أن مس تشامبل .. كانت دائما ضعيفة .. ولكنها أنيقة .. ومرغوبة ..

— أوه ·· نعم ·· نعـم ·· نعـم ·· فعلا ·· فعلا ·· لقـد أصاب جين برد شديد ·· ياله من أمر سيء جدا ·· من مدة طويلة ·· في ٧ نوفمبر ·· كما ستعلمين ·· عندما أقرأ لك الخطاب ·· ومن وقتها ·· ولم تكسب صحتها كما كانت من مدة ·· وهي مصابة بهذا البرد ·· ولم تذكره بتاتا ·· أنها لم ترغب في ازعاجنا ·· انسانة مثلها ·· كلها مراعاة ·· وذوق ·· وانها بعيدة كل البعد عن بقية أصدقائها ·· من عائلة «تشامبل» وفعلا كانوا على حق في تفكيرهم ·· من أن هـواء « هايبرى » بضعة شهور ·· سوف يعيد اليها صحتها ·· وعافيتها ·· وهذا بالطبع ·· أفضل كثيرا من ذهابها الى « ايرلندا » ·· انها في حالة سيئة ·· ولا يمكن لأي مخلوق ·· أن يراعيها أكثر منا ···

— أنه يبدو لي ·· أن هذا الترتيب ·· كان من أحب الترتيبات اليـكم ···

— نعم ·· نعم ·· وهـكذا ·· فانها سـوف تحضر هنـا ·· الجمعة ·· أو السبت القادم ·· التشامبلز سوف يسافرون الى « هولى هيـد » الاثنين من بعده ·· كما سوف تعرفين ذلك من خطاب جين وهكذا ·· فجاة ترين هذه الصـاعقة ·· التي ألقيت على يا مس وود هاوس ·· ليس لمرضها ·· ولكنني أخاف أن أجدها قـد ازدادت ··· نحافة ·· وضعفا ·· ويجب بالفعل أن أخبرك ·· أي شئ سيء فعل بي هذا ·· الخبر ···

أولا ·· لقد أعتدت دائما أن أقرأ خطابات جين · لنفسي ·· أولا ··قبل أن ··· أقرأها بصوت عال لأمي ·· لأنك لابد تدركين ·· أنه خوفا من وجود بعض الكلمات أو الاخبار السيئة ·· ربما يضرها سماعها ·· وقد طلبت مني جين ذلك ·· وعلى هذا الأساس ·· ابتدأت اليوم بقراءة الخطاب لنفسي كما تعـودت ·· دائما مع خطابات جين ··· وعندما وصلت الى نقطة المرض ·· لم أتمكن من التنفس ·· واشتد بي الخوف والألم ·· مسكينة جين ·· مسكينة جين ·· جين مريضة ·· جين مريضة ·· وكانت أمي تراقبني ·· وتراقب حركاتي ·· وقد تكهنت بما فيه ·· وأشتد بها الحزن والألم على أي حال ·· فانني بعد أن قرأت

الخطاب وجدت أننى كنت مبالغـــة فى تهيؤاتى .. وافكارى .. وان مرضها لم يكن قريبا .. ولكنه كان من مدة بعيدة .. ولكننى سوف أكون حارستها .. وبالطبع .. لن تعود الى حالتها الاصــلية .. بسرعة .. ولكننى سوف استدعى لها مستر بيرى .. ولن نفكر فى المصاريف .. فله مطلق .. الحرية فى تحديدها .. ولو أنه مغرم بجين حتى أننى أجزم بانه لن يتقاضى منها .. مليما واحدا .. ولكننا بالطبع .. لن نقبل هذا .. فعنده زوجة .. وأسرة ليرعاها .. وينفق عليها .. ويكفيه أن يأخذ منها وقتها .. والآن .. ربما أننى قد أعطيت لمحة سريعة .. عما جاء بخطابها .. نعود اذن لقراءة الخطاب ... وأنا متأكدة من انها ستكتب قصتها بطريقة أكثر فهما .. مما أخبرتك ...

قالت ايما .. وهى تومىء الى هارييت قائلة ...

— أنى آسفة .. أخشى أن نكون قد تأخرنا .. ويجب علينا أن نسرع الآن فى العودة .. أن والدى ينتظرنا .. ولم أخبره بهـــذا التاخير .. لأننى كنت أعتقد أننى عندما دخلت هذا المنزل .. بأننا لن نمكث فيه أكثر من خمس دقائق فقط .. ولكن ها انت ترين .. كم من الوقت امضيناه معك ولم يطاوعنى قلبى أن أمر بباب مسز بيتس دون أن أسأل عنها .. والآن .. أرجو المعذرة .. وأتمنى لك .. أنت ومسز بيتس .. يوما طيبا ...

وبفرحة لنجاحها .. سارت فى الطريق .. **فانها .. بالفعل** . قد عرفت كل ما جاء .. بخطاب « جين فاريفكس » دون أن تتعرض للخطاب بنفسها ...

الفصل التاسع عشر

كانت « جين فاريفكس » يتيمة ‥ الطفلة الوحيدة ‥ لابنة مسز بينس الصغرى وقد تم زفاف « الللفتنانت فاريفكس » ومس « جين بينس » ‥ فى احتفال بهيج ‥ كله أمل واشراقة لمستقبل ‥ ولكن لم يبق منه شىء ‥ فقد أصيب بالكآبة ‥ ‥ ومات فى حادث بالخارج ‥ وغرقت أرملته فى الحزن ‥ ومرضت بالسل ‥ حتى لحقت به ثم بقيت هذه الفتاة « جين » ‥‥

وبمولدها ‥ فهى تنتمى الى « هايبرى» وعندما فقدت أمها ‥ فى الثالثة من عمرها ‥ أصبحت ‥ الكنز ‥ والمتعة ‥ والهبة الثمينة لجدتها ‥ وخالتها ‥ وكان من الممكن أن تجد الأمان والراحة ‥ وتحيا فى عائلتها ‥ محاطة بالحب والرعاية ‥ منتمية تمام الانتماء لعائلة طيبة حنون ‥‥

ولكن ‥ حدث غير هذا التوقع ‥ فقد أحدثت عواطف صديق لوالدها وهو الكولونيل تشامبل ‥ تغييرا تاما فى مصير حياة الطفلة ‥ فأنه كان يكن ودا صادقا لصديقه ‥ ويدين له بحياته ‥ لأنه كان قد أنقذه من موت محقق عندما داهمته حمى شديدة ‥ فى المخيمات وسهر اللفتنانت فاريفكس على حياته ‥ حتى شفى وعندما افترقا ‥ وعاد الكولونيل الى انجلترا ‥ وعلم بوفاة اللفتنانت ‥ أراد أن يفعل شيئا لصديقه ويرد له الجميل ‥ وكان رجلا متزوجا ‥ وعنده ابنة واحدة فى مثل عمر جين تماما ‥ وهنا ‥ رأى أن يستضيف جين فاريفكس لتقيم معهم أياما طويلة ‥ وأصبحت الأثيرة ‥ الحبيبة عندهم ‥ وعندما بلغت التاسعة من عمرها ‥ كانت ابنته قد تعلقت تعلقا شديدا بجين ‥ ولا يمكن أن تفارقها أبدا ‥ لذا ‥ فقد تقدم كولونيل تشامبل الى جدتها ‥ طالبا ضمها اليه نهائيا ‥ والتكفل بتربيتها ‥ وتعليمها ‥ وانتمائها انتماء تاما لعائلته وقد وافقت جدتها على ذلك‥ وانتقلت جين وعاشت معهم ‥ وأصبحت فردا من عائلة « تشامبل » ‥ ولا تزور جدتها الا فى أوقات متفرقة ‥‥

والفكرة كانت فى امكانية تعليم « جين فاريفكس » تعليما مناسبا

.. ولكن البضعة مئات من الجنيهات التى تأخذها من معاش والدها .. لم تكن كافية .. لكل التزاماتها .. وبالنسبة الى أن الكولونيل تشامبل كان عنده دخل مناسب .. ولو أنه يجب عليه أن يعطيه كله لابنته .. الا أنه فضـــل أن تشـــاركها جين فاريفكس حياتها ودخلها .. اكــراما لتضحية والدها ...

هذا هو تاريخ حياة « جين فاريفكس » .. وعاشت بين أيدى أمينة طيبة .. مخلصة .. ولم تجد الا العطف والحنان من عائلة تشامبل .. واعطيت تعليما ممتازا .... وعاشت حيـــاة كريمة .. بين مجتمع كـــريم .. وكانت حياتها فى المستوى الأول دائما واحبها الناس كلهم ..

وعندما بلغت الثامنة عشر من عمرها .. كان هـــذا ايذانا كافيا لامكانها التفرغ لحياة زوجية ورعاية الأطفال .. أو لحياة عملية .. فى المكتب ولكن .. كولونيل ومسز تشامبل .. رايا انها مازالت صـــغيرة على تحمل مثل هذه الأعباء .. وعلى هذا استمرت حياتها الرغدة .. ومجتمعها .. ومسراتها مع ابنتهما .. ولو أنهما كانا دائما يحاولان لفت مشاعرها .. الى أن كل هـــذه المباهج والمسرات لابد لهـــا من ان تنتهى فى يوم ما ...

وكانت العائلة كلها تعجب كل الاعجاب بجين فاريفكس .. كانت جميلة ..... واجتماعية .. ولم يمنع مستر ومســـز تشامبل عنها اى شىء حتى بعد أن تزوجت ابنتهما .. « مس تشامبل » .. من رجـــل لطيف غنى . واستقرت فى حياتها العائلية هى وزوجها مستر ديكسون » .. وهنا .. كان لابد لجين فاريفكس أن تتحمل اعباء حيـــاتها .... وحـــدها ...

والآن .. وقد بلغت السن التى يجب فيها أن تكيف حياتها بنفسها .. فانها فى الواحد والعشرين .. ولو أن مستر ومسز تشامبل لم يشيرا الى هـــذا الأمر .. وانهما ما زالا يعتبران بيتهما .. هو بيت ابنتهما « جين فاريفكس » .. ولكنها هى .. فى رأيها .. أعتقدت أن هذا لابد

وأن يكون أنانية تامة منها ٠٠ واستغلال زائد لكرم وضيافة هذه العائلة الـــكريمة ٠٠٠

الا أنها لم تشعر بالراحة أبدا بعد زواج ابنتهما وكان لضعف صحتها بعد مرضها ـ ما منعها من الاشتراك فى تأدية أعمال ٠٠ وكان تفكيرها النهــائى الا تذهب الى ايرلنـــدا بل الى مكانها الطبيعى عنـــد جدتها وخالتها ٠٠ وكان هـــذا هو المكان الطبيعى فعـــلا لها ٠٠ وفى حالتها الراهنـــة ٠٠

ولتسجيل الحقيقة كاملة ٠٠ كان اختيارها هى ٠٠ وتصميمها على أن تقضى بضعة أشهر فى حرية تامة ٠٠ مع هؤلاء الأقارب الذين يحبونها ٠٠ وتحبهم ٠٠ وحتى يتحرر « التشامبلز » من ارتباطها بهم ٠٠ ورحبا بالفكرة ٠٠ لأنهما رأيا أن فى استمتاعها بهواء منبتها وأهلها ٠٠ فائدة كبرى لها ٠٠ وربما يعيد اليها ذلك ٠٠ صـــحتها الواهنة ٠٠ وفعـــلا كان هذا هو ما تريده هى ٠٠ وأن هايبرى فضلا عن ترحيبها بها ٠٠ فانها سوف تعيد اليهم ٠٠ هى ومستر فرانك تشرشل ٠٠ البهجة والحب ٠٠ بعد غيبة عامين كاملين ٠٠

أما ايما ٠٠ فكانت حزينة جدا لأنها جاملت مخلوقة ٠٠ لا تكن لها أى حب ٠٠ مخلوقة سوف تجاورها ثلاثة أشهر ٠٠ طوال ٠٠ لماذا هى تفعل ما لا ترغب ٠٠ لماذا تكره « جين فاريفكس » ؟ أنه سؤال صـــعب لا يمكن الاجابة عنه ٠٠ ؟

لقد قال لها مستر نايتلى بأنها لا تحبها ٠٠ لأنها وجدت فيها الرقة الحقيقية ٠٠ والأنوثة للمرأة الصغيرة ٠٠ التى تتمنى هى أن تحظى ٠٠ ولو بقليل منها ٠٠ وعاشت مع نفسها لحظات وأيام ٠٠ تختبر فيهـــا مشاعرها ٠٠ وتتساءل عن هذا السبب ٠٠ لماذا هى أبدا لا يمكنها التجاوب معها ٠٠ انها أبدا ٠٠ لا يمكنها التجاوب معها ٠٠ انها أبدا لا تسعد معها ٠٠ ولا ترتاح اليها ٠٠ ربما لأن لها خالة ثرثارة ٠ تعتقد أن كل شخص يحبهما ٠ ويبغى زيارتهما ٠٠ ولو أن كل الجيران ٠٠ والمعـــارف ٠٠

يصرون على صداقتهما ٠٠ لأنهما من نفس السن ٠٠ هذا هو كل ما فى الأمر ٠٠ ولا تجد ايما شيئا آخر تبرر به عدم ارتياحها لجين فاريفكس ٠

وهذه الجفوة ٠٠ أو عدم الشعور بالراحة ٠٠ لابد وأن تكون واهية ٠٠ ولا أساس لها من الصحة ٠٠ فانها لا تذكر عندما رأتها أول مرة ٠٠ والآن وبعد عامين ٠٠ عندما قابلتها شعرت بأنها كانت غير عادلة فى حكمها ٠٠ فانها فى خلال زيارتها لها ٠٠ صعقت من مظهرها الرائع ٠٠ وأخلاقها ٠٠ وتصرفاتها الرقيقة ٠٠

كانت جين فاريفكس أنيقة ٠٠ بل شديدة الاناقة ٠٠ والجاذبية ٠٠ لها من الطول ما يتماشى مع هذه الأناقة الملحوظة ٠٠ حجمها بديع ٠٠ وجهها جميل ٠٠ قوام لا هو بالسمين ولا بالرفيع ٠٠ وبوادى التوعك اعطاها جاذبية وفتنة ٠٠ ثم وجهها ملامحها ٠٠ وجه حـلو ٠٠ ممتع جميل ٠٠ جذاب ٠٠ جمال آخاذ ٠٠ عيناها ٠٠٠ زرقاوان عميقتى التأثير والنظرات وأهداب طويلة ٠٠ ترتعش فوق نظـراتها الحبيبة ورسـم حاجبيها ٠٠ ولون بشرتها ٠٠ انها كانت نموذجا للجمـال والاناقة ٠٠ بحيث لا تشبع العين من النظر اليها ٠٠ وشخصية رقيقة آسرة عقـل راجح ٠٠ وحديثها يدل على ثقافة ٠٠ ومثل ٠٠ ومبـادىء ٠٠ أنها لم تر لها مثيلا فى ٠٠ هايبرى ٠

وفى الزيارة الأولى ٠٠ وبايجاز ٠٠ جلست ايما تنظر الى « جين فاريفكس » نظرة كلها اطراء واعجاب ٠٠ وشعور بالسعادة وعدم الانصاف ٠٠ وقررت بينها وبين نفسها أنه لا مكان للكراهية بينهما بعد اليوم ٠٠ وخاصة عندما علمت ظروفها ٠٠٠ وتاريخ حياتها ٠٠ وكيف أنها ستبتر من حياة ٠٠ وتعيش حياة أخرى ٠٠ هنا بدا لها أنه من المستحيل عليها ألا تشعر الا بشعور الود والتعاطف والاحترام ٠٠ لهذه الانسانة ٠٠ التـى تحيا فى مثل ظروفها ٠٠٠

وقد سعدت ايما كثيرا حين سماعها بأن جين فاريفكس قد تمكنت من تحويل عواطف مستر ديكسون عن زوجته ٠٠ لأنهـا فى الحقيقة مخلوقة فاتنة ٠٠ ساحرة ٠٠ لا يقاوم لها سحر ٠٠ أوجاذبية ٠٠ حتى وأن

كان من طرف واحد ٠٠ فانه نجاح ٠٠ وأى ٠٠ نجاح ٠ وهى الآن تعجب بها أشد الاعجاب لتصرفها العاقل السليم ٠٠ وكيف أنها رفضت الذهاب الى ايرلندا ٠٠ لتبتر كل صلة بمستر ديكسون ٠٠ وتقرر أن تأتى الى هايبرى لتحيا حياة ٠٠ دون الرفاهية التى اعتادت عليها ٠٠٠

وعلى العموم ٠٠ فأن ايما ٠٠ حين عـــودتها للمنزل ٠٠ كانت مشاعرها قد رقت ٠٠ وهفت ٠٠ وتعايشت مع جين فاريفكس ٠٠ ووجدت أنه لا يوجد أى شاب فى هايبرى يستحق مثل هذه الأنثى الساحرة ٠٠٠

وكانت عواطفها جياشة ٠٠ ومتعاطفة مع جين فاريفكس ٠٠ ولكنها لم تفعل أكثر من ذلك ٠٠ ولم تحاول أن تعمل صداقات عامة معها ٠٠ أو تخطىء فى حقها ٠٠ أبدا ٠٠٠ وكان كــل ما قالته ردا على تساؤل مستر نايتلى ٠٠٠ أنها : « فى الحقيقة شديدة الجمال ٠٠ بل وأكثر من الجمال نفسه » ٠٠٠

وقد أمضت « جين » ليلة فى هارتفيلد هى ٠٠ وجدتها وخالتها ٠٠ وكانت الزيارة عادية ٠٠ والخالة مزعجة ٠٠ كالعادة بالطبع ٠٠ بل ٠٠ وأكثر من مزعجة ٠٠ فانها لم تتوقف عن الثرثرة ٠٠ وزيادة على الخوف على حالة جين الصحية ٠٠ كانت هناك الملاحظات السخيفة من أنها لم تأكل أكثر من شطيرة بالزبد فى الأفطار ٠٠٠٠ وقطعة من اللحم البارد فى الغذاء ٠٠ ثم بعد ذلك الحديث عن الاشغال التى تنسجها أمها ٠٠ لقد صنعت حقيبة يد ٠٠ وو ٠٠٠

وحاولت ايما تلطيف الجلسة ٠٠ فقامت بعزف بعض الموسيقى ٠٠ وكذلك فعلت جين ٠٠ التى تسربلت فى هذه الزيارة بعباءة من البرود ٠٠ والتحفظ ٠٠٠

واذا كانت ايما قد خرجت بشىء من هـــذه الزيارة ٠٠ فذلك هو ما عرفته من أنباء مستر ديكسون ٠٠ وقد أكتشفت أنه ما ارتبط بحب مس تشامبل ٠٠ الا لأجل خاطر الاثنى عشر ألف جنيه المقبلة ٠٠٠

وللمصـــادفة العجيبة ٠٠ فأن جين فاريفكس وفرانك تشرشل ٠٠ كانا فى « ويموث » ٠٠ فى نفس الوقت ٠٠ وكان معروفا انهما متـحابان قليلا ٠٠ ولكنها لم تكن أنباء قاطعة ٠٠٠

وتساءلت ايما : هل هو وسيم ٠٠ نعم ٠٠ هل هو مقبول ٠٠ ؟ هى تعتقد ذلك ٠٠ هل هو لطيف ٠٠ ؟ ربما ٠٠ ؟ هل يبـــدو كشاب رقيق جذاب ٠٠ لماح ٠٠ أن المقابلات فى الأماكن العامة لا تعطى الانســـان الفرصة الكافية للحكم ٠٠ فأن ٠٠٠٠ الأحاديث تبدو سريعة ٠٠٠

ــ هل أخلاقه حسنة ٠٠٠ ؟

ــ أن كل انسان ٠٠ قابل مستر فرانك تشرشل ٠٠ وجده حلو الشمائل ٠٠ لطيف المعشر ٠٠

وهنا ٠٠ لم تغفر لها ايما أبدا ٠٠ أقوالها هذه ٠٠٠

الفصـــل العشـــرون

ولم تغفر لها ايما قط ‥ ولكن ‥ مستر نايتلى الذى كان حاضرا فى المجموعة ‥ لم ير الا التصرفات الحـــلوة ‥ والاهتمام من كـلا الطرفين ‥ قال ذلك ‥ عندما حضر فى صباح اليوم التالى ‥ لبعض أعمال مستر وود هاوس ‥ وتكلم بعد أن خرج والدها من الحجرة ‥ « لقد كان يظن أنها تظلم جين ‥ ولكن ‥ عنـده الآن ملاحظة يريد ان يقولها …

(وهنا عاد مستر وود هاوس) فـــلم يقطع مستر نايتلى حديثه ـ بل استمر قائلا : ـ فى الحقيقة ـ أنتما الاثنان كنتما فى غاية الاقناع ‥ أنت ومس فاريفكس ‥ يالها من جلسة ممتعة ياسيدى ‥ ومساء جميلا ‥ أن تجلس بين هاتين الجمليتين ‥ تستمتع لحظة بالموسيقى ‥ ولحظات بالحديث ‥ أعتقد يا ايما أن مس فاريفكس قد استمتعت أيضا بهذه الليلة ‥ أننى سعيد لأنك جعلتيها تعزف الموسيقى ‥ هـــذا جميل فعلا ‥ أنا لا أجد يا سيدى متعة ورفاهية أكثر من هذه المتعة ‥ موسيقى ناعمة ‥ أحاديث شيقة ‥ أننى متأكد ‥ أن مس فاريفكس قد استمتعت بالليلة كل الاستمتاع ‥ كما أننى سعيد ـ سعيد جدا ‥ لأنك قد جعلتيها تعزف على البيانو ‥ حيث أنه لا يوجد عندهم آلات ‥ عزف بمنزل جدتها …

قالت ايما وهى تبتسم :

ـــ وأنا سعيدة أيضا لأنك قد اعترفت بذلك ‥ ولو أننى لست كذلك … دائما ‥ مع ضيوفى فى هارتفيلد ‥

وقاطعها والدها بحده :

ـــ لا ‥ لا ياحبيبتى ‥ انك دائما متيقظة ‥ ومهتمة بضيوفك ‥ لا أحد يقدر أن يقرر غير ذلك ‥ واذا كان هناك شىء يؤخذ عليك ‥ فهو أنك لماحة ‥ وشديدة الاهتمام ‥ والذكاء ‥ والحساسية ‥ لقد كان الاهتمام كافيا فى الليلة ‥ السابقة ‥

وقال مستر نايتلى ـ وتقريبا فى نفس الوقت الذى تكلم فيه مستر وود هاوس :

ـــ لا ‥ لا ‥ انك لســـت دائما مقصرة ‥ لا فى تصرفاتك ولا فى تقديرك للأمور ‥ وأعتقد أنك تفهميننى جيدا ‥

وكانت نظرة واحدة من « ايما » فيها الكفاية لتعبر عن رغبتها فى أن تقول : « نعم أنا أفهمك ‥ وأفهمك جيدا يا مستر نايتلى ولكنها لم تزد عن قولها : ان مس فاريفكس تستحق ذلك ‥ بل وأكثر منه ‥

قال مستر نايتلى وهو ينتقل من مكانه الى كرسى بجوارها :

ـــ يا عزيزتى ايما ‥ أتمنى أن لا تقولى لى أنك لم تستمتعى بليلتـــك ‥‥

ـــ أوه ‥ لا ‥ لا ‥ : لقد استمتعت بالمعلومات التى حصلت عليها ‥‥ والأسئلة التى سألتها ‥ وكانت اجابته فقط ‥‥

ـــ لقد أصبت بخيبة أمل ‥ بخيبة أمل ‥

وقال مستر وود هاوس بطريقته الهادئة :

ـــ أتعشم ان يكون كل فرد قد استمتع بليلته ‥ فى لحظة ‥ شعرت أن النار شديدة ‥ فتحركت بمقعدى قليلا عنها ‥ أوه ‥ وكانت مس بيتس لطيفة جدا ‥ وهى دائما كذلك ‥ ولو أنها تتكلم كثيرا ‥ وبسرعة ‥ على أى حال ‥ هى مقبولة ‥ وكذلك أيضا مسز بيتس ‥ ولكن بطريقة مختلفة تماما ‥ أننى أحب الأصدقاء المسنين ‥ ومس جين فاريفكس ‥ نوع جميل ‥ للمرأة الصغيرة الجميلة ‥ وأعتقد أنها ايضـــا استمتعت بليلتها أيضا يا مســـــتر نايتلى ‥ لأنها قـــد وجدت « ايما » ‥

ـــ حقا ـ حقا يا سيدى ‥ وايما أيضا استمتعت بليلتها ـ لأنها قد وجدت مس فاريفكس ‥

ـــ ولاحظت ايما قلقه ‥ ولرغبتها فى تهدئته قليلا ‥ ولو فى الوقت الحاضر ‥ قالت باخلاص وبطريقة لا تدع لأحد مجالا للتساؤل :

— أنها نوع من المخلوقات الرشيقة .. التى لا يمكن لأى انسان أن يمنع عينيه عن النظر اليها طول الوقت .. وكنت أراقبها بأعجاب شديد وأشاركها مشاعرها من كل قلبى .. وأرثى لحالها .. ورفع مستر نايتلى نظراته اليها بتعبير شاكر ممتن .. ولكن .. قبل أن يحاول أن يفتح فمه .. أو يرد عليها .. قال مستر وود هاوس وكل تفكيره فى « البيتسى » ..

— أنه شىء مؤلم حقا .. هذه الظروف السيئة .. التى يجتازونها .. ولكن هل يمكن أن أتجرأ وأرسل لهم بعض الهدايا .. البسيطة .. لقد ذبحنا خنزيرا .. وايما ترى أنه يمكن أن نرسل لهم جزءا من الضلع .. أو الفخذة .. انها شىء صغير .. ولكنه شعور لطيف .. ان خنازير .. هارتفيلد لايوجد لها مثيل .. وخاصة بعد الشواء .. ولكن لا توجد هناك أى معدة تتحمل الخنزير المشوى أعتقد أنه من الأفضل أن نرسل لهم الفخذة ..

هل توافقين على هذا يا عزيزتى ...

— أوه .. بابا ـ حبيبى ـ لقد أرسلت لهم فعلا ثلاثة أرباع الخنزير .. الضلوع .. والفخذة المملحة .. لكى يتصرفوا هم كما يشاؤون ..

— هذا حسن .. حسن جدا يا عزيزتى .. أعتقد أنهم أبدا لم يتذوقوا اللحم المملح .. بعد سلقه .. نعم ـ نعم .. هذا حسن رائع .. رائع يا ايما .. رائع ..

قال مستر نايتلى :

— ايما .. عندى أخبار لك .. وانت دائما .. تعشقين الأخبار .. وقد سمعت شيئا فى طريقى الى هنا .. أعتقد انه سوف يمتعك ...

— أوه ـ أخبار .. أخبار .. نعم ـ نعم ـ أننى دائما أحب أن أسمع الأخبار .. ماهى ... ولماذا تبتسم .. وأين سمعتها .. فى راندالز ..

ولم يكن عنده أى وقت ٠٠ الا ليقول :

— لا ٠٠ ليس فى راندالز ٠٠ وانما ٠٠٠

« حين فتح الباب فجاة ٠٠ وظهرت على عتبتــه مس بيتس ٠٠ ومس فاريفكس وهما تخطوان خطواتهما الأولى ٠٠ داخل الحجرة ٠٠ « وكلها شـــكر ٠٠ وامتنان وأخبـــار سريعة تود أن تنطلق ٠٠ بحيث لا تعرفان ٠٠ من منهما تبتدىء بها ٠٠ وهكذا ٠٠ وجد مستر نايتلى بأنه قد أضاع فرصته ٠٠ حين صاحت مس بيتس :

— أوه ياسيدى ٠٠ كيف حالك هذا الصباح ٠٠ ؟ وأنت أيتهـــا العزيزة مس وود هاوس ٠٠ كم أنا فخورة بك ٠٠ ما هذا ٠٠ ثلاثة أرباع خنزير أوه ٠٠ كم أنا شاكرة لك ٠٠ هل سمعت الأخبار مستر ايلتون ٠٠ سوف يتزوج ٠٠

وكانت ايما قد نسيت تماما موضوع مستر ايلتون ٠٠ لذا ٠٠ فقد أصابتها دهشة شديدة ٠٠ ولم تتمالك نفسها ٠٠ وحمرة خفيفة ٠٠ تعلو ٠٠ وجنتيها ٠٠

قاطعها مستر نايتلى بابتسامة :

— هذه هى أخبارى يا ايما ٠٠٠

صرخت مس بيتس :

— ولكن هذا مستحيل ٠٠ مستحيل ٠٠ من أين سمعت هـــذه الأخبار ٠٠ أننى لم أسمعها الا من مسز كول منذ خمس دقائق ٠٠ فقط لم أفعل شيئا ٠٠ الا بأن أضع قبعتى ٠٠ وعباءتى ٠٠ وكنت أتحدث الى باتى حين ألم تكونى فى الممر ٠٠ أوه لأن ماما كانت تخشى الا يكون لدينا وعاء كبيرا يسع هذه الكمية من اللحم ٠٠ أوه ٠٠ ولكن أعتقد أنك تعانين من البـــرد ياجين ٠٠ أن مس هاوكنز من باث ولـــكن ٠٠ أنت يا مستر نايتلى ٠٠ هل يمكن حقيقة أن تكون قد سمعت هذا الخبر الذى

لم تمض عليه لحظة واحدة ‥ لأن مستر كول أخبر به مسز كول التى جلست ‥ وكتبت لى أن مس هاوكينز ...

— لقد كنت فى عمل منذ ساعة ونصف مع مستر كول ‥ وقد قرأ خطاب مستر ايلتون ثم أعطاه لى على الفور لأقرأه أنا أيضا ...

— أوه ‥ هذا ما يمكن أن يكون ‥ أعتقد أنه لاتوجد أخبارا مسلية مثل هذه الأخبار ‥ وأمى تتمنى لكم كل التمنيات الطيبة ‥ وتشكركم جدا على هديتكم اللطيفة ...

أجاب مستر وود هاوس ...

— أننا نعتبر خنازير « هارتفيلد » ممتازة تماما ‥ عن كل ما عداها ‥ وايما وأنا ‥ لا نجد سعادة أكثر من ذلك ...

— أوه ‥ يا سيدى العزيز ‥ أن أمى تقول دائما أن أصدقاءنا شديدى ... التعاطف معنا ‥ واذا كان هناك أناسٌ لا يتمنون غنى ‥ ولا جاه ‥ فهم نحن وأن دخلنا يكفينا ‥ ونحمد اللـــه عليه ‥ أوه ‥ حسنا يا مستر نايتلى ‥ اذا لقد رأيت فعلا الخطاب بنفسك ‥ .

— أنه قصير ‥ قصير جدا ‥ فقط ليعلن الخبر ‥ ولكنـــه شىء بهيج ‥ بهيج ‥ بهيج فعلا وممتع أيضا ...

وهنا - التفت الى ايما . والقى اليها نظرة بعينيه ‥ واسترسل قائـــلا ...

— أنه محظوظ فعلا ‥ أوه ‥ لقد نسيت المضمون عندما يكون الأمر لا يخصنى ‥ أوه ‥ تذكرت ‥ كان الخطاب يجرى هكذا ‥ : « أنه سوف يتزوج مس هاوكينز ‥

ومن طريقة الكتابة ‥ اعتقد أن الموضوع قد تقرر نهائيا ...

وحالما استطاعت ايما ان تتمالك أنفاسها قالت :

— مستر ايلتون سيتزوج ‥ مستر ايلتون ‥ سيتزوج ‥ أن كل انسان سوف يتمنى له السعادة ‥ كل السعادة ...

وكان تعليق مستر وود هاوس :

— أنه مازال صغيرا جدا للاستقرار ·· من الأفضل له ألا يتعجل الزواج ··· أنه يبدو لى هكذا ·· مناسبا تماما ·· لقد كنا نسعد به دائما فى « هارتفيلد » ··

قالت مس بيتس بمرح :

— جار جديد لنا يا مس وود هاوس ··· أن أمى سعيدة جدا ·· انها تقول أنها لم تكن تتحمل رؤية « الابرشية » دون وجود سيدة بها ·· أنباء عظيمة ···· عظيمة حقا ·· جين ·· أنك لم تقابلى مستر ايلتون أبدا ·· لا شك وأنك متلهفة على رؤيته ···

أجابت جين :

— لا ·· لم أر مستر ايلتون ·· هل هو طويل ··· ؟

صاحت ايمـــا :

— من الذى سوف يجيب على هذا السؤال ···

سوف يقول والدى ·· نعم ·· ومستر نايتلى ·· لا ·· ومس بيتس بأنه متوسط ·· عندما تمكثين معنا يا مس فاريفكس ·· فانك ســوف تفهمين أن مستر ايلتــون هو من طـــراز متكامل فى « هايبرى » فى الشخصية ·· والعقلية معا ···

— فعلا ·· فعلا ·· هـــذا حقيقى ·· يا مس وود هاوس أنه أفضل شاب هنا ولكن يا عزيزتى جين ·· اذا ما كنت تذكرين ·· لقد أخبرتك أنه تقريبا يوازى طول مستر بيرى ·· أوه ·· مس هاوكينز شابة ممتازة ·· أن كل اهتمام أمى أن تجلس فى مقعد فى الكنيسة - حتى يمكنها أن تسمع ·· أن بها صمما خفيفا كما تعلمين ليس ثقيـــلا ولكنها لا تسمع بسرعة ·· جين تقول ·· أن كولونيل تشامبل هو الآخر ·· به قليل من الصمم ·· وهو يعتقد أن الاستحمام ·· بالماء الساخن

يفيد الصمم ·· ولكنها تقول بأنه لم يفد فى شىء كولونيل تشامبل كما نعلمين هو ملاكنا الحارس ·· أما مستر ديكسون ·· فهو رجل لطيف ·· وهو معجب به ايما اعجاب ·· أنه شىء جميل ·· وسعادة عظمى أن يجتمع الاشخاص الطيبين ·· معا ·· وهم دائما يجتمعون ·· والآن ·· سوف يكون هناك أيضا ·· مستر ايلتون ·· ومس هاوكينز وهناك·· « الكولز » أناس طيبون للغاية ·· « والبيريز » أعتقد أن لا يوجد اثنان مناسبان لبعضهما مثل ·· مستر ·· ومسز بيرى ···

وهنا ·· استدارت توجه حديثها الى مستر وود هاوس :

— أعتقد يا سيدى ·· أن هناك أماكن قليلة ·· بها مثل مجتمع « هاييرى » ·· أننى دائما أقول ·· أننا محظوظين ·· ومباركين فى جيراننا ·· يا سيدى العزيز ·· اذا كان هناك شىء تحبه أمى ·· فهو لحم الخنزير ·· قطعة من ضلع الخنزير المشوى ···

قالت ايما :

— من هى مس هاوكينز · ومنذ متى تعارف معها ···

— أوه ·· لا شىء ·· لا شىء ·· لا أحد يعرف شيئا ·· واننا نشعر بانهما لم يتعارفا الا من مدة قصيرة جدا ·· لقد ذهب منذ أربعة أسابيع فقط ·· لا أحد عنده اخبار عن هذا الموضوع ···

وبعد لحظة من التعجب والدهشة ·· قالت ايما :

— انك صامتة لاتتكلمين يا مس فاريفكس ·· أتمنى أن تشاركينا الاهتمام بهذه الأخبار ·· انك تنتمين الى مجتمع « مس تشامبل » ولن تغفر لك عدم اهتمامك بمستر ايلتون ··ومس هاوكينز··

أجابت جين :

— لا شك فى أننى سوف أهتم فقط حينما أرى مستر ايلتون ·· كما أن زواج ·· مس تشامبل ·· مضت عليه مدة طويلة ·· ونسيت الموضوع ··

قالت مس بيتس :

— نعم .. نعم .. لقد مضى عليه أربعة أسابيع .. أوه .. مس هاوكينز .. أننى أعتقد انها ربما تكون سيدة صغيرة .. لقد همست مرة مسز كول فى اذنى .. واعتقد انها اشارت اليها .. ولكننى قلت لهـــا - لا - لا .. ان .. مستر ايلتون رجل غنى وممتاز .. ولا أعتقد أنه يختار مثل هذه .. أوه .. مس وود هاوس .. كيف حال مس سميث .. أعتقد أنها قد تماثلت للشفاء الآن .. هل سمعت شيئا عن مسز جون نايتلى .. أوه .. هؤلاء الأطفال جين .. هل تعلمين باننى كنت دائما ..اشبه مستر ديكسون .. بمستر جون نايتلى .. اقصد فى الشخصية .. وفى الطول .. وفى المظهر .. نفس المظهر .. ونفس الطباع الصامتة .

— لا .. أنت مخطئة .. مخطئة تماما ياخالتى العزيزة لا يوجد أى شبه بينهما على الاطلاق ...

— شىء غريب .. شىء شاذ .. ولكن لا يمكن أن يشكل أى شخص فكرة الا اذا ما كان قد اقتنع بها .. مستر ديكسون كما تقولين ليس وسيما .. وليس صامتا ...

— وسيما .. لا .. لا .. أنه أبعد ما يكون عن الوسامة لقـــد قلت انه صريح .. فقط قلت أنه صريح ...

— يا عزيزتى .. لقـــد قلت أن مس تشامبل لن تسمح له بان يكون صريحا .. أبدا .. وأنت نفسك قلت ..

— اوه .. أننى عندما اهتم بشخص - أعتقد دائما .. ان مظهره جميل .. لقد قلت ما أعتقد أنه رأى عام .. عندما قلت بانه صريح ..

— على أى يا عزيزتى .. اننا بعدنا كثيرا عن الموضوع .. وتأخرنا .. والطقس لا يبدو مبشرا بالخيـــر .. وجـــدتك سوف تقلق علينا .. أوه .. مس وود هاوس .. يجب أن تسمحى لنا بالانصراف .. فى الحقيقة .. انها كانت أخبارا حسنة .. أننى سوف أمر على مسز كـــول .. ولكننى لن أمكث عندها .. أكثر من ثلاث دقائق .. وأنت

يا جين .. من الأفضل العودة الى المنزل رأسا لا أريد لك أن تتحملى الأمطار .. ولو أننى أعتقد أن هذه الأيام هى أحلى أيام الطقس فى « هايبرى » .. شكرا .. شكرا .. فى الحقيقة .. سوف أدعو مسـر جودارد .. فانها لا تحب شيئا أكثر من الخنزير المسلوق ... وعندما نطهى الفخذة .. فهذا شىء آخر .. صباح جميل لك يا سيدى .. أوه .. مستر نايتلى .. سيأتى معنا .. اوه .. هذا جميل .. جميل جدا .. أعتقد أنه يمـكنك أن تعطى ذراعك لجين .. لتسـتند عليه .. حين شـعورها بالتعب .. اوه .. مسـتر ايلتون ومس هاوكينز .. أوه .. صباح سعيد ـ صباح سعيد ..

والآن .. ايما وحدها .. هى ووالدها .. نصف مشاعرها معه .. والنصف الآخر لمشاعرها الخاصة حين سمعته يغمغم : ان الشباب متعجل على الزواج .. ثم الزواج من غرباء .. أيضا .. « وهى مع نفسها .. كانت تفكر فى نفس الموضوع وكانت بالفعل .. مستمتعة بهذه الأخبار .. كل الاستمتاع ... ومرحبة بها .. كل الترحيب .. اذا .. مستر ايلتون لم يتألم كثيرا .. هيه هكذا .. سريعا .. ولكنها حزينة .. حزينة جدا .. من أجل هارييت .. ان كل ما تتمناه ان تنقل اليها هـذه الاخبار بنفسها قبل ان تصلها من الآخرين .. فتكون الصدمة الكبرى .. وانه الآن .. الوقت للذهاب .. ولو أن المطر .. ابتدأ يهطل ـ وهى فى هذا التفكير .. اذا بهارييت تدخل بنظرة ذاهلة :

ـ اوه .. مس وود هاوس .. مس وود هاوس .. ما هـذا الذى حدث .. ؟ ما هذا .. ؟

وهارييت تتكلم .. وتتكلم .. وايما تنصت اليها .. فى عطف شـديد ...

قالت انها منذ خرجت .. من منزل مسز جودارد .. وهذا كان من نصف ساعة .. وهى تخشى أن تمطر السماء .. ولكنها كانت قـد قررت ان تذهب الى هارتفيلد أولا .. لذا فقد أسرعت بالسير ما أمكنها .. ولكنها عندما مرت بمنزل المرأة التى تصنع لها ثوبا جديدا وهى

حائكة للثياب ٠٠ رأت أن ترى الى أى حد انتهت منه ولم تمكث عندها أكثر من نصف ثانية ٠٠ وعنـــدما خرجت ٠٠ أمطرت الســـماء مطرا غزيرا ٠٠ ولم تدر ماذا نفعل ٠٠ أو الى أين تذهب ٠٠ فانزوت فى مخل اقمشة ولم تقف دقيقة واحدة ٠٠ الا ودخلت اليزابيث مارتن وشقيقها ٠٠ « اوه ٠٠ يا عزيزتى لقـد كنت على وشـــك الاغماء ٠٠ ولم ادر ماذا أصنع ٠٠ لقد كنت بجوار الباب ٠٠ فى حالة شديدة من البؤس ٠٠ انا متأكدة من أن لونى كان أبيض مثل ردائى ٠٠ ولم أتمكن من الخروج ٠٠ لهطول الامطار ٠٠ اه يا عزيزتى ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ كنت أتمنى أن أكون فى أى مكان فى العالم الا هذا المكان ٠٠ وهذا الوقت ٠٠ على أى حال ـ بدلا من أن يخرجا بمشترياتهما ٠٠ وقفا ينظران الى ٠٠ ويتهامسان أنا متأكدة انهما كانا يتهامسان على٠٠هل تعتقدين أنه قد ارغمها على ان تتحدث معى ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ اننى أعتقد ذلك فهى قد حضرت الى ٠٠ مستعدة ٠٠ لمصافحتى اذا رغبت أنا فى ذلك ٠٠ وسألتنى عن أحوالى ٠٠ وقد لاحظت ٠٠ انها بسبيل المهاجمة ٠٠ ولكنها كانت تحاول ان تبدو لطيفة معى ٠٠ ووقفت تتكلم لفترة ٠٠ وأنا لا أذكر ماذا قلت ٠٠ لقد كنت ارتعش ٠٠ لقد قالت انها آسفة لاننا لم نتقابل من مدة ٠٠ بحيث أعتقدت أنها لطيفة ٠٠ لطيفة جدا ٠٠ اه ٠٠٠ يا عزيزتى مس وود هاوس ٠٠ لقد كنت تعيسة ٠٠ تعيسة جدا ٠٠ فى هذه اللحظة ٠٠ لم أجد أى شىء يمنعنى من أن أجرى ٠٠ وأجرى ٠٠ وأجرى الى الخارج ٠٠ وهنا ٠٠ اتى هو الى ٠٠ ببطء ٠٠ ببطء شـــديد ٠٠ كأنه يعرف ماذا سيفعل وتكلم ٠٠ واجبت أنا ٠٠ ووقفت لدقيقة ٠٠ أشـــعر كأننى ميتة ٠٠ هل تعلمين ٠٠ لا يمكن أن أصف لك ماحدث ٠٠ وأصف لك حالتى فى هذه اللحظة ٠٠ ثم استلهمت شجاعتى ٠٠ وقلت ان المطر قد توقف وانه يجب على الآن أن أذهب الى هارتفيلد ٠٠ وقال لى أنه يعتقد أنه من الأفضل المرور باسطبلات مسز كول لانه الطريق الأفضل ٠٠ وهو طريق مستو تماما ٠٠ اه ياعزيزتى٠٠لقد أعتقدت أنهيوم مماتى ٠٠ وقلت له أننى شاكرة له فضله ٠٠ ثم عاد هو ثانيا ٠٠ الى اليزابيث ٠٠ ودرت أنا بالاسطبلات ٠٠ صدقينى يا مس وود هاوس ٠٠ لم أكن ادر ٠٠ أين أنا ٠٠ او ماذا أفعل ٠٠ لم أفعل شيئا ٠٠ لقد شعرت بالسرور لمعاملته

الطيبة ·· وأيضا اليزابيث ·· آه يا مس وود هاوس ·· تكلمى معى ·· لكى أشعر بالراحة والهدوء ··

وكانت ايما تود ذلك بكل عواطفها ·· ولكن ·· لم يكن ذلك فى قدرتها ·· انها هى نفسها ·· لم تكن فى حالة طيبة ·· ان فى سلوك الفتى وأخته سببا مباشرا فى هذا الشعور الذى تشعر به الآن ·· وهى لا تملك الا أن ترثى لحالهما ·· من حالة وصف هارييت لهما كان يمكن استخلاص جرح فى تصرفاتها ·· ولكنها تعلم انهما لا يستحقان التفكير ·· بالطبع ·· وهو حزين لفقدها ·· أيضـا ·· الحب ·· ولقد بدا واضحا ·· انه كان أو كانوا كلهم يريدون الارتفـاع على حسابها ·· بواسطة ·· هارييت التى تحتضنها فى « هارتفيلد » ···

وحاولت أن تهدئها ·· وأن تقنعها بأن كـل ما حدث تفاهات لا تستحق منها التفكير ·· « ولكن يبدو انك قد تصرفت تصرفا سليما ·· سليما جدا ··· وأرجو الا تفكرى فى هذا الموضوع أكثر من ذلك ··· »·

قالت هارييت : نعم ·· نعم ·· هذا حقيقى ·· ينبغى الا أفكر فيه أبدأ ·· ولكنها طول ما تتكلم ·· فلا تتكلم الا فى هذا الموضوع ·· وأخيرا حتى تستطيع ايما أبعاد شبح « المارتنز » من ذهنها ·· كانت مضطرة اضطرارا أن تخبرها بالأخبار ·· خجلة ·· أو غضبى من نفسها ·· لأنها تعرف أهمية ·· مستر ايلتون بالنسبة لها ·· وفى مثل هـذه الحالة من توتر الأعصاب مسكينة هارييت ·· مسكينة ·· كم هو مهم بالنسبة لها ·· هذا ·· المستر ····· ايلتون ··

الفصل الواحد والعشرون

أنها الطبيعة الانسانية .. وفى حالتين معينتين .. يذكر الناس عنهم كل خير .. : الأفراح .. والموت ..

ولم يمر أسبوع واحد فقط على ذكـــر اسم « مس هاوكينز » فى « هايبرى » حتى أصبحت .. بأى شكل كان .. أنها انسانة جميلة .. وأنيقة .. عاقلة .. متعلمة .. تعليما عاليا .. محبوبة .. حتى أنه عند وصول مستر ايلتون .. لم يجد شـــيئا يتكلم به عنها .. لقد قالوا كل شىء .. فلم يذكـــر الا أســـمها بالكامل .. وألوان الموسيقى التى تلعبهـــــــا ..

لقد عاد مستر ايلتون رجلا سعيدا .. ســـعيدا جدا .. لقد سافر وفى قلبه غصة .. وصدمة .. وخيبة أمل لكل آماله .. وعاد .. وفى قلبه فرحة .. وأمل .. وحب .. عاد خاطبا لامرأة أخرى .. وأخرى ممتازة بالطبع عن الأولى .. وفى مثل هذه الظروف .. بأنه يرى أنه قد ربح ربحا هائلا .. عاد مشتاقا .. ومشغولا .. برضاء نفس تام .. غيـــر مباليا لا بمس هاوس .. ولا بغيرها .. متحـديا .. وســـاخرا بازدراء .. « مس سميث » ...

الساحرة .. « أوجستا هاوكينز » ...

بالاضافة الى مميزاتها المتعددة .. وجمال خلقه .. وخلق .. وارثة لثروة .. لا يقل دخلهـــا عن كثير وكثير من الآلاف .. وبعض المقاطعات أنه لم يرتبط بأى امرأة .. انه ارتبط بامرأة .. لها دخـل سنوى يزيد كثيرا جدا عن عشرة آلاف جنيه .. وقد ربحها منذ اللحظة الأولى .. التى قدموه فيها اليها .. وقصـــة الغرام .. والانتصار .. وأحراز النجاح .. التى قدمها مستر ايلتون لمسز كول .. الى العشـاء .. والخطوات سريعة متلاحقة .. من اللقاء بالصدفة .. الى العشــاء عند مستر جرين .. والوليمة .. عند مسز براون .. الابتسامات وأحمرار الوجوه .. والاهتمام .. بكل سهولة .. وبساطة .. تمكن من اثارة السيدة .. لتقبله بكل فرح وسعادة ..

(ايمـــــا)

لقد أمسك بثروتين .. الثروة الماليـــة .. والثروة الجمالية .. والحب أيضا .. وأصبح أسعد رجل .. كما يتحدث هو عن نفسه .. وعن خصوصياته .. متوقعـــا التهنئة من كــــل شخص .. مستعدا للضحك دائما ..

ولم يكن يوم الزفاف بعيدا .. فان الحفلات لم تتوقف .. ولم تكن هناك الا بعض الترتيبات البسيطة التـى يمكن أن تتم .. وعندما عاد ثانيا الى « باث » كان هناك توقعا من « مسز كول » أنه فى عودته سوف يحضر معه عروسه السعيدة ...

وفى خلال زيارته الأخيرة .. القصـــيرة .. أتضح لايما .. أنها كانت مخطئة فى تصورها أنه شخص ممتع .. وتعجبت من شعورها الخاطىء الذى صوره لها .. انسانا مقبولا .. وأصبح هيكله يبعـــث فيها .. شعورا بغيضا .. ويعكس انطباعا سيئا .. وشكرت اللـــه .. على أنها سوف ترتاح من رؤياه .. ولو أنها تمنت له كل الســعادة .. فى حيـــاته .. وأنعكس وداعه لها على سـعادة نفســـية تامة لها .. وبعض الآلام ..

الألم لمـــاذا ...

لأنه سوف يســـتقر فى « هايبرى » .. ولـــكن .. بلاشـــك أن الزواج سوف يخفف من وطأة هذه الاقامة .. فان مستر ايلتون سيكون سببا فى كل تغيير .. ويجب أن تكيف حياتها على حياة اجتماعية دون النظر الى هذه الرواسب القديمة ...

أما عن السيدة .. فقد رأت ايما أنها خير من يناسب مستر ايلتون .. دون شـك .. ومناســـبة تماما للاقامة فى « هايبرى » .. جميلة جمالا كافيا ... واضحا .. واذا ما قورن بجمـــال هاربيت فان كفـة الأخيرة هى . الراجحة واذا ما استعرضت فى ذهنها ما فعله مســتر ايلتون .. وبمنتهى العدل .. والبساطة .. تجد أنه لم يفعل شيئا .. اذا ما قارنت الألف جنيه .. وهاربيت .. تجـــد ماذا .. أن هاربيت

لا اسم لها ‥ ولا عائلة ‥ ولا أصل ‥ لا مال ‥ أما « مس هاوكينز ». فانها الأبنة الصغرى لتاجر من « بريستول » ظهرت ثروته حديثا ‥ وقد أعتادت أن تمضى جزء من الشتاء فى « باث » ولكن منزلها كان فى « بريستول » ‥ فى قلب « بريستول » ‥ ومـــات والـــدها ‥ ووالدتها منذ بضعة أعوام ‥ وبقى لها عم ‥ لا يمت لها بصـــلة ‥ الا صلة القانون ‥

وعاشت معه الأبنة ‥ وقد ظنت ايما أن كل الثروة قد آلت الى الأبنة الكبـــرى ‥ التى تزوجت من رجـــل عظيم يعيش بالقرب من « بريستول » ‥ عنده عربتان ‥ وهذا هو كل تاريخ « مس هاوكينز ».

هل يمكن أن تقول هذا لهارييت ...

لقد حاولت أن تتكلم معها ‥ بحب ‥ وفهم ‥ ولكن المسكينة لم تكن فى حالة تسمح لها ‥ بالكلام ‥ أو تتوقع حضور مستر ايلتون ‥ تتمنى أن تسمع صوته ‥ تتكلم عنه ‥ تسأل كل من راى مســـتر ايلتون ‥ وأعجب به ‥ ولم يكن بها أى استعداد للشفاء ‥ كان كل أملها أن تراه ‥ جالسا ‥ واقفا ‥ آتيا ‥ أنفاسه ‥ فى المنزل ‥ قبعته ‥ كان كل ما فى عقلها ... وخيالها ...

وفى يوم ‥ ذهبت مسز اليزابيث مارتن الى هارييت ‥ ولم تكن هناك ‥ فتركت لها مذكرة ‥ عند مسز جودارد ‥

ورأت ايما ‥ انه يجب على هارييت أن ترد على زيارة « اليزابيث مارتن » ‥ واخذتها اليهم فى عربتها ‥ ومرت عليها بعد فترة قصيرة ‥ لتعود بها الى منزلها ...

لقد ظنت ايما ‥ انه لا يمكن لها أن تفعل أكثر مما فعلت ‥ وماذا يكون مصير هارييت المسكينة ‥ اذا ‥ ماذا ‥ ماذا ‥

الفصـــل الثاني والعشـرون

يا للقلب المسكين .. « هاربييت .. نصف ساعة فقط أمضتها عند أناس ... قضت بينهم - ستة أسابيع كاملة .. ومرت ايما بالعربة - بين شجيرات التفاح .. ونسمات الخريف .. ثم وصــلت الى البوابة البيضاء .. ومس سميث تنزل السلالم فى بطء .. ومس مارتن تبدو فى أعلى السلم وتودعها .. بتحياتها ...

وقد قصدت ايما أن تقتصر الزيارة على هذه المدة .. وحتى لا تزيد فى هياج الألم .. فى قلب هاربييت الصغير ...

قالت هاربييت بانها قابلت فقط .. مس مارتن .. والابنتين .. وقد قابلوها بشك وريبة .. ان لم يكن ببرود .. وقد قالت لها مســز مارتن أنها كانت تعتقد أنها كبرت .. وأنها قد ازدادت .. حرارة وفى نفس الحجرة .. فى سبتمبر الماضى كانت هناك مناسبة .. ومازالت خطوط الأقلام على النوافذ .. تشير لأيامهم .. وتلك الفترة السعيدة ..

وكانت ايمــا تتساءل :

« أيهما أسعد حالا .. هى .. أم هاربييت ...

وكانت الاثنتان فى حالة سيئة ...

ورأت ايما أن تفرج عن نفسها .. بعد أن تقززت من الحديث عن مستر مارتن وعائلته .. أنها تريد هواء .. « راندالز » .. وأحاديثها الحلوة .. فى راندالز ...

وكانت فكرة طيبة .. ولكن عندما وصلت العــربة الى الباب .. علمتا بأنه لا مستر ولا مسز ويستون بالمنزل .. وأنه من المعتقد أنهما الآن فى هارتفيلد ...

صاحت ايمــا :

— هذا شيء سيء للغــاية ...

وانكمشت فى ركن من العربة ٠٠ تدمدم لنفسها ساخطة على هـذا الحظ السىء أيضا ٠٠٠

وفجأة - توقفت العربة ٠٠ ونظرت ٠٠ لقد أوقفتها مستر ومسز ويستون ٠٠ ووقفا يتحدثان معها ٠٠ كانت لمحة فرح وسعادة ٠٠ عند رؤياهما ٠٠ ثم سعادة أكبر عندما صاح بها مستر ويستون :

ــ كيف حالك ٠٠٠ سعيد لرؤياك يا ايمـــا ٠٠٠

فرانك سيصل غدا ٠٠ وصلنى خطاب منه هذا الصباح ٠٠ سنراه غدا فى العشاء ٠٠ انه اليوم فى أكسفورد - اذا ما كان قـــد حضر فى الكريسماس ٠٠ فانه كان لن يمكث بيننا الا ثلاثة أيام فقط ٠٠ أما الآن ٠٠ فسوف نستمتع به أسبوعين ٠٠ والجو بديع ٠٠ وسوف نستمتع به تماما ٠٠ كل شىء يأتى وفق رغباتنا ٠٠٠

ولم تكن هناك انباء كثيرة ٠ غير وجه مستر ويستون السعيد ٠٠ وتعقيب زوجته القصير ٠٠ ولنفس الخبر ٠٠ كانت لحظات سعادة ٠٠٠ نسيت فيها ايما بشاعة أخبار مســـتر ايلتون ٠٠ وتمنت لها أن تنمحى نهائيا ٠٠ ولا تعود تذكرها فيما بعد ٠٠٠

وأخبرها مستر ويستون عن الارتباطات والزيجات فى «انسكومب» ٠٠ مما سمح لولده أن يبعـــد الأسبوعين ٠٠ وأستمعت هى اليـــه ٠٠ وهنائه ٠٠٠

وفى النهاية ٠٠ صـــاح بها :

ــ سوف أحضره معى الى « هارتفيلد » ٠٠ وتخيلت ايما ٠٠ بأنها قد شاهدت لكزة على ذراعه ٠٠ من زوجته ٠٠٠

قالت مسز ويستون :

ــ الأفضل أن نترك الفتاتين يا مستر ويستون ٠٠ لقد أخرناهما طـــــويلا ٠٠٠

— اوه .. حسـنا حسـنا .. أننى مستعد ...

ثم التفت ثانيا الى ايما قائلا :

— ولكن .. لا أتمنى لك أن تتوقعى رجلا وسيما فاتنا .. ابدا أنه عادى .. عادى جدا .. هه ...

وكانت عيناه تلمعان بالفرحة .. وهو يتكلم .. وايما تنظر اليه فى براءة ..

حين قالت لها مسز ويستون بلهجة يشوبها بعض القلق .. وتوجه الحديث خصيصا لها :

— ايما .. يا حبيبتى .. اذكرينى غـدا .. حوالى الساعة الرابعـة ..

وكان تعليق مستر ويستون السريع :

— آه .. الرابعة .. آه .. هذا يتوقف على مجيئه فى الثالثة..

وهكذا .. انتهت أروع مقابلة .. رفعت من روح ايما المعنوية .. وأشعلت عواطفها بهجة وضياء .. واكتسى كل ما حولها .. حلة جديدة .. الهواء ممتع .. الحياة حلوة .. حتى جيمس .. والخيل .. صاروا فى حالة مرحة .. وخفيفة فى سيرها عما قبل .. وحتى عندما نظرت الى وجه هارييت رأت فيه «بسمة الربيع» .... !

سألت هارييت :

— هل سـيمر مسـتر فرانك تشرشل بباث .. كما سـيمر باكسفورد .. ؟

وكان سؤال .. لم تتلق عنه أى اجابة .. ولكن لا .. الجغرافيا .. ولا الهـدوء أتيا .. لأن ايمـا كانت فى حـالة لا تمكنها من التركيز فى شـىء .. !

وأتى الصباح البهيج المشرق ٠٠ ؟

ولم تنس تلميذة مسز ويستون المخلصة ٠٠ الســاعة العاشرة ٠٠ ولا الحادية عشر ٠٠ ولا الثـانية عشر من أنها ٠٠ لابد وأن تفـكر فى الساعة الرابعة ٠٠ ؟

قالت لنفسها ٠٠ وهى تهبط السلالم من غرفتها ٠٠ الى أسفل :

— آه ٠٠ آه يا حبيبتى ٠٠ يا حبيبتى القلقة ٠٠ ؟

دائما تفكرين فى راحة كل شخص ٠٠ الا نفسك ٠٠ أننـى أرى الآن كل أفعالك الحلوة الطيبة ٠٠ الآن ٠٠من هذه الغرفة ٠٠ ومن كـل مكان ٠٠ ومتأكدة من أن كل ما تفعلينه صواب ٠٠ فى صواب ٠٠ !

ودقت الساعة الثانية عشر وهى تعبر الى الصالة ٠٠ آوه ٠٠ مازالت الثانية عشر ٠٠

لن أنسى أن افكر فيك أربع ساعات أخرى ٠٠ ثم بعــد ذلك فى الغد ٠٠ سوف أفكر أكثر فى امكان أحضاره هنا ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ أننى متأكدة ٠٠ من أنهم سوف يحضرون حالا ٠٠٠

وفتحت الباب ٠٠ وهنا ٠٠ رأت سيدين ٠٠ يجلسان مع والدها ٠٠ « مستر ويستون ٠٠ وولده » ٠٠ كانا قد وصلا فقط من دقائق ٠٠ وكان مستر ويستون قد انتهى لتوه من أيضاح وصول فرانك مبــكرا ٠٠ يوما قبل موعده ٠٠ ووالدها فى أرق مشاعره المضيافة ٠٠ عنــدما ظهرت لتشارك بدورها ٠٠ الدهشة ٠٠ والفرحة ٠٠ والتقــديم ٠٠ والترحيب ٠٠ والســرور ٠٠٠

ومستر «فرانك تشرشل» الذى تحدثوا عنه طويلا ٠٠ كان هو أيضا طويلا ٠٠٠ وقدموه اليها ٠٠ وانها تعتقد أنهم لم يعطونه حقه من الوصف ٠٠ ومن المديح ٠٠

كان شابا ٠٠ فى روحه جمال المظهر ٠٠ روح حلوه ٠٠مثل والده٠٠ شخص يعطى انطباعا جميلا ٠٠ سريع البــديهة ٠٠ والحساسـية ٠٠

وشعرت فى الحال ·· انها يجب أن تحبه ·· وكانت فى حالة يسر فى المشاعر ·· واستعداد تام للحديث ·· مما جعلها تشعر بأنه قـد أتى خصيصا للتعارف بها ·· وأن صـداقتهما لابد وأن تأخـذ مكانها فى الحال ···

لقد وصل الى « راندالز » ·· فى الليلة السابقة ·· وكانت فرحته الشديدة ·· سـببا فى أن يعجل بالسـفر مبـكرا ليكسب نصف يوم فى صالحه ···

صاح مستر ويستون بمرح :

ــ لقد أخبرتك بالأمس بأنه سوف يأتى قبل موعده المحدد ·· اننى أتذكر ما تعودت أن أفعله أنا نفسى ·· أن الفرح الذى يشعر به الانسان ·· عندما يلقى أحبـابه ·· يجعله يعجل بالذهاب اليهم دون ما طاقة ·· على الانتظار ···

قال الشـاب :

ــ انها متعة كبرى ·· حتما ·· حينما ينهمك المرء فى العمل ·· ولكن حين يعود الى البيت ·· هنا ·· رأيت أن استريح ·· وأعمل شـيئا ···

وعندما سمع الوالد ·· كلمة « البيت » نظر الى ولده ·· نظرة حب ·· وسعادة ·· وأدركت ايما على الفور ·· انه يعرف كيف يجعل نفسه مقبولا ····

ومحبوبا ·· وما أتى بعد ذلك ·· لتقوية العلاقات كان مذهلا ·· فانه عبر عن سعادته وفرحته بالبيت فى « راندالز » وأن المنزل رتب بطريقة أعجبته كثيرا ·· ولو أنه صغير ألا أنه أحب موقعة ···· ونظامه ·· وتنسيقه ·· والسير الى هايبرى ·· ثم الى هارتفيلد ··· « لا أحد يمكن أن يتخيل متعتها ·· لهذه الزيارة ·· وأن الرغبة سوف تزداد ·· لمعاودة السير ·· ولمعاودة متعة السـير ·· التى تعطى الرغبة الدائمة للزيارة الى هارتفيلد ···

لقد رأت فيه ايما ـ شخصا حبيبا .. ولم يكن فى تصرفاته ولا فى كلماته .. أى معنى من معانى الزهو .. أو استعراض الثقافة أو المبالغة .. فى الحقيقة .. كان يتكلم بشعور صادق .. بمتعته الحقيقية ...

وكانت المواضيع عامة .. وتتسم بالمعارف ومن جانبه هو .. كان تساؤله : هل هى فارسة ماهرة .. هل تحب المشى ... هل يوجد جيران .. ومعارف كثيرين من حولهم .. فى .. « هايبرى » .. ربما يكون مجتمعها فيه الكفاية .. ففيها منازل بديعة متعددة .. هل هناك حفلات .. اجتماعات .. حفلات راقصة .. حفلات موسيقية .. وأى هذه الأشياء يمتعها . ويرطبها .. ويرضيها .. وحاول أن ينتهز فرصة ليتكلم معها بحرية أكثر .. وحانت هذه الفرصة .. عندما انشغل الوالدان .. بحديث عن أمه .. وكانا يمتدحانها .. ويقولان عنها أنها هدية من السماء .. كل يتكلم بحرارة .. وأنها قد حمت والده .. وعن استقبالها الطيب له .. بالاضافة الى كونها تعرف كيف تسعد الانسان الذى تعيش معه .. ويعيش معها ...

وقد سمعت ايما هذه الأحاديث .. ولكنها كانت متأكدة أنها أقل بكثير مما تستحقه مسز ويستون .. وادرك فرانك تشرشل أنه مرغوب فيه .. وأن وجوده بالمنزل يعتبر كسبا لهم .. ولكنه أيضا .. كان متأكدا من شىء واحد .. هو كما قال عن زواج والده :

« انه اختيار رائع .. والعائلة التى خرجت منها هذه السيدة « مسز ويستون » تستحق كل تقدير .. ومحبة .. واحترام ...

واقترب منها أكثر .. وأكثر .. ليشكر لها هديتها فى « مس تايلور » .. دون أن ينسى ذكر الأشياء الهامة .. من أن مس تايلور .. قد شكلت شخصية مس وود هاوس .. ولم تشكل مس وود هاوس .. شخصية مس تايلور .. وفى النهاية .. بعد أن ركز ذهنه تماما للوصول الى لب الموضوع .. أثاره قائلا :

انه قد ذهل لشبابها .. وجمالها .. ثم قال :

— لقد كنت مستعدا لهذا .. أنيقة .. مقبولة .. حلوة الشمائل .. ولكننى أعترف .. بأننى لم أكن أتوقع أن أرى امرأة جميلة .. هى ... « مسز ويستون » ...

قالت ايمـــا :

— انك لا ترى أشياء كثيرة .. فى مسز ويستون .. كما أراها أنا بمشاعرى .. هل كنت تتوقع أن ترى مســز ويســتون فى الثامنة عشر .. أننى أستمع اليك .. بسرور ولكن هى .. ربما تتشاجر معك .. عندما تسمع ذلك . أرجــوك .. لا تجعلها تتصــور انك تكلمت عنها كامرأة صغيرة جميلة ..

قال باطراقة :

— أننى أتمنى أن أعرف عنها أكثر من ذلك .. حتى يمكننى أن أخاطب مسز ويستون .. بفهم أكثر ...

وتعجبت ايما من تصرفاته .. وأقواله .. هل مجاملاته هذه يمكن أن تعتبرها نوعا من الصداقة ... أو القرابة ... أوه .. لابد وأن تعرفه جيدا .. لكى تفهم طريقته فى الحديث والتعبير .. ولكن فى الوقت الحاضر .. فأنها تشعر بأنهما متماشيان بعضهما مع بعض ...

والآن .. لم يعد لديها أى شك .. فيما يرمى اليه « مستر ويستون » فان عينيه .. كانتا تدوران حولهما .. وهما تلمعان ببريق يعبر عن الفرح والسعادة .. حتى اذا ما حول نظره عنهما .. فانه كان منصــتا اليهما كل الانصات ...

أما والدها .. فكان بعيدا كل البعـــد عن التفكير فى مثل هذه الأمور .. سعيدا بالجو المحيط به .. دون النظر الى أية أمور أخرى .. خاصــة .. وانه دائما .. يعـــارض فى كــل موضوع زواج .. ويبقى حزينا .. متألما .. حتى بعد أن يجد نفسه أمام الأمر الواقع .. وقـــد حمدت له ايما ... نعمة عدم الفراسة فى هذا .. ورأته مستغرقا فى

الاستفسار عن رحلة .. « مستر فرانك تشرشل » واقامته فى خلال هذه الرحلة .. وكان يخاف عليه أن يكون قد أصيب بالبرد .. وطلب منه أن يطمئن على نفسه من هذه الناحية ..

وأوشكت الزيارة على الانتهاء .. وتحرك مستر ويستون قائلا .. بانه يجب عليه أن يذهب .. فان لديه أعمالا كثيرة فى « كراون » .. ولكنه لا يجد أى غضاضة فى أن .. يبقى ولده .. الذى سرعان ما وقف هو الآخر قائلا :

ـــ بما انك سوف تذهب لعمل .. يا سيدى .. فاننى أيضا سوف انتهز هذه الفرصة لزيارة لابد أن تتم اليوم .. أو غدا .. أو أى يوم آخر .. وعلى ذلك .. فمن الأفضل أن انتهى منها الآن .. ان لى الشرف ... فى أن أكون صديقا .. لبعض جيرانكم .. ثم استدار الى ايما قائلا :

ـــ انها سيدة تقيم هنا .. أو بالقرب من « هايبرى » .. أنها عائلة لها اسم .. « فاريفكس » .. أعتقد أننى لن أجد أية صعوبة فى معرفة المنزل .. ولو أن فاريفكس ليس الاسم الصحيح للعائلة التى تقطن هنا .. اعتقد أنه اسم « باتسى » أو .. بيتس » هل تعرفين عائلة بهذا الاسم ...

صاح والده :

ـــ طبعا .. كن متأكدا من أننا نعرفها .. « مسز بيتس » لقد مررنا بمنزلها .. ولقد رأيت مس بيتس بالنافذة .. آه .. أننى أتذكر الآن .. لقد عرفتها فى « ويموث » .. هى فتاة بديعة .... أوه ـ اذهب اليها الآن ...

ـــ لا لاداعى للذهاب اليها الآن .. فى أى وقت يكون أفضل .. ولكن .. كانت هناك درجة من المعرفة فى « ويموث » حيث ...

ـــ أوه .. اذهب ـ اذهب اليوم ولا داعى للتأجيل .. مادام

بالامكان فعله الآن .. وبجانب ذلك .. يجب أن الفت نظرك الى شىء يافرانك .. أى اهتمام بها هناك .. ينبغى أن يبتر .. لقد رأيتها مع عائلة « تشامبل » . حين كان الكل متساوين معها .. ولكن هنا .. فهى مع جدتها المسكينة .. العجوز .. وهى تريد أن تعيش .. اذا لم تذهب مبكرا .. سيكون هذا شيئا ملفتا ...

— وبدا الابن مقتنعا بما يقوله الأب ..

وقالت ايما :

— لقد سمعتها تتكلم كثيرا عن الجيران .. انها امرأة صغيرة .. جميلة .. رشيقة .. وأنيقة جدا .. وقد وافقها فرانك بهدوء قائلا :

نعـــم ...

واسترسلت ايما فى الحديث :

— اذا لم تكن قد تعايشت معها .. ومع أخلاقها .. فاعتقد أن الفرصة سانحة اليوم .. لتراها .. وتسمعها .. لا .. لا .. أننى أخشى .. من أنك لن تستمع اليها على الاطلاق .. فان لها خالة .. لا يكف لسانها أبدا عن الثرثرة ...

قال مستر وود هاوس :

— انك تعرف « مس فاريفكس » يا سيدى .. اذا .. دعنى أوكد لك .. انك سوف تجد امرأة صغيرة .. جذابة .. انها هنا فى زيارة لجدتها وخالتها .. قوم بسطاء جدا .. لقد عرفتهم طوال حياتى .. وسوف يسعدون جدا لرؤياك .. وسوف أرسل معك واحدا من الخدم .. ليرشدك الى الطريق ...

— أوه يا سيدى .. ولكن يمكن لوالدى أن يوجهنى للطريق ...

— ولكن والـــدك لن يذهب بعيـــدا .. انه ذاهب فقط الى « الكراون » ... على الجانب الآخر من الشـــارع .. وهناك منـــازل عديدة .. لابد وأن تفقد وجهتك .. ولكن السائق سوف يرشدك اليـه على الفـور ..

ولكن فرانك .. بدا مصرا على موقفه .. وقال والده ..

— يا صديقى العزيز .. ان فرانك يعرف كل شيء ... وبالنسبة لمنزل مس بيتس فانه سوف يقفز قفزة واحدة من الكراون ليجد نفسه هناك ... وأخيرا سمح لها .. بالذهاب بمفردها .. وبايماءة حارة من واحد .. وانحناءة شاكرة من الآخر .. ذهبا .. وبقيت « ايما » .. فى مكانها .. سعيدة .. ببداية هذه المعرفة ..

ويمكنها الآن .. أن تفكر بهدوء .. في كل أحبائها فى « راندالز » .. فى أي ساعة من ساعات اليوم .. بثقة تامة فى راحتهم كلهم .. وسعادتهم ..

الفصـــل الثالث والعشـــرون

وفى الصباح التالى ·· هلت تباشير طلعة مســـتر فرانك تشرشل الحلوة ·· للمرة الثانية مصحوبا بمسز ويستون ·· التى بدت فى أجمل صورها ·· بالمنزل ·· ثم قررا فجاة ·· أن يتريضا بالســـير ·· وكان الاختيار « هايبرى » ·· انها تعطى منعة للسائرين ·· بهوائها اللطيف ·· فان هايبرى ·· بالنسبة الى مسز ويستون هى ·· « هارتفيلد » ···

وكان من الصعب على ايما توقع حضورهما ·· لأن مستر ويستون نفسه ·· كان قد وصل الى هارتفيلد منذ دقيقة ·· وكله أمل فى أن يسمع منها كلمة اطراء لابنه ·· ولا يعلم شيئا عن تخطيط زوجته :

وكانت مفاجأة رائعة بالنسبة لها ·· وخاصة عنـــدما رأت ذراع حبيبتها مسز ويستون فى ذراع تشرشل ·· كانت تتمنى رؤيته مـــرة أخرى ·· وتتمنى أكثر مصاحبته لمسز ويستون ·· كان لا حد لهنائها ·· وسرورها عند رؤيتهما معا ·· بمنظرهما الحبيب ·· فلا يوجـــد شـــىء قريب من نفسها ·· أقرب من أخلاقه الحلوة ·· وتصرفاته الوديعة ·· ورغبته فى صداقة ·· وعاطفة ·· وكان عند ايما الوقت الكافى ·· لتقيم حكما عادلا عنه ·· حيث «ان زيارتهما كان من المفروض لها أن تستغرق الصباح كله ·· وسار الثلاثة معا ·· حوالى ساعتين أو أكثر ·· أولا حول ادغال هارتفيلد ·· ثم بعد ذلك ·· فى هايبرى ·· كان فرحا ·· مشوقا ·· سعيدا بكل شىء ·· معجبا بهارتفليد ·· وبمستر وود هاوس أيضا ·· وكلما توغلوا أكثر ·· كلما ازداد حبا واستطلاعا للقرية كلها ·· وأبدى من المشاعر الخفاقة ··· مالم تكن ايما تتوقعه أبدا ··

ومن بعض تطلعاته ·· وأحلامه ·· وحب استطلاعه ·· كان لرؤية المنزل الذى عاش فيه والده ·· عمرا طويلا ·· والذى كان منزل جده·· ورؤية المرأة العجوز التى رعته ·· وهو صغير ·· وهل مازالت تحيا ·· أم لا ·· وعرجوا فى طريق الكوخ من ركن الى آخر ·· ومن شارع الى شارع ·· وكان أعجابه فى كـــل لحظة بهايبرى ·· وبأهلها ·· يقابل بالامتنـــان ···

وقد لاحظت ايما ·· أن تصرفاته طبيعية ·· وبانه لا يفتعل بتاتا

هذه المشاعر ٠٠ أو يمثل ٠٠ أو يدعى ٠٠ وان مستر نايتلى قـد ظلمه ظلما شديدا برأيه غير العادل عنه ٠٠٠

واول ما عرجوا فى طريقهم ٠٠ كان لفندق ٠ الكراون » ٠٠ وهو مبنى ملحوظ ٠٠ ورئيسى فى المقاطعة ٠٠ حيث كان يحتفظ دائما بزوج من الخيل للمساعدة فى الطواف فى المقاطعات من حوله ٠٠ ولم تعتقد ايما أن فى هذا الفندق ما يثير الاهتمام ٠٠ ولكن فى الحقيقة ٠٠ لفت نظره جدا ٠٠ حتى سردوا له تاريخ أنشائه ٠٠ وأنشاء القاعة الكبرى التى أضيفت اليه أخيرا ٠٠ وبنيت خصيصا لتكون ٠٠ « صالة رقص » ٠٠ للحفلات الخاصة ٠٠ والعامة ولأهالى المقاطعة ٠٠ وقد استعملت القاعة كثيرا فى حفلات الرقص ٠٠ فى الأيام الغابرة ٠٠ التى مرت الآن ٠٠ وأنمحى أكثرها ٠٠ واستبدل استعمالها بدلا من الرقص الى « مأوى » يضم السادة من أبناء المكان ٠٠٠

وقد سر « فرانك » كثيرا بهذا التاريخ ٠٠ وخاصة ٠٠ قصة صالة الرقص هذه ٠٠ ودخل وتفقد القاعة ٠٠ ولم يجد بها أى شىء ردىء ٠٠٠ واقترح أن تعاد مثل هذه الحفلات التى تضفى الراحة والبهجة ٠٠ فى النفوس ٠٠ وعلى الأقل ٠٠ كل أسبوعين ٠٠ فى ليالى الشتاء الجافة الباردة ٠٠ وهى مكان هادىء وجميل للعائلات ٠٠ لأنه وجد كل المنازل المحيطة ٠٠ لا يمكن أن تغطى هذا الموضوع ٠٠ فلم يجد بها مكانا واسعا مثل هذا المكان ٠٠ وكشاب منطلق ٠٠ متحرر ٠٠ كان يحبذ فكرة ٠٠ صالة الرقص ٠٠ ودهشت ايما من طباع عائلة « ويستون » التى تختلف أختلافا تاما عن عائلة « تشرشل » ٠٠٠

كان يرى الحياة ٠٠ بهجة ٠٠ وأنطلاق ٠٠ ومرح ٠٠ ولم يكن به أبدا ٠٠ غرور ٠٠ ولا كبـــرياء « أنسكومب » ولم تكن به ألا روحا مرحة ٠٠ محبة للحياة ٠٠

وأخيرا ٠٠ تحركوا من « الكراون » حين وجدوا انفسهم بالقرب من منزل « البيتس » وهنا ذكرته ايما بالزيارة ٠٠ وهل تمت بالفعل فى اليوم السابق ٠٠ أم لا ٠٠

أجاب : نعم ٠٠ نعم ٠٠ لقد كنت على وشك أن أذكرها ٠٠ الآن ٠٠ كانت زيارة ناجحة تماما ٠٠ لقد رأيت السيدات الثلاث ٠٠ وشعرت بالامتنان لك من تلميحاتك السابقة ٠٠ لأنه اذا ما كانت الخالة قد تلقتنى بالاندهاش ٠٠ والاستفسار ٠٠ لكان فى هذا ٠٠ مماتى ٠٠ لقد كنت ساشعر بالخيانة ٠٠ لو لم أقم بهذه الزيارة ٠٠ عشر دقائق فقط ٠٠ كانت كلها ٠٠ وكانت ضرورية جدا ٠٠ وقد أخبرنى والدى بأننى سوف أكون بالمنزل قبله ٠٠ ولكن ٠٠ لم أتمكن ٠٠ وعندما عاد والدى الى المنزل ٠٠ ولم يجدنى ٠٠ لحق بى هناك وجلسنا معهم حوالى ثلاثة أرباع الساعة ٠٠ أن السيدة الطيبة ٠٠ لم تعطنى أى فرصة للهروب قبل ذلك ٠٠٠

— وكيف وجدت صحة ٠٠ مس فاريفكس ٠٠٠

— اوه ٠٠ مريضة ٠٠ مريضة ٠٠ هذه هى ٠٠ ولو أنه من المستحيل على سيدة صغيرة أن تبدو مريضة ٠٠ اليس كذلك يا مسز ويستون ٠٠ ان السيدات أبدا لا يبدو عليهن المرض ٠٠ وفى الحقيقة ٠٠ ان مس فاريفكس تبدو شاحبة ٠٠ وتعطى انطباعا بصحة معتلة ٠٠ شىء يبدو معقدا ٠٠٠

ولم توافق ايما على هذا الكلام ٠٠ وابتدات تدافع دفاعا حارا عن عقدة مس فاريفكس كما يسميها ٠٠ انها لم تكن متألقة ٠٠ ولكن ٠٠ لابد وأنها الآن ٠٠ قد عادت الى تألقها ٠٠ وهناك نعومة ورقة فى جلدها ٠٠ مما يضفى عليها هذا الشحوب ٠٠ ولكن مع ما قالت ٠٠ فانه لا يعجبه شىء قدر النضارة ٠٠ والصحة ٠٠ والاشراق ٠٠ هذه الحيوية ٠٠ هى التى تضفى الجمال والسحر ٠٠

قالت ايما : حسن جدا ٠٠ ليس هناك جدال فى الاستلطاف ٠٠ على الأقل ٠٠ انك تعجب بها ٠٠ فقط ٠٠ دون عقدتها ٠٠٠

وهز رأسه ٠٠ ثم قال ضاحكا :

— لا يمكننى أبدا أن أفصل مس فاريفكس عن عقدتها ٠٠

— هل كنت تراها دائما فى « ويموث » ٠٠

ودائما فى نفس مجتمعها ومحيطها ٠٠

وفى هــذه اللحظة ٠٠ كانوا قــد أقتربوا من « فورد » وبسرعة استفسر قائلا :

— هيه ٠٠ لابد وان يكون هذا هو المحل الذى يعيش عليه كل الأهالى هنا ٠٠ هـــذا ما أخبرنى به والدى انه يأتى الى « هايبرى » بنفسه ٠٠ كما يقول ٠٠ ستة أيام فى الأسبوع الذى يتكون من سبعة أيام ٠٠ ودائما يشترى من « فورد » ٠٠ اذا لم يضايفكم هذا ٠٠ أرجو أن ندخل به قليلا ٠٠ ويجب على أن أثبت أننى أنتمى الى هذا المكان ٠٠ وأكثر صـــــدقا ٠٠ مواطنا من « هايبرى » ٠٠ لذا فانه يجب على أن ابتاع شيئا من « فورد » ٠٠ وآخذ حريتى فى الشراء ٠٠ هــل يبيعون قفـــازات ٠٠

— اوه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ قفازات وكل شىء ٠٠ كل شىء ٠٠ أنهم سوف يعبدونك فى « هايبرى » لقد كان اسمك وحـــده على كل لسان ٠٠ قبل حضورك ٠٠ لأنك ابن مستر ويســـتون ٠٠ والآن عندما تتعامل مع فورد ٠٠ ســـوف تنتقل الشـــعبية اليك أنت ٠٠ بصـــفتك مستر فرانك ٠٠

ودخلوا الى المحل ٠٠ وحينما كانت الطلبات تقـــدم وتعرض ٠٠ التفت اليها فرانك قائلا :

— أرجو المعذرة يا مس وود هاوس ٠٠ لقد كنت تقولين شيئا عندما كنت أختار طلبى فى نفس الدقيقة ٠٠ وأرجوك ٠٠ ألا تدعيني أفقده ٠٠ أنى لا أشك فى أنك تقربيننى من العادة ٠٠

— أننى سألتك ٠٠ اذا ما كنت قد عرفت مس فاريفكس جيدا فى « ويموث » وتعايشت مع مجتمعها ٠٠

— والآن ٠٠ وقد فهمت سؤالك ٠٠ على أن أعلنه ٠٠ وهو أعلان غير عادل ٠٠ انها دائما رغبة السيدة فى اختيار مستوى معارفها ٠٠ وقد أعطت مس فاريفكس حسابا عنه بنفسها ٠٠ وأننى سوف لا أســمح لنفسى بأن أقول أكثر مما تختاره هى ٠٠ وتسمح به للقول ٠٠

ـــ حقيقة ‥ انك تجاوب بنفس الطريقة التى أجابت بها هى ‥ ‥ نفسها ‥ ولكن حسابها هى ‥ كان يحتاج الى التخمين ‥ انها أبدا لا تعطى اى معلومات أو أخبار عن اى مخلوق ‥ ولكننى أعتقد أنه أنت عليك أن تقول ‥ فى معرفتك بها ٠

ـــ حقا ‥ هل يجب على أن أتكلم ‥ اذا سأقول الحقيقة ‥ لقد قابلتها مرارا فى «ويموث » وقد عرفت عائلة « تشامبل » فى المدينة ‥ وأيضــــا فى « ويموث » بنفس الدرجة من المعـــرفة ‥ وكولونيل « تشامبل » رجل محبوب جدا ‥ أيضا ‥ امرأة صديقة ‥ بعواطف صادقة ‥ حارة ‥ لقد أحببتهم كلهم ‥

ـــ هل تعرف وضع « مس فاريفكس » فى الحياة ٠ وماذا قدر لها ‥

ـــ أوه ‥ نعم ‥ نعم ‥ أعتقد ـ أننى أعرف ‥

قالت مسز ويستون وهى تبتسم ‥٠

ـــ ايما ‥ تذكـــرى انك تطرقين مواضيعا حســـاسة جدا ‥ وتذكرى أيضا ‥ بأننى هنا ‥ مستر فرانك تشرشل ‥ يفهم بصعوبة كبيرة عندما تتكلمين عن وضع مس فاريفكس فى الحياة ‥ أننى سوف أبتعد عنكما قليلا ‥

قالت ايمـــا :

ـــ أننى أيضا أجد الصعوبة ‥ كل الصعوبة فى أن أتناساها ‥ لأنها صديقتى ‥ بل وأعز صديقة لى ‥

وبدا ‥ وكأنه قـــد فهم كل شىء ‥ ونظـــر اليها نظرة كلها ‥ احترام ‥ ومودة ‥

وعندما تم شراء القفازات ‥ وغادروا المحل ثانيا ‥ قال فرانك تشـــرشل :

ـــ هل سمعت فى يوم ما‥السيدة التى تتكلم عنها وهى تعزف‥

رددت ايما قوله فى دهشة :

— بالطبع .. بالطبع .. فى يوم ما .. وفى أيام عديدة .. سمعتها .. أنت تنسى كم هى مرتبطة بهايبرى .. لقد سمعتها عاما .. وراء عام .. منذ أن ابتدأنا معا ..

انها تلعب بمهارة فائقة ..

— أوه .. هل تعتقـــدين ذلك .. أننى حكما .. انسانيا .. يعرف حقا كيف يحكم .. لقد بدا لى أنها تعزف عزفا بديعا .. هـــذا فقط .. بتذوقى وبمزاجى الخاص .. فأننى لا أعرف شيئا عن الموسيقى .. مع غرامى الشديد بالموسيقى فقط .. يمكننى أن أحكم عن مدى فنية أى شخص يعزف .. وقد تعودت أن استمع اليهـــا باعجاب ومتعة .. واتذكر ان هناك من اعترف بأنها تعزف عزفا جيدا .. انه رجل موسيقى .. وهو مغرم بامرأة أخرى .. وعلى وشك الزواج منها .. ولكنه أبدا لم يطلب منها أن تجلس الى البيانو لتعزف .. بل كان دائما يطلب من مس فاريفكس ان تعزف .. وهذا دليل قوى على أجادتها التامة .. وعلى امتيازها فى الموسيقى ..

وأشتدت متعة ايما وصاحت :

— دليل .. وبدرجة عالية من الامتاع .. شىء جميل ..

— أوه .. « مستر ديكسون » انه رجل يفهم فى الموسيقى .. وموسيقى بارع .. وأنه لكذلك .. سوف نعلم عنهم كلهم .. ومنك انت .. حتى اقل من نصف ساعة .. أكثر كثيرا مما يمكن أن تقدم لنـــا « مس فاريفكس » من معلومات فى نصف عام ..

— أوه .. نعم .. نعم .. مستر ديكسون .. ومس تشامبل كان هذين الشخصين اللذين اتحدث عنهما وأعتقد أن هذا دليل قوى جدا ..

— قطعا .. قوى جدا .. لقد كان دليلا قويا وللحقيقة .. أكثر من قوى .. اذا ما كانت مس تشامبل .. فلن تكون مقبـــولة لدى .. اننى لا يمكن أن اغفر لرجل يطلب الموسيقى أكثر من الحب .. الأذن

أكثر من العين ·· بعض النغمات من المشاعر الخفاقة ·· هيه ·· كيف بدت مس تشامبل هذا الوقت ··

— أنت تعلمين أنها صديقتها الخاصة ···

قالت ايما ·· وهى تضحك عاليا :

— يالها من متعة بائسة ·· الانسان يفضل الغريب عن الصديق الخاص ·· مع الغريب فلا ضير هناك ·· أما مع الصديق الخاص ·· الموجود دائما ··· لنفعل معه هكذا ·· فهذا شىء غير محتمل ·· آه ·· يااللمسكينة مسز ديكسون ·· حسنا أننى سعيدة جدا ·· لأنها سوف تعيش ·· وتستقر فى ايرلندا ··

— أنت محقة فى قولك ·· كان هذا يبدو شيئا سخيفا لمس تشامبل ·· ولو أنه لم يبدو عليها أنها قد شعرت به ··

— أوه ·· ربما كان من الأفضل ·· أو من الاسوأ فانى لا أدرى كيف ·· أكيف هذا العمل ·· لتكون لطيفة حلوة فى صداقتها ·· أو تكون حمقاء غبية ·· أنا لا يعنينى الا شخص واحد ·· أنها ·· مس فاريفكس ·· نفسها ·· لابد وانها قد شعرت بالوضع غير اللطيف ·· وبخطورة هذا الأمر الواضح ··

— أما عن هذا ·· فاننى لا ··

— أو ·· لا ·· تتخيل بأننى أريد كشف حساب من عواطف « مس فاريفكس » منك أنت ·· أو من أى شخص آخر ·· هذا شىء غير معروف ·· لأى انسان ·· الا هى ·· وهى وحدها ·· ولكن اذا ماهى أستمرت فى العزف كلما سالها ·· مستر ديكسون ·· أن تعزف ·· هنا يمكن التخمين من سيقع عليه الاختيار ·· وابتدأ يتكلم بسرعة ·· ولكى يتنصل من هذا الموضوع ·· اضاف ·· على أى حال ·· انه من المستحيل على أن « أقول فى أى الأوضاع كانا ·· أما ماذا كان يجرى خلف الشاشة ·· وكل ما يمكننى أن أقوله ·· أنه كانت هناك نعومة فى التصرفات ·· ولكنك أنت التى تعرفين « مس فاريفكس » ·· منذ أن كانت طفلة ·· يمكنك أن تحكمى عليها أفضل منى على شخصيتها ··

وكيف يمكنها أن تتحكم فى تصرفاتها فى مثل هذه المواقف ٠٠ أكثر مما أستطيعه أنا ٠٠

ـــ أننى بلا شك أعرفها منذ طفولتها ٠٠ لقـــد كنا أطفالا ٠٠ وأصبحنا نساء ٠٠ معا وكان من المفروض ومن الطبيعى جدا أن نكون متحابتين ٠٠ ودائما ننجذب لبعضنا ٠٠ فى كل لقــــاء ٠٠ وأن نتزاور بصفة مستديمة ٠٠ ولكن هذا لم يحدث ٠٠ لاننى تقـــززت من جهـــل فتاة ٠٠ مسحوبة دائما من خالة ٠٠ ومن جدة عجوز ٠٠ والجو الذى يحيط بهم ٠٠ وباحاديثهم ٠٠ جعلنى أبتعد ٠٠ أننى أبدا لا أقترب ٠٠ ولا أصادق ٠٠ الا من يستحق تمام الاستحقاق ٠٠ صداقتى ٠٠

قال فرانك :

ـــ فعلا ٠٠ فعلا ٠٠ انه بلاشك ٠٠ لا يمكن لانسان أن يحـــب شخصا ٠٠ محجوزا دائما ٠٠

ـــ ومع حاجتى الشديدة الى رفيق ٠٠ والى صديقة مقبولة ٠٠ وليست لدى الرغبة فى أن أهزم أى شخص ٠٠ أو أسلبه أحد ٠٠ لذا ٠٠ فان التعاطف بينى وبين « مس فاريفكس » ٠٠ خارج تماما عن هـــذا الموضوع ٠٠

ووافقها فرانك على هذاا االموضوع ٠٠ ثم بعد أن سارا سويا لمسافة طويلة ٠٠ وهى تسبح فى شعور متجاذب حبيب ٠٠ شعرت أيما ٠٠ بمدى الترابط والتجاوب بينهما ٠٠ بحيث لم يمكنها أن تصدق أن هذه هى المقابلة الثانية فقط بينهما ٠٠ فانه لم يكن تماما ٠٠ كما كانت تتوقع ٠٠ « أقل من رجل أفسده التدليل ٠٠ أقل من رجل ٠٠ يستعرض معلوماته ٠٠ أبدا ٠٠ لقد كان أفضل مما توقعت ٠٠ كانت أفكاره حديثة متحررة ٠٠ شعوره دافىء ٠٠ وصادق ٠٠

وصدمت ٠٠ عندما أبدى رغبته فى زيارة منزل « مستر ايلتون » والكنيسة ٠٠ ومن انه يتمنى أن يدخل ٠٠ وأن هذا الرجل لو كان قـــد تزوج امرأة ٠٠ يحبها ٠٠ لكان المنزل ٠٠ أكثر حبا ٠٠ وأكثر رغبة فى أن يتمنى كل انسان ٠٠ أن يزوره ٠٠

وضحكت مسز ويستون قائلة :

— انه لا يعرف عما يتكلم ·· أنه فقط ينظر اليه على أنه منزل كبير فقط ·· ولو علم كم يحوى من الحجرات ·· ومـــدى اتساعه ·· لفضل أن يكون منزلا أصغر ·· ولكن ايما فى قرارة نفسها ·· كانت تؤمن بأنه يعرف عما يتكلم ·· وأنه يقصد بهذا الكلام ·· شيئا ·· وأنه يريد أن يعبر عن شعوره بنفسه ·· ومن أنه يريد أن يستقر ·· وينعم بالحب والهدوء ·· فى منزل مريح ·· وأن المرأة المحبة ·· فيها الكفاية ·· لتملأ البيت ·· ولا ضرر لمديرة منزل ·· وخدم وحشم ·· فانه من الواضح أن حياته فى « أنسكومب » بعظمتها وثرائها ·· لم تتمكن من اعطائه ·· السعادة التى يتمناها ·· وأنه يشير بطريقة مغلفة ·· بكلمات عابرة ·· أنه سوف يقذف بكل فرح ·· كل ماله من ثروة ·· فى سبيل ·· أن يجد مكانا ·· وحبا ··

الفصــل الرابع والعشرون

واهتز رأى ايما قليلا ٠٠ فى فرانك تشرشل عند سماعها فى اليوم التالى ٠٠ بأنه قد رحل الى لندن ـ فقط ٠٠ ليحلق شعر رأسه ٠٠ لقد انتابه تخطيط فجائى ٠٠ وهو على مائدة الافطار ٠٠ وأرسل على الفور ٠٠ يطلب عربة ٠٠ وغادر المكان ٠٠ مزمعا ٠٠ العودة ـ على ، العشاء ٠ وبدون ابداء أى سبب ٠٠ الا قوله ٠٠ أنه يرغب فى حلق شعر رأسه ٠

وكان فى هذا السفر المفاجىء ـ رائحة غريبة ٠٠ يشتم منها شيئا غريبا ٠٠ يدعو الى عدم الفهم والتصديق ٠٠ هل يعقل أن يتحمل مشاق سفر ١٦ ميلا وذهابا و١٦ ميلا ايابا ٠٠ فقط لحلق شعر رأسه ٠٠ ولكن ٠٠ المشاعر الدافئة ٠٠ والاخلاص ٠٠ والصراحة التى لمستها فيه فى اليوم السابق ٠٠ كل هذا ٠٠ لابد وان يكون له أساس ٠٠ حسن ٠٠ أو سيىء ٠٠ وتصرفاته امام أبيه ٠٠ وامام مسز ويستون ٠٠ ان فى هذا الفعل أيضا ٠٠ اهتزازا ليس فى صالحه ٠٠ أنه والده فقط ٠٠ هو من قال عنه : « ولد ٠٠ معجب بذاته » ٠٠ ولكن مسز ويستون لم تتقبل منه هذا العمل ٠٠ بصدر رحب ٠٠ وكان واضحا تماما ٠٠ انها تمر بالموضوع ٠٠ مرا سريعا ٠٠ دون أن تبدى أية ٠٠ ملاحظة ٠٠ عليه ٠٠ الا قولها فى النهاية : « لكل الشباب أوهاما صغيرة » باستثناء هذه الهفوة ٠٠ فان ايما وجدت أن زيارته قد تركت انطباعا ٠٠ جميلا ٠٠ فى كل نفس ٠٠ وكانت مسز ويستون ٠٠ مستعدة تمام الاستعداد للاعتراف بشخصيته الجذابة ٠٠ وسلوكه الطيب ٠٠ وقد بدا ٠٠ متفتح الذهن فى غير صلف ٠٠ ولا كبرياء ٠٠ محب للحياه ٠٠ مرح ٠٠ اجتماعى ٠٠ يتكلم عن خاله ٠٠ بحب كبير ٠٠ ويقول أنه أفضل رجل فى العالم ٠٠ لو ترك لنفسه ٠٠ ولتصرفاته الخاصة ٠

وهو يذكر زوجة خاله بكل تقدير واحترام ٠٠ ويعترف بفضلها الكبير عليه ٠٠ وعلى العموم ٠٠ فانه لولا هذه الهفوة ٠٠ الصغيرة ٠٠ وقصة حلق الشعر هذه ٠٠ لما كانت هناك أى غلطة تحتسب عليه ٠٠ وكان خيالها يضفى عليها ٠٠ شرف قبوله زوجا لها ٠٠ (وبالرغم من اصرارها على عدم الزواج) ٠٠ وان لقاءاتها قد قربت مابينهما كثيرا وقد اضاف مستر ويستون من جانبه ٠٠ شيئا ذا قيمة ـ يمكن أن تضم

الى ما سبق .. لقد اعطاها علما .. بأن فرانك معجب بها اعجابا شديدا .. ويؤمن بجمالها .. وجاذبيتها .. وسحرها .. وبهذه الكمية الهائلة من المعلومات الثمينة .. لم تجد ايما نفسها الا بأن تحكم حكما صالحا .. بالرغم من قول مستز ويستون .. من أن الشباب له أحلامه .. وحالاته ؟

وكان هناك شخص آخر .. فى محيط هذا المجتمع .. يعيش بين « دونويل .. وهايبرى » شخص يبتسم كثيرا .. وينحنى كثيرا .. هو « مستر نايتلى » .. الذى تنسم الاخبار فى « هارتفيلد » وجلس أمامها .. ممسكا بجريدة بين يديه .. مخفيا بها وجهه .. وسمعته يغمغم فى نفور وسخط :

ـــ و .. هيم ـ هيم .. تفاهات .. هذا الفتى التافه السفيه..: اوه .. لقد حكمت عليه منذ مدة ؟

وكانت « ايما » نصف مصغية اليه .. وكانت تعتقد أنه يتهكم عن غير قصد .. بل للترفيه .. ولكنها .. ادركت ان يعنى ما يقـــول .. ليستطيع التنفيس عن نفسه ؟

وتجاهلت ايما هذه الاثارة .. وجعلت الموضوع .. يمر بسلام ..

على أى حال .. فان زيارة مستر ومسز ويستون فى هذا الصباح .. كانت مرغوبة .. أشد الرغبة .. لأن هنـــاك شىء ما قـــد الثير .. وموضوع عاجل .. تريد ايما أن تاخذ رأيهما فيه .. وهو :

هو ان عائلة « كول » قد استقرت منذ بضع سنين فى « هايبرى » .. وكانوا اناسا طيبين .. ولكن .. من ناحية أخرى .. كانوا من زمن .. من أصل وضيع .. فى التجارة .. وكل هذه النعمة والاشياء التى حدثت لهم .. حديثة .. ومستحدثة .. وفى أول حضورهم للبلدة .. كانوا يعيشون فى حدود دخلهم .. ببساطة .. لهم مجتمع صغير محدود .. ومصاريف ضئيلة .. ولكن .. منذ عام .. أو عامين فقط .. ازداد دخلهم وازدادت أعمالهم ربحا .. وارتفعت مظاهرهم .. تبعا لارتفاع دخلهم .. وهبطت عليهم ثروة طائلة .. وابتسمت لهم الأيام .. وأدى هذا الى حاجتهم الى منزل كبير .. وعدد من الخدم .. وازداد مستوى المعيشة .. وحبهم للمجتمعات .. ثم غرفة الطعام الجديدة .. كانت

متسعة وأنيقة بحيث تستوعب مجتمع كبير ·· ومجمـــــوعات للغشاء
وأصبحت العائلات الكبيرة تدعى من « دونويل وهايبرى ·· وهارتفليد »
·· وكل هذا ·· لم يستطع أن يغرى مس ايما ·· ابـــدا على الذهـاب
اليهم ·· وقد ارادت أن تعطيهم درسا ·· بأنه ·· حتى لو أن كل العائلات
تدعى ·· الا أنها هى ·· ايما « وود هاوس » لن تذهب ·

وقد انشغلت ايما بهذا الأمر لعدة أسابيع قبل أن تصلها الدعـــوة
وبعد كل هذا التفكير ·· فان كل الدعوات ·· وصلت الى كل عائلات
« دونويل وهايبرى » ولم تصلها هى أية دعوة ·· لا هى ·· ولا والدها
·· وكانت هذه هى « السبة » فى حقها وقد علقت مسز ويستون على
هذا بقولها :

— انهم قطعا سوف لا يأخذون حريتهم فى دعوتك ·· لأنهم
يعلمون أنك لا تتناولين عشاءك خارج البيت ··

ولم يكن هذا ·· باقناع كاف ··

لقد كان كل أملها أن يكون لديها قوة الرفض وقد انتظرت هـــذه
المناسبة ·· لاثبات هــــذا الرفض ·· واثبات مكانتها منهم ·· وكانت
الدعوة قد وجهت الى كل احبائها ·· « هارييت » ستكون هناك فى هذه
الليلة ·· وعائلة « بيتس » وفرانك تشرشل ·· كان يريد أن يرقص ··
وهى ·· تترك هكذا ·· باهمال ·· فى الحقيقة ·· شىء مزعج مزعج
للغـــاية ··

وأخيرا ·· وصلت هذه الدعوة الكريمة ·· فى أثناء وجود مستر
ومسز ويستون فى هارتفيلد ·· وفى هــــذا ـ كانت حاجتها اليها ··
وقالت لهمـــا :

— بالطبع ـ بالطبع ·· من الأفضل تجاهل هذه الدعوة··
ولكنهما نصحاها بالذهاب ·· لأن فى هذه الدعوة ·· نجاح لهـــا
·· ولشخصيتها ··

وقد وجه « الكولز » الدعوة ·· معبرين عن أسفهم التأخير ··
وأنه كان يجب عليهم ارسالها مبكرا ·· ولكن انتظارهم لوصول «ستارة»

من لندن ٠٠ أرسلوا فى طلبها ٠٠ كى تمنع الهواء عن مستر وود هاوس ٠٠ هو الذى أدى بهم ٠٠ الى هذا التأخير ٠٠ وعلى هذا فهم يطلبون منه أيضا التفضل بتشريف حفلتهم ٠٠

وعلى هذا الأساس ٠٠ تم تسوية الموضوع ٠٠ وأنه يجب على مستر وود هاوس ٠٠ البقاء ٠٠ وسوف يستدعون « مسز جودارد ٠٠ » أن لم تكن « مسز بيتس » حتى يستمتع بصحبة مريحة ٠٠

وهنا تكلم مستر وود هاوس ٠٠ وكيف ان ابنته سوف تمضى يوما بعيدا عنه ٠٠ وسوف تسهر فى الخارج ٠٠ لساعات متأخرة ٠٠ فى مجتمع به عديد من الناس ٠٠ ثم بعد قليل اذعن للأمر ٠٠ وقال :

ـــ اننى لا أحب حفلات العشاء ٠٠ ان الساعات المتأخرة فى الليل ٠٠ لا توافقنا ٠٠ ولا ايما ٠٠ أعتقد أنه من الأفضل لهم ٠٠ ان يأتوا لزيارتنا ٠٠ فى خلال نزهاتهما اليومية بعد الظهر ٠٠ فى الصيف القادم ٠٠ ليأخذوا معنا الشاى ٠٠ على أى حال ٠٠ اذا كانوا هكذا شديدى الرغبة فى استضافة ايما ٠٠ انتما أيضا ستكونان هناك ٠٠ ومستر نايتلى كذلك ٠٠ لتهتموا بها ٠٠ فاننى لن أمنعها ٠٠ وعلى الارجح ٠٠ سوف يكون الجو ممتعا ٠٠ وباردا ٠٠ أو عاصفا ٠٠ أو ٠٠ هيه فليكن كيفما يكون ٠٠

ثم بعد ذلك ٠٠ التفت الى مسز ويستون بنظرة تقرب رقيقة ٠٠ وقال لها :

ـــ آه يا مس تايلور ٠٠ لو لم تتزوجى ـ لكنت االآن ٠٠ مكثت معى ٠٠

وصاح مستر ويستون :

ـــ حسنا ياسيدى ٠٠ بما اننى قد أخذت منك مس تايلور ٠٠ فينبغى لى أن احتل مكانها ٠٠ اذا ما تمكنت من ذلك ٠٠ وسوف أخطر مسز جودارد ٠٠ اذا رغبت أنت فى ذلك ٠٠

ولكن مثل هذه الفكرة ٠٠ بالطبع ٠٠ لم تكن لتنفذ ٠٠ أبدا ٠٠ وسرعان ما تم ترتيب كل شىء دون الاصغاء الى دمدمة ٠٠ مستر وود هاوس ٠٠

وبمثل هذه المعالجة ·· عاد مستر وود هاوس ·· الى حالته العادية وتكلم قائلا ·· « أنه سيكون فى منتهى السعادة لرؤية مسز جودارد ···؟ أنه يحمل لها ·· تقديرا جميلا ·· ويجب على ايما ·· أن تكتب سطرا لدعوتها ·· ويمكن « لجيمس » أن يحمل المذكرة ·· ولكن ·· قبل كل شيء ·· يجب أن يرسل الرد على دعوة مسز كول ·

ــ آه ·· سوف تعتذرين عنى ياعزيزتى ·· بطريقة لطيفة قدر الامكان ·· وان تقولى ·· باننى لا أذهب ·· هنا ـ أو هناك ·· وطبعا ·· تبدأين الاعتذار ·· بتقديم التحيات ·· آه ـ ولكنك سوف تفعلين كل شيء على مايرام ·· أنك لست فى حاجة لأن أخبرك بما يجب عمله ·· فقط علينا أن نتذكر أن نخبر « جيمس » بأننا نريد العـــربة يوم الثلاثاء ·· سوف لا أخاف عليك أبدا ·· وأنت معه ·· أننا لم نذهب الى هناك من قبل ·· ولكن جيمس ـ سوف يحملك فى أمان ·· وعندما تصلين ·· ينبغى أن تحددى له الوقت الذى تعودين فيه ·· ومن الأفضل تحديد ساعة مبكرة ·· أنت طبعا لاتحبين التأخير فى الليل ·· سوف تشعرين بالتعب فور انتهاء تناول الشاى ··

ــ ولكنك لا ترغب فى ان أحضر ـ قبل ان اشـــعر بالتعب ·· يا بابا ؟ ـ لا ·· لا ·· ؟ بالطبع ·· بالطبع ·· ولكنك سوف تشعرين بالتعب فورا ·· سيكون هناك عدد كبير من الناس ·· كلهم يتكلمون فى وقت واحد وأنت بالطبع ·· لا تحبين الضوضاء ·· ؟

وهنا صاح مستر ويستون :

ــ ولكنك ياسيدى العزيز ·· اذا ماحضرت ايما مبكرا ·· فان ذلك معناه ·· انفضاض الحفل ··

ــ قال مستر وود هاوس :

ــ ليس بضرر كبير ·· بأسرع ما ينفض الحفل ·· بأسرع مايكون ذلك أفضل ··

ــ ولكنك لايمكن ان تتصور معنى هذا « للكولز » اذا ماذهبت ايمـا بعد الشاى مباشرة ·· فان هذا يعتبر اهـــانة ·· : انهم اناس

طيبون ·· ويجب عليك أن تفكر قليلا فى حقهم ·· اذا ما رأوا أحـــدا يهرع بالانصراف ·· معناه ازدراء ·· وعدم تقدير ·· وخاصة اذا مافعلت ذلك ·· مس وود هاوس ·· سيكون هذا هو الاعتقاد السائد وأعتقد انك ·· لا تريدهم أن يصابوا بخيبة أمل ·· أننى متاكد ياسيدى أنهم أناس من معدن جيد ·· عاشوا هنا جيرانا لنا ·· لمدة عشر سنوات ـ آه ·· لا ·· لا ·· يامستر ويستون ·· أننى شاكر لك تنبيهك لى ·· وأننى شديد الأسف ·· وسوف أكون شديد الأسف أيضا ـ اذا ما سببت لهم أى الم ·· أنا أعلم أى أناس أفاضل هم ·· لقــــد اخبرنى « بيرى » بأن مستر كول ·· رجل مكتئب ·· لا ·· لا ·· انا لا أقصد أبدا أن أسبب لهم أى ألم ·· ولكنه رجل ·· فعلا مصاب بالاكتئاب ·· ياعزيزتى ايما ·· يجب أن نضع ذلك فى الاعتبار ·· بدلا من جرح مشاعر ·· مستر ومسز كول ·· يجب عليك أن تمكثى مدة أطول ·· بل وأكثر مما ترغبين حتى ولو شعرت بالتعب ·· سوف تكونين فى أمان ·· وحولك أصدقائك·

ـــ اوه ـ نعم بابا ·· نعم ·· أننى لا أشعر بالخوف أبدا من أجل نفسى ·· وسوف لا أتضرر من بقائى لمدة متأخرة من الليل ·· مثل مسز ويستون ·· وهذا بالطبع ·· اننى فقط أخاف عليك أنت ·· وأخاف عليك جلوسك هنا ·· فى انتظار ـ عودتى ·· وأخاف أكثر ·· الا تكون مرتاحا تماما مع مسز جودارد ·· أنها تحب التفاخر ·· كما تعلم ـ ولكن أيضا ·· عند أو بعد ·· أو حين رجوعها الى بيتها ·· أخشى أن تظل جالسا هنا وحدك ـ بدلا من الذهاب الى فراشـــك فى موعـــدك المعتاد ·· وهذه الفكرة سوف تدمر سعادتى وراحتى ·· عدنى بانك لن تجلس هنا تنتظرنى ·· ؟ عدنى يا بابا ·· ؟

ووعدها ـ بشرط ·· بعض الوعود من جانبها هى أيضا ·· مثل ـ اذا ما عادت الى المنزل ·· وهى تشعـــر بالبرد ·· عليها أن تدفىء نفسها ·· بشراب ساخن ·· واذا ما كانت تشعر بالجوع ·· فينبغى أن توقظ وصيفتها لاعدد الطعام لها ·· وان « سيرل ·· والساقى » سوف يتممان على كل شىء كالعادة ·· وان البيت يسير سيره المعتاد ·· دون أى تغيير ·· أو تبديل ·· أو شعور بأن هناك حدث غير عادى ··



الفصل الخامس والعشرون

وعاد فرانك تشرشل ثانيا ‥ وحتى لو كان قد ترك والده لينتظره طويلا ‥ على العشاء فان هـذا لم يعـرف فى هارتفيلد ‥ لأن مسز ويستون كانت شـديدة الاشيتاق للمحبة التى تولدت بينه وبين مستر وود هاوس ‥ ولم تكن تريد أن تترك أى انطباع سىء ‥ عنه ‥ وعن تصرفاته ‥

وعاد ثانيا ‥ بشعر حليق ‥ ضاحكا من نفسه ‥ يمرح ‥ ولكن ‥ لايبدو عليه الخجل على الاطلاق ‥ بل بنفس الروح المحبة للحياة‥

وهامت « ايما » مع أفكارها :

« أنا لا أعرف ‥ اذا ما كانت هذه التصرفات السخيفة ‥ تعتبر سفها من شاب ‥ أعتقد أنه اذا ما كان مستر تشرشل قد فعل هذا الفعل ‥ فاننى قطعا « سوف لا ارضى منه ذلك ‥ وهو نفسه قطعا ‥ كان سيشعر بالخجل من ذلك ‥

اما الأمر الآخر ‥ فلابد أن يكون كما يقول والده ‥ « أنه غندور أو فرح بنفسه ‥ » أما أن يكون سفيها ‥ أو سخيفـا ‥ فاعتقد أنه ليس كـذلك ؟

ومع الثلاثاء ‥ أتت البهجة ‥ لرؤيته ثانيا ولوقت أطول ‥ مما سبق فى كل لقاء بينهما ‥ وأيضا لتتمكن من أن تحكم على تصرفاته العامة ‥ وتأثير هذه التصرفات على نفسيتها ‥ ومدى حسن انطباعها ‥ وفكرت أنه يجب عليها أن تبتسم بقليل من البرود ‥ والجمود أمام الناس الذين يشاهدونهما معا ‥ للمرة الأولى ‥

وقد قصدت أن تبدو سعيدة ‥ بالرغم مما حدث من مستر كول ‥ فى موضوع مستر ايلتون ‥ وقد اطمانت على راحة والدها ‥ وتركته محوطا عند جودارد ‥ ومسز بيتس ‥ وكانت آخر واجباتها المتعة ‥ ملء أكواب النبيذ ‥ وتقطيع الكيـك ‥ وتركتهم ليستمتعـوا بعشاء شهى ‥ ووالدها يداعب السيدتين ‥ ويطرى جمال ثيابهما ‥

وصعدت الى عربة ‥ لتوصلها الى منزل مستر كول ‥ ولسعادتها ‥وجدت انها عربة مستر نايتلى ‥ وهو واقف يمرح ‥ ليفتح لهـا الباب بمودة صادقة ‥ جعلتها تبتسم قائلة :

ـــ أوه ‥ هذا فى الحقيقة يعطيك صورة الجنتلمان الحقيقى ‥ اننى سعيدة جدا لرؤياك ‥

وشكرها قائلا :

ـــ أننى سعيد الحظ ‥ لـكى أخطو أولى خطواتى فى قاعة الاستقبال وأنت معى ‥ وفى نفس اللحظة ‥ أشك فى أنك الآن ‥ تريننى على غير عادتى ‥ أم ماذا ترين فى تصرفاتى ‥ ؟

ـــ جنتلمان حقيقى ‥ أنا متأكدة من ذلك ‥ وسوف ندخل الحجرة معا ‥ وأنا مقتنعة باننى أسير مع جنتلمان ‥ والآن ‥ هل هناك أى شىء تخجل منه ‥ هل تخشى بأن تبدو طويلا جدا وأنت تسير بجانبى ‥ وأنك أطول من أى رجل آخـر ‥ لا ‥ الآن ‥ وحقيقة أشعر بمنتهى السعادة لأسير بجوارك ‥ وأدخل القاعة بجانبك ‥ ؟

اجابها ‥ وبدون غضب :

ـــ فتاه مخرفة ـ فتاة مخرفة ‥

وكان عند ايما من الأسباب التى تجعلهـا تستمتع ببقية الحفل كاستمتاعها بمصاحبة مستر نايتلى ‥ فلقد قـوبلت بترحاب حار ‥ واحترام شديد ‥ مع كل امكانيات الراحة والاهتمام ‥ وعندما وصلت عائلة وبستون ‥ أجمل نظرات الحب والعطف والاعجاب ‥ كانت لها هى وحدها ‥ من الزوج ‥ والزوجة ‥ واقترب منهـا الابن وكانها اهتمامه الخاص ‥ ووجدت نفسها تجلس بجواره ‥ وكلها اعتقاد أن هذا لم يحدث دون اجتهاد منه ‥

وكانت الحفلة كبيرة نوعا ‥ وتشمل عائلة أخرى من بلدة تعتبر من جيران مستر كول ‥ انها عائلة ‥ مستر كوكس » ‥ محامى من هايبرى وعائلات أخرى قليلة ‥ كانت ستتبع فى المساء مع مس بيتس

ومس فاريفكس ومس سميث ٠٠ على وقت العشاء تماما ٠٠ وكان العدد كبيرا ٠٠ لايمكن ان يستوعب الحديث عن موضوع معين ٠٠ وحين أخذت السياسة انتباه وحديث مستر ايلتون ٠٠ لم تتمكن ايما فى الحقيقة من اخفاء مشاعرها ٠٠ الرطبة المسترضية وانتباهها الكلى٠٠ لجارها ٠٠ حين وجدت نفسها أول ما تفتح موضوع ٠٠ كان عن «مس جين فاريفكس» حيث لاقى كل الاهتمام والترحيب من مستر كول ٠٠ اذ أنه بدا أن هناك صلة ما ٠٠ تربطها بها ٠٠ وتقابل منها ٠٠ بالاستمتاع ٠٠ وأصغت ايما باهتمام واصغى الكل ٠٠ وسعدت ايما ٠٠ بأن هذا الجزء الذى أثارته فى أول حديث لها ٠٠ قوبل بالترحاب ٠٠ والاستمتاع ٠

وتكلمت مسز كول قائلة :

« نها ذهبت لزيارة مسز بيتس ٠٠ وبينما هى فى هذه الزيـــارة ٠٠ دهشت لوجود جهاز بيانو كبير ٠٠ مربع ٠٠ وبالاستفسار عنه ٠٠ أجابت مسز بيتس ٠٠ أنها شديدة الدهشة ٠٠ حيث أن هذا البيانــو ٠٠ وصل ٠٠ ولا تعلم من الذى أرسله ٠٠ حتى جين فاريفكس كانت فى حالة ضياع تام ٠٠ لعدم التركيز على مرسل هذه الهدية العظيمة ٠٠ ولكنها الآن ٠٠ فى اقتناع ورضا ٠٠ حين أخبرتها أنه لابد وان يكون قد أرسل هدية من الكولونيل تشامبل ٠٠

وتكلم كل الحاضرين ٠٠ وتناقشوا فى الموضوع ٠٠ باقتناع تام ٠٠ من الجميع ٠٠ بأنه ليس الا هدية من كولونيل تشامبل ٠٠ اوندمجوا فى الحديث ٠٠ بحيث تركوا لايما ٠٠ فرصة ٠٠ لتعيش مع أفكارها الخاصة مع انصاتها لهم فى نفس الوقت ٠٠

واستمرت مسز كول فى حديثها :

— اننى أصرح لــكم ٠٠ بأننى لم أسمع خبرا ادخـــل البهجة والسرور فى نفسى ٠٠ أكثر من هذا الخبر ٠٠ ودائما كنت أتألم ٠٠ وأقول ٠٠ كيف أن « جين فاريفكس » الفنانة ٠٠ التى تعزف بمهارة فائقة ٠٠ لايكون لديها آلة موسيقية ٠٠ وكان هـــذا يبدو شيئا مخجلا حقـــا ٠٠

وخاصة .. عندما أفكر فى تلك المنـــازل التى تحـــوى آلات صماء .. لايعرف أصحابها كيف يعزفون عليها .. وتترك مهملة .. وأمس فقط ..

كنت أقول لمستر كول .. بأننى فى الحقيقة شديدة الخجـــل من البيانو الضخم الذى يتربع فى غرفة الاستقبال .. وأنا لا أعرف كيف أقرأ النوتة الموسيقية ولا أمد أصبعا عليه .. وبناتنا .. لا يعـــرفن العزف وجين فاريفكس المسكينة .. انها أستاذة فى الموسيقى لايوجد عندها أى نوع من الآلات الموسيقية أو حتى آلة صغيرة .. تمتع بها نفسها .. هذه المسكينة .. أمس فقط كنت أقول هذا الكلام .. لمستر كول .. وهـــذا البيانو الكبير فى منزلنا .. أعتقد أنه ضرورى لجيراننا .. لكى يسعدوننا بالعزف عليه فى مثل هذه المناسبات .. وبالطبع .. هى لن تبخل علينا هذه الليلة .. بعزف بعض موسيقاها .. وألحانها ..

وبدت « مس وود هاوس » وهى ملتفته بكليتها الى فرانك تشرشل:

قالت له : لماذا تبتسم .. ؟

ـــ وأنت .. ؟ لماذا تبتسمين .. ؟

ـــ أنا .. أوه .. أعتقد اننى ابتسم من السعادة والفـــرح .. لابد وأن يكون مستر تشاميل شديد الثراء .. حتى يقـــدم مثل هـــذه الهدية العظيمة ..

ـــ أوه .. فعلا .. فعلا .. هدية ثمينة ..

ـــ واننى اتعجب .. لم لم تقدم من قبل .. ؟

ـــ ربما يكون ذلك .. لأن .. مس فاريفكس .. لم تقض مدة طويلة هنا .. من قبل ..

ـــ اوه .. لأنه لم يعطها فرصة استعمـــال البيـــانو .. الخـــاص بهم .. حيث أنه مغلق عليه فى لندن .. لايمسه أى مخلوق ..

ـــ هذا بيانو ضخم .. وكان يجب عليه ان يفكر فى انه كبير الحجم جدا بالنسبة لمنزل مسز بيتس ..

ـــ حللى الموضوع كما تشاءين .. ولكن ثقى بأن نفس تحليلك .. وتفكيرك فيه هو نفس تحليلى وتفكيرى تماما ..

ـــ اوه .. لست أدرى .. أننى أرى أنك تعطينى مـــن الذكاء

.. والجو الذى عاشت فيه .. الى آخر هذه الادعاءات .. فأننى اعتقد أنها اعذار واهيه .. لا تبرر الواقع بأى حال من الأحوال .. فى شهور الصيف .. ربما يكون هذا الـــكلام .. معقـــولا .. ولكن فى زمهرير الشتاء .. يناير .. وفبـــراير .. ومارس .. التدفئة .. والعـــربات والحفلات .. فى مثل هذه الشهور تكون أفضل .. لمثـــل هذه الحالة الصحية الرقيقة .. أننى لا أطلب منك أن تتعايش مع كل توقعاتى .. ولكننى أخبرك .. بكل الصدق .. والشرف عن كل ما اشعر به .. وأراه مخالفا تماما للواقع ..

— أوه .. واستنادا لالهاماتى الخاصة .. والهواء الذى استنشقه من حول هذه الأحداث ..

— فأننى اجد لها رجحانا كبيرا .. ولهذا أقول أن اعجاب مستر ديكسون بعزفها .. أمر مفروغ منه ..

ويمكننى أن أقول .. أن هذا أمر مقرر تماما ..

— وعندما انقذ حياتها .. هل سمعت بهذا .. فى حفل مائى .. وفى حادث ما .. كادت تسقط من على ظهر الباخرة .. لولا أنه امسكها وأنقذها .. من الموت المحقق ..

— نعم .. لقد فعل .. لقد كنت واحدة من المدعوات فى ذلك الحفـــل ..

— انت كنت هناك .. ؟ حقا .. ولكنك لم تقـــررى شيئا عن هذه الحادثة .. التى يبدو أنها جديدة عليك .. وعلى معلوماتك ..

— أننى لو كنت هناك .. أعتقـــد أنه كان يمكننى أن اكتشف بعض الاكتشافات .

— أننى اجرؤ واقول لك .. أبدا .. اذا ما كنت أنت هناك .. فلن يمكنك اكتشاف اى شىء .. بكل بساطة .. لم أر شيئا أكثر من أن مس فاريفكس كانت على وشك السقوط من الباخرة .. وأمسك بها مستر ديكسون .. كان عملا روتينيا .. نتج عن حدث اللحظة فقط ..

انها كانت صدمة .. أو هـــزة .. لابد أن ينتج عنها مثل هـــذا

العمل ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ اعترف ٠٠ أنه بعد هذه الحادثة ٠٠ لم يتمكن أحد من تمالك شعوره ٠٠ والتنفس بارتياح ٠٠ الا بعد نصف ساعة تقريبا ٠٠ كان شيئا مثيرا ٠٠ ومقلقا ٠٠ وأقول ثانيا ٠٠ أنك أبدا ٠٠ كنت لن تكتشف أى شىء ٠٠ انه عمل عادى جدا ٠٠ كان يعمـــله أى شخص فى مكان مستر ديكسون ٠

وهنا ٠٠ قطعت المحادثة ٠٠ باستدعائها للحاق بالمجموعة ٠٠ على المائدة ٠٠ ولكن بعد أن جلس الكل ٠٠ وأصبح كل شىء على مايرام ٠٠ التفتت ايما الى جارها قائلة :

— ان وصول هذا البيانو ٠٠ أمر قاطع لى ٠٠ ولكننى أريد أن أعرف عنه المزيد ٠٠ وهذا قطعا سوف يتيح لنا أن أن نسمع فى القريب ٠٠ انه كان هدية من مستر ومسز ديكسون ٠٠ أم لا ٠٠

— آه ٠٠ واذا ما أنكر « الديكسونز » أى معـــرفة عن هـــذا الموضوع ٠٠ فاننا سوف نرجع الى « التشامبلز » ان مس فاريفكس تعلم تمام العلم أنه ليس من التشامبلز أو حتى لم يفكروا فيه أبدا ٠٠ أنك اذا ما اعتقدت أنهم قد قدموه هدية لها فان هذا يكون شيئا طبيعيا ٠٠ ودليل عطف ٠٠ ولكنك عندما ذكرت مسز ديكسون ٠٠ أيقنت على الفور ان هذا هو الرأى الراجح ٠٠ والمعقول جدا ٠٠ أنها حساسية ، وشعور صادق ٠٠ بين أنثى ٠٠ وأنثى ٠٠ صديقة وصديقة ٠٠ والآن ٠٠ وبعد كل هـــذه التكهنات فأننى لا أرى فى الموضوع كله ٠٠ الا ٠٠ عرضـــا صريحا ٠٠ للحب ٠٠ وهنا ٠٠ لم يعد هناك أى مجال لاثارة هـــذا الموضوع ٠٠ أو الاستمرار فى مناقشته أكثر من ذلك ٠٠ لقد بدا ٠٠ وكأنه قد شعر به هو أيضا ٠٠ ولم تتكلم ايما بعد ذلك ٠٠ وسارت المواضيع متشعبة ٠٠ ومر باقى العشاء ٠٠ فى هذه المواضيع ٠٠ العابرة ٠٠ ودخـــل الأطفال ٠٠ يهرجون ٠٠ ويلعبون ٠٠ وقيلت بعض الأقوال اللماحة ٠٠ ولم يكن هناك أشياء كثيرة الا بعض الأخبار القديمة ٠٠ والمعادة ٠٠ وسخافات ٠٠ ونكت سمجة ثقيلة ٠٠ جدا على الأذن ٠

ولم تجلس السيدات فى غرفة الاستقبال ٠٠ الا مدة قصيرة ٠٠ قبل أن تلحق بهن الباقيات ٠٠ من مختلف اتجاهاتهن ٠٠ ووصلت حبيبة

« ايما » انها لم تعشق تورد خديها .. فقط .. بل تصرفاتها الرقيقة .. والفرح والبهجة على وجهها .. ولكن .. بعواطف مصدومة .. ، وجلست بملابس جميلة حلوة .. زاهية .. ولكن .. ؟ هل كان يخمن أحد ؟ كم من الدموع ذرفت .. وكم من التنهدات .. تنهدت .. ؟

ولكنها .. كانت راضية .. لتجد نفسها فى مجتمع مضىء .. وتبدو جميلة .. باسمة ولم تعمل شيئا .. كان هـــذا كافيا .. للحظـة التى تعيشها ..

أما « جين فاريفكس » فكانت تبدو وتتحرك بامتياز .. وتفرد .. وايما سعيدة لتغير عواطفها .. نحو « هاربيت » .. سعيدة حتى بحبها .. « لمستر ايلتون » ولو فى ضياع .. وسعادة جين .. الخطرة .. التى تعرفها « ايما » بنفسها .. وتعرف أنها محبـــوبة من .. « زوج صديقتها » ..

وفى مثل هذه الوليمة الكبيرة .. لم يكن من الضرورى لايما .. أن تقترب منها .. فانها لم ترغب فى الحديث عن البيانو .. كانت لاتود أن تضفى جوا من الفضول .. وعلى هذا .. قصدت أن توجد بينهما مسافة .. ولكن سرعان ما أثير الموضوع من آخرين .. وكان من التهاب وجنتيها .. ما بدا أنه « شعور بالذنب » واجابتها للتهانى :

— « أوه .. ؟ أنه صـــديقى الممتاز « كولونيل تشاميل » .. وقلب مسز ويستون الحانى .. كان يضفى على المكان .. جوا .. من الود .. واستمتاعها بالحفل .. ورقتها .. وعـــــدم الاشتراك فى أى موضوع .. ما أمكنها .. وخاصة فى موضوع « البيانو » فانها قامت من جانبها ببتره نهائيا ..

وبعد ذلك .. لحق بهن .. بعض السادة الرجـــال .. وأول من ظهر منهم .. كان « مستر فرانك تشرشل » أول من خطـــا .. بوجه وسيم .. وابتسامة مشرقه .. وقدم تحيـــاته « لمس بيتس » ثم لابنة أختها .. وبعد ذلك .. أخـــذ طـــريقه مباشرة الى الجانب الآخر من

الدائرة .. وظل واقفا .. الى أن وجد مقعدا بجـــوار .. « مس وود هاوس » .. وخشيت ايما من تفكير الحاضرين .. لهـــذا التصرف .. وأيقنت بأنهم سوف يؤمنون ايمانا تاما .. أنها بغيته .. وهنـــــا .. قدمته ايما الى صديقتها « مس سميث » وفى لحظة صفاء .. أمكنها أن تعرف رأى كل منهما فى الآخر ..

« هو : لم يرى فى حيـــــاته وجهها حبيبا .. مشرقا .. مثـــل وجهها .. ؟ » .

« هى : أنه يبدو جذابا .. ولكن .. ؟ آه .. آه .. ؟ الا يشبه .. « مستر ايلتون » ... ؟

ولم يسع ايما .. الا أن تدير عنها وجهها فى هدوء .. وصمت ..

وتلاحقت الابتســامات بينهما .. هى .. والجنتلمان الذى يجلس بجوارها .. حين لاحت « مس فاريفكس » ولكن .. سرعان ما بترت ابتسامتها .. تجنبا للأقاويل :

قال لها : أنه يأسف لعدم اللحاق بها .. فان السادة فى غـــــرفة الطعام .. والده .. ومستر نايتلى ومستر كوكس .. ومستر كـــول .. كانوا يشكلون مجتمعا .. لطيفا .. وكانت احاديثهم تدور حل أعمــــال هامة استرعت انتباهه .. وكانوا يتحـــدثون أيضا عن العـــائلات فى « هاييرى » وعن مدى قابليتها .. وانتعاشها .. لمثل هذه الحفلات ..

وسألته هى .. عن مجتمعه فى « يوركشير » وجيرانه المتدين فى « أنسكومب » : فأجابها : بأن .. زياراتهم فى أنسكومب تزداد بزيادة المعارف .. وليس كلهم قريبين منهم .. ولكن الأيام تحــــدد ارتباطا بالدعوات .. وعند تحديد هذه الزيارات .. فانه .. غالبا .. ما تجد مسز تشرشل نفسها فى حالة .. لا تسمح لها بالتنفيذ .. من الناحيتين .. الصحية .. والنفسية .. لذا .. فانه دائما يفضل ارتباطاته الفردية .. دون الارتباط بالعائلة ..

ووجدت ايما .. أن أنسكومب لا تجد هوى فى نفس شاب مثله ..

وأن متع مجتمعات « هايبرى » قد اقنعته اقناعا تاما ·· ووجد راحته فيها ·· وأن أهمية شخصيته ومكانته ·· فى « أنسكومب » مع ضغط خاله وخالته ·· يزعجانه فى بعض الأحيان ·· كما ذكر ·· أنه فى مرة رغب فى السفر الى الخارج ·· وكان شـــديد الاشتياق لذلك ·· ولكن زوجة خاله لم تلق بالا الى رغبته ·· ولم تستمع اليه ··

وقال : حدث هذا فى العام الماضى ·· والآن ·· عــاودتنى نفس الرغبة ·· وقد حققتها ··

وكانت هناك نقطة ·· أغفلها فرانك تشرشل ·· ولكنها ادركتها بفطنتها ·· وهى ·· أنه شديد الامتنان لتصرفات والده العاقلة ··

ثم قال بعد أطراقة قصيرة :

ــ ولقد اكتشفت شيئا هاما الآن ·· غدا ·· أكون قـد أمضيت أسبوعا هنا ·· أو بمعنى أدق ·· نصف الوقت الذى سوف أمكثه ··

اننى ابدا ·· لم أشعر بمرور الأيام ·· هكذا ·· تطير ·· أسبوعا باكمله ·· والآن ·· وبعد أن بدأت أمتع نفسى ·· وبدات فقط أتعايش مع « مسز ويستون » والآخرين ·· اوه ·· أننى أكره الفراق ··

ــ أعتقد أنك الآن تأسف على ضياع يوم من أجازتك ·· ذلك اليوم الذى أضعته فى حلق شعر رأسك ··

اجاب مبتسما :

ــ أبدا ·· أبدا ليس هذا موضوع الأسف ·· أننى لا أجد سعادة فى رؤية أصدقائى ·· ان لم أجد منهم نفس هذه السعادة عند رؤياى ·· وأننى اهل لأن يروننى ··

وكان بقية السادة قد حضروا الآن للغرفة ·· ووجــــدت ايما نفسها مضطرة أن تبتعد عنه قليلا ·· لتصغى الى « مستر كول » وعندما ابتعد عنها مستر كول وكان من الممكن الآن ان يعود اهتمامها كلية ·· الى فرانك تشرشل ·· رأت فرانك تشرشل ·· يدقق النظــر عبر الحجرة ·· الى فاريفكس ·· التى كانت تجلس قبالته ·· تماما ··

صاحت به :

ـــ هيه ٠٠ ؟ ما الخبر ٠٠ ؟

فأجفل قليلا ٠٠ ثم قال :

ـــ أشكرك لايقاظى ٠٠ أعتقـــد أننى قاس ٠٠ وجاف ولكن ٠٠ ما العمل ٠٠ ان مس فاريفكس صففت شعرها بطريقة ٠٠ شاذة ٠٠ شاذة ٠٠ ولم أمنع نفسى أو لم أستطع أن أمنع نفسى من النظر اليها ٠٠ اننى أبدا ٠٠ لم أر هذا المنظر الملفت العجيب ٠٠

أوه ٠٠ هذه « البوكلات » قطعا انهـــا من ابتكارها الخاص ٠٠ لم ار أحدا يبدو قبلها ٠٠ لابد أن أذهب وأسألها ٠٠ اذا ما كانت هذه ٠٠ « مودة » اسكتلندية ٠٠ ؟ هل أذهب ٠٠ ؟ اوه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لابد من ايضاح هذا الموقف ٠٠ ؟ وأنت تلاحظين ما سيحدث ٠٠ هيه ٠٠ ؟ هل ستخجل ٠٠ وهل سيحمر وجهها ٠٠

وذهب اليها رأسا ٠٠ ورأته « ايما » يقف أمام « مس فاريفكس » ويتكلم معها ٠٠ ووجدته بعد ذلك يجلس بينهم ٠٠ تماما فى مواجهة «مس فاريفكس » ولكنها لم تتمكن من استخلاص أى شىء ٠٠

وقبل أن يعود الى مقعده سمعت مسز ويستون وهى تصيح بها :

ـــ أوه ٠٠ هذه رفاهية الحفلات الكبيرة ٠٠ يمكن لكل فرد فيها ان يتنقل الى الآخر ٠٠ ويقول له كل شىء ٠٠ ايمـــا ياحبيبتى ٠٠ أننى مشتاقة أن أتكلم معك ٠٠ لقد أصبحت اكتشف ٠٠ واخطط مثلك تماما ٠٠ ويجب أن أتحدث عن الفكرة وهى مازالت حديثة هل تعرفين كيف حضرت « مس بيتس » وابنة أختها الى هنا ٠٠

ـــ كيف ٠٠ ؟ كانتا مدعوتان بالطبع ؟ اليس كذلك ؟

ـــ أوه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكن طـــريقة حضورهما ٠٠ هـــل تعرفينها ٠٠ ؟

ـــ لقد حضرتا ٠٠ سيرا على الأقدام ٠٠ اهناك طريقة أخرى ٠٠

(ايمـــا)

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ هذا حقيقى ٠٠ ولكن من مدة قصيرة بدا لى أنه من التعاسة أن تأتى « جين فاريفكس » على أقدامها ٠٠ وايقنت ٠٠ وانها بهذه الرهافة من الصحة ٠٠ لابد ٠٠ وأن تصاب بالبرد ٠٠ عنـدما دخل مستر ويستون الى الحجرة ٠٠

وقلت له بكل حرية وصراحة ٠٠ ؟ : « المسكينة ٠٠ المسكينة ٠٠ الفتاة المسكينة ٠٠ « ولم أتحمل أكثر من ذلك ٠٠ بل طلبت منه أن يرسل العربة ٠٠ ليحضرها ٠٠ هى ٠٠ ومس بيتس ٠٠ وطبعا مستر ويستون لا يرفض لى طلبا ٠٠ ولكن ٠٠ اتدرى ماحدث ٠ ؟ لقد سمع مستر نايتلى الحديث ٠٠ وذهب واحضرهما بعربته هل تصدقين ٠٠ ؟ لم أكن أعرف أن لمستر نايتلى حصانين ٠٠ وعربة ٠٠ فانه لا يستعملها بتاتا ٠٠ ولكنه يقول ٠٠ أنه يستعملها وقت الزوم ٠٠ وهكذا ٠٠ حضرت جين فاريفكس ٠٠ ومس بيتـــس ٠٠

— شىء جميل ٠٠ لطيف ٠٠ لاشىء جديد ٠٠ ولا شىء أحب من ذلك ٠٠ اننى أعرف أنه لا يوجد رجل مثل مستر نايتلى ٠٠ فى الشهامة ٠٠ والمروءة ٠٠ انه انسان ٠٠ تظهر انسانيته عند الضرورة ٠٠

لقد رأى أن جين فاريفكس معتلة الصحة ٠٠ وكان هذا ما يجب عليه فعله ٠٠ لقد قدم مستر نايتلى خدمات كثيرة ٠٠ أما بخصوص الخيل ٠٠ فأننى أعرف أن عنده اثنان ٠٠ لأنه هو بنفسه حضر عندى بالعربة والخيل ٠٠ ووصلنا معا ٠٠ الى هنا ٠٠ وقد ضحكت منه كثيرا ٠٠ ولكنه لم يقل أى كلمة تؤذينى ٠٠

قالت مسز ويستون وهى تبتسم :

— حسن ٠٠ حسن جدا ٠٠ لقد أعطيته شهادة طيبة أكثر منى ٠٠ فانه فى أثناء حديثى مع مس بيتس ٠٠ قفز الى ذهنى شىء ٠٠ لم أتمكن من أبعاده ٠٠ وكلما أكثرت من التفكير فيه ٠٠ كلما انطلق هذا الشىء ٠٠ وبالاختصار ٠٠ وبايضاح أكثر ٠٠ لقد اشتغلت « خاطبة » ٠٠ بين مستر نايتلى ٠٠ وجين فاريفكس ٠٠ وسوف يرى مجتمعكم نتيجة هذا العمل ٠٠ الكبير ٠٠ هيه ٠٠ ما رايكم فى هذا الموضوع ٠٠

استفسرت ايما .. بانفعال واضح :

— مستر نايتلى .. وجين فاريفكس .. ؟ أوه .. عزيزتى مسز ويستون .. ما هذا .. ؟ كيف أمكنك أن تفكرى هذا التفكير .. ؟ مستر نايتلى .. ؟ أنه لا يريد أن يتزوج .. أبدا .. ولا يفكر فى هذا الأمر .. بالطبع .. أنت لاتريدين طرد « هنرى » من «دونويل» .. أوه .. لا .. لا .. ؟ هنرى يجب أن يعيش .. ويأخذ دونويل .. أبدا لا أوافق على زواج مستر نايتلى .. وأننى متأكدة .. ان هذا الزواج .. لا يوافقه بتاتا .. أننى مذهولة .. مندهشة .. متعجبة .. ولا أكاد أصدق انه يمكن لك أن تفكرى مثل هذا التفكير العجيب ..

— عزيزتى ايما .. لقد أخبرتك .. بما أدى الى ترتيب هذا الأمر .. أننى أبدا لم أرغب فى أن أصبح « خاطبه » .. ولم أفكر أبدا فى هذا الأمر .. وأننى بالطبع .. لا أريد أى ضرر للصغير « هنرى » .. أن الفكرة أتت وليدة الظروف المحيطة .. فقط .. واذا كان مستر نايتلى .. يرغب حقيقة فى الزواج .. لا يمكن أن تدعيه يتعلل بهنرى .. صبى فى السادسة من عمره .. لا يفهم شيئا عن مثل هذه الأمور ..

— نعم .. أنا لا أتحمل أبدا أن أرى هنرى فى هذا الوضع .. أبدا لم تطرأ على ذهنى مثل هذه الفكرة .. والآن .. لا يمكن أن استسيغها أو أهضمها .. وجين فاريفكس .. بالذات .. من دون النساء ..

— لا .. أبدا .. انها دائما .. ودائما .. حبيبة الى قلبه .. وأنت تعرفين ذلك جيدا ..

— نعم .. نعم .. ولكن عدم الفطنة فى مثل هذا العمل ..

— أننى لا أتكلم هنا عن الفطنة .. أنه من المرجح فقط ..

— أننى لا أرى أى ترجيح فى هذا .. ولا ارجحه بتاتا .. اذا لم تجدى أساسا أفضل .. ترتكزين عليه ..

انسانيته .. طبيعته .. شهامته .. كما قلت لك .. هذا هو

الأساس الذى كان يجب أن ترتكزى عليه فى طلبك العربة والخيل .. انه يكن تقديرا عظيما لعائلة « بيتس » وبالأخص « جين فاريفكس » وهو يسعد دائما عندما يبدى لهم الاهتمام والعطف ..

ـــ يا عزيزتى مسز ويستون .. لا تشتغلى « خاطبه » بعد ذلك .. انك ضعيفة فى هـــذه المهنة .. « جين فاريفكس » .. هيـــه .. « جين فاريفكس » .. سيدة الكنيسة .. هيه « جين فاريفكس » سيدة الابريشية . هيه . جين فاريفكس .. سيدة «دونويل» أوه ..لا..لا.. أننى أشعر بالمرارة .. ولا أريده أبدا أن يفعل هذا الشىء ..

ـــ اهدئى قليلا .. اذا سمحت .. وبلا جنون .. فيما عـــدا الفارق العظيم فى الثراء .. وربما أيضا « فاريفكس » .. وأيضا السن .. اعتقد أنه لا يوجد فارق كبير بينهما .. بعـــد ذلك .. ولا أرى أى شىء غير مناسب بينهما .

ـــ ولكن .. مستر نايتلى لا يريد أن يتزوج .. أننى متأكده من ذلك .. أو حتى ليست لديه على الأقـــل .. أى فكرة عن هـــذا .. لا تضعيها فى ذهنه .. ولماذا يتزوج .. ؟ هيه ؟ لـــماذا .. ؟ أنه سعيد هكذا بنفسه .. بحقوله .. وبأغنامه .. ومكتبته .. وكل هـــذا الذى يريده .. ويحكمه .. وهو مغرم بأطفال شقيقه . ليست عنده أى فرصة للزواج .. لا ليملأ وقته .. ولا ليملأ قلبه ...

ـــ عزيزتى ايما .. اذا ما كان هذا هو تفكيره .. فهذا شأنه .. ولكن .. اذا كان حقيقة يحب « جين فاريفكس » ..

ـــ هراء .. أنه لا يهتم بجين فاريفكس اهتمام الحب .. اننى متأكدة .. من أنه لا يفعل .. أنه يخدمها .. ويخدم عائلتها .. ليس الا .. قالت مسز ويستون ضاحكة :

ـــ حسن .. حسن جدا .. ربما تكون أجمل خـــدمة يود أن يؤديها لها .. هى أن يعطيها بيتا محترما ..

ـــ اذا كان هذا شىء جميل لها .. فهو شىء تعس بالنسبة له .. ارتباط حقير ومخجل .. كم يطول تحمله لمس بيتس حين تنتمى اليه ..

لتقفز اليه الليل والنهار فى الكنيسة لتشكره على عطفه وكرمه ٠٠ لزواجه من « جين » ولكنه كان دائما ٠٠ الجار العطوف الكريم ٠٠ وهكذا من جملة واحدة ٠٠ تصبح المرأة العجوز ٠٠ أمه ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ هذه المرأة العجوز يجب أن تشكر الله لأنها مازالت قوية ٠٠

— ياللعار ٠٠ ياللعار يا ايما ٠٠ لا تقلدينها هكذا ٠٠ أننى خجلى منك ٠٠ اعتقد أن مستر نايتلى لن يتأذى هكذا من « مس بيتس » هذه الأشياء الصغيرة التافهه ٠٠ لا تؤثر فيه بتاتا ٠٠ سوف يدعها تتكلم ٠٠ وانه لو أراد أن يقول شيئا ٠٠ قطعا سوف يقوله ٠٠ فانه سـوف يرفع صوته ليخضعها على الانصات ولكن الموضوع ليس موضوع ارتباط شىء ٠٠ هل هو يرغب فى هذا الارتباط أم لا ٠٠ ؟

وأنا أعتقد انه شديد الرغبة فيه ٠٠ لقد سمعته يقول ذلك ٠٠ وأنت نفسك تمتدحين جين فاريفكس ٠٠ كثيرا ٠٠ ولقد سمعته يتحدث عنـها بحرارة ٠٠ ومن أشد المعجبين بمظهرها ٠٠ وموسيقاها ٠٠ وصوتها ٠٠ لقد سمعته بنفسى وهو يقول انه يتمنى أن يستمع الى صـوتها طوال العمر ٠٠ والى الأبد ٠٠ أوه ٠٠ ولكننى نسيت فـكرة خطرت لى ٠٠ وهى هدية « البيانو » لقد توقعنا كلنا أن يكون « كولونيل تشامبل » هو الذى أرسله لها ٠٠ ولكن ٠٠ لم لا يـكون المرسـل هو ٠٠ « مستر نايتلى » أننى لا أشك فى هذا ٠٠ بل أننى متأكدة أن مستر نايتلى هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يرسل مثل هذه الهدية ٠٠ حتى ٠٠ وبدون حب ٠٠ لقد سمعته مرارا وهو يأسف لعدم وجود بيانو عندها ٠٠ وعندما أتت الظروف ٠٠ قدم لها ٠٠ ما كان ينقصها ٠٠

— حسن جدا ٠٠ واذا ما كان قد عزم على اهدائها هذا البيانو ٠٠ كان لابد وان يخبرها بذلك ٠٠

— يا حبيبتى ايما ٠٠ لابد وأن تكون هناك مفاجاة رقيقة ٠٠ أننى متأكدة تماما انها هديته هو ٠٠ لقد لاحظت صمته التام ٠٠ حين ابلغتنا مسز كول الخبر ٠٠ أثناء العشاء ٠٠

— مسز ويستون ٠٠ أنت تمسكين بفكرة ٠٠ ثم تهربين بها بعيدا

جدا .. ولا تفعلين كما أفعل أنا .. أننى هنا لا أرى أى معنى .. للصلة أو للقرب .. وأعتقد أنه .. لا موضوع البيانو .. ولا أى موضوع آخر .. سوف يقنعنى بأن مستر نايتلى عنده أى نيه .. أو حتى أدنى تفكير فى زواجه من « جين فاريفكس » ..

وعلى هذه النقطة .. طالت مناقشاتهما .. لفترة .. حتى اقتربت مسز كول .. من مس وود هاوس .. وطلبت منهـــا شرف العزف على البيانو .. اما فرانك تشرشل .. فكان مستمتعا بحديث مسز ويستون كل الاستمتاع .. وجلس بجوار جين فاريفكس .. حين لحقت بهما مســز كول .. ودائما .. كما هو المعتاد فى كل مناسبة كانت ايما هى القائدة ..

انها تعرف قدراتها حق المعرفة .. واختارت لحنـــا يتماشى مع روحها .. وصوتها .. كله تساؤل .. ؟ واندهاش .. ؟

ثم عزفت أغنية ثانية خفيفة .. يساعدها فيها فــرانك تشرشل » واعتذر لرداءة صوته .. ولكنه مع ذلك .. استمر معها فى الغناء .. ثم قامت لتعطى مكانها .. لجين فاريفكس .. التى ابدعت حقا ..

وبمشاعر متضاربة .. جلست على مسافة قريبة من الأشخاص الذين يجلسون حول البيانو .. وغنى فرانك تشرشل ثانيا .. مرة .. ومرتين .. وقد ظهر أول ماظهر غناؤه فى « ويموث » .. !

وهنا .. لاح مستر نايتلى ـ فشد انتباه .. نصف عقل .. ايما .. وشعرت بدوامة من التفكير فى الموضوع .. الذى اثارته مسز ويستون .. وتوقعاتها .. مما جعل أصوات الغناء .. تبــدو بعيـــدة .. بعيـــدة عن مسامعها ..

وكان اعتراضها على زواج مستر نايتلى ليس الا فى تفكيرها فى خيبة أمل مستر جون نايتلى .. والأطفال .. وايزابيلا .. والتغيير الذى سوف يطرأ على حياته .. تغييرا اسوأ بالطبع .. خسارة فى كل شىء .. نقص فى راحة والدها اليومية .. وأيضا بالنسبة اليها هى شخصيا .. فان فكرة « جين فاريفكس » سيدة الأبرشية « دونويل آبى » شىء

لايمكن أن يتقبله عقل ·· ان مسز نايتلى ·· سوف تكون هى السيدة الأولى عليهم جميعا ·· لا ·· لا ·· أبدا لايجب أن يتزوج مستر نايتلى ـ هنرى الصغير لابد وان يظل الوريث الوحيد ـ لدونويل ··

أول مادخل مستر نايتلى ·· نظر اليها ·· ثم جاء وجلس بجوارها ·· وتكلما أولا عن الاحتفال ·· وعن الموسيقى ·· وكان بالطبع اعجابه بها حارا ·· وحتى لاتصدقه ·· حاولت أن تطرق الموضوع برقة ولطف ·· فتكلمت معه عن عطفه ومساعدته للخالة ـ وابنة اختها وكانت اجابته قصيرة ·· تبتر الموضوع نهائيا ·· ولكنها استمرت تقول ·· ان الموضوع كله لا يتعدى جوانب العطف والمساعدة فى نفسه ··

قالت :

ـــ اننى دائما ·· اعتبر نفسى غير مسئولة ·· عن العربة والخيل ·· انها مسئولية بابا وجيمس يفعل ما يأمره به ·· لذا لا يمكننى أبدا أن استعملها الا بأمره ··

أجـــــاب :

ـــ اوه ·· هذا شىء بديهى ·· بديهى جدا ·· ولكنك فى بعض الأحيان لابد وانك تريدين التصرف فيها وتسعدين عندما تحاولين مساعدة شخص ما ·· أليس كذلك ····

قالت ايمـــا :

ـــ آه ·· وهذه الهدية من « التشامبلز » ذلك البيـــانو ـ انه عطف كبير ·· اجاب دون أى اهتزاز للموضوع :

ـــ نعم ولكنهم كانوا يفعلون أفضل اذا ما كانـــوا قـــد أرسلوا خطابا مع الهدية سخيف ·· سخيف جـــــدا ·· بل ويدل على غبـــاء وغباء تام ··

ان السعادة لا تقتنص ·· والراحة مطلوبة لقد كنت أتوقع تصرفا أفضل من كولونيل تشامبل ··

ومن هذه اللحظة ‥ اتخذت ايما قرارها النهائى ‥ بأن مستر نايتلى لا صلة له بتاتا بهذه الهدية ‥ ولكن الشك زاد ايضا ‥ وخاصة بعد انتهاء أغنية جين الثانية ‥ فان صوتها بدا غليظا ‥ متعبا ‥

قال مستر نايتلى مفكرا ‥ بصوت عال ‥ وبعد ان انتهت جين من الغناء ـ اوه ـ لقد غنيت كثيرا ـ لمساء واحد ‥ والآن ‥ كفى ‥ كفى ‥ واهدأى ولكن ‥ سرعان ما ازداد ألحاح الحاضرين لأغنية ثالثة ‥ ولكنهم مشوقون لسماع أغنية أخرى ‥ واحدة فقط ـ لا أكثر ولا أقل ‥ وسمع فرانك تشرشل يقول :

ــ اعتقد أنه يمكنك الغناء بدون أى مجهود الاغنية الأولى تافهة والقوة كلها كانت فى الثانية ‥ وهنا ‥ ثارت ثائرة مستر نايتلى ـ وصاح غاضبا ـ هذا الفتى ‥ لا يفكر فى شىء ‥ الا فى استعراض صوته ‥ هذا لن يكون ‥ لن يكون أبدا ‥

ولمس ذراع « مس بيتس » التى كانت تمر بجانبه فى تلك اللحظة ‥ وقال لها : ـ مس بيتس ‥ هل أنت مجنونة حتى تدعى ابنة أختك ـ تفقد حنجرتها ‥ هكذا ‥ اذهبى ‥ أذهبى فورا ‥ وتدخلى فى الأمر ـ أقنعيها ‥ ارحميها ‥ ارحميها ‥

« اه ‥ مس بيتس ‥ بانزعاجها الصادق ‥ وخوفها على جين ‥ قفزت قفزة سريعة حتى دون ان تقدم تشكراتها المعتادة ‥ ووضعت حدا لأى مشروع فى غناء آخر وهكذا وضعت حدا بالفعل لكل تفكير فى الغناء ‥ هكذا ايضا بتر جزء هام من برنامج السهرة ‥ فلم يكن فى المجموعة كلها ‥ سوى ـ مس وود هاوس ‥ ومس فاريفكس ‥ من يتقن العزف على البيانو ‥ مع الغناء ولكن لم تمر دقيقة واحدة ‥ حتى ارتفعت أصوات مطالبة بالرقص ‥ وسرعان ما اخليت القاعة ‥ وتم الاستعداد ‥ وابتدأت الموسيقى ‥ وافتتحت مسز ويستون «رقصة الفالس» وظهر مستر فرانك تشرشل ببشاشة ‥ مادا يديه الى « ايما » وجذبها معه ‥ الى أعلى ‥ فى حركة راقصة رشيقة ‥

وحين الانتظار حتى يلتئم شمل كل اثنين مع بعضهما وجدت ايما من الوقت مايجعلها ـ بالرغم من اصغائها لهمسـات الاعجاب والاطراء على صوتها ٠٠ ورقصها ـ وعزفها ٠٠ وذوقها فى اختيـار ملابسـها ٠٠ وتصفيفة شعرها ـ بالرغم من كل هذه الانتقالات المشحونة ـ تمكنت من القاء نظرة على «مستر نايتلى» يتحدث الى مسز كول ٠٠ وحين كانت قد طلبت للرقص من شخص آخر ٠٠ وهو مازال مستغرقا فى حـديثه مع مسز كول ٠٠ !

وهنا ٠٠ هدأت مخاوف ايما ـ بالنسبة لهنرى ٠٠ ومصالحه ٠٠ قطعا هى الآن فى أمان ٠٠ وانقشعت أفكارها ٠٠ وانطلقت مشاعرها ٠٠ وارتفعت روحها ورقصت باستمتاع ـ ولم يكن فى القـاعة الا خمس مجموعات فقط هى التى ترقص وكانت هى الضياء الذى يشع من حوله الأضواء ٠٠ حقا لقد كان توافقا ممتازا ٠٠ فلم يكن هناك أجمل ولا أبدع ٠٠ ولا أحلى ٠٠ ولا أروع منها هى ٠٠ وفرانك تشرشل ٠

ولسوء الحظ ـ لم يكن الوقت يسمح الا برقصـتين اثنين فقط ـ وازداد قلق « مس بيتس » فى كيفية رجوعها الى منزلهـا ٠٠ وشكرتا مسز ويستون لاهتمامها بهذا الأمر ٠٠

قال فرانك تشرشل وهو يوصل ايما الى عربتها :

ــ أعتقد أننى كنت لن أغفر لنفسى أبدا ـ اذا ماكنت قد طلبت ٠٠ « مس فاريفكس » للرقص معها ٠٠ بعدك أنت ٠٠ يا « ايما » ٠٠



الفصـل السادس والعشرون

لم تندم ايما على ذهابها لحفل « الكولز » .. فلقد أمدتها الزيارة بمتعات .. ومسرات .. عديدة .. فى اليوم التالى .. ووجدت أنهـا كانت مخطئة فى الاعتقاد أن ذهابها سوف ينقص من كرامتها .. والآن .. فان روعة المشاركة فى الحفل .. كان له أجمل الأثر فى نفسها .. وآمنت بأن « الكولز » أناس طيبون .. يستحقون منها كل معاملة طيبة .. ومحبة .. ومودة .. وتركـــت وراءها .. اســما .. وانطباعا « عريضا » باقيا .. الى أمد طويل هناك مسرات خاصة . غير عادية مازالت منطبعة فى ذاكرتها .. وكانت هنـــاك نقطتان لم تكن تشعر بالراحة من ناحيتهما .. هل تصرفت تصرفا خاطئا .. عندما أوضحت مشاعرها وشكوكها .. من ناحية « جين فاريفكس » لفرانك تشرشل .. وذلك يمكن أن يبعده عنها وان لسانها لن يمتنع من الهجوم عليها ...

والشىء الثانى .. هو أيضا من ناحيـــة « جين فاريفكس » فانه قد ظهر لها برودها من ناحيتها ـ حين عزفها وغنائها .. ثم تجاهلها أيام طفولتهما .. وجلوسها أمام البيانو تعـــزف لساعة ونصف .. دون ما مراعاة منها لأى شعور .. او صداقة .

وهناك .. انقطع تفكيرها .. بحضور «هارييت» **وبما أن هارييت** تسعدها .. اذا .. ففى لحظة قصيرة .. يمكنها أن تنسى شكوكها .. ومخاوفها .. وتسعد .. وترتاح .. بلقاء هارييت التى قالت :

ــ أوه .. لو كنت استطيع أن أعزف جيدا .. مثلك .. أنت ومس فاريفكس ؟

ــ هارييت .. أرجـــوك .. لا تقارييننا ببعض .. ان عزفى بجوارها .. لا يمكن أن يقارن الا بضوء مصباح خافت بجـــوار اشعاع الشـــمس ..

ــ أوه يا عزيزتى أننى أعتقد أن عزفك أنت يضاهى عزفها هى تماما .. أننى متأكدة .. لقد سمعتك .. وأظن كل شخص فى الحفل .. مساء أمس .. قال أنك رائعة فى العزف .. والغناء أيضا ..

ــ الحقيقة .. أنه حتى الذين لا يعرفون شيئا فى الموسيقى لابد

وأن يكونوا قد لاحظوا الفرق الشديد بيننا ·· أننى أعزف عزفا رائعا حقا ·· ولكننى بجانبها هى ·· لست شيئا ··

— حسن ·· ولكننى دائما سوف أؤمن بانك تعزفين مثلما تعزف هى تماما ·· أو حتى ·· لو كان هناك أدنى اختلاف ·· فلن يلاحظ ·· أو يفطن اليه أحد ·· لقد قالت مسز كول ·· أن لك فن عظيم ··

وتكلم مستر فرانك تشرشل كثيرا عن تذوقك الفنى الرائع ·· وهو يقدر التذوق الفنى عن جدارة ·· ويعترف بمهارتك فى هذا الفن ··

— أوه ··ولكن «جين فاريفكس»··عندها الاثنين يا هارييت··

— هل أنت متأكدة ·· لقد رأيت أن عندها مهارة فائقة ·· ولكن ·· ليس لديها أى تذوق فنى ·· بتاتا ·· بتاتا ·· لم يتحدث أحد عن ذوقها أبدا ·· وأنا شخصيا ·· أكره الأغانى الايطالية ·· أننا لانفهم ولا كلمة منها ·· فما معنى غنائها اذا ·· بلغة لا نفهمها ·· وبجانب ذلك ·· فانها كانت مضطرة اضطرارا لذلك ·· لأنها سوف تقوم بالايضاح ·· والتعليم ·· لقد كان « الكوكس » يتساءلون اذا ما كان يمكنها أن تنتمى الى عائلة كبيرة ·· هيه ·· ما هو رأيك فى « الكوكس » ··

— أوه ـ كما هى دائما ·· منتهى الابتذال ··

قالت هارييت بقليل من التردد :

— لقد قالوا لى شيئا ··

ووجدت ايما نفسها مرغمة ·· على أن تسأل عن هذا الذى قالوه لاتكثر ·· لها ·· خوفا من أن يكون هذا الشىء ·· متعلقا بمستر ايلتون ··

— أوه ·· لقد قالوا لى ·· أن مستر مارتن قد أخذ عشاءه معهم ·· السبت الماضى ··

— أوه ··

— لقد تكلموا كثيرا عنه ·· « وخاصة أن كوكس » ·· أننى لا أفهم ماذا تقصد ·· ولكنها سالتنى ·· اذا ما كنت امكث عندهم الصيف القادم ·

ـــ انها قصدت ان تكون متطفلة تماماً .. لما يجب أن تكون عليه انسانة .. مثل « آن كوكس » ..

ـــ لقد قالوا .. أنه كان لطيفا جدا فى اليوم الذى أخذ عشاءه عندهم .. وجلس بجوارها أثناء العشاء .. وتعتقد .. « مس ناش » أن أى واحدة من « الكوكس » سوف تكون سعيدة جدًا .. لو تزوجته ..

ـــ أوه .. أننى أعتقد .. بلا استثناء ولا مبالغة .. أنهما أشد الفتيات ابتذالا فى « هايبرى » ..

وكانت « هارييت » تحتاج الى بعض الطلبات من محل « فورد » ورات ايما أنه من الاوفق أن تذهب معها .. وكان هناك احتمال لمقابلة أخرى مع عائلة مارتن .. وفى مثل حالتها هـذه .. فان المقابلة كانت تشكل خطورة كبرى ..

أما «هارييت» فكانت تشعر بكل شىء .. ولم تنبس بنت شفة .. وكانت دائما تستغرق وقتا طويلا .. فى اختيارها لمشترياتها .. وبينما كانت تمسك بالموسلين .. ثم تغيره .. وتتردد فى شراء .. هذا .. أو ذاك ..

تركتها ايما لترددها .. وذهبت الى الباب الخارجى .. للمشاهدة .. والتسلية ان حركة المرور مندفعة .. فى هذا المكان من « هايبرى » .. ورات مستر بيرى يسير مع مستر « وليام كوكس » .. وخيول عربة « مستر كول » عائدة من التمرين .. ويسير أيضا صبى يحمل خطابات .. وكانت هذه هى المشاهد الحية التى كانت تتوقعها .. ثم وقعت عيناها على جزار ... حاملا صينية .. وامرأة نظيفة مرتبة عائدة الى منزلها بسبت مشترياتها .. وكلبين يتعاركان على عظمة قذرة .. وعيون طابور من الأطفال .. تصل من نافذة منزل « الخباز » ..

وبعد أن استمتعت بما فيه الكفاية .. من هذه المشاهد المسلية .. الحية .. التى لا تحتاج الى سؤال .. أو جـــواب .. ألقت بناظرايها عبر الطريق .. طريق « راندالز » .. واتسعت الرؤيا ..

وظهر شخصان ·· « مسز ويستون ·· وابنها بالتبنى » ·· يسيران فى « هايبرى » ووجهتهما ·· « هارتفيلد » ·· بالطبــــع ·· وتوقفا بالقرب من منزل « مسز بيتس » الذى كان أقرب لهما من محل «فورد» وقرعا على الباب ·· عنــدما لمحا « ايمـــا » ·· وفى الحال ·· عبرا الطريق اليها ·· وكانت لحظات سعادة الامس سببا فى اخفاء روح البشر والفرح فى هذه المقابلة أيضا ··

قالت لها مسز ويستون ·· أنها كانت ذاهبة الى منزل «مسز بيتس» حتى يمكنها أن تستمع الى نغمات البيانو الجديد ··

واسترسلت تقول : لأن رفيقى هذا أخبرنى بأننى قد وعدت « مسز بيتس » فى الليلة الماضية ·· بالحضور لزيارتها اليوم ·· وقد حددت لها هذا الميعاد ·· فاننى لا أذكر بأننى قد حددته فعلا ·· ولكنه قال لى ·· بأننى قد فعلت ويجب أن أذهب ·· وهنا قال فرانك تشرشل موجها حديثه الى ايما وبينما مسز ويستون تؤدى زيارتها :

ـــ فاننى اتمنى أن أذهب معك الى « هارتفيلد » ·· اذا ماكنت عائدة الى البيت ··

وأصيبت مسز ويستون بخيبة أمل شديدة ··

ـــ أعتقد أنك كنت ستذهب معى··ان هذا سوف يسعدهم كثيرا··

ـــ أنا ·· ؟ أرجوك ·· ابعدينى عن هذا الطريق ·· ولكننى أكون مساويا ·· اذا ماسرت فى طريق ايما ·· التى يبدو انها لاتريدنى الآن ·· أيضا خالتى ·· هى دائما تبعدنى عنها عندما تشترى طلباتها·· انها تقول أننى أعرقلها ·· أو أعطلها وأشــــوش أفكارها ·· ويبدو أن « مسز وود هاوس » من هذا النوع ·· أوه ·· ماذا أفعــــل ·· ؟ ماذا أفعل ·· ؟ قال تايما ·· أننى لا عمل لى هنا الســبب ·· فقط أنتظر صديقتى ·· وأننى أرجح أنها الآن ·· قد انتهت من استكمال طلباتها ·· وأعتقد أننا سنعود الآن الى البيت ·· ؟

أما أنت ·· فانه خيـــر لك أن ترافق مسز ويســتون وتستمع الى الموسيقى ·· وبابتسامة ماكرة : قال :

— أوه .. حسن جدا .. اذا ما قررت أنت ذلك .. فسوف أفعل .. وما العمل الآن .. اذا ما كان كولونيل تشامبل - قــد عين صديقا لا مباليا .. هيه .. ماذا أقول .. أننى سأكــون مضطرا ألا أعتــرف بالحقيقة .. أننى أتعس مخلوق فى العالم ..

أجابت ايمـــا :

— أننى لا أصدق هذا الكلام أبدا .. أننى واثقــة أنك مخلص تماما .. اخلاص جيرانك .. ولكننى فى الحقيقــة لم أتمكن من فهم « مسز فاريفكس » ليلة .. أمس ...

صاحت مسز ويستون :

— تعالى .. معى .. حتى أن لم يكن هذا مستحبا لديك .. فاننا لن نمكث وقتا طـــويلا .. وســـوف نلحق بهم فى « هارتفيلد » حقيقة .. أننى أتمنى أن تأتى معى .. لأننى سوف أحظى بمزيد مــن الاهتمام .. وأنا أعرف أنهم يقصدونك باهتمامهم دائما ...

ولم يتمكن فرانك تشرشل من المعارضة .. أو أن يقــول أى شىء أكثر من ذلك .. وعلى أمل العــودة سريعا الى « هارتفيلد » عاد مع « مسز ويستون » الى باب منزل .. مسز بيتس .. وراقبتهما ايما .. وعقلها مشغول بقطعة لطيفة من الموسليين .. وعليها شريط أصفر .. أعتقدت بأنها ســوف ترضى نزوتها الجــديدة .. وضمتهما الى باقى مشتريات هارييت ...

سألت مسز فورد :

— هل أرسل هذه الاشياء الى مسز جودارد .. ؟

— نعم - نعم - أوه .. لا .. نعم .. لمسز جودارد فقط .. أما ردائى .. وشريطى .. فالى « هارتفيــلد » اذا سمحت .. وربما تريد مسز جودارد مشاهدتهما .. ولكننى محتاجة الى الشريط الآن .. أرجوك .. اربطيهما فى لفافتين وأرســلى لفافتى الى « هارتفيلد » فورا .. يامسز فورد .. هل يمكن ..

(ايمـــا)

قالت هارييت :

ــــ ولكن ٠٠ مسز فورد سوف تتعب من عمل لفافتين ٠٠

أجابت مسز فورد : أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ لاشىء متعب فى هذا العالم ٠٠ ابـــدا ٠٠

ــــ أوه ٠٠ أعتقد أنه يجب أن تربط مشترياتنا كلها فى لفـــافة واحدة ٠٠ وترسلها كلها الى هارتفيلد ٠٠ وأنا سوف أخذ حاجياتى عند عودتى ٠٠ مارأيك فى هذا ٠٠ يا مسز وود هاوس ٠٠ ؟

ــــ أوه ـ هذا شىء جميل ٠٠ ينهى الموضوع ٠٠ كل هذه الأشياء فى لفافة واحدة ٠٠ الى هارتفيلد فورا ٠٠ يامسز فورد ٠٠ ؟

أجابت هارييت بسعادة بالغة ٠٠

ــــ هذا جميل ٠٠ أننى لم أكن أرغب فى أن ترسل هذه الاشياء عند مسز جودارد ٠٠

وسمعا أصواتا تقترب من المحل ٠٠ أو بالأحرى صوت واحـــد ٠٠ وسيدتين ٠٠ وقابلتهما مسز ويستون ٠٠ ومس بيتس : قالت الأخيرة :

ــــ لقد أتيت ركضا للحصول على شرف تشريفك ٠٠ للحظة ٠٠ لتعطينا رأيك فى البيانو الجـــديد ٠٠ أنت ٠٠ ومس سميث ٠٠ صحتك على مايرام ٠٠

حسن ٠٠ لقد رجوت مسز ويستون أن تاتى حتى أضمـــن النجاح الأكيد فى طلبى ٠٠

ــــ اتمنى أن تكون مسز بيتس ٠٠ ومس فاريفكس على ٠٠

ــــ أوه ٠٠ شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ على مايرام ٠٠ على مايرام ٠٠ أمى صحتها جيدة ٠٠ وجين لم تصب بالبرد ٠٠ من ليلة البارحة ٠٠ كيف حال مستر وود هاوس ٠٠ أننى سعيدة لأسمع كل هذه الاخبار ٠٠ لقد أخبرتنى مسز ويستون بأنك هنا ٠٠ أوه ٠٠ قلت أنا ٠٠ اذا ٠٠ يجب على أن أسرع عبر الطريق لاحظى بمتعة مشاهدة مسز وود هاوس ٠٠ ولتسمح لنا بالزيارة ان أمى ٠٠ ستكون فى غاية السعادة حين تحضر ٠٠

والآن .. نحن مجموعة لطيفة .. وأنها قطعا لن ترفض الحضور .. أوه .. لقد قال مستر فرانك تشرشل .. أن البيـــانو .. لن يحوز اعجاب مسز وود هاوس .. قلت أنا : أوه .. ولكننى متأكده .. من أننى سوف أنجح اذا ما حضر واحد منكما معى

قال هو : أوه .. انتظرينى نصف دقيقة .. حتى انتهى من عمل .. أوه .. هل تعلمين يا مس وود هاوس .. أنه من أرق الاخلاق .. وأعظم الرجال فى العالم .. انه كان يعالج تركيب مسمار .. نظارة أمى .. لقد خرج المسمـــار كما تعلمين هـــذا الصباح .. ولا يمكن أن تستعملها أمى هكذا .. وعلى فكرة .. يجب على كل فرد منا .. أن يكون عنده نضارة .. أنها ضرورية للغاية .. أن جين تقول هذا .. لقد كنت على وشك أن أخذها « لجون ساندرز » .. ليصلحها .. ولكن .. شيئا ما شغلنى فى الصباح .. أولا .. عمل .. ثم عمل آخر .. ثم .. وثم .. وهكذا .. وفى نفس الوقت .. أتت بتاى لتقول لى أن المدخنة .. تحتاج الى تنظيف .. هكذا فى وقت واحد .. فصحت بها : « باتى .. لا تحملى لى أخبارا سيئة .. كفى .. لقد كسر مسمار نظارة سيدتك .. وعندئذ .. وصلت الى المنزل .. فطائر التفاح . أرسلتها مسز واليس مع ولدها .. انهم فى الحقيقة .. اناس مجاملون ويعاملوننا أحسن معاملة .. لقد سمعت بعض النـــاس يتقولون عليها .. ويقولون .. أن مسز واليس .. ليست متمدينة .. ولا تحب الناس .. ودائما ترد بجفاء .. ولكننا نحن .. لم نجد منها الا كل اهتمام ومحبة ..

ولا يمكن أن تكون هذه المعاملة لما ندفعه لها ...

فأنت تعرفين بأننا ثلاثة أشخاص فقط .. وطبعا كمية الخبـــز لا تذكر لها قيمة .. فضلا عن أن عزيزتنا جين .. لاتأكل شيئا أبدا .. أبدا .. آه .. لو رأيت افطارها .. شىء مؤلم .. أننى لا أجرؤ أن أقول لأمى عن عدم أكلها .. لئلا تقلق عليها .. ولكنها فى منتصف النهـــار تشعر بالجوع .. وهنا .. فانها .. لاتحب شيئا .. الا فطائر التفاح .. أنها فى الحقيقة .. لذيذة جدا .. لهذا .. فقد انتهزت الفرصة فى اليوم السابق وسألت مستر بيرى .. عندما قابلته مصادفة فى الطريق ..

ليس لأننى أشك فى هذا ‥ فاننى سمعت أن مستر وود هاوس ‥ يوصى دائما بفطائر التفاح ‥ وأننى أعتقد أن هـــذه هى الطريقة المثلى ‥ لأكل التفاح والفاكهة كما يقول مستر وود هاوس ‥ على أى حال ‥ دائما عندنا « كيكة » التفاح ‥ فان باتى « تصنعها بطريقة ممتازة ‥ أوه ‥ مسز ويستون ‥ أعتقد أنه يمكنك اقنـــاع هاتين السيدتين ‥ لمرافقتنا ‥

— أوه ‥ ايما ستكون سعيدة جدا ‥ لتذهب الى «مسز بتس» ‥ ولما لم تتحركا من المحل ‥ صاحت مسز بيتس :

— أوه ‥ كيف حالك يا مسز فورد ‥ أرجو المعذرة لم أرك من قبل ‥ أوه ‥ لقد سمعت أنه لديك مجموعة رائعـــة من الشرائط ‥ أحضرتينها من المدينة ‥ أوه ‥ لقد عادت جين امس ‥

— أوه ‥ شكرا ‥ شكرا ‥ القفازات ‥ كانت مناسبة ‥ فقط متسعة قليلا عند الرسغ ‥

وعندما وجدوا أنفسهم فى الطريق ‥ اذا بمس بيتس تعود للكلام:

— أوه ‥ ماذا كنت أقول ‥ ماذا كنت أقول ‥ ؟

وتحيرت ايما ‥ أى المواضيع سوف تعود للحديث فيها ‥

— أظن أننى لا أستطيع أن أركز ‥ وأعود الى الموضوع الذى كنت أتكلم فيه ‥ آه ‥ نظارة أمى ‥ وبكل الشكر ‥ والانسانية ‥ مستر فرانك ‥ ‥ آوه ‥ لقد قال :

— أعتقد أنه يمكننى اصلاحها ‥ أننى أحب الاعمال من هذا القبيل ‥ هذا ماجعله ‥ آه ‥ كما سمعت ‥ وكما رأيت ‥ انه يعرف كل شىء ‥ كل شىء ‥ أننى أهنئك يا مسز ويستون ‥ أهنئك بكل حرارة ‥ انه يبدو أنه حبيب أبويه ‥ أوه ‥ لقد قال : أننى يمكننى اصلاح النظارة ‥ أننى أحب مثل هذه الأعمال ‥ أبدا لن أنسى أخلاقه وتصرفاته ‥ وعندما أخرجت فطائر التفاح من على الرف ‥ وقدمتها لأصدقائنا ‥ ورجوتهم ان يتكرموا لتذوقها ‥ قال على الفور :

— أن هذه أبدع فطائر تفاح ‥ تذوقتها فى حياتى ‥ وأننى متأكدة من أخلاقه ‥ وبأنه لم يكن يجاملنا ‥ حقيقة انها قطع رائعة

.. من التفاح .. وقد صنعتها مسز واليس باهتمام واعتناء تام .. ونحن لا نصنعها الا مرتين فى الأسبوع .. ولكن مستر وود هاوس .. جعلنا نقسم أن نصنعها ثلاث مرات .. واننى أريد من مس وود هاوس .. أن تكون طيبة .. ولا تخبر مستر وود هاوس بهذا الأمر .. ان التفاح نفسه من أجود الاصناف .. أنه هدية مستر نايتلى .. فهو يرسل لنا جوالا كبيرا كل عام .. حقيقة لا يوجد مثل هـــذا التفاح الا فى حدائقه .. وأشجاره .. ان أمى تقول « الاوركاد » كان من أشهر أنواع التفاح فى أيامها .. أوه .. لقد صدمت فى ذلك الصباح عندما حضر الينا مستر نايتلى .. ورأى جين تأكل التفاح .. وتكلمنا عنه .. وقلنا له .. كم تحب مذاقه . انه أجمل تفاح فى العالم .. قال .. لابد وان الدفعــة الأولى قد انتهت وسوف أرسل لكم كمية كبيرة فى هـــذه المرة .. لأنه يوجد عندى كميات أكثر مما أحتاجها .. لقد جعلنى « وليام لاركنز » .. أخزن كميات كبيرة هذا العام .. أكثر من المعتاد .. وسوف ارسلها لكم .. بدلا من تخزينها .. ولكننى رجوته الا يفعل .. فمازال لدينا كمية منه .. والحقيقة أنه لا يوجد لدينا أكثر من نصف دسته فقط .. ولكن .. هذه الكمية .. يجب أن نحتفظ بها كلها لجين .. ولن أقبل أن يرسل الينا أكثر من ذلك .. وكذلك قالت جين .. وعندما ذهب .. ظلت جين تتشاجر معى .. ودائما .. عندما يحضر عندنا .. مستر نايتلى .. تتشاجر معه جين .. أوه .. لايجب أن أقول تتشاجر .. فاننا لم نتشاجر طول حياتنا .. ولكنها .. استاءت .. عندما أخبرته أن التفاح على وشك الانتهاء .. قلت لها : أوه .. ياعزيزتى .. أننى أتكلم .. كما يحلو لى .. على أى حال .. لقد ذهبت فى نفس المساء .. الى «وليام لاركنز»وقلت له كل شىء..أنه صديق قديم جدا ..وأسعد جدا بلقياه .. قال لى أن سيده قد أحضر لنا كل مالديه من مخزون التفاح .. وانه لم يبق لديه ولا واحدة لتخبز .. أو لتطهى .. ولم يكن عند وليام ... أى فكرة عن الموضوع .. لقد كان سعيدا جدا .. ويعتقد أن سيده قد تمكن من بيع كل هذه الكميات المخزونة من التفاح .. لأن وليامز كما تعلمون يعتقد أن سيده يكسب كثيرا .. وقال وليامز أيضــا أن مسز «هودجز» استاءت جدا لبيع التفاح .. لأن سيدها .. لــن يتمكن من أكل فطيرة التفاح طوال هذا الربيع .. وقال « لباتى » أن

لا تقول شيئا لأن « مسز هودجز » سوف تغضب جدا ·· أوه ·· أننــى أسفة وحزينة ·· لم أكن أريد أن أقول ذلك ·· ولم أكن أريد أن أقول ذلك ·· ولم أكن أريد أن تعلم « جين » هذا الأمر ·· ولكننى قلته ·· وعلمت « جين » ··

وعندما انتهت « مس بيتس » من أقوالها عندما فتحت « بــاتى » الباب ·· وخطوا هم خطواتهم الى الداخل ·· وصوت « مسز بيتس » يقـــول :

— أوه ·· أرجوك يا مسز ويستون ·· هناك درجة مرتفعة فى الدائرة ·· أوه ·· مس وود هاوس ·· أرجو ان تحترسى ·· ان سلالمنا معتمة ·· مظلمة ·· وضيقة ··

بطريقة ·· لا يقبلها أى انسان ·· حتى ولا نحن ·· أوه ·· مس انتبهى ·· مس وود هاوس ·· أوه ·· أنت مســئولة عن ذلك ·· انا متأكدة من أن قدمك قد أصيبت « مس سميث » ·· الدرجة فى استدارة السـلم ··



الفصــل السابع والعشرون

منظر غرفة الجلوس الصغيرة ـ عندما دخلوا فيها ‥ كما هى ‥ بلا أدنى تغيير ‥ « مسز بيتس » متقوقعة ‥ فى ركنها المعتـــاد ‥ بجوار المدفأة وعلى مائدة قـــريبة ‥ جلس فرانك تشرشل منهمكا فى اصلاح النظارة ‥ وجين فاريفكس تقف مولية ظهرها نحوهم ‥ ومنشغلة بالبيانو الجديد ‥ كما هو منشغل ‥ لم يرفع عينيه عند دخولهم ‥ ولكن عندما شعر بوجود « ايما » ‥ بدت عليـــــه بوادر فرحة ‥ لم يستطع اخفاءها ‥

قال فى صوت خفيض نوعا ما :

ــ هذه متعة ‥ حضرتم عشر دقائق قبلا عما قدرته هيه أحاول أن أكون مفيدا ‥ خبرينى ـ هل تعتقدين بأننى سوف أوفق ‥ قالت مسز ويستون :

ــ ماذا هل لم تنته منها بعد ‥ ؟ اوه ‥ انك لا تصلح بتاتا ان تكون نظاراتى ‥ ؟

ــ اننى لم أكن أعمل عملا متواصلا ‥ لقد كنت أساعد « مس فاريفكس » فى وضع البيانو وضعا سليما ‥ ها أنت ترين ‥ لقد وضعنا الأرجل ‥ وتجدين قطعة من الورق تحت رجل واحدة ‥ وحفظنـــا التوازن ‥ وتماسك الآن ‥ تماسكا تامـــا ‥ اوه ‥ انه شىء لطيف جدا ‥ ان تعودى ثانيا ‥ لقـــد اعتقـــدت أنك قد اسرعت بالعودة الى المنزل !

وطلب منها ان تجلس بجواره ‥ وترى أجمل فطائر التفاح فى العالم ‥ وان تحاول ابداء رأيها فى عمله ‥ بل ومساعدته ‥ حين كانت « جين فاريفكس » تستعد للجلوس أمام البيانو ‥ اما ايما ‥ فكانت تحاول أن تخفى حالتها العصبية ‥ وخشيت أن تبدو هذه الحالة المتوترة أمام جارتها ‥ ؟

واخيرا ‥ جلست جين فاريفكس متمكنة من أصابع البيانو ‥ متمكنة تماما ‥ من العزف ‥ لتعطى النغمات لحنا متدرجا ‥ جميلا

.. وعادت مسز ويستون الى استمتاعها .. وشاركتها ايما فى كل مشاعرها .. واثبت البيانو انه من أعلى درجة .. قال فرانك تشرشل .. موجها حديثه الى ايما .. مصحوبا .. بابتسامة خفيفة : ـ أوه .. على أى حال .. لقد عرف كولونيل تشامبل كيف يختار .. لقد سمعت كثيرا عن ذوق .. « كولونيل تشامبل » .. فى « وايموث » وتفوقه ونعومة ورقة النوت الموسيقية فعلا .. يستحق عليها التهنئة .. أعتقد يامس فاريفكس ..أنه لابد وأن يكون قد أعطى توجيهاته أو كتب «وبروود» .. نفسه .. هل تعتقدين ذلك ..

ولم تنظر جين حولها .. ولم تكن فى حالة للسمع .. لأن مسز ويستون كانت تتكلم معها فى نفس الوقت .. همست ايما :

ـ هذا ليس عدل .. لا .. لا تحرجها ..

وهز رأسه مبتسما .. وبدا كانه به قليلا من الشك .. وقليلا جدا من الرحمة .. وبعد لحظة .. ابتدأ يقول :

ـ كم يكون استمتاع أصدقائك فى ايرلندا بهذه المناسبة .. يا مس فاريفكس أننى اتجرأ .. واقول .. انهم لابد وانهم يفكرون فيك دائما .. وفى اليوم الذى تعودين فيه .. ومعك البيانو .. هل تتوقعين رسالة خاصة منه .. أو أنه قد أرسل تعليمات عامة فقط .. ؟

واطرق منصتا .. وأجابت بارغام على الاجابة :

ـ حتى يصلنى خطاب من كولونيل تشامبل .. لا يمكننى أن اتوقع .. أو أتخيل أى شىء .. لأن هذا .. سيكون من قبيل التخمين ليس الا ..

ـ التخمين .. ؟ هاى .. فى بعض الأحيان .. يكون التخمين صحيحا .. ؟ وبعض الأحيان .. يكون التخمين خاطئا .. اننى أتمنى أن استطيع التخمين حتى انتهى من اصلاح هذا المسمار .. اوه .. مس وود هاوس .. كيف يتكلم الانسان ـ عندما يكون مشغولا .. اه .. ان رجالكم الذين يعملون حقيقة .. يمسكون السنتهم اما نحن ـ السادة العاملين .. فان نطقنا بكلمة .. اه .. منا .. واه لنا .. لقد قالت

مس فاريفكس شيئا عن التخمين ‥ اوه ‥ هاهى ‥ لقد انتهت ‥ ثم الى مسز بيتس :

ــ لى الشرف يا مدام ‥ أن أكون قد تمكنت من اصلاح نظارتك ـ هاهى ‥ وتلقى حينئذ تشكرات حارة من كلتيهما ـ الأم والابنة ‥ وحتى يهرب قليلا من الأخيرة ‥ فقد اتجه الى البيانو ‥ وتوسل الى مس فاريفكس أن تعزف لهم شيئا ‥حيث أنها كانت ماتزال جالسة أمامه.

قال لهـــا :

ــ اذا تكرمت ‥ أرجوك أن تعزفى لنا واحـــدة من رقصات « الفالس » التى عزفت ليلة ‥ البارحة ‥ دعينى أعيش مع لحظاتها ‥ مرة أخرى ‥ انك لم تستمتعى بها قدر استمتاعى أنا ‥ فانه كان يبدو عليك الارهاق ‥ والتعب ‥ كل الوقت ‥ واننى متأكد من انك كنت شديدة الفرح ‥ لأننا توقفنا عن الرقص ‥ مبكرا ‥ ولكننى على استعداد ان أعطى العالم كله فى سبيل نصف ساعة واحـــــدة من هذه اللحظات الهانئة ‥

وعزفت « مس جين فاريفكس » الفالس ‥ ؟

ــ ما أروع ان نسمع هذه الألحان ثانيا ‥ تلك الانغام التى سبحت بى فى عالم السعادة ‥ اذا لم أكن مخطئا ‥ انها هى نفس الألحان ‥ التى رقصنا فيها « فى ويموث » ‥

ورفعت نظراتها اليه ‥ للحظة ‥ وغمر الخجل وجهها ‥ ثم عزفت لحنا آخر ‥ وأخذ هو بعض النوت الموسيقية من منضدة قريبة من البيانو ‥ والتفت الى ايما ‥ قائلا :

ــ انظرى ‥ هنا شىء جديد تماما ‥ بالنسبة لى ‥ هـــل تعرفين ‥ ؟ « كرامر » ‥ وهنا أيضا مجموعة من الرقصات الايرلندية ‥ ومن هذه الزاوية ‥ يمكن للانسان ان يستخلص على الفور ‥ ان هذه المقطوعات قد أرسلت مع البيانو ‥ ومن اختيـــار الكولونيل ‥ تشامبل ‥ هيه ‥ ؟ أليس كذلك ‥ ؟ انه يعرف ان مس فاريفكس ‥

لا يمكنها الحصول على أصول موسيقية ·· هنا ·· اننى أحترم هـــذا الجزء من الاهتمام الخاص ·· لأنه يشير تماما أن الهدية قد أرسلت رأسا من القلب ـ بلا ادنى تفكير ·· أو تردد ·· ولا شىء غير متكامل ·· فقط ·· العواطف الصادقة ·· هى التى تكمله ··

وتمنت ايما ان يقتصد قليلا فى تلميحاته ·· وعندما القت ببصرها نحو « جين فاريفكس » ·· لمحت على وجهها ·· شبه ابتسامة ·· مازالت رابضة على شفتيها ···· مع كل خجل اخفـــاء السر والحـــرص على الكتمان ·· ؟

ولم تطرب ايما ·· وشعرت بقليل من عدم الاحترام لها ·· هـــذه المحبوبة الجميلة ·· الرقيقة جين فاريفكس ·· كانت تحتفظ بذكرى ·· مشاعر عنيفة ··

واحضر لها كل قطع الموسيقى ·· ونظرا اليها سويا ·· وانتهزت ايما هذه الفرصة لتهمس اليه : انك تتكلم بكل وضوح ·· لابد وان تكون قد فهمت قصدك ·· ؟

ــــ اننى اتمنى ذلك ·· واننى اقصد أن اجعلها تفهم ·· فاننى على الأقل ·· لا أخجل من معانى ·· ما اقصده ··

ــــ ولكننى فى الحقيقة ·· شديدة الخجل ·· وكم كنت اتمنى الا اثير هذه الفكرة ··

ــــ أننى سعيد جدا ·· لأنك قد فعلت ·· وسعيد أكثر ·· لأنك أوصلتيها لى ·· أننى الآن أملك مفتاحا « لكل نظراتها » ·· وطرقهـا الشاذة ·· دعى الخجل لها هى ·· اذا ما كانت قـــد ارتكبت خطأ ما فعليها أن تشعربه ·· وتتحمله ـ اننى أعتقد أنها فعلا تعيش فيه ·· فى هذه اللحظة ··

ــــ أنا لا أدرى بادرة منه ·· انها تعزف ·· « روبين آدير » ·· موسيقاه المفضلة ·· وبعد لحظة قصيرة ·· من هذا الحديث ·· اذا بمس بيتس ·· تمر بجوار النافذة ·· وتصف مستر نايتلى ·· وهو يبدو آتيا على حصانه ·· وليس ببعيد عن المنزل ·· ؟

ـــ اوه ٠٠ مستر نايتلى ٠٠ انا أراه ٠٠ مستر نايتلى يجب أن أقدم له تشكراتى ٠٠ اننى لن أفتح النافذة من هنا ٠٠ ولكننى سوف أذهب الى غرفة أمى ٠٠ كما تعلمون ٠٠ اننى أتجرأ ٠٠ وأقول ٠٠ انه يأتى الى هنا ٠٠ ليعرف من هنا ٠٠ شيء جميل شيء رائع ٠٠ شيء ممتع ٠٠ ان تجتمعوا كلكم معا ٠٠ آه ٠٠ يا غرفتنـــا الصغيرة ٠ كم لقيـــت من شرف ٠٠

وكانت فى خلال هذه الاحاديث ٠٠ قد انتقلت الى الغرفة المجاورة ٠٠ وفتحت النافذة ٠٠ووصل اليهم الحديثوكانه يدور فىنفس الغرفة٠٠

ـــ اوه ٠٠ كيف حالك ٠٠ كيف حالك ٠٠ ؟

ـــ على مايرام ٠٠ شكرا ٠٠ ؟

ـــ كلنا امتنان للعربة مساء أمس ٠٠ أنه وقت مناسب جدا ٠٠ ان أمى تنتظرك ٠٠ أرجوك ٠٠ تعالى ٠٠ سوف تجد بعض الأصدقاء هنا ٠٠ ؟

هكذا ابتدأت مس بيتس ٠٠ ويبدو أن مستر نايتلى احتاج لبعض التفكير فى العرض ـ ثم قال :

ـــ كيف حال ابنة أختك يا مس بيتس ٠٠ ؟ أننى أريد أن أسال عنكم كلكم ٠٠ وبالأخص ابنة أختك ٠٠ كيف حال مس فاريفكس ؟ أتعشم الا تكون قد أصيبت بالبرد ليلة ٠٠ امس ٠٠ كيف حالها اليوم ٠٠ اخبرينى كيف حال مس فاريفكس ٠٠

وكان على مس بيتس أن تقدم تقريرا كاملا قبل أن تتمكن من سماع أى كلمة أخرى ٠٠ وانصت المنصتون باستمتاع شديد ٠٠ والقت مســـز ويستون على ايما ٠٠ نظرة لها معنى ٠٠ ولكن ايما ٠٠ هزت رأسها فى اصرار ٠٠ لعدم تقبل هذه النظرة ٠٠ ومعناها ٠٠ اعـــادت مس بيتس الحديث كما كان ٠٠

ـــ شكرا شكرا على العربة ـ شكرا ٠٠

وبتر قولها بقوله :

— اننى ذاهب الى كنجستون ·· هــل يمكننى أن أودى أى خدمة لك ·· ؟

— اوه ·· يا عزيزى – كينجستون ·· هــــل أنت ذاهب الى كينجستون··لقد طلبت مسز كول فى اليوم الماضى شيئا من كينجستون··؟

— مسز كول ·· عندها خدمها ·· ترسلهم وقتما تشاء ·· هل يمكننى ان أصنع شيئا ·· لك أنت ·· ؟

— لا شكرا – ولكن ارجوك ·· تعالى ·· من تظن انه هنا ·· انها مس وود هاوس – ومس سميث حضرتها لمشاهدة البيانو الجديد ·· ضع حصانك فى ·· « الكراون » ·· وتعالى ··

قال في حزم :

— حسنا ·· ربما لخمس دقائق فقط ··

— وهنا أيضا ·· مسز ويستون – مستر فرانك تشرشل أيضا ·· مجموعة لطيفة جدا من الأصدقاء ·· ؟

— لا ·· لا ·· ليس الآن ·· شكرا ·· شكرا أننى لا يمكننى أن أبقى ·· ولا حتى دقيقتين ·· ينبغى أن أذهب فورا بأسرع ما يمكننى الى ·· « كينجستون » ·

— أرجوك ·· أرجوك تعالى أنهم سوف يسعدون برؤياك ··

— لا ·· لا ·· أبدا ان غرفتك مليئـــة ·· ومزدحمة بما فيها الكفاية ·· فى يوم آخر ·· سأحضر لاستمع الى البيانو ··

— حسن جدا ·· أنا حزينة ·· حزينة ·· اوه مستر نايتلى ·· يالها من سهرة ممتعة ليلة أمس ·· ياللسعادة القصوى – هل رأيت أبدا مثل هذا الرقص ·· ؟ ألم يكن رائعا ·· ممتعا ·· مس وود هاوس ·· ومستر فرانك تشرشل··اننى أبدا لم ار اثنان مناسبان لبعضهما مثلهما··

— ممتع حقا ممتع حقا ·· لا يمكن أن أقول شيئا أقل من ذلك ·· مس وود هاوس ·· ومستر فرانك تشرشل ·· لابد انهما يستمعان الى كل كلمة ··

ثم رفع صوته عاليا ·· وقال :

ـــ اننى مندهش ·· لم لم تذكرى مس فاريفكس ·· لقد رقصت مس فاريفكس ·· وأبدعت ·· ومسز ويستون ·· بدون استثناء ·· أبرع راقصة ·· فى انجلترا كلها ·· والآن ·· اذا ما كان أصدقائك يعترفون بالجميل ·· دعيهم يقولون شيئا لطيفا بصوت عال عنك ·· ولكننى لن أتمكن من البقاء حتى استمع الى ما يقولون ··

ـــ أوه شىء آخر ·· كلمة واحدة فقط يا مستر نايتلى ·· لقد صدمت جين وأنا ·· بخصوص التفاح ··

ـــ ما الخبر ·· ؟ وما هى الحكاية بالضبط ·· ؟

ـــ لكى ترسل الينا كل خزينك من التفاح ·· وشىء غريب ·· انك قلت ان لديك كميات كثيرة فائضة ·· فى الحقيقة لقد صدمنا صدمة كبيرة ·· لابد وان تكون مسز هودجز شديدة الألم لهذا ··

كان يجب الا تفعل ذلك فعلا كان يجب الا تفعل ··

ولكنه لم يعطها فرصة لانهاء كـــلامها ·· وعادت مس بيتس الى الغـــرفة ··

ـــ حسن ـ لم انجح فى اقناعه بالحضور ·· لقـــد ذهب الى كينجستون ·· وسألنى اذا كان من الممكن ان يؤدى لنا أى خـــدمة ·· قالت جين :

ـــ نعم ·· لقد سمعنا عروضه اللطيفة ·· ؟

ـــ اه يا عزيزتى اننى اجرؤ وأقول انكم فعلا قد سمعتهم ·· لقد كان الباب مفتوحا ·· والنافذة أيضا مفتوحة ·· ومستر نايتلى يتـكلم بصوت غالى ·· بالتاكيد سمعتهم كل شىء ·· كل شىء ·· لقد قال ·· « هل يمكننى أن أصنع لكم شيئا فى « كينجستون » ·· وانا فقط قلت ·· اوه ·· مس وود هاوس ·· هل تذهبين الآن ·· ؟

انك لم تات الا منذ لحظة ·· اننا شاكرين لك ·· وأننا ··

ووجدت ايما ·· أنه فعلا الوقت الذى يجب أن تعـــود فيه الى

المنزل .. لقد استغرقت الزيارة وقتا طويلا .. وعندما نظرت الى ساعتها .. وجدت ان الصباح كله قد انصرم .. ووجدت مسز ويستون تقوم هى ورفيقها أيضا .. ولتاخر الوقت .. لم يسمحا لنفسيهما الا بمرافقة ايما .. وهارييت الى بوابة .. « هارتفيــلد » ثم قفــلا عائدين الى .. « راندالز » ..

الفصــل الثامن والعشرون

انه من الممكن ان يتناسى مجتمع ما الرقص اذا لم يكن قد مارسه لفترة طويلة ·· ولكن ما أن تبدأ حلقات الرقص والموسيقى ·· ويتذوقها أفراد هذا المجتمع ·· ويلمسوا مدى استمتاعهم سهرة راقصة مع الموسيقى ·· حتى يعتادوا عليها ويرغبون فى تجربتها والعيش فيها فيها بصفة متلاحقة ··

وهكذا ·· فان فرانك تشرشل ·· ما أن رقص مرة واحدة ·· فى ·· « هايبرى » حتى اشتاق الى الرقص ثانيا ·· وحاول بشتى الطرق أن يقيم حفلا راقصا على غرار حفل « هايبرى » ··

وحدث هذا عندما تكلم مستر وود هاوس ·· عن تلك الليلة التى سعدت فيها ابنته فى « راندالز » ومن هنا كانت الفـكرة الأولى التى اثارها فرانك لقد ظل مســتر وود هاوس ·· يردد ·· ويردد أن الناس كلها تتحدث عن ابداع رقص فرانك تشرشل ·· وابنته « ايمـا » وفى هذه اللحظة أيضا زاد احمرار وجه ايما من شدة الخجل ·· وصرحت ·· بأن رقصها – لايقاس ·· بجانب رقص جين فاريفكس أو حتى مسـز ويستون وتكلم كثيرا عن تناسب ايما وفرانك ·· وانهما ·· كانا ·· أروع من رقص فى « هايبرى » على الاطلاق ··

وكان الاقتراح أن الرقص ابتدأ عند ·· « مسز كول » اذا ينبغى ان ينتهى أيضا فى نفس المكان ·· وأيضا بنفس المجموعة ·· وتدخل مستر ويستون فى الفكرة ·· أما مسز ويستون فقد أبدت استعدادها التام للعزف المتواصل ·· حتى تعطى أكبر فرصة للراقصين للاستمتاع بالرقص ·· ثم أثيرت فكرة ·· المساحة التى يمكن أن تستوعب عـدد الراقصين والراقصـات ··

قال فرانك :

— أنت ومس سميث ·· ومس فاريفكس ·· ثلاثة ·· والاثنين ·· مس كوكس ·· خمسة ·· وسيكون هناك أيضا ·· الشابين « جلبرت كوكس » وأبى وأنا ·· بجانب مستر نايتلى ·· نعم نعم ستكون مجموعة

متكاملة .. أنت ومس سـميث ومس فاريفكس .. ثلاثة .. والاثنين كوكس .. خمسة .. ولخمس مجموعات .. ستكون هناك .. مساحة كافية .. للرقص .. ؟

وثار ثانيا هذا السؤال :

— ولكن هل سيكون هناك مكان لكل هذا العـدد من الراقصين والراقصات ؟

— خمس مجموعات لا تشكل حلقة رقص كاملة .. ان هـذه مجموعة ضئيلة جدا .. اذا كان الموضوع جادا .

وقال أحدهم .. ان « مس جيلبرت » تنتظر أخاها .. ويجب أن يدعى معها .. وقال آخر انه متأكد أن مسز جيلبرت أيضا .. ترقص .. وكانت تتمنى الرقص ـ لو دعيت اليه فى الليلة السابقة .. ثم كلمـة أخرى عن شخص آخر .. وهو « كوكس » الصغير .. وفى النهاية .. ذكر مستر ويستون عائلة لا يمكن اغفالها أبدا .. تجاورهم من مـدة طويلة..وأخيرا اتضح أن الخمس مجموعات ستصبح على الأقل عشرة..

وقال قائـل :

— هاتين الغرفتين .. يمكن أن تنتـزع أبوابهما فتصبح مكانا رائعا .. مكونا من الصالة .. والغرفتين .. ولكن ايما .. قالت أن هذا يبدو مزعجا .. وتكلمت مسز ويستون عن العشاء .. ومستر وود هاوس عن الصحة والبرد .. وان هذا شىء باقى ..

قال : لا .. لا .. هذا شىء لا يحتمل .. ان ايما .. سوف تصاب بالبرد .. وهارييت المسكينة أيضا .. وانت يا مسز ويستون .. امنعيهم من الكلام فى هذا الموضوع المخيف .. ان هذا الشاب له افكار مدمرة .. انه يفتح موضوع وراء موضوع بدون تفكير منـه فى النتائج .. اننى لا أهاجمه .. ولكنه يتكلم فى مواضيع مضره .. مضرة جدا ..

وقالت مسز ويستون .. انها تأسف لذلك .. وأنها سوف تفعل كل ما فى وسعها .. لايقافه نهائيا ..

وقد اغلق الموضوع ٠٠ وفكرة الممر ٠٠ والابواب والغرفتين ٠٠ ولكن فرانك ٠٠ أثاره ثانيا ٠٠ وقال أن الغرفة التى تكفى لخمس مجموعات ٠٠ يمكنها أيضا أن تستوعب عشرة ٠٠

ـــ سيكون شيئا ساحرا ٠٠ جميلا ٠٠ عشرة مجموعات يمكنهم أن يرقصوا هنا بكل سهولة ٠٠

وصاحت ايما :

ـــ ما هذا القول ٠٠ ؟ سيكون المكان ٠٠ مزدحما ٠٠ بائسا ٠٠ متكدسا انفاس تحرق أنفاس ٠٠ ولا يمكن لأى راقص أن يتحرك ٠٠ أو يستدير هذا هراء ٠٠

أجاب فى قنوط :

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ هذا حق ٠٠ ؟

ولكنه ظل يقيس ٠٠ ويدور ٠٠ ويلف فى المكان ثم قال فى النهاية:

ـــ أعتقد أن الغرفة لا باس بها ٠٠ وبانها قطعا مناسبة لعشرة مجموعات ٠٠ ؟

اجابت ايما :

ـــ لا ٠٠ لا ٠٠ انك تتكلم بعدم اقتناع ٠٠ فليس أبشع من الرقص فى مكان مزدحم ٠٠ وأين هى المتعة ٠٠ والمسرة فى التقدير ٠٠ وعدم الحركة ٠٠ وأجساد متلاصقة فى غرفة ضيقة ٠٠

ـــ هذا كلام لا يمكن الاختلاف فيه ٠٠ وأوافقك عليه يامس وود هاوس ٠٠ ولكن يبدو أنك تقدمين لوحة فنية فى كلمات قليلة ٠٠ وأنا ٠٠ لم اكن أعرف بأن رأيى هكذا سقيم ٠٠ وأن عشرة مجموعات من الصعب عليهم الرقص فى هذه الحجرة ٠

وسكتت ايما ٠٠ فان ما كان من مجاملاته الرقيقة وما خفف من حدة مناقشاتهما لقد عزمت على أن تتزوجه ٠٠ وهى تحاول أن تدرس

جيدا أخلاقه ٠٠ وتصرفاته وسلوكه ٠٠ وفى كل الحالات ٠٠ كان حبيبا ٠٠ وحلوا ـ بما فيه الكفاية ٠٠

وقبل منتصف النهار ٠٠ فى اليوم التالى ٠٠ كان فرانك تشرشل ٠٠ فى « هارتفيلد » ودخل الحجرة ببشاشته ٠٠ وروحه المرحـــة ٠٠ وبدا وكانه سوف يلقى نبأ خطيرا ٠٠

وابتدأ بالفعل يتكلم فور وصوله ٠٠

ــ حسن جدا يا مس وود هاوس ٠٠ اتمنى أن تكون مخاوفك قد زالت بخصوص الغرفة الصغيرة ٠٠ والآن ٠٠ أحضرت معى جديدا ـ لهذا الموضوع ٠٠ انها فكرة والدى الذى ينتظر فقط موافقتك حتى يتم التنفيذ ٠٠ ؟ هل يمكننى أن أحظى بشرف يدك للرقصتين الأولتين ٠٠ فى حفل الرقص الذى لن يقام فى «راندالز» ولكنه فى فندق«كراون»٠٠

ــ كـــراون ٠٠؟

ــ نعم ـ اذا لم يكن هناك أى اعتراض منك ٠٠ أو من مســتر « وود هاوس » واننى واثق بأنه لا يمكنك الاعتر اض ٠٠ وأبى يتمنى أن يزور أصدقاء هناك ٠٠ وهو يعد بضيافة أفضل مما يمكن أن يقدمها لهم فى «راندالز » ـ انها فكرته الخاصة ٠٠ ومسز ويستون ـ ليس لديها أى اعتراض ٠٠ وتشعر وتشارك ٠٠ أو تعد بامدادكم بكل الراحـــة ٠٠ فعلا ٠٠ لقد كنت على حق ٠٠ عشرة مجموعات فى غرف « راندالز » ـ شىء مخيف ـ مفزع ٠٠ لقد شعرت طـــوال الوقت بصواب رأيك ٠٠ هيه اليس هذا التغيير رائعا ـ ؟ اعترفى ٠٠ ان الفكرة رائعة٠٠اعترفى٠٠

ــ أنها تبدو لى ٠٠ انها فكرة لا يمكن لأى انسان أنيرفضها ٠٠ أو يعترض عليها ٠٠ اذا ما كان مستر ويستون لا يعترض ٠٠ فما بالنا نحن ٠٠ ؟ أعتقد أنها رائعة ٠٠ رائعة ٠٠ ولن تكون اجابتى الا بالابتهاج والفرح ٠٠ لمثل هذه الفكرة ٠٠ بابا ٠٠ ! الا تعتقد أنها حركة رائغة ٠٠؟

وكانت مضطرة للاعادة ٠٠ والتفسير ٠٠ حتى تتضح الفكرة تماما ٠٠ وبعد ذلك٠٠ولكونها فكرة جديدة تماما٠٠ ويمكنه هضمها بسهولة٠٠؟

ـــ لا .. لا .. انه يعتقد انها بعيدة تمام البعد عن أى تبصر .. تخطيط بائس تماما .. بل أسوأ من الاولى .. غرفة فى فندق .. دائما .. هى مصدر للخطر .. وانها لشديدة الرطوبة .. ورديئة التهوية اذا كان لابد لهم من الرقص .. فليرقصوا فى « راندالز » .. أنه لم يدخل غرفة فى الكراون طوال حياته .. ولا يعرف حتى شكل الناس .. الذين يعملون فيه .. اوه .. لا .. لا .. فكرة رديئة .. رديئة للغاية .. ولن تكتسبوا شيئا سوى البرد الشديد الذى سوف يصيبهم من « الكراون » ..

قال فرانك :

ـــ اننى على وشك ان أبدى ملاحظة ياسيدى .. ان التغييــر الذى سوف يحدث فى الغرفة .. لن يدع لأى فرد أن يأخذ ولو لفحة من البرد .. وانه فى الكراون .. أخف منه وطـــأة فى « راندالز » ربما يستطيع مستر بيرى أن يعتذر..ولكن لا أحد غيره يمكن أن يفعل ذلك..

قال مستر وود هاوس بانفعال :

ـــ سيدى .. أنك مخطىء كل الخطأ .. اذا ما كنت تعتقد ان مستر بيرى من هذا النوع من الشخصية .. مستر بيرى مسئول عن أى شخص منا .. اذا ما شعر بالمرض .. ولكننى لا أفهم كيف أن الغرفة فى الكراون تكون أفضل من غرفة فى منزل والدك ..؟

ـــ بالنسبة لكل الظـــــروف .. فانهـــا أوسع من غـــرفة فى منزل والدك ..؟

ـــ بالنسبة لكل الظروف فانها أوسع وأكبر .. لذا .. فلن تكون هناك أى مناسبة لفتح النوافذ بتاتا .. ولا حتى مـــرة واحـــدة طوال الليل .. وهذه العادة .. عادة فتح النوافذ .. هى التى تدع البـــرد يؤذى الابدان .. وكما تعرف يا سيدى أن هذا هو ما يسبب الضرر .

ـــ فتح النوافذ .. ؟ ولكن بالتأكيد يا مستر تشرشل أنه لا يوجد أى انسان يفكر فى فتح النوافذ فى « راندالز » .. لا يوجد شخص عديم البصيرة .. يفتح النوافذ .. اننى لم اسمع بشىء كهـــذا .. أبدا ..

رقص .. ونوافذ مفتوحة .. اننى متأكد أنه لا والدك ولا مسز ويستون .. اوه..المسكينة مس تايلور .. لا أحد منهما يمكنه أن يتحمل البرد..؟

— اه .. ياسيدى .. ولكن .. هناك شاب صغير عديم التفكير .. يقفز فى بعض الأحيان خلف ستارة .. ويسحبها .. دون أن يتوقع احد ذلك .. اننى أعرف أن هذا يحدث دائما .. ؟

— حقيقة ياسيدى .. حقيقة ماتقول ـ الرحمة .. ، الرحمة .. اننى أبدا لا يمكن أن اتخيل ذلك .. يبدو اننى أعيش بعيـــدا .. عن العالم .. ودائما اصاب بدهشة مما اسمع على أى حال .. هـــذا شىء مختلف .. وربما عندما نتكلم عنه .. هذه الأشياء تحتاج الى كثير من النظر .. والتروى .. لا يمكن تقريرها .. هـــكذا فى عجلة .. اذا ما كان مستر ومسز ويستون .. يتفضلا .. بتشريفنا هنا أى صباح .. يمكننا حينئذ ان نتكلم ونبحث الموضوع فى روية .. ونرى ماذا يمكن ان نفعله ..

— أوه .. ولكن ياسيدى .. لسوء حظى .. ان وقتى محدود..

وتدخلت ايما تقاطعه .. قائلة :

— اوه .. سيكون هناك متسع من الوقت .. لنتحدث فى كل شىء .. لا عجلة هناك اطلاقا ..

— اوه .. بابا .. اذا ما كان تقرر الأمر فى « الكراون » .. فان هذا سيكون شيئا جميلا للخيل..سيكونون قريبا جدا من الأسطبل..

— هذا فعلا شىء عظيم .. ليس لأن جيمس دائم الشكوى .. ولكن .. ليمكننا أخذ الخيل حينما نريد .. ولكن .. ، اذا ما تاكدت ان الغرف يعتنى بتهويتها .. هل يوثق بمسز سنوك .. اننى لا أعرفها .. حتى ولا بالشكل .

— سوف أجيب عن كل هذه التساؤلات ياسيدى لأنها سوف تكون تحت عناية مسز ويستون .. وقد تعهدت مسز ويستون برعاية ومباشرة الموضوع ـ هذا هو بابا .. اذا يجب أن تكون مرتاحا .. عزيزتنا الغالية بنفسها .. التى هى العناية نفسها ـ ألا تذكر ما قاله مستر بيرى من سنوات .. عندما كنت أنا مريضة بالحصبة .. لقد قال :

« اذا ما كانت مس تايلور هى التى سوف تقوم برعاية مس ايما .. فلا خوف عليها على الاطـــلاق .. وكم سمعتـــك تتكلم عنها .. وعن حرصها .. وعنايتها .. كم .. بابا .. كم .. ؟

ــ آه .. آه .. حقيقة .. حقيقة .. لقـــد قال مستر بيرى ذلك .. اننى لا انساه أبدا .. مسكينة أيتها الصغيرة .. ايما .. لقـد قاسيت من حصبة شديدة .. لقد كنت مريضة جدا .. ولكن عناية مستر بيرى بك .. كان لها الفضل فى شفائك .. لقد كان يزورك أربع مرات يوميا .. ولمدة أسبوع كامل .. لقد قال منذ البـــداية .. ان الحصبة شديدة الوطأة .. ولكن زيارته لنا كانت تضفى علينـــا البهجة والراحة .. أوه .. اننى أرجو حال اصابة أطفال ايزابيلا المسكينة بالحصبة .. أن نسرع باستدعاء « بيرى » ..

قال فرانك تشرشل :

ــ ان والدى .. ومسز ويستون حاليا .. بالكراون .. يتفقدان المبنى وامكانياته .. لقد تركتهما هناك .. وأتيت الى هارتفيلد .. غير صابر على سماع رأيكما .. أرجو ان تلحقا بهما .. فتكون ملاحظاتكما على الطبيعة .. انهما طلبا منى ذلك .. ولا شىء يسعدهما قدر لحاقكما بهما هناك .. ؟

وشعرت ايما بسعادة غامرة .. لتدعى الى هـــذه المشورة .. او الاستشارة وتركت والدها مشغولا بالفكرة .. وذهبت بلا ادنى تأخير .. هى وفرانك الى الكراون .. وكان هناك مستر ومســـز ويستون اللذين استقبلاها بالفرح الشديد والترحاب .. ! مسز ويستون تبدى ملاحظاتها .. ومستر ويستون يرى أن كل شىء على ما يرام ..

قالت مسز ويستون :

ــ ايما .. انظرى ـ هذا الورق .. فى منتهى القـــذارة .. والفلورسنت يضفى ضوءا أصفر غير مريح .. لم اكن أتصور هذا ..

قال زوجها :

— ياحبيبتى .. انك تدققين أكثر من اللازم .. ما هذا ..؟ انك لن ترين شيئا منه فى أضواء الشمــــوع الخافتة .. الحالة .. انه سوف يكون نظيفا لامعا .. مثل « راندالز » تماما وهى تسبح فى ضوء الشموع .. اننا لم نر شيئا منه فى لياليتا الساهرة بالنادى ..

وهنا تبادلت السيدتان النظرات التى تفيــد بأن الرجال دائمـا لايعرفون اذا ما كانت الأشياء نظيفة أو قذرة .. وهم دائما يفكرون فى أنفسهم - : هيه .. ان النساء سوف يهتمون بهذه الأمور .. وبمعالجتها بنظافتهن وأمرهن ..

وهنا .. كان التساؤل .. ؟ صالة النادى .. ستكون صالة الرقص وأين قاعة العشاء .. اه .. هذه صالة اللعــب .. ولكنها صغيــرة .. ويمكن اضافتها للقاعة الكبيرة .. وتستعمل للعشاء .. وهنـــاك ممر طويل .. ولكن .. ربما يتجمهر الناس فى الممر .. وهــــذا .. غير مستحب .. وكانت مشكلة .. هى مشكلة العشاء .. ؟

« ساندوتيشات ترتب فى الغرفة الصغيرة ..

وكان هذا اقتراح مسز ويستون .. !

ولكن .. أثير موضوع آخر .. هو .. كيف تكـــون حفلة راقصة خاصة .. دون مائدة عشاء رئيسية .. يجلس عليها السيدات والسادة .. هذا شىء غير ممكن .. وغير مستحب .. ولانهاء الموضوع .. وضعت مسز ويستون امام الأمر الواقع .. وحسمت الأمر .. بقولها :

— اوه .. اننى لا أعتقد أنها صغيرة جدا .. سوف تكون غرفة عشاء لطيفة .. بالنسبة الى أن المجموعة صغيـــرة .. كما تعلمون .. وفى نفس الوقت .. وهى تتكلم - سارت مسز ويستون بخطوات سريعة عبرالممر .. وهنا - أوه .. ياعزيزتى .. انك تتكلمين كثيرا عن طول هذا الممر .. انه لاشىء وليس ببعيد عن السلالم ..

واردفت تقول :

— ان كل ما أتمناه ـ ان أتمكن من معرفة رغبات الضيوف .. وأى نظام يفضلون .. أوه .. هذا اذا ما كان أحـــد يمكنه ان يخبرنى بذلك .. فان كل شىء سوف يسير على ما يرام ..

صاح فرانك :

— نعم .. نعم .. فعلا .. هذا حقيقى .. انك تريدين آراء جيرانك .. اذا ما كان أحد يخبرك بآرائهم .. آه .. « الكولز » مثلا ـ انهم جد قريبين من هنا .. هل أذهب اليهم .. واستطلع رأيهم وأيضا .. مس بيتس .. انها أقرب منهم .. واعتقــــد أننا نريد اراء أكثــر ومجموعة أكبر للمناقشة .. هــل أذهب وأدعـــو مس بيتس .. لتلحق بنا هنــــا .. ؟

قالت مسز ويستون فى تردد :

— حسن جدا .. نعم .. نعم .. ارجوك ـ هذا اذا ما كنت تعتقدين انها سوف تكون ذات نفع لنا ..

قالت ايمــــا :

— انكم لن تفيدوا شيئا على الاطلاق من مس « بيتس » انها فقط سوف تشكركم .. وتشكركم .. ولكن .. دون أن تفيدكم بشىء على الاطلاق .. أو حتى لن تستمع الى أسئلتكم .. اننى لا أحب هذه الفكرة .. ولا أرى أية فائدة من استشارة « مس بيتس » .

— ولكن ـ فى الحقيقة .. انها مسلية جدا .. اننى أعشـــق الاستماع الى حديث « مس بيتس » وانا لن أحضر العائلة كلها .. كمـــا تعلمون ..

وهنا .. لحق بهم مستر ويستون ـ وعند سماعه للاقتراح .. قال :

— آه .. فرانك .. اذهب واحضر مس بيتس .. وأننى أراها الشخص الوحيد الذى سوف يزيل كل هذه الصعوبات اذهب على الفور .. وأننا نزيد ونتزايد .. اوه .. اذهب ـ اذهب واحضر الاثنين ..

— الاثنين ياسيدى ٠٠ وهل تستطيع السيدة العجوز ٠٠ من ٠٠

— السيدة العجوز ٠٠ اوه ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ بالطبع اننى سوف أؤمن يا فرانك انك أحمق كبير ٠٠ اذا احضرت الخالة ٠٠ وابنة اختها٠٠

— معذرة ياسيدى ٠٠ معذرة ٠٠ ماذا تقول - اوه ٠٠ الاثنتان ستكونان هنا فى الحال ٠٠

وقبل حضور الخالة المتحركة ٠٠ وابنة أختهـــا الأنيقة ٠٠ ؟ مسز ويستون كزوجة فاضلة ٠٠ وأخلاق حلوة ٠٠ عادت لتفقد الممر ثانيا ٠٠ ووجدته فى الحقيقة ٠٠ يستدعى بعض الاهتمام ٠٠ والتغيير ٠٠ وهـذا سوف يتم تسويته ٠٠ وتعديله ٠٠ بينها ٠٠ وبين مسز سنوك ٠٠ فان كل شخص بالتاكيد سيحضر ٠٠ مادام قد دعى ٠٠ وكان فرانك قد ارسل فعلا الى انسكومب يرجو الموافقة على بقائه بضعة أيام ٠٠ بعد الأسبوعين ٠٠ وهو موعد انتهاء أجازته ٠٠ حيث أن هناك حفلة راقصة ٠٠ تستدعى وجوده ٠٠ واخيرا ٠٠ وصلت ٠٠ مس بيتس ٠٠ وكمستشارة بالطبع لم يكن لها أى فائدة ٠٠ ولكن كشخصية موثوق بها رحبوا بها كل الترحيب ٠

ولمدة نصف ساعة ٠٠ راحـــوا يجيئون ويذهبون ويتناقشون ٠٠ ويدخلون فى الممرات ٠٠ ومنها الى الحجرات ٠٠ وعن الموسيقى والرقص ٠٠ وبالطبع فان ايما ٠٠ هى التى سوف يحتفظون لها بالرقصتين الأولى ٠٠ والثانية ٠٠ وهمس مستر ويستون فى أذن زوجته :

— اعلم ذلك ٠٠ اعلم ذلك يا عزيزتى ٠٠ لقـــد سألها قبل ان تقترحى أنت ذلك ٠٠ وهو يعلم - نعم ٠٠ نعم - هو يعلم ٠٠

الفصل التاسع والعشرون

شىء واحد فقط .. كان هو المطلوب .. حتى تكتمل فرحة «ايما» بالحفلة الراقصة .. هذا الشىء هو عدم تحديدها فى موعد سفر فرانك تشرشل .. فانه بالرغم من تأكيد « مسز ويستـــون » .. فانها كانت واثقة تماما أن « التشرشلز » .. لن يسمحوا لفرانك بالبقاء يوما واحد .. أكثر من الأسبوعين المحددين لاقامته فى « سيرى » .. ولكن .. هذا الأمر يستلزم بعض التانى فى الحكم عليه .. فان شيئا لن يكـــون جاهزا للحفلة .. الا فى الأسبوع الثالث .. وبالطبع .. سوف يكون من المحزن .. والمؤسف الا يبقى فرانك فى هذا الأسبوع الثالث .. لأن هذه الترتيبات سوف تنتهى الى يأس .. ويأس مـــرير .. ان لم يحضرها « فرانك تشرشل » ..

وفى الحقيقة .. فان انسكومب .. كانت نبع الكرم .. وايما تعتقد أن غياب فرانك .. يترك اثارا عميقة .. على أى حال .. فانها . وهى متاكدة من الحفل الراقص .. جلست تفـــكر فى التربيبات والأشخاص الذين سوف يحضرون الحفل .. وها هو .. « مستر نايتلى » .. يبدى اعتراضا فى حضوره .. ربما لأنه لا يعرف الرقص .. أو لأنه لم يدعى للمشاركة فى المناقشات والترتيبات .. ولم تتمكن ايما .. من الحصول منه على وعد صريح .. بالحضور .. فانه قال :

ـــ اذا ما كان « الويستونز » .. يعتقدون أنه ليس من المعقول بعد كل هذه الاستعدادات لبضع ساعات من الضجه .. الا أحضر .. فان هذا .. لن يضيف أى سرور الى نفسى .. ومع كل ذلك .. يجب على أن أحضر .. والا أرفض .. ولو أننى أفضل أن أكون بالمنزل اراجع حسابات الأسبوع .. مع « وليام لاركنز » .. كما واننى اعترف بأن هذا أكثر متعة عندى من مشاهـــدة الرقص .. ليس فى الحقيقة .. لأننى لا أتابعه .. ولكن .. لأننى لا اكاد أميز من يرقص .. الرقص البديع .. كما أعتقد .. هو .. لمن يهواه .. ويتقنه ..

وهؤلاء .. الواقفين من حول دوائر الرقص .. عادة . ما يعيشون فى أفكارهم البعيدة كل البعد عن مجال الرقص ..

وشعرت ايما .. بأنه يقصدها هى بالذات فى هـــذه الكلمات .. وهذه المعانى .. وليست « جين فاريفكس » .. وعندما رأى تغير لونها .. صـــاح :

ـــ اوه .. مس وود هاوس .. اننى اتمنى الا يحدث أى شىء يمنع هذا الحفل الكبير .. لم تكن صدمة مروعة .. ؟ أبدا .. أبدا .. اننى انتظر هذه الليلة بكل ترحاب وسرور ..

وهنا تأكدت ايما كل التاكد .. ان مسز ويستون كانت مخطئة فى تصور انها من ناحية مشاعر .. «مستر نايتلى» المتجهة الى « جيـــن فاريفكس » انها فقط .. مشاعر صداقة .. وود .. من جانبه ..

ولكن .. يالالأسى .. لم يعد هناك اى مجال للتشاجر مع مســـتر نايتلى .. لقد أتى فى اليومين التاليين .. ما محى كل شىء .. انه « خطاب » .. وصـــــل من مستر تشرشل .. يستعجل فيه ابن أخته للرجوع .. ان مسز تشرشل مريضة .. ولا يمكنها أن تفعل أى شىء بدونه .. لقد كانت فى حالة من المعاناة .. والالم (هكذا وصف زوجها .. حالتها فى الخطاب) وكان من الممكن أن يرسل هذا الخطاب من يومين ..ولكنها .. لم ترغب فى أن تسبب لابن أخته الألم .. وتحملت هى الألم وحدها .. ولكها الآن .. وقد اشتد بها المرض .. فانها ترى أن يعود فرانك الى انسكومب دون أى تأخير ..

وقد ارسل مضمون هذا الخطاب فى مذكرة عاجـــلة .. أرسلتها مسز ويستون .. الى ايما .. وبما أن عودته قد تقـــررت .. اذا سوف يرحل فى أقل من بضعة ساعات .. ومع انه يفهم مرضهــــا جيدا .. ولا يتعجل العودة .. الا أنه يجد نفسه مضطرا لهذه العودة السريعة .. ضمانا لراحتها فقط ..

واضافت « مسز ويستون » فى مذكرتها العاجلة ..

« وعلى هذا .. فانه سوف يمر مرورا سريعا لوداع من يهمونه .. من الأصدقاء .. فى « هايبرى » .. وعلى ذلك .. يمكن توقع حضوره الى « هارتفيلد » فى التو واللحظة ..

وكانت هذه المذكرة ... ختاما لأفكار ايما .. وعندما قرأتها .. ظلت صامته .. لم تتمكن من فعل أى شيء .. الا التعجب .. والحيرة .. فى ضياع الحفل الراقص .. فى ضياع الشاب اللطيف .. وكل المشاعر الحلوة .. التى كانت مختبئة .. للانبثاق فى سريان أجواء هذه الليلة المرتقبة .. كانت شيئا مؤلما .. مؤلما .. ؟ هكذا .. ليلة .. ساحرة .. تضيع لأهواء امرأة .. كل فرد كان سعيدا بها .. وهى .. ما مدى سعادتها بها .. وبرفيقها .. وكانت نهاية هذه الحيرة .. أن هـــزت رأسها قائلة : هيه .. هكذا كانت .. وهكذا يجب أن تكون ..

وكانت مشاعر والدها .. متعاطفة تماما مع .. مسز « تشرشل » المسكينة .. ومرضها .. وكان شديد التلهف على معرفة مرضها .. ومعرفة طريقة معالجتها .. أما بالنسبة لحفلة الرقص .. فانه يتألم لخيبة آمل « ايما » ولكنه يعتقد أن البقاء فى المنزل .. أفضل على كل حال ..

أما « ايما » .. فكانت على تمام الاستعداد للقاء زائرها قبل أن يظهر .. وقد انعكست كل مشاعره على وجهه .. وتصرفاته .. وعدم صبره على الانتظار .. ونظرته الحزينة .. وحديثه المتألم من فكرة .. عودته هكذا .. صدمة لا يمكنه أن يتحملها .. وفى الحقيقة .. لقـد جلس تائها .. ضائعا .. مشتت الفكر .. وحين تمالك نفسه . لم يزد على قـــوله :

ـــ اوه .. بعد كل هذه الترتيبات .. لم نجن شيئا .. الا .. الرحيل ..

قالت ايمــــا :

ـــ ولكنك سوف تعود ثانيا .. ان هذه الزيارة .. لن تكون قطعا .. زيارتك الأولى الى « راندالز » ..

هز رأسه فى يأس قائلا :

ـــ آه .. احتمال .. ان أتمكن من العودة ثانيا ..

آه .. اننى سوف أصارع لهذه العودة .. مصارعة ساخنة .. انها

ستأخذ كل تفكيرى ٠٠ واهتمامى واذا ما ذهب خالى ٠٠ وخالتى الى المدينة ٠٠ فى هذا الربيع ٠٠ أوه ٠٠ ولكننى أخشى ٠٠ الا يحدث هذا ٠٠

— اذا ٠٠ حفلنا الراقص المسكين قد أعدم ٠٠

— آه ٠٠ ذلك الحفل البائس ٠٠ الذى ولد ليموت لماذا لا ننتهز كل فرصة ٠٠ لماذا لا نغنم المسرات فى حينها ٠٠ بدلا من الانتظار ٠٠ والترتيبات والمناقشات ٠٠ ترتيبات بلهاء ٠٠ تدمر كل شىء ٠٠ لقد اخبرتينا يا مس وود هاوس ٠٠ ان هذا سوف يحدث ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا تكون دائما ٠٠ كل توقعاتك صائبة ٠٠ ؟

— فى الحقيقة ٠٠ أننى آسفة لأننى توقعت لها الفشل بعد كل هذا العناء ٠٠ أنه شعور حكيم ليس الا ٠٠

— اذا ما تمكنت من العودة هنا ثانيا ٠٠ يمكننا اقامة الحفل الراقص ٠٠ ان أبى يعتمد عليه اعتمادا كليا ٠٠ ولا تنسى ارتباطنا ٠٠

ورفعت اليه ايما انظارها ٠٠ بحنان ٠٠ واستمر هو يقول :

— آوه ٠٠ فقط أسبوعين ٠٠ كل يوم به من المسرات والمتعة أكثر من قبله ٠٠كل يوم يقربنى من هنا ٠٠ سعداء هؤلاء الناس الذين يمكنهم البقاء فى « هارتفيلد » ٠٠

قالت ايما ضاحكة :

— اذا ما كنت تتكلم بالانصاف الآن ٠٠ هل يمكننى أن أعود الى الوراء قليلا ٠٠ وأسألك بأنك كنت تتوقع أن ترانا أقل من ذلك ٠٠ وان تقترب منا ٠٠ اقل من ذلك ٠٠ وأنه لم تكن بك رغبة على الاطلاق للحضور الى «هايبرى» ٠٠ وابتسم ابتسامة مؤيدة ٠٠ لما تقول ٠٠

— والآن ٠٠ سوف ترحل ٠٠ هل يجب أن ترحل هذا الصباح ٠٠

— نعم ٠٠ سيلحق بى والدى هنا ٠٠ ويجب أن نغادر هذا المكان على الفور ٠٠ أننى أخشى أن يأتى فى التو واللحظة ٠٠

— ولا خمس دقائق فقط ٠٠ لأصدقائك ٠٠ مس فاريفكس ٠٠ ومس بيتس ٠٠ يالسوء حظ ٠٠ مس بيتس معك ٠٠

— نعم ·· نعم ·· لقد مررت ببابهم ·· فلقد تعودت أن أمر بهم قبل الحضور الى هنا ·· فقط لثلاث دقائق ·· وفوجئت بغياب « مس بيتس » كانت فى الخارج ·· ووجدت أنه ليس من الضرورى الانتظار حتى عودتها ·· انها امرأة يمكن للمرء أن يضحك عليها ·· ولكن ·· لا يمكن أن يخدعها ··

— فعلا ·· كان من الأفضل زيارتهم أولا ··

وأطرق قليلا ·· ثم ذهب الى النافذة ·· وبالاختصار ·· ربما يكون من الصعب جدا على « مس وود هاوس » ان تعيش بلا توقعات ·· ونظر اليها ·· وكأنما يريد أن يقرأ افكارها ·· وكان من الصعب عليها جدا ان تجد ما تقوله ·· كان شيئا غريبا ·· تحاول أن تضغط على نفسها لتجيب ·· وأخيرا ·· تمكنت من أن تقول بهدوء :

— فعلا لقد كنت مصيبا فى زيارتك الأولى·· لهم ·· وبعدئذ··

وصمت هو ·· وشعرت أنه ينظر اليها ·· كانعكاس لما قالت ·· محاولا أن يخترق أعماقها ·· وسمعته يتنهد ·· وكان شيئا طبيعيا جدا أن يتنهد ·· لأنه لم يصدق انها تشجعه ·· وجلس ثانيا ·· صامتا وفى لهجة حازمة قال :

— انه كان شعورا قويا ·· بأن كل ما يتبقى لى من وقت ·· يجب أن أقضيه فى « هارتفيلد » ان حبى لهارتفيلد حار ·· وصادق ··

وتوقف عن الكلام ثانيا ·· ثم قام من على مقعده ·· وبدا أنه يود معانقتها ·· لقد كان غارقا فى حبها ·· اكثر مما كانت تتخيل ·· ولا يعرف أحد ·· ماذا كانت تنتهى عليه هـذه اللحظة العاطفية ·· لولا ظهور والده المفاجىء ·· ثم تبعه مستر وود هاوس ·· واضطره الموقف أن يتمالك مشاعره ··

وكطبيعة مستر ويستون العاجلة فى حسم الامور ·· قال :

— انه الوقت لنذهب ··

ولم يسع الشاب ·· الا أن يطرق برأسه موافقا ·· واستعد للذهاب قائـــــلا :

ـــ اننى سوف أسمع عنكم كلكم ·· هـــــذا هو قرارى ·· لقد ارتبطت مع مستر ويستون ارتباطا كتابيا ·· لتحرير كل تفاصيل حياتكم التى من خلال هذه الكتابات ·· سوف أعيش مع « هايبرى » الحبيبة ··

وبمصافحة حارة من اليد ·· وتحية عميقة ·· من القلـــب ·· اغلق الحديث كما اغلق الباب خلف ·· « فرانك تشرشل » ··

قصيرة هى الاشارة ·· قصيرة هى ·· المقـــــابلة ·· ليذهب ·· ليذهب فرانك ·· بشعور ايما الذائب للغياب ·· وتخوف شديد من الحزن والأسى ·· والشعور بمرارة فقده كثيرا ··كثير ا ··

كان تغييرا حزينا ·· لقد كانا يتقابلان كل يوم ·· تقريبا ·· منذ وصوله ·· قطعا ·· ان وجوده فى « راندالز » قد اضفى روحا جديدة حلوة ·· فى الأسبوعين الماضيين ·· الفـــكرة ·· توقع حضـــوره ·· انتظاره ·· تلهفها على رؤيته كل صباح ·· ثقته بها · اهتمامه الشديد برغباتها · طبيعته المرحة ·· الحبيبة ·· لقد اضاءت طلعته ظلام أيام «هارتفيلد» ·· ولكى تكمل كل صفاته ·· التى تضفيهـــا عليـــــه ·· باقتناع تام ··

فانه تقريبا ·· قد اخبرها بأنه قد أحبها ·· أى نقطة ·· كان سيقف عندها ·· بعد كل هذه العواطف الحارة ·· والاعجاب العميق ·· كل هذه التخيلات ·· والأحلام فى دنياه ·· ومشاعرها المتدفقة ·· الهائمة من حوله ·· جعلها تتأكد قليلا ·· بأنها لابد وان تكون قد أحبته ·· نعم ·· أحبته ·· ولو حبا قليلا جدا ·· بالرغم من كل التحفظات التى كانت تحاول أن تضعها من قبل ··

قالت لنفسها : « نعم ·· نعم ·· قطعا لابد وان أكون قد أحببته ·· جلوسها هكذا ·· غارقة فى خياله ·· المنزل البائس ·· المظلم من غير وجوده ·· نعم ·· لابد أن أكون قد أحببت · لابد وأن أكون أكبر

مخلوقة شاذة فى العالم .. ان لم اكن قد أحببته .. حتى لبضعة أسابيع .. أنا لن أكون سعيدة من غيره ولكن غيرى .. سيكون سعيدا ..

مستر نايتلى سوف يكون سعيدا الآن .. .. مع « وليام هاركنز » وحساباته .. على أى حال .. فان مستر نايتلى .. لم يظهر سعادته .. ولم يستطع أيضا ان يقول أنه حزين .. فان نظراته المرحة .. تفضحه .. لو اراد أن يظهر غير ذلك ..

ولكنه بالفعل .. كان حزينا فقط .. لخيبة أمل .. الآخرين .. وهنا قال بطيبته المعهوده :

ـــ اوه .. ايمــا .. فعلا انت سيئة الحظ .. سيئة الحظ جدا .. فان فرص الرقص بالنسبة لك ضئيلة .. مسكينة أنت يا ايما ..

ولم تقابل ايما .. « جين فاريفكس » الا بعد بضعة أيام من هذا الحادث .. لتعرف مدى تأثيره عليها .. ولكنها وجدتها تعانى من آلام بالرأس .. وصداع مستمر .. جعل خالتها .. تقلق عليها كثيرا .. وكان واضحا تماما .. أنه لو أقيم الحفل .. لما تمكنت جين من حضوره .. فان مرضها .. قطعا .. كان سيمنعها من ذلك .

الفصل الثلاثون

لم يعد لدى ايما أى شك ـ فى كونها تحب ٠٠ ولكن ٠٠ فكرتها عن هذا الحب ٠٠ كانت فقط ـ لمعرفة مداه ـ فى البداية ـ أعتقدت أنهـــا تحب بكمية كبيرة جدا ٠٠ أو بقدر كبير من الحب ٠٠ وبعد ذلك ٠٠ أمكنها أن تقنع نفسها ٠٠ أنها ليست غارقة فى الحب ٠٠ لكنها فقط ٠٠ تحب بكمية قليلة جدا ـ أو بقدر قليل جدا ٠٠ لقد استمتعت كل الاستمتاع عندما صارحها فرانك تشرشل بحبه ٠٠ وتستمتع أكثر من زيارات مستر ومسز ويستون الذى لا ينتهى عنه ٠٠ وعن افتقادها له ٠٠ فى كـــل لحظة ٠٠ وأنه كان يشغلها ٠٠ ويشغل أوقاتها ٠٠ وتلهفها على وصول خطاب يفيد بصحة زوجة خاله ٠٠ وعن امكان عـــودته فى الربيع الى « زاندالز » ومن ناحية أخرى ٠٠ فانها أبدا لم تعتـــرف لنفســـها ٠٠ بأنها فى حالة غير حالتها الطبيعية الأولى ٠٠ وانها أقـــل انشغالا ٠٠ وأكثر فراغا ٠٠ وأنه لا أخطار ولا اخطاء على الاطلاق ٠٠ وكل دقيقة تمر ٠٠ تجعلها تفكر فيه ٠٠ أكثر ٠٠ وأكثر ٠٠ وحين تجلس لترسم ٠٠ أو لتعمل ٠ أو لتعزف ٠٠ ترى أمامها صورا حلوة ٠٠ خفاقة من لمحاته ٠ ولمساته ٠٠ وتعليقاته المرحة ـ وديالوجاتها معا ٠٠ ورقصاتهما ٠٠ ونزهاتهما ـ وهى من جانبها ـ كانت دائما تبدى له ٠٠ الرفض ٠٠ والاعتراض ٠٠ وكانت مشاعرها تختفى دائما تحت ظـــلال الصداقات والمجتمعات ٠٠ ولكن مع كل هذا ٠٠ فان عواطفهما ٠٠ كانت جـــزءا جوهريا من حياتهما ٠٠ وعندما تأقلمت عواطفها مع تفكيراتها ٠٠ صدمت من هذا التفكير ٠٠ فى الحب ٠٠ بالرغم من قرارها السابق ـ بعـــدم رفض الحب ٠٠ رفضا « باتا » ٠٠ وهى لا تريد أن تصدم والدها ٠٠ فان أى انفعال يصيبه ٠٠ سيؤثر عليه ٠٠ وهى فى معركة يجب أن تنتصر فيها على عواطفها ٠٠

قالت لنفســـها :

« أننى أبدا لم استعمل كلمـــة التضحية ٠٠ ولا فى أى اجابة من اجاباتى الماهرة ٠٠ على تساؤلات قلبى ٠٠ آه ٠٠ والآن ٠٠ أنا أعتقد أنه ليس شيئا ضروريا لسعادتى ٠٠ ؟

وعلى هذا ٠٠ فمن الأفضل - ألا أطلق لمشاعرى العنان ٠٠ لتشعر أكثر مما تشعر ٠٠ فاننى فعلا ٠٠ أحب ٠٠ ؟ وسوف اكون حزينة جدا ٠٠ لو ازدادت حرارة هذا الحب ٠٠

ومع كل هذا الصراع ٠٠ والسؤال ٠٠ والجواب ٠٠ مع نفسها ٠٠ الا أنها فى كل الحالات ٠٠ كانت تشعر بالرضاء والسعادة ٠٠ فى تخيل مباهج ٠٠ عواطفه ٠٠

« أوه » ٠٠ انها غارقة فى الحب ٠٠ لاشك فى ذلك ٠٠ وكل الدلائل - تعلن ٠٠ وتصيح ٠٠ بل وتصرخ معلنة عن هذا الحب ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ انه هو أيضا يحب ٠٠ ويحب بعمق ٠٠ وعندما مايعود ثانيا ٠٠ واذا ما كانت عواطفه مازالت مشتعلة ٠٠ ينبغى على فى هذه الحالة ٠٠ ألا أشجعه ٠٠ نعم ٠٠ يجب أن استعمل عقلى ٠٠ واحرص على عدم التمادى فى هذه العواطف ٠٠ ان لهجته ونظراته وقت الرحيل كانت تعبر عن فرح ٠٠ بالتشجيع ٠٠ يجب أن أكون حريصة ٠٠ وهذا ما استطيع أن أقرره فى الوقت الحالى ٠٠ أما ما سوف يحدث مستقبلا ٠٠ فأنا لا يمكننى معرفته الآن ٠٠ أننى لا أنظر اليه - ليكون هو نوع الرجل الذى أريد ٠٠ آه ٠٠ عواطفه حاره ٠٠ نعم ٠٠ مشاعره ملتهبة نعم ٠٠ ولكننى لست متأكدة من أن هذه المشاعر ستدوم ٠٠ قطعا - سوف يتغير ٠٠ كل اعتبار فى هذا الموضوع ٠ وأننى سوف أشكر الله لأننى لم أتمادى فيه ٠٠ ومن أننى لا أبنى سعادتى المقبلة عليه ٠٠ نعم ٠٠ سوف تتحسن حالتى ٠٠ قريبا ٠٠ وأنسى ٠٠ وسوف يكون هذا شىء جميل ٠٠ أن أنسى ٠٠ ان يذهب كل شىء ٠٠ ويلتفت كل انسان الى حياته ٠٠ نعم ٠٠ سوف أعود الى حالتى الأولى ٠٠ بمنتهى السهولة ٠٠

وعندما وصل خطابه الى مسز ويستون ٠٠ كانت ايما أول من اخطر به ٠٠ وقرأته فى انتشاء واعجاب ٠٠ ما جعلها تهز رأسها تبعا لعواطفها وانفعالاتها الخاصة ٠٠ ولكنها فكرت - أنها يجب أن تتماسك ٠٠ بناء على قرارها السابق ٠

كان خطابا مطولا ، ٠٠ مكتوبا « بطريقة جيدة منسقة ٠٠ يعطى

تفاصيل تامة عن رحلته ٠٠ ومشاعره ٠٠ معبرا عن كــل عواطفه ٠٠ وامتنانه ٠٠ واحترامه ٠٠ الصادق العميق ٠٠ يصف كل شيىء بالتفصيل ٠٠ بروحه الحلوة الجذابة ٠٠ وقد أوضح الخطاب حقــا ٠٠ وبلهجته القلبية ٠٠ مدى تعلقه بمسز ويستون ٠٠ وبالاعزاز الذى يكنه لها ٠٠ وكانت ايما تود ٠٠ ألا يظهر اسمها هكذا ٠٠ فى الخطاب ٠٠ ولكن ظهر اسم « وود هاوس » أكثر من مرة ٠٠ وفى كل مرة ٠٠ بمجاملة رقيقة على ذوقها الفنى ٠٠ وكانت أكثر التعبيرات حرارة ٠٠ هذه الكلمات ٠٠ التى كتبت فى الجزء الأخير من الخطاب :

« أننى لم أتمكن من حجز دقيقة واحدة ٠٠ لصديقة مس وود هاوس الصغيرة ٠٠ الجميلة ٠٠ فى يوم الثلاثاء ٠٠أرجو تقديم اعتذارى لها »٠٠

وهذا بالطبع ٠٠ يعنى أنه لم يذكر بدون شك ٠٠ ان يوم الثلاثاء ٠٠ كان كله محجوزا لها هى ٠٠ فقط ٠٠ وأنه لم يذكر هاربيت ٠٠ الا ٠ لأنها صديقتها ٠٠

وكان وصف الحالة فى انسكومب ٠٠ لا هو جيد ٠٠ ولا ردىء ٠٠ فان مسز تشرشل ٠٠ قامت من مرضها ٠٠ وأنه حتى فى خيـــالاته ٠٠ وأحلامه ٠٠ لا يمكنه أبدا ـ أن يفكر ٠٠ أو يثير ٠٠ موضوع رجوعه ثانيا ٠٠ الى « راندالز » ٠٠

على اى حال ٠٠ فانها وجدت أن الخطاب ٠٠ قـــد كتب بطريقة رومانسية جميلة ٠٠ وناولته الى مسز ويستون ٠٠ بدون أى تعليق ٠٠ وهى ذاهلة من هـــــذه العواطف ٠٠ التى غطاها بغطاء الصغيرة ٠٠ الجميلة ٠٠ « هاربيت » ٠٠

آه ٠٠ هاربيت ٠٠ وهنا انبثق فى خاطرها ٠٠ خاطرا ٠٠

بالنسبة اليها هى شخصيا ٠٠ فلقد اتخذت قرارها ٠٠ ببتر هذه العلاقة قبل ان تبتدى ٠٠ ويمكن ٠٠ آه ٠٠ «هاربيت» لقد صعق مـــن جمالها عندما وقعت عيناه عليها لأول مرة ٠٠ وذهل من البساطة والجمال ٠٠ والوجه الحلو ٠٠ وعواطفها الجياشة البريئة ٠٠ آه ٠٠ لمـا لا تتخذ هذه المشاعر لصالحها ٠٠ وتنتهز هذه الظروف لتحول الموضوع منها ٠٠

الى هارييت .. وبالنسبة لهارييت .. حقا .. انها لفرحة نادرة .. قالت لنفسها ، « لا يجب أن أفكر فى مثل هذه التوقعات .. أنا أعلم كم هى خطر .. نعم خطر .. بل فيها الخطورة .. كل الخطورة ..؟ كما حدث قبلا ..

والآن ـ كان لابد لها ـ من الاسترخاء .. والراحة قليلا .. بقرب هارييت .. ومشاعرها .. و « هارييت » لم يكن لها من حديث الا مستر ايلتون وعروسه .. فانه بعد اختفاء « فرانك تشرشل » لم يبق الا هو .. كان من الصعب على ايما أن تخبــــرها بالخطاب الذى وصل من انسكومب .. فلم يكن هناك حديثا فى كل مكان الا عن مستر ايلتون .. وعن الزفاف .. والكنيسة..والعربة الجديدة .. والأجراس..وكلشىء.

مسكينة هارييت كانت فى تضارب المشاعر .. التى يصعب على قلبها الصغير .. تحملها .. انها الآن أحوج ما تكون الى اهتمام « ايما» .. ورعايتها .. وحاولت ايما أن تغير الموضوع .. ولكنه كان مستحوذا على كل مشاعر الصغيرة . .المسكينة ..

صاحت بها ايمـــا : انك تسمحين لنفسك بالاندماج كلية .. وبكيانك ومشاعرك مع مستر ايلتون .. وفرح مستر ايلتون .. يجب أن تزيحى هذه الأفكار من رأسك ..

قالت هارييت : نعم .. نعم مس وود هاوس .. انت على حق .. يجب ألا نفكر فيهم بعد ذلك .. نعم .. نعم ..

ولكن .. ما تقوله .. تعيده .. ولا تغيير فى الموضوع .. مما دعا .. الى اللجوء الى ناحية أخرى للتأثير فيها .. قالت : هارييت .. أنك تؤلميننى .. انك تحملييننى الذنب .. وتجعلييننى أشـــعر بخطأى وأتمنى معك .. انك تعذبيننى .. وتزيدين آلام نفسى .. أنت فى خطر شديد يا هارييت .. ان لم تجعلينى أنسى أننى كنت السبب فى كـــل آلامك ـ صدقينى .. أننى أبدا لم أنسى بأننى أنا التى وجهت عواطفك منذ البداية الى مستر ايلتون .. اجعلييننى أنسى ولو للحظة .. هذه الغلطة .. أنك لتغمرييننى بالتعاسة ..

وأثرت هذه الكلمات فى هارييت ..

وايما لا تتوقف :

— أنا لا أقول .. ابترى نفسك نهائيا من هذا التفكير .. ولكننى أقول .. تكلمى قليلا عن مستر ايلتون .. لأجل خاطرى .. ولأجل خاطرك .. أنت أيضا .. لمصلحتك .. وراحتك . ماهى مهمتك . ؟ هل هى الاهتمام بزفاف مستر ايلتون .. ؟ هذه الانفعالات سوف تنعكس عليك وتضر بك .. وسوف يزداد الألم .. ارحمينى يا هارييت .. وارحمى نفسك .. وكونى رحيمة بى .. ؟

وبدا .. أن هذه النغمة .. قد فاقت فى تأثيرها على هارييت .. على كل ما عداها .. لأن رغبتها الشديدة فى ارضاء « مس وود هاوس» التى تحبها كل الحب .. جعلها تشعر بالتعاسة .. ورقت عواطفها .. واهتزت مشاعرها الخفاقة .. وهتفت بصدق .

— أنت ـ أنت أغلى صديقة عندى .. أغلى من حياتى .. أنت التى أعيش فى خيرها .. وكرمها .. لا أحد يساويك أبدا فى معزتك عندى .. أنت .. آه .. يا حبيبتى .. أننى لا أهتم الا بك أنت .. أوه .. مس وود هاوس .. كم كنت عديمة الشفقة بك .. لكم أنا جاحدة فضلك .

وهكذا .. تمازجت عواطفهما .. ثانيا .. وشعرت ايما أنها لم تعطى هارييت حقها .. وأنها أبدا .. لم تحبها من قبل .. أكثر مما هى تحبها الآن ..

وهمست ايما .. بينها وبين نفسها ..

« لا يوجد أمتع من امتزاج العواطف .. لا يوجد ما يساوى هذا الحب .. والاخلاص .. ونقاء القلب .. المفتوح .. لا .. لأى غرض .. الا .. العواطف الصادقة النظيفة .. البريئة .. الآن فقط .. تذوقت هذه المشاعر .. التى لا يعرفها الا من يتذوقها .. عرفت الآن .. لماذا يعطى أبى .. ايزابيلا كل عواطفه الخالصة البريئة .. بانسياب

روحى جميل .. ؟ والآن ســوف أعرف كيف أكافىء عواطف هارييت المحبة .. المتفانية .. الصادقة .. حبيبتى هارييت .. أبدا لن أحاول تغيير صفاء نفسك .. ولن أحاول أن أغير ما بعقلك .. أنت هكذا .. الصفاء .. والنقاء .. والحب .. أنثى .. تتنفس الصــدق .. آه .. يا للبون الشاسع بينك وبين برود « جين فاريفكس » قلبك الدافىء .. عواطفك البريئة .. آه هارييت آه يا حبيبتى .. « هاريت ـ هيه ـ انها تساوى مائة أنثى مثل « جين فاريفكس » وكزوجة .. زوجة لرجل رفيق المشاعر .. انها ثروة .. انها كنز .. وسعيد هذا الرجل .. الذى سوف يستبدل « ايما » بهارييت ..

الفصـــل الحادى والثلاثين

لقد ظهرت مسز ايلتون أول ما ظهرت فى الكنيسة ٠٠ ولكن للحكم عليها ٠٠ والفضول ٠٠ والتعجب والتساؤلات ٠٠ عما اذا كانت جميلة جدا ٠٠ أو جميلة ٠٠ أو ليست جميلة على الاطلاق ٠٠

فان هذا ٠٠ لا يمكن تحديده تماما ٠٠ لعروس فى ملابس الزفاف ٠٠ولكن فقط ٠٠ بعد تبادل الزيارات ٠٠والاقتناع التام ٠٠ بكل هذه التكهنات :

أما بالنسبة لايما ٠٠ فلم يكن بها فضول على الاطلاق ٠٠ من هذه الناحية ٠٠ ولكن كل ما فى الأمر ٠٠ أنـــه واجب يجب تأديته وزيارة ينبغى أن تقوم بها عاجلا ٠٠ أو آجلا ٠٠ وبأسرع ما يمكن ٠٠ وفكرت فى أن تصحبها هارييت فى هذه الزيارة ٠٠ !

ولم تكن ايما تود ٠٠ أن تتواجد فى نفس الغرفة ٠٠ التى دخلتها منذ ثلاثة أشهر ٠٠ لتخلع حذاءها ٠٠ دون أن تعاودها ذكرى أحداثها ٠٠ آلاف الأفكار والتخيلات ٠٠ قطعا سوف تنبثق أمامها الألغاز ٠٠ والمشاعر ٠٠ والعواطف ٠٠ ومن البديهى أيضا ٠٠ أن مثل هذا سوف يحدث تماما « لهارييت » البائسة ٠٠ لذا ، كان الصمت يخيم عليهم ٠٠ وبالطبـــع كانت أيضا ٠٠ الزيارة قصيرة جدا بالنسبة لانشغال الفكر ٠٠ والقلق ٠٠ والتوتر ٠٠ وعدم الشعور بالراحة ٠٠ كل هذا أدى الى تقصيرها أكثر ٠٠ وأكثر ٠٠ ولم تسمح ايما لنفسها أن تكون رأيها عن السيدة ٠٠ الا أكثر من أنها ترتدى ملابس جميلة ٠٠ !

وانها فى حقيقة الأمر ٠٠ لم تعجب بها ٠٠ ! ولم تحبها ٠٠ ولم تكن فى عجلة من أمرها ٠٠ لتصيد أخطائها ٠٠ ولكنها شعرت بعـــدم تذوقها ٠٠

ولكنها ٠٠ بدت بسيطة ٠٠ ولكن هذه البساطة ٠٠ يمكن أن تكون لكل عروس ٠٠ غريبة ٠٠ جديدة ٠٠ لا أكثر من ذلك ٠٠ وشخصيتها ٠٠ ربما تكون جيدة ٠٠ ؟ وجهها ٠ ؟ هيه ٠ ؟ ليس به أى جمال ٠٠ وأيضا ٠٠ لا صوتها ٠٠ ولا مظهرها ٠٠ ولا الجو الذى يحيط بها ٠ يعطى ايحاء بالأناقة ٠٠ والتذوق الفنى ٠٠ ؟

(ايمـــــا)

وفكرت ايما فى النهاية ٠٠ الا أنها لا يمكن الا أن تكون هكذا ٠٠؟

أما بالنسبة لمستر ايلتون ٠٠ فان تصرفاته لم تظهر ٠٠ أو تسمح بالظهور ٠٠ وهى من جانبها لم تتفوه بأى كلمة ٠٠ يمكن على أساسها ٠٠ تبادل ظهور التصرفات ٠٠٠ انه شىء بائس ٠٠ بائس ٠ تبادل زيارات الزفاف ٠ والمرأة عادة ٠٠ أو العروس ٠٠ فانها تغطى أخلاقها ومشاعرها بما ترتديه من ملابس ٠٠ وما تتزين به من زينة ٠٠ تلفت النظر أما الرجل ٠٠ فلا حول له ٠٠ الا تصرفاته ٠٠ وأفعاله ٠٠ وعندما وضعت ايما فى الاعتبار ـ أن مستر ايلتون ـ يجد نفسه بين ثلاث نساء ٠٠ من تزوجها فعلا ٠٠ ومن كان يريد ان يتزوجها ٠٠ ومن كان متوقعا أن يتزوجها ٠٠ ؟ تجده فى حال يرثى لها ٠٠ ولكنه بدا فى نظرة واعية ٠٠ ومحاولة للتأقلم فى مثل هذا المجتمع الغريب ٠٠ !

قالت هارييت فور خروجهما من المنزل٠٠بنظرة رقيقة الى ايما٠٠؟

— هيه ٠٠ حسن جدا مس وود هاوس ٠٠ ؟ ماذا تعتقدين فيها ٠٠ أليست ساحرة جدا ٠٠ ؟

وظهر بعض التردد فى اجابة ايما :

— اوه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ امرأة صغيرة ٠٠ لطيفة ٠٠

— أننى اعتقد انها جميلة ٠٠ نعم ٠٠ جميلة تماما ٠٠ !

— انها ترتدى ملابس جميلة ٠٠ وثوب رائع ملفت ٠٠ ؟

— أننى لا أتعجب ابدا وقوعها فى الحب ٠٠

— أوه ٠٠ لاشىء يدعو الى التعجب ابدا ٠٠ ؟ ثروة بديعة أنت فى طريقه ٠٠ ؟

والتفتت ايما ثانيا ٠٠ بنظراتها المتسائلة :

— أننى اتجرأ وأقول بأنها منسابة اليه انسيابا تاما ٠٠٠ ؟

— ربما تكون كذلك ٠٠ ولكن ليس من مصلحة الرجل ٠٠ أن يتزوج المرأة التى تحبه أكثر ٠٠ ربما تكون « مس هاوكنز » قد اشتهت أن يكون لها منزل ٠٠٠ وكان هذا هو أنسب عرض ٠ بالنسبة لها ٠٠٠؟

قالت هارييت بفرح : نعم ... نعم ... هذا فعلا .... ما يبدو عليها ... ولن يجد أى انسان مكانا افضل من هـــذا المكان .. الذى اختارته ... اننى أتمنى لها السعادة ... من كل قلبى ... ؟ والآن .. يا مس وود هاوس ... اعتقد اننى لن اتاثر عند رؤيتهما ثانيا .. انه هو ... كما هو ... ممتـــاز دائما ... ولـكن ... لـكونه متزوج ... انت تعلمين بالطبع ... هـــذا شىء مختلف تماما ... لا ... أبدا ... فى الحقيقة يا مس وود هاوس ... يجب عليك ... الا تخافى أبدا ... أنه من الممكن الآن ان أعجب به دون أى احساس بالتعاسة أو اليأس ... لأعرف بأنه هو الذى بعد عنى ... هـــذا سوف يسبب لى الراحة ... وانها تبدو امراة فاتنة ... صغيرة ... تماما كما يستحقها هو ... انها مخلوقة سعيـــدة ... سعيـــدة ... انه يناديهـــا ... « اوجستا » كم هو بديع ... بديع ... ؟

وعند تبادل الزيارة ... كان عند ايما الوقت لتحكم عليها أفضل ... ولأن هارييت لم تكن موجودة ... فى « هارتفيلد » ... أثناء الزيارة ... فان ايما احتكرت نصف ساعة من وقت الزائرة ... لنفسها هى فقط ... ومنها خرجت بحكم ليس فى صالحها بتاتا ... لقـــد اكتشفت انها فارغه ... فارغه تماما ... شديدة الزهو بنفســـها ... تريد ان تخلق لنفسها أيضا أهمية لا وجود لها ... أخلاقها تعلن ... بأن تعليمها فى مدارس عامة ... لا تفهم النـــاس ... ولا المجتمعات لم تعش الا فى محيط معين ... ومجتمع معين ... وانها ... ان لم تكن بلهاء ... فهى جاهلة وان مجتمعها لا يشرف بحـــال من الأحوال ... انتساب مستر ايلتون اليه .

ان هارييت قطعا كانت أفضل منها كثيرا ... ولكن ... « مس هاوكينز » ربمـــا كان افتخـــارها بالأخ الغنى فى « بريستول » ... وعرباته ليس الا ...

وكان أول موضوع حال جلوسهما هو ....

« أخى مستر سكلنج » ومقارنة بين « مايل جروف » وهارتفيلد ... ان الأراضى فى هارتفيلد صغيرة .. ولكن .. المنازل حديثة ...

البناء ... ونظيفة ... وكل مالاحظته هو : حجم الغرف ... اوه ... تماما ... تماما ... مثل مابل جروف ... ! انها ذهلت من التشابه العجيب ... لنفس الحجم - ونفس الغرفة تماما مثل « غرفة الصباح » ... غرفة أختها المفضلة ... لقد دعى اليها « مستر ايلتون » - وهى تبدو مندهشة فانها تعتقد نفسها فى « مابل جروف » ... أوه ... السلالم التى صعدت عليها - تماما - كانها جزء من منزلنا ... اننى أؤكد لك يا مس وود هاوس ... أننى استمتع الآن ... بهذا المكان ... لأنه يذكرنى بمابل جروف .. لقد أمضيت أياما سعيدة هناك .

واطرقت قليلا ثم استمرت تقول :

— بلاشك..مكان ساحر .. أى انسان يراه لأول مرة .. سوف يذهل من جماله ... ولكن ... بالنسبة لى ... اوه ... وكأننى فى منزلى ... ؟ انك عندما تنتقلين من مكان عشت فيه يا مس وود هاوس ... سوف تفهمين معنى ان يجد الانسان نفسه فى مكان يعيش به فى ذكرى أيامه الحلوة ... التى تركها خلفه ... أننى دائمـــا أقول ... أن الأيام الحلوة ... لا تعود .

وأجابت « ايما » ... اجابة مقتضبة ... تجارى بها ... مناسبة الكلام ... ولكنها كانت كافية كل الكفاية ... لارضاء « مستر ايلتون » ... الذى لم يرغب فى أن يتكلم أحد .... الا همسا .

— تماما - تماما - مثل «مابلجروف» ليس فقط المنزل .. بل الأرض ... اننى أؤكد لك ... اننى لم أفرق بينهما ... ونفس المبنى ... وطريقة بنـــائه ... فقط ... عبر المروج ... وعنـــدى أيضا ... شجرة كبيرة ... تتعانق فروعها الكبيرة ... التى تنطبع انطباعا تاما فى ذهنى أن أخى ... وأختى ... سوف يعشقان هذا المكان ... ان الناس الذين يعيشون فى نفس طبيعـــة الأرض ... المتســـعة ... يسعدهم دائما أن يجدوا نفس الطبيعة الرحبة ... التى اعتادوا عليها .

وكان الشك .. فى حقيقة ما تقول ... يراود « ايما » .. لأنها تعلم أن من يعيشون فى مساحات واسعة ... من الاراضى ... لا يسعدهم

أن تمتد حياتهم فيها ... ولا يهتمون بها كثيرا .. ولكنها لم ترغب فى اثارة أى نقاش ... بل اكتفت بأن تقول :

— اننى أخشى .. اذا ماطالت اقامتك فى «هارتفليد» انك سوف تكتشفين فيها ... فى كل يوم جمالا .. ان « سيرى » تمتلىء بالجمال.

— اوه .. نعم .. نعم .. اننى مبهورة من ذلك .. انهـــا حديقة انجلترا ... كما تعلمين ... بالطبع ... بالطبع ... «سيرى» هى حديقة « انجلترا » .

— اه .. ولكننا لا يجب أن نضع اعتبارنا على هذه المقاطعة فقط ... فهناك مقاطعات أخرى كثيرة ... تسمى « حديقة لندن » تماما ... تماما ... مثل « سيرى » .

أجابت مسز ايلتون :

— لا .. لا .. اننى أشك فى هذا .. فانا لم اسمع أبدا عن مقاطعة تدعى « حديقة لندن » الا « سيرى » !

وتسربلت ايما بالصمت ... واسترسلت مسز ايتلون :

— لقد وعدنى اخىواختى بزيارة فىالربيع أو الصيفعلىالأكثر ... وبالطبع ... سيكون هذا وقت الاكتشاف .. سنكتشف أماكن كثيرة ... جدا ... وسوف يحضران بعربتهما .. « البراوش لاندو » التى تتسع لأربعة أشخاص فى منتهى الراحة ... وأيضا عربتنا .

— اوه ... سوف نكتشف ... مسرات وأماكن مختلفة ... اوه ... يجب على أن أذكرهما بهذا الموعد ... لقد اقترحت عليهما احضار « البراوش لاندو » لأنها ستكون مناسبة تماما لهذه المساحات الشاسعة ... والتنزه فى المدينة ... اوه ... كمـــا تعلمين يا مس وود هاوس ان الناس عندما يجدون مكانا جميلا مثل هـــذا المكان يرغبـــون فى رؤيته واكتشافه أكثر ... ومعرفة مواطن الجمال به ... ومستر ساكلنج ... مغرم بالاكتشاف ... لقد اكتشفنا أماكن فى « كنجنر ويستون » فى الصيف الماضى ... اوه ... هذه هى الطريقة ... وذهبنا مرتين ... اوه ... أول ما اشترى ... البراوش لاندو ... اعتقد أنه يوجد هنـــا

حفلات كثيـرة فى الصيف ٠٠٠ اوه ٠٠٠ كـل صيـف ٠٠ أليس كذلك يا مس وود هاوس ٠٠ ؟

— لا ٠٠ ليس هنا تماما ٠٠ اننا فى مكان بعيد لايتحمل الولائم والحفلات واننا مجموعة من الناس ٠٠ اعتقد أنها تفضل البقاء فى المنازل عوضا عن الانتقال والبحث عن المسرات فى الخارج ٠

— اوه ٠٠٠ لا شىء أفضل من البقاء فى المنزل للمتعة والراحة الحقيقية ٠٠٠ لا أحد ٠٠٠ أعتقد انه فعلا لا أحد ٠٠٠ مرتبط بالمنزل ارتباطى أنا به ٠٠٠ أننى كنت مثالا لذلك فى « مابل جروف » اوه ٠٠٠ كم كانت تقول « سيلينا » عندما كانت تذهب الى « بريستول » ٠٠؟

— اننى فى الحقيقة ٠٠٠ لا استطيع أن أحرك هذه الفتاة من المنزل ٠٠٠ يجب أن اذهب بنفسى لأحـركها ٠٠٠ فاننى لا أحب أن أركب « البراوش لاندو » ٠٠٠ بفردى ٠٠٠ ولكن « اوجستا » اوه ٠٠٠ اننى أثق فى رغبتها فى عدم الطواف بالشـوارع ٠٠٠ والحـدائق ٠٠٠ والحفلات ٠٠٠ دائما كانت تقول ذلك ٠٠٠ ولكن هنا ٠٠٠ أعتقـد أن هذا يكون على العكس ٠٠٠ حينما يغلق الناس أبوابهم ٠٠٠ على أنفسهم ٠٠٠ بعيدا عن المجتمعات ٠٠٠ اوه ٠٠٠ شىء سىء ٠٠ ردىء للغـاية ٠٠٠ وانه من الحكمة التاقلم بمسـتوى معين ٠٠٠ لا انزواء ٠٠٠ ولا انطلاق تام ٠٠٠ واننى أعتقد أننى أفهم موقفك على أى حال ٠٠ يا مس هاوس ٠٠ نعم ٠٠ ٠٠ افهمه ٠٠ افهمه تماما ٠

ثم بنظرة منها الى مستر وود هاوس :

— اوه ٠٠٠ لابد أن حالة والدك الصحية تتأخر الى الوراء ٠٠ لماذا لا يجرب ٠٠٠ « باث » اوه ٠٠٠ اننى أوصيه « بباث » وأوكد لك ٠٠٠ ان صحته سوف تتحسن جدا فى « باث » ٠

— لقد جرب والدى « باث » مرات عديدة ٠٠٠ ولكن ٠٠٠ دون فائدة ٠٠٠ ومستر بيرى الذى اعتقد أن اسمه غير معـروف لديك ٠٠٠ لا يصف له « باث » فى حالته الراهنة ٠

— اوه ٠٠٠ هذا شىء مؤسف للغاية ٠٠٠ اننى أؤكد لك يامس وود هاوس — انه حيث تجرى المياه ٠٠٠ تجرى الصحة ٠٠٠ ان حيانى

فى « باث » اعطتنى صحة وحيوية ... انه مكان سوف يفيـــد « مستر وود هاوس » صحيا ... ومعنويا .. وبالنسبة لكلامك ... اننى آسفة ... اذ أقول لك أننى لا اجد نفسى مقتنعة به .. ان مـــزايا « باث » للشباب معروفة تماما .. انها سوف تكون ممتعة بالنسبة لك أنت ... خاصة لمن يعيش مثل هذه الحياة الرتيبة الروتينية ... واننى أضمن لك صحة جيدة ... ومجتمع أفضل هناك ... انه طـــريق يجب على ان اجذبك اليه ... وصديقتى الخاصة « مسز بارتدريدج » .. وهى السيدة التى أقيم عندها دائما فى باث .. ستكون سعيدة جدا للاهتمام بك .. وهى الشخص المناسب لك .. لمرافقتك الى الأماكن العامة ..

وقد كان هذا أكثر مما تتحمل اعصاب ايما .. وأكثر مما يتحمله أدبها .. ان فكرة سحب مسز ايتلون من يدها .. ومرافقتها لتلك السيدة « مسز بارتريدج » التى سوف تقودها الى الأماكن العامة .. شىء فاحش .. بغيض .. منتهى التبذل .. هذه الارملة البائسة .. التى لم تقف على أقدامها لتلتقط عيشها .. الا بمساعدة نزيل عندها .. حقيقة ان كرامة « مس وود هاوس » .. سيدة « هارتفيلد » قد جرحت .

وتمالكت نفسها من أى انفجار فى وجه هذه السيدة .. ولم تفعل شيئا الا أن تشكر مسز ايلتون ببرود تام .. لتقول لها ان ذهابهم الى « باث » غير ذى موضوع .. وانها أيضا .. غير مقتنعة تماما بصلاحية هذا المكان لها .. أو لوالدها ..

وبعدئذ .. وهى تتفادى اثارة أى موضوع آخر .. غيرت الموضوع بسرعة بقولها :

— اننى لا اتساءل يا مسز ايلتون .. اذا ما كنت موسيقية أم لا .. لأن سيدة تظهر فى مناسبات عـــديدة .. لابد وان تكون شخصيتها تتقدمها .. وتعلن عنهـــا .. وهايبرى تعرف من مدة .. انك عازفة ممتـــازة ..

— اوه .. لا .. لا مطلقا .. اننى يجب أن امنع أى فكرة من هذا القبيل .. موسيقية ممتازة .. لا .. هذا بعيد جدا .. أؤكد لك ان معلوماتك خاطئـــة .. اننى اتذوق الموسيقى .. وأحبها .. ويقـــول

أصدقائى اننى أفهم فيها ٠٠ ولكن ٠٠ لاشىء أكثر من ذلك ٠٠ صدقينى بشرفى ٠٠ اننى لا أعزف جيدا ٠٠ اننى فى الصف الثالث من العازفين ٠٠ ولكن ٠٠ انت ٠٠ اوه ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ لقد سمعت انك فنانة ٠٠ وتجيدين العزف اجادة تامة ٠٠ صدقينى ٠٠ اننى مشتاقة ان أعرف أى مجتمع ٠٠ فنى ٠٠ موسيقى ٠٠ وجدت نفسى فيه ٠٠ انها سعادة ٠٠ وراحة عظمى ٠٠ ان استمع اليك ٠٠ بالطبع ٠٠ شىء قاسى جدا ٠٠ ان أعيش بلا موسيقى ٠٠ انها شىء ضرورى فى الحياة ٠٠ انها حياة خاصة ٠٠ بالنسبة لى ٠٠ واعتقدت دائما ان اعيش فى مجتمع موسيقى ٠٠ فى الاثنين « مابل جروف » و « باث » انها كانت تضحية كبرى ٠٠ لقد قلت ذلك لمستر ايلتون ٠٠ عندما اظهر تخوفه من عدم رضائى عن حياتى المقبلة ٠٠ بالطبع ٠٠ بالطبع ٠٠ عندما قال ذلك ٠٠ قلت ان العالم سوف ينتهى ٠٠ اوه ٠٠ الولائم ٠٠ حفلات الرقص ٠٠ المسارح ٠٠ وأيضا عندما وجدت نفسى فى حجرات أصغر ٠٠ مما تعودت عليها ٠٠ وقد ضحيت تضحية كبيرة ٠٠ نعم ٠٠ اوه ٠٠ لقد تعودت الرفاهية فى « مابل جروف » ولكننى قلت له ٠٠ ان عربتين لن تزيدا من سعادتى ٠٠ واتساع الحجرات لن يزيد فرحتى ٠٠ ولكننى لا استطيع أن أعيش دون مجتمع موسيقى ٠٠ ولم اشترط عليه ٠٠ أى شرط آخر ٠٠ اوه ٠٠ لقد ضحيت بكل شىء ٠٠ ولكننى فى الحقيقة ٠٠ لا استطيع أن أعيش بدون موسيقى ٠٠ ان الحياة بدونها مظلمة ٠٠ جوفاء ٠٠ ؟

قالت ايما وهى تبتسم :

— أننا لا نفترض وجـــود مجتمع موسيقى فى « هايبرى » وأرجو الا يكون مستر ايلتون قد اعطاك صورة أكثر من الواقع ٠

— اوه ٠٠ فى الحقيقة اننى سعيدة ٠٠ لاجد نفسى فى هـذه الدائرة ٠٠ وأعتقد أنه سوف تكون لنا كثيرا من الاهتمامات الحلوة معا ٠٠ أنت وأنا ٠٠ يجب أن نؤسس ناديا موسيقيا ٠٠ ونرتب لقاءات موسيقية ٠٠أسبوعية ٠٠ فى منزلك ٠٠ ومنزلنا ٠٠ أليست هذه فكرة رائعة ٠٠ اه ٠٠ شىء كهذا ٠٠ سوف يكون نافعا لى ٠٠ ويضمن لى التمرين المستمر ٠٠ لأنك كما تعلمين انه ٠٠ بالنسبة للنساء المتزوجات ٠٠ هناك قصة بائسة لهن ٠٠ أنهم يقولون ٠٠ أنهم لا يهممن بالموسيقى ٠

— اوه .. ولكن بالنسبة لك .. فانه لا خطر على الاطلاق .. فانك كما يبدو .. مغرمة بها ..

— اتمنى ذلك .. ولكن فى الحقيقة .. عندما انظر الى من حولى .. فاننى ارتجف .. « بسيلينا » تركت الموسيقى نهائيا .. ولو أنها تعزف بابداع .. ونفس الشىء .. بالنسبة لمسز جيفرى .. التى كانت « كلارا باتريدج » والاثنتين .. « ميلمان » .. والآن .. مسز بريد .. ومسز جيمس كوبر .. أليس هذا كافيا ليجعلنى ارتجف .. لقد بدأت اقتنع بأن المرأة المتزوجة عندها ما يكفيها من الانشغال .. والاهتمام .. لقد كنت هذا الصباح مغلقة تماما .. مع مديرة منزلى .

قالت ايمـــا :

— ولكن .. كل شىء سوف يكون عاديا .. يسير فى قطار يومى .

— اجابت مسز ايلتون ضاحكة :

— ايه .. سوف نرى .. ؟

ووجدت ايما .. انها تتجاهل تماما .. موسيقاها .. وعزفها .. ولم تتكلم .. وبعـــد لحظة صـــمت .. اختارت مســز ايلتون .. موضوعا آخر .

— لقد قمنا بزيارة فى « راندالنز » .. والناس هناك فى غاية الاقتناع .. لقد احببتهم جدا .. مستر ويستون .. مخلوق ممتاز .. من الدرجة الأولى وأوكد لك .. أنه مثلى تماما .. لقد تفاهمنا بسرعة .. وهى تبدو .. حقيقة .. طيبة .. هناك شىء .. بالنسبة لها .. أمومه .. حنان .. طيبة قلب .. بحيث تكسبك على الفور .. اوه .. أعتقد أنها كانت مربيتك ..

وكانت ايما .. فى غاية الاندهاش .. لتجيب .. وانتظرت منها .. مسز ايلتون اجابة على سؤالها .. ولما لم تحظ بهـــذه الاجابة .. استمرت تقول :

— لقد تعجبت جدا .. عندما رأيتها تشبه السيدات الفضليات .. ولكنها فى الحقيقة .. امرأة لطيفة .. قالت ايما :

— ان أخلاق مسز ويســـتون كانت دائما أبدا ٠ ٠مثالية ٠٠ وممتازة ٠٠ان البساطة ٠٠ والتمييز ٠٠ والأناقة ٠٠ والكياسة ٠٠ هى أمان ٠٠ لكل سيدة صغيرة ٠٠

— ومن تظنين حض رهناك عندما كنا نقوم بهذه الزيارة ٠٠؟

وذهلت ايما تماما ٠٠ ان تساؤلها هـــذا ٠٠ كان يدل على أنها تعرفها منذ زمن طويل ٠٠ ؟ وان لهما صداقة بعيدة ٠٠ ؟ وكيف يمكنها أن تخمن وتجيب هذه السيدة ٠٠

استمرت مسز ايلتون فى حديثها :

— نايتلى ٠٠ نايتلى بنفسه ٠٠ ألم يكن هذا ٠٠ حظا سعيدا ٠٠ أننى لم أكن قد رأيته أبدا الا فى هذا اليوم ٠٠ وبالطبع ٠٠ لـكونه صديقا لمستر ايلتون ٠٠ كنت شديدة التلهف على رؤيته ٠٠ كلمـــة ٠٠ صديقى نايتلى ٠٠ صديقى نايتلى ٠٠ ؟ كانت دائمة التردد أمامى ٠٠ حتى فرغ صبرى ٠٠ ويمكننى أن أعطيه تقريرا ٠٠ بأن له الحق فى عدم الخجل من صديقه هذا ٠٠ ان نايتلى جنتلمان حقيقى ٠٠ لقـــد أخببته كثيرا ٠٠ وقرارى ٠٠ هو ٠٠ أنه جنتلمان ٠٠ ورجل ٠٠؟

وللسعادة الغامرة ٠٠ وأخيرا ٠٠ أتى الوقت ٠٠ ليذهبا ٠٠ وتتنفس ايما الصعداء ٠٠ ؟

وكان تعبيرها الفورى هو :

— أوف ٠٠ امراة مزعجة ٠٠ أسوأ مما كنت اتوقع ٠٠ متعبة ٠٠ مزعجة تماما ٠٠ نايتلى ٠٠ ؟ هيه ٠٠ هكذا ٠٠ لرجل لم تصادفه طوال حياتها ٠٠ وتقول عنه ٠٠ من أول مقـــابلة ٠٠ نايتلى ٠٠ نايتلى ٠٠ وتكتشف بأنه جنتلمان ٠٠ ؟ امراة غبيه ٠٠ جاهلة ٠٠ حمقاء ٠٠ مبتذلة ٠٠ مع هذا المستر ايلتون ٠٠ ونظراتها الثاقبة ٠٠ أوف ٠٠ وفعلا تكتشف أن مستر نايتلى « جنتلمان » ٠٠ اننى أشك فى أنه سوف يعيد اليها هذه المجاملة ٠٠ ويكتشف بانها ٠٠ « سيدة » ٠٠ اننى أنا شخصيا ٠٠ لا أكاد أصدق أن هذه « سيدة » ٠٠ هيه ٠٠ وتقترح ٠٠ اننى ٠٠ أنا وهى ٠٠

سوف ننشىء ناديا « موسيقيا » انها لمهـــزلة ٠٠ حقا مهـــزلة ٠٠ بل ماساة ٠٠ ؟ وتكتشف أيضا أن مسز ويسنون المرأة التى رعتنى وربتنى ٠٠ هى أيضا « سيدة » ٠٠ يا للسفاهة ٠٠ ؟ حقيرة ٠٠ ؟ حقيرة ٠٠ ؟ أننى لم أصادف شبيهة لها ٠٠ طوال حياتى ٠٠ اوه ٠٠ انها أبعد ما تكون عن تمنياتى لمستر ايلتون ٠٠ ان هارييت سوف توصم وصمة عار ٠٠ ان أنا قارنتها بمثل هذه المخلوقة ٠٠ اوه ٠٠ مـــاذا كان يقول « فرانك تشرشل » ولو كان هنا ٠٠ ؟ ماذا كان يقول لهـــا ٠٠ ؟ كما كانت تكون غضبته ٠٠ ؟ وكم كان يكون تأثره من هذه التافهة ٠٠ ؟ اه ٠٠ هاندا ٠٠ فى أول فرصة لم أمنع نفسى من التفكير فيه ٠٠ دائما أول شخص تهيم معه عواطفى ويهرب اليه تفكيرى ٠٠ هو ٠٠ ؟ اوه ٠٠ كيف امنع نفسى عنه ٠٠ ؟ كيف أهرب منه ٠٠ فرانك تشرشل ؟ أنه ٠٠ انه يتسلل دائما الى عقلى ٠٠ ؟

كل هذا الصراع ٠٠ حدث بينها ٠٠ وبين نفســـها ٠٠ فى لحظة خروجهما ٠٠ فى الوقت الذى كان يهيىء فيه والدها ٠٠ نفسه للكلام ٠٠ وكانت فى هذه الحالة بآذان صاغية ٠٠ ليبتدىء هو ٠٠ فى الكلام ٠٠ بهدوء ٠٠ وبطء شديد ٠٠

ــ حسن يا عزيزتى ٠٠ مع اعتبار أننا لم نرها من قبل ٠٠ فانه يبدو أنها سيدة صغيرة ٠٠ جميلة ٠٠ وأننى أقول ٠٠ بانها كانت سعيدة بك ٠٠ ولكنها تتكلم بسرعة ٠٠ هيه ٠٠ وبصوت سريع ٠٠ هيه ٠٠ أعتقد أنه يؤذى الاذن ٠٠ ؟ وأنا أعتقـــد ٠٠ بأننى طيب ٠٠ هيه ٠٠ ولكننى لا أحب الأصوات الغريبة ٠٠ ولا يوجد أحد يتكلم مثلك ٠٠ أنت يا ايما ٠٠

والمسكينة ٠٠ مس « تايلور » ٠٠ هيه ٠٠ على أى حال ٠٠ هى امرأة ملتزمة ٠٠ وسوف تكون زوجة لا بأس بها ٠٠ ولو أننى أعتقد أنه كان من الأفضل له الا يتزوج ٠٠ لقد قدمت اعتذارى من أننى لم أتمكن من المشاركة فى هذه المناسبة السعيدة ٠٠ وقلت ٠٠ ربما أتمكن فى مناسبة الصيف ٠٠ لكننى أعتقد أن هذا يكون متأخرا جدا ٠٠ لزيارة عروس ٠٠ ولكن ٠٠ أعتقد أننى لا أحب هذا الركن ٠٠ من منعطف الأبرشية ٠٠؟

— أعتقد أن أعتذارك قد قبل ياسيدى ·· فان مسـتر ايلتون يعرفك جيدا ·· ؟

— اوه ·· ولكن ·· السيدة الصغيرة ·· العروس ! ·· كان يجب أن اقدم لها تحياتى ·· اوه ·· كان هذا شيئا قاسيا ·· ؟ ،

— ولكن يا بابا ·· يا عزيزى ·· أنك لست صديقا للزوجين ·· وعلى هذا ·· على أى أسـاس تقلق ·· وتتألم من عـدم تقديم ·· أحتراماتك الكافية للعروس ·· أنك سوف تشجع الناس على الزواج ·· اذا ما اهتممت بهم ·· بهذا الشكل ·· ؟

— أبدا ·· أبدا يا عزيزتى ·· أننى لا أشجع الناس على الزواج ·· ولكننى دائما أرغب فى أن أقدم اهتماما خاصا لأى سيدة ·· وخاصة اذا ما كانت عروس ·· فهى لا تهمل أبدا ·· وكما تعلمين ·· العروس دائما فى المقدمة ·· أما الباقون ·· فـلا يهم ·· ولندع الآخرين ·· يهتمون بهم ·· ؟

— حسن جدا بابا ·· اذا لم يكن هذا ·· تشجيعا منك للزواج ·· فلا أفهم معناه ·· ولم أكن أعلم أنك تقلق نفسك هكذا ·· لمثـل هاتها ·· السيدات البائسات ·· ؟

— حبيبتى ·· أنك لم تفهميننى ·· ؟ أنها مسألة ذوق ·· وأدب ·· وليست مسألة تشجيع الناس على الزواج ·· أبدا ·· أبدا ·· ووجدت ايما ·· ان والدها ·· قد بدأت به ·· حالة نرفزة ·· ؟ ولم يفهمها هو أيضا ·· ويفهم ·· ماذا تقصد بهذه التورية · من تشجيع الناس على الـزواج ·· ؟

وعادت بذاكرتها الى الوراء ··· ؟

حين أراد أن يتزوجها ··· ؟

« مستر ايلتون » ··· ؟

الفصل الثانى والثـــلاثون

لم تكن ايما .. مطالبة باى اكتشاف اخـــــر .. ليؤكد رأيها أو شعورها النفسى .. فى هذه .. « المسز ايلتون » .. ؟ فان نظـــراتها الاولى .. وتقييمها لها .. منذ أول لحظـــة .. كان هو . هو .. لم يتغير .. حتى عندما ظهرت ثانيا .. وعندما تقابلتا كثيرا .. فهى تعطى لنفسها أهمية اكثر مما ينبغى .. تنساب مع النـــاس بسرعة .. جاهلة .. وسقيمة .. عندها قليل من الجمال .. وبعض البهرجة .. وأنها تعتقد أنها قد حضرت .. من عالم ممتاز .. لتعيد بناء مجتمع .. وجيرة وتنتشلهم من وهدة دمارهم .. وضياعهم .. ان مس هاوكينز قد اتخذت مكانها فى المجتمع فقط .. لكونها .. مسز ايلتون ... ؟ ».

ولم يكن هناك أى سبب يدعوها .. لمعرفة .. رأى مستر ايلتون فيها .. فانه لا يختلف عنها كثيرا .. وان نظرته اليها .. نظرة من يتمتع بسعادة فائقة .. بل انه ينظر اليها بفخر شديد أنه يبدو .. وأنه قد أحضر الى « هايبرى » .. امرأة .. لا تدانيها امــــرأة أخرى .. ولا حتى « مس « وود هاوس » يمكنها أن تتساوى بها .. وأصبحت كما يريد .. على كل لسان .. وفى كل بيت .. ولم تزد ايما .. على قولها الذى تردده دائما :

« انها ظريفه .. وترتدى ملابس جيدة».. هذا هو كل ماهنالك.؟

اما رأيها فيها .. فقد احتفظت به لنفسها .. هى فقط ؟

وفى مناسبة .. ظهرت حقارة مسز ايلتون .. أكثر مما ظهرت فى البداية .. فقد ظهرت تصرفاتها البذيئة هى ومستر ايلتون .. من ناحية المسكينة « هارييت » .. كانا يتجاهلانها ويحتقرانها .. بطريقة اغضبت ايمـــا .. وكانت هى دائما « هارييت » موضـــوع كراهيتهما المشتركة .. وتفكههما البذىء .. وانهما يندهشان من طيبة « مس وود هاوس » فى صداقتها .. لنزيلة ملجأ .. ؟

أما بالنسبة « لجين فاريفكس » فقد أبدت « مسز ايلتون » هوى .. واعجابا بها .. قائلة :

— ان جين فاريفكس فاتنة حقا .. مخلوقة حلوة .. جذابة ..

وسيدة عندها مواهب ٠٠ اننى أقول ٠٠ انها تعزف بمنتهى الروعة ٠٠ اننى أفهم فى الموسيقى ٠٠ اوه ٠٠ سوف تضحكين يا مس وود هاوس على انفعالى ٠٠ وعلى تعلقى « بجين فاريفكس » ٠٠ ولكنها رائعة ٠٠ رائعة ٠٠ يجب أن نفعل شيئا من أجلها ٠٠ حرام ٠٠ حرام أن تدفن كل هذه المواهب حرام الا تظهر ٠٠ ويعرفها الناس ٠٠ أعتقد أنك قد سمعت هذه الأبيات الساحرة :

« زهرة رائعة ٠٠٠٠
تمتلىء بالعبير ٠٠٠٠ ؟
بعيدة عن العيون ٠٠٠ ؟
تضيع ٠٠ فى رياح الصحراء ٠٠٠ ؟
لا يجب أبدا ٠٠ أن نسمع بضياع ٠٠ مواهب « جين فاريفكس »

وكانت اجابة ايما :

— أعتقد أنه لا خطر يحيق بجين فاريفكس ٠٠ وأنك ٠٠ بعد مدة ٠٠ وبعد أن تعرفى موقف « جين فاريفكس » ٠٠ وتدركين مشارف حياتها ٠٠ وكيف كانت مع « كولونيل ومسز تشامبل » ٠٠ اظن ٠٠ او أعتقد أنه لن يكون هناك مجال للقول٠٠ بأن مواهبها٠٠ غير معروفة٠٠؟

— اوه ٠٠ ولكن ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ انها الآن فى عزلة تامة ٠٠ ملقاه خارجا ٠٠ وماذا عن مسراتها مع «التشامبلز» فى النهاية ٠٠ ؟ أننى أعتقد بانها فعلا تشعر بذلك ٠٠ فعلا أنا متأكدة تمام التأكيد ٠٠ انها شديدة الخجل ٠٠ وشديدة الصمت ٠٠ وكل انسان يشعر انها تحتاج الى التشجيع ٠٠ وأننى أحبها أكثر ٠٠ لذلك ٠٠ وبما أننى خبيرة فى نوعيات الخجل ٠٠ فاننى اعترف لك بأننى لم اصادف مثل هذا النوع من قبل ٠٠ أننى أوكد لك ٠٠ ان جين فاريفكس شخصية بديعة جدا ٠٠ وتسعدنى أكثر مما استطيع أن أعبر عنه ٠٠ ؟

— انج تبدين مشاعرا حارة ٠٠ من ناحية ٠٠ « جين فاريفكس» ٠٠ وأننى مندهشة من أن جيرانها ٠٠ الذين يعيشون بجوارها من مدة ٠٠ لم يبدون ماتبدينه ٠٠ أنت ٠٠ التى لم تعرفينها الا منذ لحظات .

— عزيزتى مس وود هاوس ٠٠ يمكن عمل اشياء كثيرة ٠٠ وكل جيرانها ٠٠ وكل من يجرؤ على التنفيذ انت وانا ٠٠ ليس لنا ان نخاف اذا ما نفذنا المثال ٠٠ وكثير منهم ســـوف يتبعوننا ٠٠ وليس كلهم فى موقفنا ٠٠ اننا نملك العربات لناخذها ٠٠ ونعيدها الى المنزل ٠٠ ونحن نعيش فى مستوى ٠٠ بحيث لا يمكن الا أن يجعل « جين فاريفكس » تشعر بالرضا ٠٠ والراحة على الأقل ٠٠ اننى أكون ســـعيدة لو أخذنا « رايت » ٠٠ للغذاء ٠٠ ومعنا « جين فاريفكس » أوه ٠٠ ولكننى اكون منشغلة باعمال المنزل ٠٠ ولكن ٠٠ نحن لا يهمنا المصاريف ساحاول أن أجعل منزلى ٠٠ مثل « مابل جروف » تماما ٠٠ ولو اننا لا نحاول أن نضاهى ٠٠ اخى « مستر ساكلنج » فى دخله ٠٠ أنه أكثر منا بكثير على أى حال ٠٠ ان قرارى النهـــائى هو ٠٠ اننا يجب أن نلاحظ « جين فاريفكس » وانا من ناحيتى ٠٠ سوف ادعوها دوما ٠٠ الى منزلى ٠٠ وسوف أقدمها الى معارف كثيرين ٠٠ وأعمل لها حفـــلات موسيقية ٠٠ وولائم ٠٠ لتظهر موهبتها ٠٠ كما سوف أدعو كل الجيران بالمقاطعات المجاورة ٠٠ على مدى اتساعها ٠٠ وفى وقت قصير بالطبع ٠٠ سوف أجد لها الشخص الذى يناسبها ٠٠ اننى متاكده من اعجاب الناس بها ٠٠ كما اننى سوف أقدمها الى أخى ٠٠ وأختى ٠٠ حين حضورهما ٠٠ ؟

— اوه ٠٠ سوف يحبونها كثيرا ٠٠ وهى عندما تعتاد عليهما ٠٠ سوف يذهب عنها الخوف ٠٠ اننى ســـــوف ابقيها دائما معنا ٠٠ اثناء زيارة أخى وأختى ٠٠ كما اننى سوف أجـــد لها مكانا معنـــا فى ٠٠ « الباروش لاندو » لتشاركنا فى رحلات الاستكشاف وفكرت ايما :

— « ايتها المسكينة » « جين فاريفكس » أنت لا تستحقين هذا ٠٠ يا مسكينة ٠٠ يا بائسة ٠٠ لابد وانك قد اخطات فى حق مستر ديكسون ٠٠ وهذا هو عقابك الذى يجب أن تتحمليه ٠٠ ؟

العقاب القاس ٠٠ هو « عطف وحماية ٠٠ مسز ايلتون » ٠٠ اه يا جين فاريفكس ٠٠ وياجين فاريفكس ٠٠ لك السماء ٠٠ آه ٠٠ لشـــد ما اخاف ٠٠ أو أخشى ٠٠ أن تنتقل هذه الحماية ٠ منك الى « ايمـــا وود هاوس » ولكن ٠٠ بشرفى ٠٠ وبشرفى ٠٠ أنه لا توجد أى حدود ٠٠ للحد من اسان هذه المراة ٠٠ » ؟

(ايمـــــا)

ولم تعد ايما تنصت الى مثل هذه الترهات ٠٠ وبالفعل ٠٠ تحولت عنها مسز ايلتون ٠٠ نهائيا ٠٠ واصبح كل اهتمامها بجين فاريفكس ٠٠ بماذا تشعر ٠٠ وماذا تحب ٠٠ وماذا يجب أن تصنع من أجلها ٠٠ وقد بدت جين مستمتعة بهذا الاهتمام ٠٠ وعرفان ٠٠ ، مس بيتس » بجميل ٠٠ « مسز ايلتون » كان شديدا ٠٠ حارا أنها أجمل وأرق امرأة ٠٠ ولم تكن دهشة ايما من كل هذا الا ملاحظتها أن « جين فاريفكس » تتقبل كل هذا الاهتمام بها ٠٠ وبمواهبها ٠٠ دون أى اعتراض ٠٠ وكانت تسمع دائما عن نزهاتها مع « الايلتونز » وتمضيتها يوما مع ٠٠ « الايلتونز » كان هذا فى الحقيقة شىء مستغرب جدا ٠٠ فانها لم تتصور أبدا ٠٠ أن يسمح ذوق ٠٠ وكرامة ٠٠ وكبرياء ٠٠ « جين فاريفكس » بالتداخل فى مثل هذا المجتمع ٠٠ والتأقلم ٠٠ مع مثل هذه الصداقة ٠٠ التى تعرضها ٠ « الأبرشية » ٠ ؟

وفى ذهول ٠٠ كانت « ايما » تحادث نفسها ٠٠ « انها لغز ٠٠ نعم ٠٠ جين فاريفكس هذه ٠٠ لغز ٠٠ ولغز محير ٠٠ كيف انها تسمح لنفسها بالبقاء ٠٠ هنا ٠٠ شهرا وراء شهر ٠٠ تحت رعـــاية أشخاص وألوان متباينة ٠٠ ثم تختار حماية مسز ايلتون راضية ٠٠ وأحاديثها ٠٠ بل وطغيانها على حياتها ٠٠ بدلا من العودة الى هؤلاء الرفاق الممتازين ٠٠ الذين أحبوها دائما ٠٠ محبة حقيقية ٠٠ بثراء ٠٠ وعظمة ٠٠ وكرم٠٠٠؟

لقد حضرت جين فاريفكس الى هايبرى ٠٠ لتمضية ثلاثة أشهر ٠٠ وذهب ٠٠ « التشامبلز » الى ايرلندا لثلاثة أشهر ٠٠ ولكن ٠٠ الآن تغير ٠٠ كل شىء ٠٠ ووعد الابوان ابنتهما بالبقاء عندها فى ايرلندا ٠٠ الى منتصف الصيف على الأقل ٠٠ وأرسلت دعوة حديثة جديدة ٠٠ سريعة الى « جين فاريفكس » لتلحق بهم هناك ٠٠ وكل هذه الاخبار اتت من « مس بيتس » وقالت أيضا ٠٠ ان مسز ديكسون قد كتبت الدعوة عاجلة ٠٠ولكن جين لم تسافر ٠٠ وأرسلوا الخدم ٠٠ ثم الأصدقاء ٠٠ ولكن لم تقرر أى سفر ٠٠ وظلت فى مكانها على ما هى عليه ٠٠ ؟

وقالت ايما فى النهاية كختام لهذه المعلومات ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لابد وأن يكون عندها ٠٠ سببا « قويا » جدا ٠٠ يقع تحـــت نوع من

العقاب ‥ أو القصاص من « التشامبلز » ‥ أو ‥ منها هى نفسها ‥؟ نعم ‥ نعم ‥ هناك خوف عظيم ‥ ونتيجة غريبة ‥ أو ألم كبير ‥ أو اثم ‥ أو خوف ‥ أو رهبة ‥ أو ماذا ‥ ؟ لتبعد ‥ وتبعد ‥ وتبعد . والا تكون مع « الديكونز » ‥ ؟ هذا شىء محير ‥ ولكن ‥ هذا ‥ هذا أيضا الذى يحدث منها ومن « الايلتونز » هنا ‥ أيضا لغز آخر ‥ منفصل تماما ‥ ؟

ونتيجة لتفكيرها ‥ ورأيها أو تعجبها الذى اعلنته بصوت عـال ‥ ومن القلائل الذين يعرفون رأيها ‥ عن مسز ايلتون » ‥ تدخلت مسز ويستون لتقدم هذا العذر لجين قائلة :

— لا يمكننا أن نعترض ‥ أنهـا تحظى بمتعة هنـاك فى الأبرشية يا حبيبتى ايما ‥ ولكن ‥ على ما يبدو ‥ أفضل كثيرا من بقائها فى المنزل ‥ ان خالتها مخلوقة طيبة ‥ ولكن ‥ كرفيقة دائمة ‥ لابد وان تكون مزعجة ‥ لابد أن نجد الاعـذار لمس فاريفكس ‥ ونفهم وجهة نظرها ‥ قبل ان نوجه اليها اللوم .

قال مستر نايتلى بحرارة واندفاع .

— أنت على حق فيمـا تقولين يا مسز ويستون ‥ ان مس فاريفكس لها من الوعى الكافى لكى تشكل رأيها ‥ عن مسز ايلتون ‥ مثلما شكلناه نحن تماما » ‥ ولكى تختـار من يرافقها ‥ فهى لم تختار ‥ (ثم ببسمة لها مغزى نحو ايما) ولكنها لقيت اهتماما خاصا من مسز ايلتون ‥ لم تجده من أحد هنا ‥ ؟

وشعرت ايما ‥ ان مسز ويستون قد غمزت لها بعينها ‥ وكانما لتذكرها بما سبق ‥ وقالته لها ‥ وهى نفسها صعقت من حراراته ‥ ودفاعه ‥ وانفعاله ‥ وبخجل ‥ وأحمـرار ‥ ووهن ‥ اجابت على الفـور :

— مثل هذا الاهتمام الذى تبديه نحوها ‥ مسز ايلتون ‥ كان يجب أن يقابل بالازدراء ‥ والاحتقـار من مس فاريفكس ‥ انني لا اتخيل أى شىء . الا زهو ‥ مسز ايلتون بالدعوة ‥ ؟

قالت مسز ويستون :

— اننى لا اتعجب ٠٠ اذا ماكنت ٠٠ مس فاريفكس ٠٠ لم ترسل الى هناك بمحض رغبتها الخاصة ٠٠ بل بدفع من خالتها ٠٠ التى وافقت بناء على ترحيب واعجاب ٠٠ وتشجيع مسز ايلتون لهـــا ٠٠ اوه ٠٠ مسكينة « مس بيتس » ٠٠ لابد وانها تفتقد حبيبتها ٠٠ وانها لم تفعل ما فعلت ٠٠ الا لرغبتها فى ادخال بعض المسرات على نفس صغيرتها٠٠ ٠٠ بدلا من حياتهـــا الروتينية ٠٠ الكئيبة ٠٠ انها ارادت لها بعض التغيير ٠٠٠ ؟

وازداد توتر الاثنتين ٠٠ وذهولهما ٠٠ بل وتعجبهما ٠٠ عندما سمعاه ٠٠ يتكلم ثانيا ٠٠ بعد لحظة ٠٠ ليقول :

— شىء أخر ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا ٠٠ ان مســـز ايلتون ٠٠ لا تتكلم الى مس فاريفكس ٠٠ كما تتكلم عنها ٠٠ أننا جميعا ٠٠ نعلم الفرق الشاسع ٠٠ من النطق بكلمة ٠٠ هى ٠٠ أو هو ٠٠ من من أنت ٠٠ ؟ اشياء غريبة يتكلمون بها عنها ٠٠ ولكن أمامنا ٠٠ فهذا شىء مختلف تماما ٠٠ وهكذا بالنسبة لمسز ايلتون ٠٠ ومس فاريفكس ٠٠ انها ٠٠ عندما تتكلم معها ٠ ٠فانها تتكلم بكل احترام وتقدير ٠٠ أننا نعلم كلنا ان مس فاريفكس ٠٠ تعلم جيدا صفات ٠٠ مسز ايلتون ٠٠ وانها لم تصادف امرأة مثلها من قبل ٠٠ وانها تتصرف معها ٠٠ لتتعرف على شخصية جديدة عليها ٠٠ بمنتهى الحرص ٠٠ والحذر ٠٠ ؟

قالت ايما :

— اننى أعرف ٠٠ كم ترتفع مشاعرك وتسمو ٠٠ مع « جين فاريفكس » ٠٠ أوه ٠٠ ؟

وهنا ٠٠ لاح لها الصغير هنرى ٠٠ وصعقت ٠٠ عندما مزجت بينه وبين جين فاريفكس ٠٠ وصمتت ولم تجد ما تقوله ٠٠ وأجاب هو :

— نعم ٠٠ وكل شخص يجب أن يعرف كم هى مرتفعة فى نظرى ٠٠ وكم أفكر فيها ٠٠ برفعة سمو ٠٠ ؟

قالت ايما ‥ مبتدئة بالتحدى ‥ بنظرة لائمة ‥ ولكنها ٠ سرعان ما استوقفتها ‥ ووجدت انه من الأفضل أن تعرف كل شىء ‥ قبل أن تثيره ‥ وتهاجمه ‥ وأسرعت تقول :

— ولاشك ‥ فى أنك أنت نفسك ‥ تجد انه من الصعب عليك ان تفهم ‥ لماذا كل هذا التقدير ‥ وربما سوف تندهش من ذلك فى يوم أو آخر ‥ ؟

وكان مستر نايتلى ‥ منهمكا فى محاولة جمع رباط حـــذائه ‥ وشىء آخر جعل الاحمرار يندفع الى وجهه ‥ وهو يقول :

— اه ‥ أخيرا ‥ ها أنت ‥ لقد نبهنى مستر كول ‥ منذ ستة أسابيع ‥

وتوقف عن الكلام ‥ وشعرت « ايما » بمقدمة حذاء مسز ويستون فى قدمها ‥ وهى تلفت نظرها ‥ بطريقة غير ملحوظة ٠

وفى لحظة ‥ استمر يقول :

— على أى حال ‥ اننى أوكد لكما ‥ ان هذا لن يحدث مطلقا ‥ فان مس فاريفكس ‥ لن تأخذنى الا اذا أنا سألتها ‥ وأنا ‥ من جهتى متأكد تماما من أننى ‥ لن أسألها أبدا ‥ ؟

وأجابت ايما صديقها ‥ وهى شديدة الفرح ٠ ٠والسعادة :

— انك لست عاتبا ‥ ولا مغرورا يا مســـتر نايتلى ‥ وانى أقول لك ذلك ‥ ؟

وكان يبدو عليه شدة الانشغال بأفكاره ‥ بحيث كان من الصعب عليه ‥ ا نيسمع قولها ‥ ولكنه تكلم بعد ذلك ‥ فى لهجة تدل على عدم الارتياح ‥ ؟

— اه ‥ اذا ‥ لقـد قـــــررت باننى يجب أن أتزوج « جين فاريفكس » ؟

— اوه ‥ فى الحقيقة ‥ لا ‥ لم أقرر انك تسبنى ‥ وتهيننى ‥ حينما تقول باننى أحاول أن أزوجك ؟ هــــذه ليست حريتى ‥

ولا سلطتى .. ما قلته الآن لا يعنى شيئا . .ان الانسان يتكلم .. مثل هذه الاشياء دون ما غرض معين .. فى ذهنه .. او معنى جاد .. انه كلام فقط .. كلام .. اوه .. صدقنى .. أننى لا أتمنى ولا أرغب .. ولا أطلب لك الزواج .. من .. « جين فاريفكس » أو أى جين أخرى.. أنك أبدا لن تاتى وتجلس معنا هذه الجلسة المريحة ..انكنت متزوجا ؟

وجلس مستر نايتلى يفكر ثانيا .. وكان من نتيجة هذا التفكير قوله:

— لا .. لا .. يا ايما .. لا .. ؟ اننى لا أعتقد أن اعجابى بها - سوف يصل بى الى حد الاندهاش أو عمل مفاجأة .. اننى أبدا لم أفكر فيها من هذه الناحية .. وبعد كل هذا .. فان جين فاريفكس .. امرأة صغيرة فاتنة حقا .. ولكن .. حتى « جين فاريفكس » ليست سوية .. ان عندها غلطة .. وهى ليست .. الروح المنطلقة .. والخلق المفتوح .. المريح .. الذى يمكن للرجل ان يطمع فى جعلها زوجة ..؟

واحتارت ايما فيما سمعت .. ولكن بفرح .. ان عندها .. غلطة ؟

قالت : حسن : .. وانك قد استمعت الى مستر كول هيه .. ؟ اليس كذلك ..؟

— نعم .. منذ لحظة .. لقد اشار الى ذلك .. اشارة طفيفة .. وقد اخبرته بأنه مخطىء .. مخطىء .. فسألنى العفو .. والمعذرة .. ثم لم يزد على ذلك .. ؟ ان كول لا يريد أن يشوش .. أو يتكلم عن جيرانه .. ؟

— وفى هذا الموضوع .. هذه المسز ايلتون .. التى تريد أن تكون حكيمة .. وشاهدة امينة اكثر .. وأعظم من أى واحد فى العالم أننى أتعجب .. كيف تتكلم عن « الكولز » .. وبماذا تدعوهم .. وتناديهم .. كيف تجد هذا الاندفاع والتبذل .. وفى سرعة الاعتياد .. انها تدعوك « نايتلى » .. وماذا اذا .. سوف تنادى « مستر كول » .. ولهذا فاننى لا اتعجب .. من أن جين فاريفكس .. رحبت بدعوتها .. وقررت ان تكون معها .. ؟

« مسز ويستون » ٠٠ ان مبادئك فعلت معى الـــكثير ٠٠ اننى لا يمكن ان أهرب من أحضانك الى احضان مسز ايلتون ٠٠ كما فعلت « جين فاريفكس » أننى لا اتعجب ٠٠ ولا اندهش ٠٠ عندما تأخذها معها ٠٠ فى ولائمهـــــا المتبـــذلة ٠٠ والبراوخ لاندو ٠٠ واكتشافاتها العجيبة ٠٠ ؟

قال مستر نايتلى :

ــ ان لجين فاريفكس مشاعرها الرقيقة ٠٠ واحساساتها المرهفة ٠٠ اننى اعرف ذلك ٠٠ واعصابها قوية ٠٠ وتصرفاتها ممتازة ٠٠ وعندها ميزة الصبر ٠٠ وضبط النفس ٠٠ ولكنها تريد الانفتاح ٠٠ التحرر ٠٠ ؟

انها محجوزة ٠٠ نعم ٠٠ سجينة ٠٠ هذه هى المسألة ٠٠ سجينه أكثر مما اعتادت ان تكون فى حياتها السابقة ٠٠ واننى اعشق الروح المتحررة ٠٠ لأن ٠٠ لا ان اشارة مستر كول ٠٠ لم تدخل الى عقلى أبدا ٠٠ ولا يمكن أن تدخل فى عقلى ٠٠ لقد رأيت « جين فاريفكس » ٠٠ وتحادثت معها ٠٠ بكل الاعجاب ٠٠ والسعادة ٠٠ دائما ٠٠ دائما ٠٠ ولكـــن ٠٠ بدون أى غرض ٠٠ أو فكر من أى نوع ٠٠ ؟

قالت ايما بلهجة ظافرة ٠٠ وبانتصار فـــرح ٠٠ حال خروجه من الغـــرفة :

ــ هيه ٠٠ حسن ٠٠ حسن جدا ٠٠ يا مسز ويستون ٠٠ وماذا تقولين الآن عن زواج مستر نايتلى ٠٠ وجين فاريفكس ٠٠ ؟

ــ اوه ٠٠ لماذا ٠٠ ؟ لماذا يا حبيبتى ٠٠؟ اننى يمكن ان اقول ٠٠ أنه مشغول أكثر ٠٠ بالفكرة ٠٠ عن الحب ٠٠ واننى لن اتعجب ابدا ٠٠ اذا ما كانت سوف تنتهى فى النهاية الى هذا الأمر ٠٠ هيه ٠٠ وأرجو حينئذ ٠٠ لو حدث هذا فعلا ٠٠ الا ٠٠ تضربيننى ٠٠ ؟



الفصل الثالث والثلاثون

كل فرد فى « هايبرى » وكل من حولها ٠٠ الذين كانوا يعرفون مستر « ايلتون » ٠٠ حرصوا على الاهتمام به ٠٠ بعد زواجه ٠٠ ومن ثم ٠٠ فقد أقيمت الولائم ٠٠ والحفلات ٠٠ وارسلت الدعوات ٠٠ وكثرت اللقاءات ٠٠ والزيارات ٠٠ حتى اضحت الحيـــــاة ٠ كتلة من النشاط والبهجة ٠ لم يسبق لها مثيل ٠٠ فى يوم من الأيام ٠٠ ؟

وقالت هى : أنظر ٠٠ انظر ٠٠ أية حياة خلقتها لك ٠٠ أية حياه ٠٠ وصلت اليها ٠٠ بفضلى أنا ٠٠ ؟ وانني أعد ٠٠ ودائما عند كلمتى ٠٠ اننا فى الحقيقة ٠٠ احضرنا المدنية والحيـــاة ٠٠ الى هايبرى ٠٠ هذه البلدة ٠٠ التى لم تكن شيئا ٠٠ وأصبحت كل شىء ٠٠ من الاثنين ٠٠ الى السبت من كل أسبوع ٠٠ تشتعل حمى الزيارات والحفلات ٠٠ انظر ٠٠ انظر ٠٠ أية حياة ٠٠ ؟

ولم تغفلها أية دعوة ٠٠ وعاداتها فى « باث » اعطتها الفرصة ٠٠ لممارسة نفس العادة ٠٠ بالسهرات المسائية ٠٠ وهذا كان لها شىء طبيعى ٠٠ جدا ٠٠ «ومابل جروف» علمتها تذوق الطعام ٠٠ وطريقة تقديمه ٠٠ وقد شعرت بقليل من خيبة الأمل ٠٠ لعدم وجود غرفتى استقبال لحفلات « الكيك » وأيضا لعدم وجود ثلج فى « هايبــــرى » ٠٠ ولقاءات لعب الورق ٠٠ ؟ وكانت لمسز بيتس ٠٠ ومسز بيرى ومسز جودارد ٠٠ وأخريات فضل كبير ـ لمعرفتهن بالعالم ٠٠ وحاولن استعراض معلوماتهن وخبرتهن الواسعة ٠٠ ولكنها لم تدع لهن الفرصة ٠٠ بل استعرضت هى معلوماتها ٠٠ فى كيفية ترتيب هذه الحفلات ٠٠ وتنسيقها ٠٠ واختيار الوقت الملائم لها ٠٠ وعلى ذلك ٠٠ فان الربيع ـ كما رتبت مسز ايلتون ـ سيكون من أنسب الاوقات لموائد اللعب ٠٠ بنظام خاص ٠٠ والشموع ٠٠ كما يجب اضافة عدد من الساقين ٠٠ ليطوفرا بالموائد ٠٠ لتقـــديم المشروبات ٠٠ واضفاء الانشراح ٠٠ بطريقة دورية ٠٠ منظمة ٠٠ لطيفة ٠٠ ؟

وفى نفس الوقت ٠٠ كان لابد لايما ٠٠ من المشاركة فى تبادل هذه اللقاءات ٠٠ والحفلات ٠٠ والا تكون متأخرة ٠٠ أو غيورة ٠٠ أو أى شىء ٠٠ ان لم تقدم مشاركتها مثل باقى الجيران ٠٠ وعلى هذا كان لابد من اقامة وليمة فى « هارتفيلد » ٠٠ تخصص لهذا الغرض ٠٠ وبعد

ان تفاهمت ايما مع مستر وود هاوس ٠٠ بالطبع ٠٠ وكعادته دائما ٠٠ أبدى الصعوبات من اقامة هذه الوليمة ٠٠ وأخيرا ٠٠ أبدى اعتراضه من جلوسه فى نهاية المائدة ٠٠ ومن سوف يهتم به ٠٠ وو ٠٠ الخ ؟

وبعد ذلك ٠٠ جـــاء دور التفـــكير فى المدعويين ٠٠ بجانـــب « الايلتونز » بالطبع كان هناك ٠٠ « الوستونز » ومستر نايتلى ٠٠ وبالطبع كان هذا فوق الكل ٠٠ ثم أخيرا ٠٠ جاء دور المسكينة «هارييت» ٠٠ فلا بد ان تدعى لتكمل الثمانية أشخاص حول مائدة الغذاء ٠٠ وعلى أى حال ٠٠ لقد سعدت ايما حين ابدت هارييت رفضها للدعوة٠٠فانها لن تكون فى حالة طيبة ٠٠ وهى ترى مستر ايلتون غارقا ٠٠ فى السعادة ٠٠ مع عروسه الفاتنة ٠٠ دون ما شعور باحساساتها ٠٠ وقالت هارييت: اذا كانت مس وود هاوس لا تغضب ٠٠ فاننى أفضل أن ابقى بالمنزل ٠٠ وكان هذا الجواب فى صالح ايما ٠٠ وقد أعجبت جدا بشجاعة صديقتها الصغيرة ٠٠ اذا ٠٠ فلم يبق هناك ٠٠ بد من دعوة الشخص الثامن ٠٠ وهى « جين فارفيكس » ٠٠ فانه ٠٠ منذ حديثها الأخير عنها ٠٠ مـــع مستر ومسز ويستون ٠٠ وتلميحات مستر نايتلى اليها ٠٠ حين قال أن جين فاريفكس ٠٠ قبلت دعوة مستر ايلتون ٠٠ لأنها وجدت انها الشخص الوحيد الذى يهتم بها ٠٠ ؟

قالت لنفسها ٠٠ « هذا حقيقى ٠٠ على الأقل بالنسبة لى أنا ٠٠ فانه قطعا يعنينى بهذا الكلام ٠٠ وهذا فى الحقيقـــة شىء مخجل ٠٠ مخجل تماما ٠٠ من نفس العمر ٠٠ ومعرفة دائما ٠٠ العمر كله ٠٠ لا ٠٠ كان يجب أن أبدى نحوها صداقة أكثر ٠٠ ومحبة أكثر ٠ لقد أهملتها وقتا طويلا جدا ٠٠ والآن٠٠ يجب ان أبدى نحوها من الاهتمام ٠٠ مالم أفعله من قبل ٠٠ ؟

ونجحت كل الدعوات ٠٠ فى تلبيتها ٠٠ ولكن ٠٠ ظهر ظرف ٠٠ سىء الحظ ٠٠ هو أن الطفيلن « نايتلى » كان مقررا لهما من زمن ٠٠ تمضية يوم من أيام الربيع عند جدهما ٠٠ وخالتهما ٠٠ فى « هارتفيلد » ٠٠ وتصادف أن كان اليوم المقرر هو نفس يوم حفل الغذاء ٠٠ وبالطبع كان حضور مستر نايتلى ٠٠ أمرا لا مفر منه ٠٠ وبهذا أصبح عـــدد

الجالسين حول المائدة ·· تسعة أشخاص ·· وفى هـــذا مايثير ثائرة مستر وود هاوس ·· وتوتر أعصابه ·· بحيث لا يمكن تحمل مثل هـذا العـــدد ·

ولكنها ·· طيبت خاطر والدها ·· وأن تسعة أشخاص مثل ثمانية ·· ولا فرق هناك ·· ولكنها رأت نظراته الحزينة ·· التى تعبر عن مدى ألمه ·· ؟

ولحسن الحظ ·· فقد حدث حادث مفاجىء ·· لطيف جدا ·· بالنسبة لمستر وود هاوس ·· وليس « لايما » ·· ؟ ففى يوم الحفـل حضر ·· « جون نايتلى » ·· ولم يحضر مستر ويستون ·· لظهور عمل مفاجىء له فى المدينة ·· وربما يتمكن من اللحاق بهم فى المســاء ·· فقط ·· ولكن ·· بالتأكيد ·· ليس على الغذاء ·· ؟

وهنا ·· هدأت نفس مستر وود هاوس » ·· وشعر بالراحة التامة ·· ثم حضور الطفلين ·· مما اضفى على الجو الهدوء ·· وبالتالى على ايمـا ·· لتحسن الموقف ·· وسيره وفق رغبات والدها ·· ؟

واتى اليوم ·· واجتمع المدعوون ·· وبدأ مستر نايتلى ·· بشوشا ·· مقبولا ·· وبدلا من أن ينفرد بأخيه ·· انفرد بمس جين فاريفكس ·· والحديث معها · ·ونظر فقط الى مسز ايلتون ·· باناقتها وبوكلاتها ·· اما جين فاريفكس ·· فهى معرفة قديمة ·· وفتاة هادئة · يمكنه ان يتحدث اليها ·· ولانه كان قد قابلها قبل الافطار ·· حين عودته مع أطفاله الصغار ·· وكانت حينئذ السماء قد بدأت ترسل قطراتها ·· كان من الطبيعى جدا ان يتحدث معها فى هذا الموضوع :

— اه ·· ارجو الا تكونى قد أوغلت كثيرا هذا الصباح يا مس فاريفكس ·· أو تكونى قد أصبت بالبلل ·· لقد رجعنا الى المنزل بصعوبة فى الوقت المناسب ·· ؟

أتمنى أن تكونى أنت أيضا قد تمكنت من العـــودة قبـــل ازدياد المطـــر ·· ؟

قالت : لقد ذهبت فقط الى مكتب البريد ·· وتمكنت من العودة

قبل انهمار الأمطار .. انها جولتى اليومية .. دائما اذهـــب لالتقاط الخطابات .. طوال فترة اقامتى .. هنا .. إنه شئ يجعلنى اخرج .. واستنشق الهواء .. ويجنبنى القلق .. فان السير قبل الأفطار .. فى الصباح .. شئ مفيد جدا .. ؟

— لا . لا .. لا .. اتخيل السير فى المطر .. ؟

— بالطبع .. ؟ ولكن ليس دائما .. حينما اخرج .. تمطر.. ؟

وابتسم مستر جون نايتلى قائلا :

— هذا يجعلنا نقول .. بأنك تختـــارين دائما الوقت الذى تخرجين فيه .. فانك لم تبعدى ستة ياردات .. عن باب بيتك .. عندما صادفنى الحظ السـعيد لمقابلتك .. وفى نفس اللحظة .. كان هنرى وجون يعدان قطرات المطر .. التى كانت تتزايد فى نفس الوقت .. ولا يستطيعان ملاحقتها بالعد .. ؟ هيه .. ؟ ان مكتب البريد يشكل نقطة منعشة فى حياتنا .. عندما تعيشين لمثل سنى .. سوف تؤمنين بأن الخطابات لا تستحق كل هذا التعب .. والخروج من أجلها .. تحت وابل المطر .. ؟

وكان هناك .. أحمرار .. وخجل .. ثم الاجابة :

— اننى يجب الا أحلم بأن أصل الى مثل سنك ولو أننى .. وحتى لو وصلت الى منتصف عمرى فاننى سوف لا ابالى بالخطابات أبدا ؟

— لاتبالى .. اوه .. اننى أبدا لم أطلب منك الا تبالى .. ليست الخطابات بموضوع اللامبالاة .. فانها عادة .. لغة ايجابية .. :

— انك تتكلم عن خطابات العمل . اما أنا .. فخطاباتى كلها .. صـداقات .. ؟

اجاب هو ببرود :

— اننى دائما كنت .. ولازال اعتبرها أسوأ من الاثنين .. خطابات العمل .. كما تعلمين .. ربما تعود بالمال .. اما خطابات الصداقة .. من الصعب عليها جدا .. ان تفعل شيئا .. ؟

— اه انك الآن لا تتكلم بجدية .. نعم .. فما اعلمه .. عن

مستر جون نايتلى .. يجعلنى متأكدة تماما . .من أنه يقدر قيمة الصداقة .. كأى انسان اخر .. اننى لا أصدق ان الخطابات لا تشكل شيئا بالنسبة لك .. كما هى بالنسبة لى .. ؟

واننى أعتقد .. أنها ليست هذه العشر سنوات التى تكبرنى بها .. هى التى تجعلك لا تهتم بالخطابات بل هو الموقف .. ووضع كل منا .. فانك فى وضعك هذا .. وفى موقفك هذا .. لك كل مالك من التمتع .. وكل عزيز لديك .. يعيش معك . واحبائك بالقرب منك .. لا حاجة بك الى ارسال الخطابات .. ؟

اما بالنسبة لى أنا .. وحتى تكتمل لى عواطفى .. وتهدأ مشاعرى .. وأجد راحتى .. فليس لى الا مكتب البريد .. أهرع اليه خارجا .. ولو كان الطقس أسوأ مما هو اليوم .. والامطار منهمرة ..

قال جون نايتلى :

— عندما تكلمت عن تقدم الزمن بك .. أو تقدمك فى السن ..

فأننى قصدت أن أوضح تغير الوضع الذى يغيره الزمن..لقد أدخلت فى الاعتبار .. كل انسان .. ان الزمن دائما يغير كل ما يدور فى حلقة مفرغة .. ولكن .. ليس هذا تصورى .. فى التغيير الذى حدث بشأنك انت يا مس فاريفكس .. فان تقدمك عشر سنين .. سوف يجعلك تركزين الموضوع .. والغرض .. والهدف .. كما افعل أنا .. الآن .. ؟

قالت بعد فترة صمت طويلة .. « شكرا » .. ؟

وكأنها تضحك منها .. ولكن أحمرار الوجه .. ورعشة الشفتين .. ودموع العينين .. كان يشعر بها كل فرد .. انها تختفى وراء تمثيلية الابتسام .. وكطبيعة مستر وود هاوس .. الرقيقة .. واهتمامه الزائد بمشاعر السيدات خاصة .. واطرائهن .. انهى الموضوع قائلا برقته الزائدة .. وتعاطفه الفياض :

— اه يا مس فاريفكس .. اننى حزين جدا لخروجك هذا الصباح فى المطر .. لا .. ان السيدات الصغيرات لابد وان يراعين

أنفسهن .. ان السيدات الصغيرات زهرات رقيقة .. لابد ان يأخذن احتياطهن من البرد .. ويهتممن بصحتهن .. وعقدهن .. عزيزتى .. هل غيرت جواربك ..

— نعم .. نعم يا سيدى .. حقيقة لقد فعلت ذلك .. اوه .. اننى شديدة الامتنان لعطفك واهتمامك بى يا سيدى .. ؟

— عزيزتى مس فاريفكس .. أننا يجب أن نهتم بالسيدات اليانعات .. ؟ ارجو ان تكون جدتك وخالتك على مايرام .. انهما من صديقاتى القدامى .. كنت أتمنى أن تساعدنى صحتى لأكون جارا افضل .. لقد أعطيتنا شرفا كبيرا اليوم بحضورك .. واننى متأكد .. ان ابنتى .. وأنا شديدى الاهتمام والامتنان لك .. وانك .. امتعتينا .. وأسعدتينا .. واعطيتنا الفرح والرضا بحضورك هنا .. فى .. « هارتفيلد » .

وهنا .. ومن المفروض .. ان القلب الطيب العجوز قد قام بواجبه خير قيام .. وأدى مهمته على مايرام ورحب بكل سيدة جميلة فى داره .. لذا .. لزم له الجلوس .. فى راحة وهدوء .. ؟

وكانت هذه الكلمات عن المطر .. وجين .. قد تطايرت الآن الى آذان .. مسز ايلتون .. وجاء دورها لتفتح الموضوع ثانيا .. قائلة :

— حبيبتى جين .. ماهذا الذى اسمع .. تذهبين الى مكتب البريد فى المطر .. هذا لا يجب أن يكون أبدا .. انت أيتها الفتاة الحزينة .. كيف تفعلين ذلك .. انه شىء محزن حقا .. الا أكون معك .. لاهتم بك .. ؟

وأكدت لها « جين » بمنتهى الصبر .. انها لم تأخذ بردا .. ولا أى شىء .. ؟

— اوه .. لا تخبرينى بذلك .. فى الحقيقة أنت فتاة بائسة .. ولا تعرفين كيف تهتمين بنفسك .. الى مكتب البريد .. اوه .. حقيقة .. هذا شىء بعيد التصديق .. مسز ويستون .. هل سمعت فى

حياتك .. شيئا كذا .. ؟ اوه .. أنت وانـا يجـب علينـا أن نستعمل سلطتنا .. ؟

قالت مسز ويستون برقة وعطف :

— ان نصيحتى هى اننى كنت دائما أشعر انه من الواجب على أن انبه مس فاريفكس بعدم القاء نفسها فى مثل هذه المخاطر .. التى تكون من نتيجتها المحققة برد قاس .. فى الحقيقة يجب أن تكون أكثر حيطة وحذرا .. خاصة فى هذا الوقت من السنة .. فالربيع كما اعتقد دائما أنه من أشد فصول السنة حاجة الى الاحتياط والتيقظ .. وكان من الأفضل الانتظار .. ساعة أو ساعتين او حتى يوما .. بدلا من الجرى فى الأمطار .. لاحضار الخطابات ويعود اليك السعال الشديد والبرد ثانيا والآن .. الا تشعرين بأنك قد أصبت .. بالبرد .. نعم .. اعتقد بأنك قد اقتنعت تماما .. لأنه يبدو عليك الاقتناع التام بعدم العودة الى مثل ذلك .. مستقبلا .. ؟ واعقبت مسز ايلتون بسرور بالغ :

— أوه .. بالتأكيد .. بالتأكيد . .انها لن تعود الى فعل هذا العمل الطائش مرة ثانية .. ونحن أيضا لن نسمح لها بفعله .. ؟

واطرقت برأسها مفكرة .. لتعاود القول :

— نعم .. نعم .. لابد وان يكون هناك ترتيب لذلك .. أوه .. نعم .. ســـوف اتكلم مع مستر « س » .. الرجـــل الذى يحضر لنا خطاباتنا كل صباح .. اوه .. انه رجل من رجالنا .. لقد نسيت اسمه الآن .. ليسأل عن خطاباتك ويحضرها اليك كل يوم بدلا من هذا .. وحتى تجنبك هذه الصعوبات والمخاطر .. فأنك كما تعلمين واحـــدة منا .. نعم .. نعم .. حقيقة يا حبيبتى جين .. اعتقد انك لن ترفضى هذه الدعوة .. وهذه الاقامة معنا .. ؟

قالت جين :

— أوه .. فى الحقيقة .. انت شديدة اللطف .. والعطف .. والكرم .. ولكن هذا .. سوف يمنعنى من نزهتى اليومية .. لقـــد

(ايمـــــا)

نصحونى بالسير صباح كل يوم على قدر استطاعتى ٠٠ ومكتب البـريد ٠٠ سبب يؤدى غرض هذا التمرين اليومى ٠٠ وبالصدق أقول ٠٠ اننى لم اصادف ولا صباح سىء من قبل ٠٠ ؟

قالت وهى تتضاحك عاليا :

— يا حبيبتى جين ٠٠ لا تتكلمى عن هذا الموضوع بعد ذلك ٠٠ لقد تقرر الأمر ٠٠ وقد تعاهدت على ذلك ٠٠ أنت تعلمين يا مسز ويستون ٠٠ أنك ٠٠ أنت ٠٠ وأنا ٠٠ علينا أن نكون حريصتين على اثبات وجودنا ٠٠ ولكننى لا اتملق نفسى يا عزيزتى جين ٠٠ اذا ما قلت ان تاثيرى لم يصادف أى فشل من قبل ٠٠ لقد قضى الأمر ٠٠ وثقتى بأن هذه النقطة قد تحددت ٠

قالت جين بانفعال :

— أرجو المعذرة ٠٠ بأى حال من الأحوال ٠٠ لن أقبل ٠٠ أو أوافق على هذا الترتيب ٠٠ واننى لا اريد ارهاق خدمكم ٠٠ كما اننى أجد سعادتى فى فعل ما افعل ٠٠ حتى هناك ٠٠ عندما لم أكن عنـــد جدتى ٠٠ ؟

— يا عزيزتى ٠٠ أن باتى سوف تقوم بهذه المهمة ٠٠ وانه لعطف منا أن نستعمل خدمنا ٠٠ ؟

ونظرت جين نظرة تدل على انها لا تريد أن تهـــزم ٠٠ وبدلا من الاجابة عليها ٠٠ التفتت الى مستر جون نايتلى ٠٠ وابتدأت الحديث معه ٠٠ ثانيا ٠٠ قائلة :

— ان مكتب البريد هنا ٠٠ رائع التأسيس ٠٠ والنظام ٠٠ فى المواعيد ٠٠ والانضباط ٠٠ فى الحقيقة أنه مذهل ٠٠ مذهل تماما ؟

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ فعلا ٠٠ انه منضبط تماما ٠ ولاخطاب فى الملايين التى تصل ٠ وترسل فى جميع أنحاء المملكة يمكن أن يفقد ٠٠ اعتقد ولا خطاب ٠٠ حتى المعنون خطأ ٠ ٠ابدا لا يضيع ٠٠ ان الأيدى هنا أمينة ٠٠ أمينة جدا على العمل ؟

ـــ فعلا ٠٠ ان العمال ٠٠ والكتبة ٠٠ تنمو عنــدهم الموهبة الذاتية ٠٠ يجب أن يبتداو ٠٠ ويتعلموا بسرعة النظر ٠٠ والأيدى ٠٠ والتمرين يجعلهم يتقدمون ٠٠ ويتقنون العمل ٠٠ اتقانا مذهلا ٠

واستمر قائلا وهو يبتسم :

ـــ اذا ما كنت ترغبين فى مزيد من الاستفسارات فهم يأخذون ثمن ذلك ٠٠ وهذا هو مفتاح القدرة ٠٠ ؟

المدفوعات العامة ٠٠ وهم يخدمونها جيدا ٠٠ ؟

وبعد ذلك ٠٠ استمر الحديث عن الخطابات المكتوبة بخط اليد ٠٠ وصعوبة قراءتها ٠٠ وقال « جون نايتلى » :

ـــ لقد سمعت أن بعض كتابات اليد ٠٠ يدرسونها ٠٠ وهى تعرف تماما ٠٠ ويفرقون ٠٠ بين خطابات الرجل ٠٠ وخطابات المرأة ٠٠ لأن لكل منهما ٠٠ خطه المختلف ٠٠ وهم يدرسونها جيدا ٠ فمثلا أعتقد ان خط ايزابيلا ٠٠ وايما ٠٠ يتشابهان تماما ٠٠ فانني ابدا ٠٠ لم استطع التمييز بين خطيهما ٠٠ ؟

قال أخيه مؤيدا :

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ هناك شبه كبير ٠٠ اننى أعرف ماذا تقصد ٠٠ ولكن يد ايما أقوى ٠٠ ؟

قال مستر وود هاوس :

ـــ ايزابيلا ٠٠ وايما ٠٠ خطهما جميل جدا ٠٠ ؟

ثم بنظرة وابتسامة رقيقة ٠٠ اردف :

ـــ وأيضا خط ٠٠ مسز ويستون ٠٠ ؟

قالت ايما :

ـــ اننى أبدا ٠٠ لم ار خط رجل ٠٠ ؟

ولكنها توقفت عن متابعة الحديث ٠٠ ونظرت الى مسز ويستون

.. ولمحت فى عينيها شىء .. جعلها تجفـــل .. وتمتنع عن اتمام ما بدأت من حديث .. ؟

ومع افكارها : « والآن .. كيف أقدمه اليهم .. هل من حقى أن اتكلم عنه .. واذكر اسمه .. امام كـــل هؤلاء النـــاس .. أليس من الضرورى ان اتكلم كلاما مضغوطا .. أو لا .. اتكلم على الاطلاق .. أه ادور حول الموضوع .. لا يمكننى ان اذكر الاسم .. دون أى تردد .. او خجل .. اننى الآن .. يمكننى الكلام .. وأنا متمالـــكة .. مشاعرى تمامـــا .. » ؟

وكانت مسز ويستون تراقبها .. ؟

وعادت « ايما » الى الكلام ثانيا :

ـــ اعتقد أن خط .. مستر «فرانك تشرشل» هو من أجمـــل الخطوط التى رايتها فى حياتى انه أجمل خط يد .. لرجل .. ؟

قال مستر نايتلى :

ـــ انه لا يعجبنى .. انه صغير جدا .. ويحتاج الى تقوية .. انه تماما .. مثل خط يد « امرأة » واغتاظت ايما .. صائحة :

ـــ أنه خط .. لايحتاج الى تقوية .. فانه وان كان صغيرا .. .. الا أنه واضح وقوى .. أليس لديك يا مسز ويستون أى خطاب .. لتقـــدمينه .. ؟

قالت مسز ويستون :

ـــ لقد سمعت منه أخيرا . .ولكننى لم أرد على الخطاب بعد .. ولا أدرى أين وضعته ؟

قالت ايما :

ـــ اذا ما كنا .. فى الغرفة الأخرى .. أقصد .. فى مكتبى .. فاننى متأكدة م ناننى سوف أقدم مثالا لخطه .. عندى مذكرة منه .. الا تتذكرين يا مسز ويستون .. عندما جعلتينه يكتب لك يوما .. ؟

ـــاوه .. لقد اختار أن يعمل عندى يومها ..؟

— حسن ‥ حسن ‥ انها عندى ‥ نعم ‥ عندى هذه المذكرة ‥ وسوف أعرضها بعد الغذاء لكى افحم ‥ مستر نايتلى ‥ ؟

قال مستر نياتلى :

— اوه ‥ عندما يكتب شاب متباهى ‥ يستعرض نفسه ‥ شاب مثل ‥ « فرانك تشرشل » ‥ هيه يكتب الى سيدة جميلة ‥ مثل « مس وود هاوس » بالطبع ‥ فانه سوف يحاول أن يبدع فى كتابته ‥ وفى تجميل خط يده ‥ ؟

ووضع الغذاء على المائدة ‥ ؟

وقبل ان تتكلم ايما ‥ وتعلن أن الغذاء معد ‥ كانت هى نفسها مستعدة ‥ حتى قبل ان يصل اليها مستر وود هاوس ليطلب منها يدها ‥ لافتتاح المائدة ‥ قالت :

— اوه ‥ هل يجب على ان اذهب أنا أولا ‥ اننى فى الحقيقة أشعر بالخجل ‥ دائما فى المقدمة دائما أقود الطريق ‥؟

ولم يفت ايما ‥ أصرار جين على احضار خطاباتها بنفسها ‥ لقد رأت وسمعت كل شىء وشعرت ببعض الفضول ‥ لمعرفة سبب ذهابها فى الصباح ‥ وتعرضها للخطر ‥ لابد وأن يكون كل هذا العذاب بسبب معين لسماع نباء شخص عزيز عليها ‥ ؟ ورنت اليها كانت السعادة ‥ والروح المعنوية المرتفعة ‥ تقفزان من نظراتها ‥ وروحها.

وحاولت أن تفتح الموضوع بلباقة ‥ وكياسة وتسأل عن الطوابع الايرلندية ‥ وقميتها ‥ وعن ‥ وعن ‥ كانت كل هذه الأسئلة على طرف لسانها ‥ ولكنها كبحت جماح فضولها ‥ وحاولت أن تبتر كل كلمة من الممكن أن تجرح شعور « جين فاريفكس » وخرج الجميع ‥ بسعادة وانشراح ‥ ذراع فى ذراع ‥ لاكمال اليوم البهيج ‥ المتع ‥؟



الفصل الرابع والثلاثون

عندما عادت السيدات الى قاعة الاستقبال ٠٠ بعد الغـــذاء ٠٠ ووجدت ايما ٠ ٠انه من الصعب عليها أن تدير دفة الحديث ٠٠ لا هى ٠٠ ولا مسز ويستون ٠٠ فان مسز ايلتون لم تدع فرصة لأى مخلوق غيرها ان يتكلم ٠٠ اذا ما لم تتكلم بصوت مرتفع ٠٠ انزوت بجاب جين فاريفكس تتهامس معها ٠٠ ولا يسمع من همساتهما الا كلمات ٠٠ « مكتب البريد ٠٠ تصابين بالبرد ٠٠ صداقات ٠٠ عـلاقات ٠٠ لقاءات ٠٠ تأخـــذين الخطابات ٠٠ » وهكذا ٠٠ ؟

وبالنسبة لنشاط مسز ايلتون المتزايد ٠٠ ولعـدم الاحراج ٠٠ فضلت ايما الصمت التام هى ٠٠ ومسز ويستون ٠٠ ؟

قالت مسز ايلتون متحدثة مع جين :

ـــ ولكن ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ ها هو ابريل قادم ٠٠ وحالا يونيو ٠٠ لابد وان نحدد موقفنا من الآن ٠٠ اننى قلقة من أجلك ٠٠ ؟

ـــ ولكننى عادة ٠٠ لا أحدد لنفسى نشاطا ٠٠ لا فى ابريل ٠٠ ولا فى يونيو ٠٠ انه دائما يكون فى فصل الصيف ٠

ـــ حقيقة ٠٠ لم تفعلى شيئا ٠٠ ؟

ـــ اننى حتى لم استفسر عن أى مـكان ٠٠ فاننى لا أرغب فى ذلك الآن ٠٠ ؟

ـــ أوه ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ لابد وان نبتدىء مبكرين ٠٠ وأنه لمن الصعوبة ايجاد المكان المناسب ٠٠ ؟

هزت جين رأسها وهى تقول :

ـــ اننى لست قلقة يا مسز ايلتون ٠٠ ؟

ـــ ولكنك لم تشاهدى العالم ٠٠ كما شاهـــدته انا ٠٠ انك لا تعلمين كم سوف تقابلين من الخطاب فى طوافك معى ٠٠ ودائما من الدرجة الأولى ٠٠ ؟

لقد رأيت عديدا منهم فى جيراننا فى « مابل جروف » ابن عم ٠٠ ٠٠ لمستر ساكلنج ٠٠ ومسز براج ٠٠ كل فرد يتمنى أن ينتمى اليها ٠٠ وأن يدور فى دائرتها ٠٠ شموع فى غرفة الدراسة ٠٠ اقصد فى المكتبة ٠٠

اوه ٠٠ لا تتخيلى كم هو رائع ٠٠ منزلها ٠٠ أوه ٠٠ فى كل منازل المملكة ٠٠ منزل مسز براج ٠٠ هو الوحيد الذى أريد أن أخذك اليه ٠ اه يا جين ٠٠ لابد وان تشاهدينه ٠٠ ؟

واجابتها جين :

ــ ولكن ٠٠ كولونيل ومسز تشامبل سوف يعودون الى المدينة فى منتصف الصيف ٠٠ وانا متأكدة من أنهم سوف يستدعوننى بعد ذلك ـ ربما أو على الأرجح سيكون من دواعى سرورى أن أقدر ما تقترحينه بنفسى ٠٠ ولكننى لا اريد أن أسبب أى ازعاج ٠٠ اوه ٠٠ اننى أعرف متاعبك ٠٠ أنك تخافين من أن تزعجيننى ٠٠ أؤكد لك يا عزيزتى جين ٠٠ انه من الصعب جدا على « التشامبلز » ان يهتموا بك ٠٠ مثـــل اهتمامى انا بك ٠٠ اننى سوف اكتب الى « مسز بارتريدج » فى خلال يوم أو اثنين ٠٠ أطلب منها بيانا ايضاحيها بالأماكن والرحـــلات التى يمكن الذهاب اليها ٠٠؟

ــ شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ ولكننى أرجوك الا تخبريها ٠٠ بهـــذا الموضوع ٠٠ حتى يحين الموعد المناسب فاننى لا اريد ازعاج أى شخص ٠

ــ ولكن ٠٠ يا طفلتى العزيزة ٠٠ ان الوقت يمر ٠٠

نحن الآن فى ابريل ويونيو ٠٠ ويمكن القول أيضا اننا فى شهر يوليو ٠٠ لانه قريب جدا ٠٠ لمثل هذه الأمور ٠٠ يجب تحديدها على الفور ٠٠ المكان ٠٠ والاستفسارات يجب أن تنفذ من الآن ٠٠ وفورا ٠٠؟

ــ أرجو المعذرة يا سيدتى ٠٠ فان هذا لم يكن فى حسبانى على الاطلاق ٠٠ اننى اذا ما اردت الاستفسار والبحث ٠٠ فيمكن عمل كل هذا بنفسى لا عن طريق أصدقائى ٠٠ واننى لا أخشى ٠٠ من اننى لن أجد لى مكانا ٠٠ هناك أماكن عديدة فى المدينة ٠٠ وفى المكاتب ٠٠ اذا ما كنت اريد الاستفسار ٠٠ وهذه المكاتب ٠٠ مخصصة فعلا « لمثل هـــذه الخـــدمات ٠٠؟

ــ اوه يا عزيزتى ٠٠ تقصدين مهنة العبيـــد ٠٠ اوه ٠٠ انك لا تعرفين عما تتكلمين ٠٠ ان مستر ساكلنج ٠٠ يمكنه أن يشير عليـــك باحد هذه المكاتب ٠٠ ؟

— اننى لا أقصد بمكاتب العبيد ٠٠ ولكننى أقصد ان هناك مكاتب للاعلان عن الأماكن التى تستحق الزيارة ٠٠ وعن المجموعات ٠٠ والرحلات وفى الوقت الذى يناسبنى ٠٠ هذا ٠٠ هذا ٠٠ ان رغبت ٠٠ انا فى ذلك ٠٠ سوف أجد ما يناسبنى أيضا ٠٠ ؟

— تجدين شيئا يناسب مشاعرك الرقيقة ٠٠ أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ لن تجدى ما يناسبك ٠٠ أصدقائك فقط ٠٠ هم الذين يستطيعون أن يسعدونك بايجاد المكان ٠٠ والعائلة ٠٠ والمجموعة التى تناسب حياتك ؟

— اوه ٠٠ هذا لا يهمنى بتاتا ٠٠ ان أكون فى مجتمع غنى ٠٠ أو غير غنى ٠ ٠ان أفكارى أبعد من ذلك بكثير ٠٠ اننى سوف أقاسى فقط اذا لم انتمى الى عائلة كريمة ٠٠ ؟

— اوه ٠٠ اننى اعرفك ٠٠ اننى أعرفك ٠٠ ولكننى ساكون معك لطيفة أكثر ٠٠ أننى متأكدة أن « التشامبلز » سيكونون فى صفى ٠٠ مع مزاياك ومواهبك المتعددة ٠٠ يجب أن تتحركى فى صفوف الدائرة الأولى ٠٠ ان مواهبك الموسيقية فقط ٠٠ سوف يجعلك تختارين المكان الذى يناسبك ٠٠ كما اننى متأكدة من أنك تغنين بنفس الموهبة التى بها ٠٠ تعزفين ٠٠ واننى مؤمنة بأنك يجب أن تتربعى فى أعلى مكان تختارينه ٠٠ وهذا سوف أحدده مع « التشامبلز » ٠٠ ولن تهدأ نفسى قبل ذلك ٠٠؟

— أننى شاكرة لك اهتمامك بى مسز ايلتون وشاكرة لكل شخص اهتمامه بى ٠٠ ولكننى أعود فأقرر أننى لا أرغب فى تقرير أى شىء جاد يخصنى ٠٠ ويخص حياتى قبل شهرين أو ثلاثة اما الآن ٠٠ وحتى نهاية هذه المدة ٠٠ فسوف أبقى كما أنا ٠٠ كما أنا ٠٠ وحيث أنا ٠٠؟

أجابت مسز ايلتون بمرح :

— وأنا أيضا جادة تمام الجد ٠٠ فى أن أراقب أصدقائى ٠٠ ولا ادع أى فرصة تفوتهم ٠٠ ؟

وعلى هذا المنوال ٠٠ دارت الاحاديث بلا توقف ٠٠ حتى دخل « مستر وود هاوس » القاعة ٠٠ وهنا ٠٠ تغير الموضوع ٠٠ ومالت مسز ايتلون على جين هامسة :

ـــ اه ٠٠ أخيرا أتى عجوزى الطيب ٠٠

ـــ اننى اذوب فيه ٠٠ اوه ٠٠ ياله من مخلوق حبيب ٠٠ الأدب القديم أنه قريب الى نفسى ٠٠ اكثر من سهولة التمدين ٠٠ اليـــوم فان مدنية الحديث ٠٠ تثير اشمئزازى ٠٠ وتقززى ٠ ٠ولكن هذا العجوز مستر وود هاوس آه ٠٠ لو كنت قد سمعت حديثه المهذب الرقيق ٠٠ لى ٠٠ أثناء الغذاء ٠٠ صدقينى ٠٠ اننى ابتدأت أفكر ٠٠ أن حبيبى سوف يشعر بالغيرة منه ٠٠ اوه ٠٠ اننى محبوبته لقد لاحظ روعة ردائى ٠٠ اوه ٠٠ كيف تجدينه ٠٠ انه اختيار « سيلينا » ٠٠ اوه ٠٠ جميل ٠٠ رائع ٠٠ اليس كذلك ٠٠ ؟ اوه ٠٠ يجب على ان اضع بعض الجواهر الآن ٠٠ فان العروس كما تعلمين يجب أن تظهر بمظهر العروس ٠٠ ولكن ذوقى الطبيعى ٠٠ يحب البساطة ٠٠ فوق كل شىء ٠٠ ان أجمل شىء ٠٠ هو بساطة الرداء ٠٠ ولكن ٠٠ فى منتهى الاناقة ٠ أعتقد أنه لا يوجد كثيرون يؤمنون ببساطة الرداء ٠٠ اوه ٠٠ هل تعتقدين ٠٠ أنه يحب البساطة ٠٠ فوق كل شىء ٠٠ ان أجمل شىء هو بساطة الرداء ٠٠ ولكن ٠٠ فى منتهى الاناقة ٠٠ اعتقد أنه لا يوجد كثيرون يؤمنون ببساطة الرداء ٠٠ اوه ٠٠ هل تعتقدين أنه يجب على أن أضع بعض اللمسات البراقة على ردائى الأبيض الفضى ٠٠ هل يكون منظره أجمل ٠٠هيه ٠٠

وكانت المجموعة كلها مجتمعة فى قاعة الاستقبال عندما ظهـــر بينهم ٠٠ « مستر ويستون » لقد جاء يحضر غداء متأخـــرا ٠٠ وحال انتهائه ٠٠ سارع على الفور ٠٠ الى « هارتفيلد » ٠

وقوبل بالسرور والترحاب وخاصة من مستر وود هاوس ٠٠ الذى فرح بحضوره الآن فقط ٠ ٠وليس قبل ذلك ٠٠ ؟ ولم يظهر الدهشة سوى « جون نايتلى » من رجل يعمل طوال اليوم فى المدينة والمفروض أن يذهب للراحة فى منزله ٠٠ لا ان يحضر حفلا آخر لأجل خاطر الاجتماع بمجموعة من الناس ٠٠ رجل يعمل خارجا من الثامنة صباحا كان من الواجب عليه ان يصمت فى النهاية ٠٠ ويرتاح ٠٠ وحده ٠٠ فى بيته ٠٠ وفى فراشة ٠٠ لا فى زحام وضوضاء ٠٠ ومساء بارد ٠٠ وحضوره الآن ٠٠ سوف لا ينهى الحفل ٠٠ بل يشـــجع على الامتـداد والســـهر ٠٠ اكثر ٠٠ وأكثر ٠٠ ؟

ونظر اليه مستر جون نايتلى بنظرة مستمتعة ثم هز كتفيه قائلا :

— اننى لا أكاد أصدق .. لا أكاد أصدق .. ؟

ولكن .. مستر ويستون كان فى أجمل حالاته النفسية .. مثيرا سعيدا .. مرحا .. كعادته دائما وكل حقوق المتحــدث الرئيسى فى الحفل .. حيث قد أمضى يوما بأكمله .. بعيدا عن مناقشات المنزل .. وسعيد كل السعادة باستفسارات زوجته عن الغذاء وعن الاخبار العامة..؟ التى سمعها .. وهنا .. قدم مستر ويستون الى زوجته خطابا .. ؟ كان من فرانك اليها هى شخصيا .. لقد وجده .. واعطى لنفسه حرية فتحه.

قال لهـــا :

— اقرأيه .. اقرأيه .. أنه سوف يضفى عليك مزيدا من البهجة والسرور .. ؟ انها بضعة أسطر .. لن تأخذ منك وقتا طويلا .. اقرأيه لايمـــا .. ؟

ووضعت السيدتان انظارهما معا على الخطاب .. بينما جلس هو يضحك .. ويتكلم طول الوقت ومهتما أيضا بكل شخص فى الغرفة :

— هيه .. حسن .. حسن جدا .. أنه سوف ياتى سوف يأتى .. أترين .. أخبار حسنه .. حسنه جدا .. اليس كذلك .. ؟ هيــه ماذا تقولين فى هذه الاخبار .. لقد كنت أقول لك دائما .. أنه سوف يعود .. حالا سيعود .. ألم أقل لك ذلك .. مرارا وتكرارا .. ؟ اه يا حبيبتى ألم أقل لك ذلك .. ؟ وأنت لم تصدقيننى فى المدينة .. الأسبوع القادم على الأكثر .. سيكون هنا .. غدا أو يوم السبت .. ؟ اما عن مرضها .. هيه .. ؟ لا شىء بالطبع .. لا شىء .. ولكنه شىء ممتاز .. رائع .. أن نجد فرانك بيننا ثانيا .. قريب جدا فى المدينة .. انهم سوف يقضون وقتا طيبا .. وهو سوف يمضى نصف وقته معنا .. عل ىالأقل .. هذا تماما .. ما كنت اريده .. هيه .. حسن .. حسد جــدا .. أنباء جميلة طيبة .. أليس كذلك .. هل انتهيت من القراءة .. هل قرأته ايما كله .. دعيه .. دعيه جانبا .. سوف نجد وقتــا أطول نتكلم فيه عنه .. أما الآن .. فسوف أوضح الظـــروف للحاضرين بطريقة بسيطة .. ؟

وكانت مسز ويستون فى غاية السعادة لهذه المناسبة المفاجئة .. ولم يفلح أى شيء فى تهدئة نظراتها .. وكلماتها .. التى تعبر عن الفرح الشديد كانت سعيدة .. وتعلم حق العلم .. انها يجب أن تكون سعيدة .. كانت تهنئاتها صريحة .. واضحة .. ولكن .. ايما لم تتمكن من الكلام بطلاقة .. كانت مشغولة .. ومنشغلة . بوزن مشاعرها .. وعواطفها ازاء هذا الحدث المفاجيء .. وحاولت أن تفهم نفسها على حقيقتها .. ؟

اما مسز ويستون .. فقد تركت الضيوف .. كل واحد على سجيته .. مستر جون نايتلى .. فى مناقشة عميقة مع « جين فاريفكس » .. وهنا .. وجد مستر ويستون نفسه .. قريبا .. جدا .. من مسز ايلتون .. ومن اهتمامها .. ونظراتها المستفسرة .. فلم يجد بدا من أن يبدأ حديثه فى الموضوع .. معها أولا .. ؟



الفصل الخامس والثلاثون

قال لها مستر ويستون :

— اننى أرجو أن أتمكن من تقديم ولدى اليك ٠٠ قريبا جدا ٠٠ يا مسز ايلتون ٠٠ ؟

وابتسمت مسز ايلتون ٠٠ ابتسامة عريضة لهذه الرغبة الخاصة ٠٠ التى أبداها مستر ويستون ٠٠ ؟

وأستمر هو يقول :

— لعلك قد سمعت عن فرانك تشرشل الممتاز ٠٠ ؟

وهل تعلمين انه ابنى أنا ٠٠ مع أنه لا يحمل اسمى ٠٠ ؟

— أوه ٠٠ سوف أكون فى منتهى السعادة لمعـــرفته ٠٠ اننى متأكدة أن مستر ايلتون لن يتأخر عن دعوته فورا ٠٠ ونحن الاثنان ٠٠ سيكون من دواعى سرورنا استقباله فى الأبرشية ٠٠ ؟

— انت لطيفة جدا ٠٠ فرانك أيضا سيكون سعيدا ٠٠ انا متأكد من هذا ٠٠ انه سوف يصل الى المدينة الاسبوع القادم ٠٠ ان لم يكن قبل ذلك ٠٠ لقد أخبرنا بهذا فى خطاب وصلنا منه اليوم ٠٠ لقـــد قابلت الساعى ٠٠ ومعه الخطابات صباح اليوم ٠٠ ؟

ورايت خط ولدى ٠٠ فقررت أن أفتحه على الفور ٠٠ ولو أنه لم يكن مرسلا لى شخصيا ٠٠ بل لمسز ويستون ٠٠ انهـــا العنصر الرئيسى لمكاتباته ٠٠ واننى أوكد لك ٠٠ اننى لا أتلقى منه ولا خطاب واحد ٠٠؟

وبضحكة عالية ٠٠ صاحت ٠٠ ؟

— هوه ٠٠ وهـــكذا تفتح الخطاب ٠٠ هـــكذا ٠٠ وهو مرسل اليها هى شخصيا ٠٠ آه يا مستر ويستون ٠٠ اننى احتج على هذا ٠٠ أنه تصرف خطير جدا ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ اننى أرجو ألا يتصرف جيرانك مثل تصرفك ٠٠ ويسيرون على منوالك ٠٠ بشرفى ٠٠ بشرفى يا مستر ويستون اننا نحن النساء المتزوجات ٠٠ يجب علينا أن نسرع بحماية أنفسنا منكم ٠٠ ؟

(ايمـــا)

أوه .. يا مستر ويستون .. أننى لا أصدق أبدا أن تفعل مثل هذه الفعلة الشنعاء .. ؟

— أوه .. نحن الرجال .. فتيان تعساء .. ؟ يجب أن تأخذى حذرك يا مسز ايلتون .. آه .. هذا الخطاب يخبـــرنا .. أنه خطاب قصير جدا . أنه يقول فيه .. أنه قادم الى المدينة فورا .. مع مسز تشرشل لقد كانت صحتها متعبة .. طيـلة الشـــتاء .. وتعتقـــد أن «انسكومب» شديدة الرطوبة بالنسبة الى صحتها .. لذلك .. فانهم سوف يتحركون كلهم الى « ساوثورث » دون أى تأخير .

— حقيقة .. من يوركشير .. هيه .. أعتقد أن انسكومب فى « يوركشير » .. ؟

— نعم .. انها تبعد حوالى مائة وتسعين ميـــلا من لندن .. انها مرحلة معروفة .. ؟

— آه .. كما اعلم .. هى اذا تبعد خمسة وستين ميلا من .. « مابل جروف » الى لندن .. ولكن .. ماهى المسافة يا مستر ويستون .. بالنسبة لاناس لهم مالهم من الثروات .. سوف تذهل .. عندما تعلم أن أخى مستر ساكلنج .. فى بعض الأحيان .. يطير حولها .. انه من الصعب أن تصدقنى .. بل فى بعض الأحيان أيضا .. مرتين أسبوعيا .. هو .. ومستر براج .. يذهبون الى لندن .. ويعودون منها .. بأربعة من الخيل .. ؟

قال مستر « ويستون » .

— ان ضرر المسافة من انسكومب .. هو كما علمنا .. ان مسز تشرشل .. لم تكن قادرة على القيام من سريرها لمـــدة أسبوع .. فى خطاب فرانك الأخير .. انها كانت تتألم .. وتشكو .. ولا تقدر ان تغادر .. مكانها .. الا وهى مستندة على ذراعى .. فرانك .. وعمه .. وهذا يدل على ضعف شديد .. ولكنها .. الآن .. لا تستطيع الصبر على البقاء .. وانها .. سوف تتحمل حتى المبيت ليلتين فى الطريق .. وهذه كلمات فرانك - حتى تغادر « انسكومب » .. حقيقة أن السيدات الرقيقات لهن تصرفات غير عادية .. وانت بالطبع .. توافقينى على

ذلك .. يا مسز ايلتون .. ؟

أوه .. لا .. لا .. بالطبع لن أوافقك يا مستر ويستون .. أننى دائما أخذ الجانب الذى أعلمه من بنات جنسى .. اننى فى الحقيقة سوف أقدم اليك ملاحظة فى هذه النقطة بالذات .. فاننى دائما أقف بجانب النساء .. واننى اوكد لك .. أنك اذا ماعرفت شعور « سيلينا » .. عندما تنام فى غرفة بفندق .. سوف لا تتعجب من أفعـــال مسز تشرشل .. لتجنب آلام جسدها .. ان « سيلينا » تقول .. أنه شيء مفزع بالنسبة لها .. وقد أخذت آنا .. بعض وقتها .. ؟ فهى لا تسافر الا ومعها .. فرشها الخاص .. انه احتياط ممتاز .. هل تفعل كل ما تفعله السيدات الأخريات .. مسز تشرشل .. لن تكون الثانية .. لأية سيدة أخرى فى الأرض .. انهن كلهن سواء .. وقاطعته مسز ايلتون ..؟

— أوه .. مستر ويستون .. ؟ لا تـخطىء فهمى .. سيلينا ليست امرأة جميلة .. أوكد لك .. لا .. لا .. لا تبعد بأفكارك كثيرا .

— هل هى ليست كذلك ..؟ اذا .. فلا قاعدة بينها وبين مسز تشرشل .. اذ أن الاخيرة .. امرأة بديعة .. كما تعتقد كل سيدة فى العـــالم ..؟

وابتدأت مسز ايلتون تعتقد بانها قد ارتكبت خطأ كبيرا فى حديثها المندفع .. وأن اختها ليست سيدة جميلة .. انها أبدا .. لم تقصد أن تقول ذلك ..؟

ولكن .. مستر ويستون أستمر فى حديثه قائلا :

— مسز تشرشل .. ليست ضـــمن نوايايا الطيبـــة .. كمـا تعتقدين .. ولكن .. هذا فقط بيننا وبين .. أنفسنا .. انها مغـــرمة بفرانك .. ولهذا السبب فقط .. لن أتكلم عنها بسوء .. وبجانب ذلك .. فانها فى حالة صحية سيئة .. ولكن فى الحقيقة .. ودائما .. صدقينى يا مسز ايلتون .. باننى لا أقول لأحد .. هـــذا الكلام .. اننى لست مطمئنا تماما .. لحكاية مرض .. مسز تشرشل .. ؟

— أوه . .هل هى مريضة حقيقة .. لماذا لا تذهب الى باث أو كليفتون يا مستر ويستون .. ؟

— لقد ركبت رأسها .. واقتنعت تمام الاقتناع أن « أنسكومب» شديدة البرد بالنسبة لها . .ولحالتها الصحية .. والحقيقة هى .. أننى افترض أنها قد تعبت من أنسكومب .. لأنها قد أقامت هناك مدة طويلة جدا .. وتود التغيير . .انه مكان بديع .. ولكنه .. منعزل .. ؟

— آه .. مثل « مابل جروف » .. لا يوجد شىء فى طـــريق « مابل جروف » .. أنه طريق منعزل تمام الانعزال .. عن كل ما حوله .. وبالطبع .. فان مسز تشرشل .. لا طاقة لها .. ولا روح . لتحمل الحياة .. فى مثل هذا المكان .. مثل « سيلينا » التى تستمتع بهـــذا الانعزال .. كل الاستمتاع .. أو ربما .. لا يكون لديها منابع شخصية كافية .. لتعيش حياة القرية .. أوه .. اننى أشكر الله .. أنه يوجد عندى منابع عظيمة .. تجعلنى أعيش متحررة من المجتمع .

— لقد حضر فرانك هنـــا .. فى فبراير الماضى .. ومكـث أسبوعين .. ؟

— آه .. اننى أتذكر باننى قد سمعت ذلك .. أنه سوف يجد اضافة جديدة لمجتمع « هايبرى » عندما يحضر هذه المرة .. هذا اذا ما كنت أسمى نفسى « اضافة » ولكن .. ربما لايكون قد سمع باسمى .. أو بأن هناك مخلوقة جديدة فى هذا العالم .. ؟

وكانت هذه دعوة عالية .. لسرعة ابداء مجاملة .. لصالحها .. ومستر ويستون .. الذى لا تخفى عليه خافية .. أجاب بمديح سريع:

يا سيدتى العزيزة .. لا أحد فى هذا العالم لم يسمع باسمك .. صدقينى .. ان خطابات مسز ويستون الأخيرة .. لم يكن بها شىء اكثر من اسم « مسز ايلتون » أو الان .. لقد أدى مهمته .. وحق له أن يعود الى موضوع ابنه .. فاستمر قائلا :

— لما تركنا فرانك .. كان من الصعب جدا التهكن برؤيته ثانيا .. لذا فان أخبار هذا اليوم .. مفرحة حقا .. ولم تكن متوقعة ..بالمرة ولو أنه كان يخالجنى شعور دائم باننى سوف أراه قريبا .. كيف ..

كيف تمكن من الحضور ٠٠ وكيف أمكنه أن يتحايل ٠٠ ليجعل عمه ٠٠ وعمته يسمحون له ببعض الوقت وهكذا فاننى كنت اشعر دائما ٠٠ بأن شيئا ما سوف يحدث لصالحنا ٠٠ وهكذا حدث ٠٠ فاننى قد اعتبرت أن مسز ايلتون ٠٠ هى حدث هام ٠٠ فى حياتى ٠٠ ؟

— حقا ٠٠ حقا يا مسز ويستون ٠٠ اننى هكذا ٠٠ كنت أقول دائما لرجل معين فى مجموعتنا ٠٠ ان الاحداث تأتى لصالح الانسان ٠٠ كان دائم الشكوى ٠٠ ونفسى كلها بأسى وكدر وأسى ٠٠ ولكننى أنا ٠٠ بروحى المرحة المتفائلة ٠٠ تمكنت من أن أغير أفكاره المظلمة ٠٠ ومرة أيضا ٠٠ كانت هناك نظرة متشائمة على عربتنا ٠٠ وأتذكر هذا ٠٠ فانه جاء الينا ذات صباح ٠٠ وكله نظرة تشاؤم ويأس ٠٠ وكنت قـــد قلت له « أن ثوب زعفران مايو قد أسدل علينا ٠٠ ود ٠٠ ؟

وهنا اصابتها نوبة سعال مفاجئة ٠ ٠فانتهز مستر ويستون هذه الفرصة ٠٠ والتقط هو الحديث ثانيا :

— آه ٠٠ لقد كنت تذكرين مايو ٠٠ ان شهر مايو هو الشهر الذى نصحوا فيه ٠٠ مسز تشرشل ٠٠ بقضائه فى مكان أكثر دفئا من « انسكومب » ٠٠ وبالاختصار ٠٠ لتمضيته فى لندن ٠٠ وهكذا ٠٠ يهبط علينا الحظ ٠٠ لننعم بلقاء فرانك ٠٠ طوال أشهر الربيع ٠٠ وهى شهور بديعة ٠٠ وجوها لطيف ٠٠ ونهارها طويل ٠٠ وليست شديدة الحرارة ٠٠ للرياضة ٠٠ لما كان هنا فى المرة الماضية ٠٠ كانت فرصة رائعة للرياضة له ٠٠ ؟ هذا هو كل شىء يا مسز ايلتون ٠٠ مايو شهر جميل ٠٠ أما فبراير ٠٠ فقد اكتنفه الضباب والظلام ٠٠ والبلل ٠ أتمنى أن يعجبك ولدى ٠٠ ولكن لا تتوقعى أن ترى أعجوبة مذهلة لا ٠٠ لا ٠٠ انه على العموم ٠٠ كما اعتقد ٠٠ شاب لطيف ٠ ان مسز ويستون تقدره كثيرا ٠٠ وهى تعتقد أنه لا يوجد أى شخص يضاهيه فى مميزاته ٠٠ ؟

— اوه ٠٠ وانا أوكد لك يا مستر ويستون اننى أشك أيضا فى أن رأيى سيكون قطعا فى صالحه ٠٠ لقد سمعت كثيرا عن مستر فرانك تشرشل وعن أخلاقه ٠٠ ولكننى من الأشخاص الذين لا يستمعون ٠٠ بل يحكمون على الشخص بأنفسهم ٠٠ اننى ألفت نظرك يا مستر وبستون

باننى سوف أصف لك ابنك كما أجده ٠٠ دون أى تملق أو رياء ٠٠؟

قال مستر ويستون :

— أتمنى ذلك ٠٠ اننى لن أكون قاسيا على مسز تشرشل ٠٠ واننى فى الحقيقة ٠٠ آسف لمرضها ٠٠ ولكن هنـــاك بعض النقاط فى شخصيتها ٠٠ تجعل من الصعب على ان أتكلم عنها كما يجب ٠٠ انك لا تجهلين يا مسز ايلتون ٠٠ صلتى بالعـــائلة ٠٠ ولا المعاملة ٠٠ التى عوملت بها ٠٠ وبيننا ٠٠ وبين أنفسنا ٠٠ نعرف انها هى الوحيدة التى يجب أن تلام على أفعالها ٠٠ انها كانت محرضة ٠٠ ان والدة فرانك ٠٠ أبدا لم أكن لازهد فيها ٠٠ لولا تحريضها هى ٠٠ ان لمستر تشرشل ٠٠ كبرياءه ٠٠ ولكن كبرياءه هذا ٠٠ ليس شيئا بالنســبة لزوجته ٠٠ انه متراخ تماما ٠٠ كأى جنتلمان من هذا الصنف من الكبرياء ٠٠ أنه لايؤذى أى مخلوق ٠٠ وهو فقط لا يعين ولا يساعد ٠٠ بل بالعكس ٠٠ هو متعب ٠٠متعب جدا ٠٠ وكبرياؤها هى ٠٠ متغطرس ٠٠ متعجرف ٠٠ وقح ٠٠ بحيث لا يمكن لأى مخلوق أن يتحمله ٠٠ وهى لا تراعى صلة نسب أو عائلة ٠٠ أو دم ٠٠ انها لم تكن شيئا يذكر ٠٠ عندما تزوجها ٠٠ هى فقط ٠٠ ابن رجل ٠ رجل جنتلمان ٠٠ وحينما دخلت فى عائلة تشرشل ٠٠ فانها على الفور ٠٠ جعلتهم كلهم ٠٠ التشرشلات الممتازة ٠٠ العالية السمو ٠٠ والرفعة والكبرياء ٠٠ ولكن هى فى الحقيقة ٠٠ وفى حقيقة نفسها ٠٠ هيه ٠٠ أننى أوكد لك ٠٠ انها ليست الا محدثة نعمة ٠٠ ؟

— أوه ٠٠ فقط ٠٠ فكر قليلا ٠٠ ثق أن هـــذه الطريقة مدعاة للاثارة ٠٠ اننى أفزع تماما من هؤلاء حديثى النعمة ٠٠ بعد أن اصابنى الاشمئزاز من بعض الاشخاص ٠٠ فى « مابل جروف » من هذا النوع ٠٠ انها عائلة من جيران ٠٠ أخى ٠٠ وأختى ٠٠ انهم يصرفون ويعلنون عن انفسهم ٠٠ أوه ٠٠ أن وصفك لمسز تشرشل ٠ جعلنى أفكر فيهم على الفور ٠ انهم يدعون « تومبان » ٠٠ استوطنوا هناك أخيرا جدا ٠٠ ومحاطين بمجموعات من أدنى مستوى ٠٠ ويعطون لأنفسهم أهمية ٠٠ لا وجود لها ٠٠ ويشوطون بالعالم من حولهم ٠٠ بأقدامهم ٠٠ العائلات المنحرفة ٠٠ انهم لم يسكنوا فى « وست هول » الا منـــذ عام ونصف

فقط ٠٠ ومن اين أتوا ٠٠ بكل هذه الثروة ٠٠ ؟ لا أحد يعرف ٠٠ لقد حضروا من « برمنجهام » ٠٠ وهى مكان ٠٠ كما تعرف يا مستر ويستون ٠٠ لا يعطى كثيرا ٠٠ ؟ وأننى دائما أقول ٠٠ أن هناك شىء خفى فى الافق ٠٠ ولكن أبدا لم يتمكن أحد ٠٠ من معرفة كل هذا الثراء الذى أحاط « بالتومبانز » وأننى أوكد لك ٠٠ انهم بتصرفاتهم ٠٠ يعتقدون انهم فى نفس مستوى أخى ٠٠ مستر ساكلنج ٠٠ لأنه حدث ٠٠ وأصبح واحدا من جيرناهم ٠٠ تصور ٠٠ أوه هذا شىء ردىء للغاية ٠٠ بشع ٠٠؟ مستر ساكلنج ٠٠ الذى يقيم فى « مابل جروف » منذ أحد عشر سنة ٠٠ والتى كان يملكها والده ٠٠ من قبله ٠٠ أوه ٠٠ أننى أعتقد على الأقل ٠٠ أن مستر ساكلنج ٠٠ العجوز ٠٠ كان قـــد انتهى من شرائها ٠٠ قبل وفاته ٠٠ ؟

وبتر حديثهما ا٠٠ بمرور أقداح الشاى ٠٠ فى الوقت الذى كان قد فرغ فيه مستر ويستون من الانتهاء من كل ما عنده من أقوال ٠٠ ولم يجد ما يفعله بعد ذلك ٠٠ الا بأن يسير خارجا ٠٠ مبتعدا عنها ٠

وبعد الانتهاء من شرب الشاى ٠٠ جلس مستر ومسز ويستون ٠٠ ومستر ايلتون يلعبون الورق ومســـتر « وود هاوس » ٠٠ والخمســـة الاخرين ٠٠ تركوا ٠٠ لحرياتهم الشخصية ٠٠ وكانت ايما تشك فى أن مستر نايتلى ٠٠ قد أخذ قليلا من المحادثة السابقة ٠٠ ومسز ايلتون كانت تحتاج الى بعض الالتفات ٠٠ الذى لم يعطه لها أحد ٠٠ وهى نفسها ٠٠ كانت قلقة ٠٠ بروح ٠٠ منزعجة ٠٠ مما دعاها الى السكوت التام تغطية لهذه الحالة ٠٠ ؟

وقد اثبت مستر جون نايتلى ٠٠ انه متحدث أكثر من أخيه فى هذه الحفـــلة ٠٠ وقد كان مقــررا ان يغادرهم فى صباح اليوم التالى ٠٠ وهنا قال :

— حسن ٠٠ حسن جدا يا ايما ٠٠ لا أعتقد أنه يوجد لدى شىء آخر يمكن قوله عن الأولاد ٠٠ ولكن ٠٠ يوجد عندك ٠٠ خطاب أختك ٠٠ ٠٠ مدون به كل شىء٠٠بتفصيل واسهاب ٠ وأنا لن أكون أكثر منها تفهما لهم ٠ ولكننى أقول ٠٠ كلمة ٠٠ أخيرة لك ٠٠ وهى : « لاتدلليهم ٠٠

ولا تفسديهم ٠ ولا تداويهم ٠٠ ؟

قالت ايما :

ـــ أننى ارغب فى ارضائكما انتما الاثنين ٠٠ لأننى سوف أعمل كل ما فى وسعى لاسعادهم ٠٠ وهذا بالطبع ٠٠ فيه الكفاية ٠٠ لارضاء ايزابيلا ٠٠ والسعادة ٠٠ يجب أن تمنح التسامح ٠٠ والعلاج الكاذب ٠٠؟

ـــ هذا شىء جميل ٠٠ هل تعتقـــدين ذلك ٠٠ أننى أتمنى ألا يكونوا مزعجين ٠٠ بالنسبة لوالدك ٠٠ أو يتسببوا فى بعض المضايقات لك ٠٠ خاصة وانك فى هذه المرة ٠٠ قد ازدادت حساسيتك عن ذى قبل ٠

ـــ زادت ٠٠ ؟

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ زادت حساسيتك ٠٠ لأن هذه النصف سنة الاخيرة ٠٠ منذ آخر زيارة لنا ٠٠ قد أحدثت تغييرا كبيرا فى طريقة حيـــاتك !

ـــ تغيير ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ ابدا ٠٠ أبدا لم أتغير ٠٠ ؟

ـــ أوه ٠٠ ليس هناك أى شك فى أنه قد ازداد محيط معارفك ٠٠ أكثر مما تعودت ٠٠ ها أنا قد حضرت ليوم واحد فقط ٠٠ وأراك مرتبطة ٠٠ بوليمة ٠٠ غذاء ٠٠ شىء لم يحدث أبدا من قبل ٠٠ أو أى شىء من هذا ٠٠ أوه ٠٠ ان جيرانك فى ازدياد ٠٠ وأنت قد ازددت اختلاطا ٠٠ بهم ٠٠ ومنذ فترة قصيرة فقط ٠٠ كانت كل خطاباتك الى ايزابيلا ٠٠ تعبر عن تغيير شاسع فى حياتك ٠٠ فى أنفاسك ٠٠ فى المحيط الذى يحيط بك ٠٠ ولائم عند مستر كول ٠٠ أو حفلات رقص فى الكراون ٠٠ ان التغيير الذى اصابك من « راندالز » ٠٠ كبير ٠٠ كبير جدا ٠٠ وكل يوم ٠٠ يزداد عن ذى قبل ٠

وهنا تدخل أخيه ٠٠ وقال بسرعة :

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ انها « راندالز ٠٠ راندالز » التى فعلت بها كل هذا ٠٠ ؟

ـــ أوه ٠٠ ان هذا الأمر يزعجنى قليلا ٠٠ واذا ما حدث ٠٠ تردد دائم على « راندالز » ٠٠ فاننى أخاف على هنرى وجون ٠٠ وارجوك أن ترسليهما الينا فورا ٠٠ ؟

صاح مستر نايتلى :

— لا .. لا هذا لا يكون .. ارسليهما فورا الى « دونويل » .. ان فى هذا سعادتى .

وقالت ايما موضحة :

— فى الحقيقة .. اننى استمتع بمناقشاتكما كل الاستمتاع .. والآن أحب أن أعرف .. كم من الولائم والعزائم والحفلات .. ذهبت اليها .. بدونكما .. ولماذا أكون فى خطر عدم مراعاة الأولاد .. انهما سعادتى ومتعتى الخاصة . .وارتباطى العائلى المحبب الى نفسى .. ؟

— ماهذا الذى حدث.. وتتكلمان عنه هكذا ..غذاء .. مرة واحدة عند « الكولينز » .. وحفل راقص .. كثر عنه الحديث .. ولم ينفذ .. اننى افهمك .. فان الحظ الذى جعلك تقابل عديدا من الأصدقاء هنا .. يجعلك تقول .. ماتقول .. ؟

ثم التفت الى الأخ « نايتلى » قائلة :

— متى .. متى رأيتنى بعيده عن « هارتفيلد » أننى لا أتخيل ماتقوله .. واذا ما كانت « أنتى » ايما .. لا تجد وقتا لمراعاة الأطفال .. فاننى أعتقد أن مستر نايتلى لا يفضلها .. كثيرا .. هذا العم .. الذى يغيب عن منـــزله .. بالخمس ساعات .. واذا مرض .. ومكث بالبيت فهو .. أما مشغول بقراءاته الشخصـــية .. أو .. منهمك فى مراجعة حساباته ..؟

وبدأ على مستر نايتلى أنه يحاول اخفاء ابتسامته .. ونجح فى ذلك .. بصعوبة كبيرة .. حيث ابتدأت مسز ايلتون .. فى الحديث معـــه ..؟



الفصل السادس والثلاثون

كان مجرد سماع أخبار عن « فرانك تشرشل » يضفى على ايمـــا السكينة ٠٠ والهدوء ٠٠ ويعكس عليها الراحة والرضاء ٠٠ ولو أنها كانت لا تدرى كيفية البدء ٠٠ فى معاملة فرانك تشرشل ٠٠ بعد ما وضحت عواطفهما ٠٠ وأخوف ما تخافه ٠٠ أن يعود بعواطفه الحارة ٠٠ وهذا شىء سوف يصعب عليها بتره ٠٠ هذا اذا لم يكن هذين الشهرين ٠٠ قـد تمكنا ٠٠ من تهدئة عواطفه ٠٠ وهى من جانبها ٠٠ كان تصميمها النهائى ٠٠ على عدم تشجيعه للمضى فى هذا الغرام ٠٠ بأى حال من الأحوال٠٠؟

كانت تود أن تبعده عن أى مظهر من مظاهر البعد والقطيعة ٠٠ فانه بعد صداقاتهما الطويلة ٠٠ لم يكن من السهل الشروع فى هـــذه الخطوة ٠٠ وشعرت أن الربيع سوف يكون عاملا كبيرا فى معاندتها ٠٠ لتنفيذ عملية الجفاء هذه ٠٠ ؟

وطال الوقت عما كان مقدرا ٠٠ ولم تتمكن ايما ٠٠ من تكوين رأيها عن عواطف ٠٠ مستر « فرانك تشرشل » فان عائلة « انسكومب » ٠٠ لم تسافر الى المدينة فورا ٠٠ كما تخيل مستر ويســـتون ٠٠ وعلى ذلك ٠٠ فان فرانك ٠٠ وصل الى « هايبرى » بعد وصولهم بفترة ٠٠ ولم يمكث بها ٠٠ الا بعض الوقت ٠٠ ليأخذ طريقه الى « هارتفيلد »٠٠؟

وكانت « ايما » فى غاية القلق والحيرة ٠٠ عن الطريقة التى يجب أن تتبعها معه ٠٠ وعن تصرفاتها وسلوكها ٠٠ على أى حال ٠٠ فانهما تلاقيا بحرارة الصداقة ولم يكن هناك أدنى شك فى سعادته القصوى لهذا اللقاء ٠٠ ورؤيته لها ٠٠ ولكنها هى ٠٠ « ايما » شعرت ببعض التحول فى عواطفه ٠٠ لم تكن بتلك الحرارة التى ودعها بها ٠ ٠٠ انها أقـــل قليـــلا ٠٠ ؟

كان فى روح معنوية عالية ٠٠ وعلى تمام الاستعداد للحـــديث والضحك والمرح وبدا مشوقا لمعـــاودة الحديث عن آخـــر زيارة له ٠٠ ومعـــاودة المواضيـــع القـــديمة ولكنه ٠٠ بـدا لايمـــا ٠٠ قلقـــا ٠٠ مزعزع العواطف ٠٠ غير مرتاح ٠٠ ومما أكـــد لها صدق شعورها ٠٠أنه لم يمكث الا ساعة الا ربع فقط فى « هايبرى » ٠٠ لقـــد قابل

مجموعة من أصدقائه القدامى .. فى طريقه .. ولم يتوقف للحديث معهم .. سوى دقائق .. هو يعتقد انهم ربما يكونوا قد أصيبوا بخيبة أمل للقائه السريع معهم .. ولابد انهم يتوقعون زيارة .. وهو .. بالطبع .. ليتوق للبقاء مدة أطول .. فى « هارتفيلد » ولكنه .. يجب عليه .. الاسراع لهذه الزيارة .. ؟

ولم يعد عندها ادنى شك فى هذه اللحظة من تغير عواطفه .. ؟

وكانت هذه هى الزيارة الوحيدة التى زارها فرانك تشرشل « لهارتفليد » فى بحر عشرة أيام .. كا نيريد . .ويرغب .. ويعزم على الزيارة .. ولكن خالته .. كانت تمنعه دائما .. أيضا نفس الطريقة بالنسبة « لراندالز » وأنه لو كان مخلصا حقا .. فى ادعاءاته .. برغبته الحقيقة فى الحضور .. لكان قد انتهز فرصة وجود عائلته .. فى لندن .. ومكث هو فى « راندالز » ولكنه كان يقول أن صحة خالته سيئة للغاية .. وانها أسوأ مما كانت عليه .. من عام مضى .. أما مستر ويستون .. فكان لا يثق أبدا فى شكواها .. وانها ليست الا تخيلات واوهام .. وانها قوية .. وصحيحة البدن .. كما كانت من قبل .. ؟

ولكن .. سرعان ما ظهر لمسز تشرشل .. ان لندن ليست المكان المناسب لها .. فان ضوضائها لا يمكن أن تتحملها أعصابها التى أصبحت شديدة التوتر والمعاناة .. وبعد مضى عشر أيام فقط .. وصل خطاب ابن أختها لزوجها من لندن الى « راندالز » يفيد .. بتغيير الخطة .. فان العائلة كلها قررت التحرك فورا الى « ريتشموند » .. فان مسز تشرشل .. قد أوصى لها علاجا خاصا عند اخصائى هناك .. وكان عندها فكرة مسبقة عن هذا المكان حيث أن الاستعدادات والترتيبات .. كانت قد أخذت مكانها .. وتم حجز منزل مفروش فى بقعة لطيفة هناك .

وهناك .. توقع كبير .. فى أن هذا التغيير سوف يعطى نتيجة مرضية .. لصالح صحة .. مسز تشرشل .. ؟

وقد بلغ الى مسامع « ايما » .. ان فرانك فى هذا الشأن .. تمت كتابته بروح معنوية مرتفعة .. وسعادة متناهية .. لهذه الترتيبات ..

وبدا أن التغيير قد اسبغ عليه فرحا كبيرا .. لقرب تمتعه بجيران .. وأصدقاء .. يكن لهم كل الحب .. والود . حيث أن المنزل كان قد تم استئجاره لشهرى مايو ويونيو .. وعلى هذا .. فانه يكتب لهم بكل الثقة .. من أنه سوف يكون دائما ودائما معهم .. وكما كان يتمنى .. ؟

وقد فهم مســـتر ويستون .. سعادتهما المرتقبة .. فان شهرين بطولهما .. سوف يكون فى نهايتهما اثبات تام .. لحالتهما معا .. ؟

أما مستر ويستون نفسه .. فكانت سعادته وفرحتــه لا مدى لها .. ولا حدود .. انها الظروف التى كان يتمناها دائما .. والآن .. بكل الفرح .. والثقة .. عرف تماما .. أن فرانك سيكون معهـــم .. فماذا تعنى تسعة أميال لشاب مثله .. ؟

ساعة واحدة ركوب - انه سوف يراه آتيا .. دائما .. ودائما .. أنه فقط الفرق .. الفرق بين لندن .. وريتشموند .. هو الذى جعـــل الظروف كلها فى جانبه .. فانه فى لندن .. كان بعيدا عنه لستة عشر ميلا .. أو ثمانية عشر .. اذ أنه يقيم فى شارع « مانشستر » .

فاليوم كله .. كان ينفقه فى طريق الذهاب والاياب .. نعم - لم تكن هناك أى راحـــة .. فى تواجـــده بلنـــدن .. وكانه تماما فى « انسكومب » بلا فارق .. أو تغيير .. أو .. قرب .. ؟

والآن .. ريشتموند .. هى المسافة القليلة .. المرغوبة للقاء .. والمقابلة اليومية .. وأكثر من قريبه .. ؟

وشىء آخر .. اعاد البهجة .. والفرحة لهذا القرب هو معاودة فكرة حفلة الرقص فى « الكروان » .. ولكن لم يحدد لها اليوم .. ولو انها رسخت فى الاذهان .. ولابد لها من التنفيذ فى يوم ما .. وبعد انتقال « النتشرشلز » الى « ريتشموند » .. بفترة .. كانت أخبار فرانك مباشرة بتحسن صحة زوجة خاله .. تحسنا كبيرا .. وأنه يمكنه قضاء أربعة وعشرين ساعة منهم .. وعليهم تحديد موعد هذه الحفلة .. فى أقرب فرصة ممكنة .. ؟

واستسلم مستر وود هاوس للأمر ٠٠ فان الوقت مناسب ٠٠ يمنع أى ضرر ٠٠ فان شهر مايو خيـــــر من فبراير ٠٠ ومسز بيتس دعيت لقضاء ٠٠ الليلة ٠٠ فى « هارتفيلد » ٠٠ ؟

وأخطر « جيمس » بالموضوع ٠٠ لاعداد العربة ٠٠ للوقت المتوقع للحفل ٠ ٠وتمنى الجميع ٠٠ الا يحدث أى شىء ٠٠ للصغيرين ٠٠ هنرى وجون » فى فترة قضاء ٠٠ العزيزة « ايما » فى سهرتها بالخارج ٠

الفصل السـابع والثلاثون

(ايمـــــا)

ولم تبدو ٠٠ اى بادرة من بوادر سوء الحظ ٠٠ لتمنع الحفل ٠٠ فان اليوم اقترب ٠٠ وبعد قلق منتظر ٠٠ وصل فرانك تشرشل سالما الى « راندالز » وبدا أن كل شىء فى أمان ٠٠ ؟

ولم يكن هناك أى لقاء ثانى ٠٠ بينه وبين « ايما »٠٠ وكان من المفضل اجتماعهما فى غرفة ٠٠ «بالـكروان» ٠٠ بدلا من المجموعات المحتشدة فى الصالة ٠٠ وبدا مستر ويستون فى أعلى معنوياته واهتمامه بايما ٠٠ التى حضرت مبكرة قبل حضور أى ٠٠ مدعو ٠٠ ومعها « هارييت » ٠٠ ؟

وكان أهالى« راندالز » قد سبقوهم من مدة وأيضا ٠٠ كان من الواضح أن فرانك تشرشل ٠٠ قد صمم على قضاء سهرة ممتعة ٠٠ فان عينيه ٠٠ فضحتا نواياه ٠٠ وساروا كلهم معا ٠٠ ليتفقدوا المكان ٠٠ ومدى اكتمال استعداداته للحفلة المنتظرة ٠٠ وسمعوا صوت عربة ٠٠ تقف بالباب ٠٠ مما أدهش ايما للحضور المبكر هكذا ٠٠ واتضح انها عائلة « صديقة ٠٠ قديمة « للوستونز » جاءت لمساعدة مسز ويستون فى ترتيباتها ٠٠ ثم وصلت عربة أخرى لأقارب حضروا أيضا مبكرا ٠٠ ولنفس الغرض ٠٠ حيث بدا أن نصف المدعويين سوف يحضرون مبكرا ٠٠ للمساعدة والترتيب ٠٠ والاعداد ٠

وأدركت ايما ان مستر ويستون ٠٠ يعتمد على ذوقها هى وحدها ٠٠ بل أيضا يهتم بمعرفة آراء العديد ٠٠ والعديد من أصدقائه ٠٠ وجيرانه ٠٠ وعلى مستوى واسع ٠٠ وقدرت ايما شخصية هذا الرجل ٠٠ وصداقاته العامة ٠ ٠والمتسعة ٠٠ وقلبه الصريح ٠ ٠المفتوح ٠٠ الذى جمع حوله كل القلوب ٠ ٠وصداقة ومحبة خالصة ٠ ٠وتوالى المدعوون تباعا ٠٠ وشكلوا دائرة حول النار ٠٠ بأزيائهم البديعة ٠٠ وكان شهر مايو ٠٠ لم يزل مستحبا ٠٠ فى الاستمتاع فيه بالدفء الممتع الجميل ٠

ووجدت ايما ٠٠ أن مستشارى مسز ويستون ٠٠ لم يكونوا بالعدد الكبير ٠٠ المفروض وجوده ٠٠ لأنهم كانوا قد توقفوا بباب مسز بيتس

ليعرضوا خدمات عرباتهم .. ولكن .. الخالة .. وابنة أختها وصلتا أخيرا .. بعربة « الايلتونز » ..

وكان فرانك يقف بجانبها .. غير محاذيا لها .. واتم الحركة .. بطريقة تدل على انشغال ذهنه منصتا الى أصوات العربات تارة .. وذاهبا الى الباب .. تارة أخرى .. شديد القلق .. عديم الصبر .. يرغب فى البدء فى الحفل .. أو ربما .. كان خائفا من الوقوف بجانبها دائما .. ؟

وتكلم عن مسز ايلتون قائلا :

— أعتقد أنها يجب أن تكون هنا فى الحال .. اننى شديد الرغبة .. والشوق لرؤية مسز ايلتون .. لقد سمعت عنها كثيرا .. أوه .. أظن انها لن تتأخر أكثر من ذلك .. ؟

وسمع صوت عجلات عربة .. وهرع الى الباب على الفور .. ولكنه عاد ثانيا ليقول :

— أوه .. لقد نسيت باننى لا أعرفها .. اننى أبدا لم أر لا مستر ايلتون .. ولا مسز ايلتون .. أوه .. اعتقد باننى لا يجب أضع نفسى فى هذا الموقف .

وهنا ظهر مستر ... ومسز ايلتون .. وارتسمت الشفاه على الوجوه .. وصاح مستر ويستون :

— أوه .. ولكن أين مس بيتس .. ومس فاريفكس لقد اعتقدنا .. بانكما سوف تحضرانهما معكما .. !

وكانت الغلطة بسيطة .. فان العربة ارسلت ثانيا لاحضارهما .. أما ايما فكانت متلهفة على سماع رأى فرانك فى مستر ايلتون .. كيفية تقبله لردائها الأنيق .. وابتساماتها الوفيرة .. وكان هو فى نفس الوقت .. يؤهل نفسه لتشكيل هذا الرأى .. باعطائها .. انتباها خاصا .. بعد مراسم الاستقبال .. والتقديم .. وغير ذلك ..

وفى دقائق قليلة .. عادت العربة .. وكان هناك صوت يتكلم عن المطر .. وهنا قال فرانك لوالده :

— انني سوف أرى .. اذا ما كانت هناك شماسى أم لا .. فاننا لا يجب أن ننسى مس بيتس وخرج للتو .. ؟

وسارت .. مسز ايلتون وراء مستر ويستون .. لتقدم اليه رأيها فى ولده « فرانك » .. وبدأت الحديث .. برشاقة .. وخفة .. بان الشاب يتحرك بهدوء وبطء .. قائلة له :

— في الحقيقة .. أنه شاب لطيف جدا .. يا مستر ويستون انك تعلم بأننى قلت لك باننى سوف أكون رأيى حال رؤيته .. واننى الآن .. وبعد أن رأيته .. اقول لك .. باننى مسرورة به جدا .. يجب أن تصدقنى .. اننى لا أجامل .. وأنا واثقة تماما .. من أنه شاب جنتلمان حقيقى .. ليس مثل هؤلاء المخنثين .. أوه أننا نكرههم .. كان هناك كثيرون فى « مابل جروف » .. وسيلينا .. كانت تعاملهم بقسوة .. ؟

وحينما كانت تتكلم عن ولده .. فأن سعادة مستر ويســـتون .. كانت لا توصف .. أما حينما انتقلت بالحديث الى مابل جروف » فانه حول كل اهتمامه الى السيدات اللاتى وصلن .. وبابتسامة سعيدة .. اسرع لملاقاتهن .. ؟

واستدارت مسز ايلتون الى مسز ويستون :

اوه .. اننى لا أشك فى أنها عربتنا .. التى تقل مس بيتس .. وجين .. أن عربتنا .. وخيولنا .. تكتسح الطريق .. أنا اعتقد انها أسرع من أى عربة هنا .. فى كل المنطقة .. ما أجمل أن ترسل عربة الى صديق .. اننى أعرف بانك كنت كريمة جدا .. وعرضت عربتك .. ولكن .. أعتقد انه يمكن استعمالها فى أى وقت آخـــر .. ولا داعى لهذا العرض مرة أخرى .. فاننى ســـأكون دائمة .. الاهتمام برعاية مصالحهما .. ؟

وظهرت .. « مس بيتس » و « مس فاريفكس » .. مصحوبتان بالرجلين .. ودخلوا الحجرة .. وأعتقدت مسز ايلتون أنه من واجبها هى أيضا أن تشارك مسز ويستون فى استقبالهم والترحيب بهم .. وكانت تحركاتها مفهومة تماما من « ايما » ولكن سرعان ما ضاعت كلماتها فى

زوبعة هبوب « مس بيتس » التى دخلت وهى تتكلم .. وتتكلم .. فانه حينما فتح الباب .. وسمع صوتها على الفور :

— أوه .. هذا كرم عظيم منك .. لا ..لا .. لا يوجد مطر .. أننى لا أهتم لنفسى .. فاننى كما ترى ارتدى حذاء سميكا .. ؟

وحين دخولها من الباب :

— اوه .. هذا ساحر .. بديع .. حقيقة شىء بديع جدا .. لم يكن أحد يتخيل كل هذا الجمال .. جين .. جين .. تعالى انظرى .. هل رايت شيئا مثل هذا .. أوه .. مسز ويستون .. لابد وانك تملكين مصباح علاء الدين .. ؟ آه .. الطيبة مسز ستوك .. ؟ قطعا لن تعرف غرفتها ثانيا .. لقد قابلتها حين حضورى .. كانت تقف فى الممر الخارجى .. قلت لها :

— أوه.. مسز ستوك..ولم يكن لدى وقت لأقول أكثر منذلك.

ثم الى مسز ويستون ثانيا :

— اوه .. مسز ويستون .. شكرا لك يا سيدتى .. أرجو أن تكونى على مايرام .. أوه .. أليس عندك صداع .. اخشى أن تكونى كذلك .. اننى أعرف كم لاقيت من متاعب وأنك تسعدينني لو اخبرتينني بها أوه عزيزتى مسز ايلتون .. كم أنا شاكرة لك العربة فى الوقت المناسب .. فعلا .. كانت جين وأنا على تمام الاستعداد .. ولم نجعل الخيل تنتظرنا .. ولا لدقيقة واحدة .. عربة مريحة حقا .. أوه .. وأننى متأكدة أن شكرنا هذا سوف يرجع اليك أولا وأخيرا يا مسز ويستون .. أوه .. ما أجمل جيراننا .. دعوتان وصلتا الينا .. واحدة منك .. وواحدة من مسز ايلتون .. لقد قلت لأمى : فى الحقيقة يا أمى .. أوه .. شكرا .. أن أمى بخير .. آه .. لقد ذهبت الى .. مستر وود هاوس .. لقد اعطيتها شالها .. أنه هدية زواج مسز ديكسون .. آه .. جميل منها أن تفكر فى أمى .. أنه من « وايموث » كما تعلمون .. واختيار مسترديكسون .. كان هناك ثلاثة أشياء .. كما تقول « جين » ترددوا فى شرائها .. كولونيل تشامبل .. كان يفضل زيت الشعر .. أوه حبيبتى جين .. هل أنت متأكده من أن قدميك لم

يصبهما البلل .. لم تكن هناك الا قطرة واحدة أو اثنين .. ولكننى أخاف .. أوه .. ولكن .. أه .. مستر فرانك تشرشل .. كان عطوفا .. اننى لن أنسى أدبه أبدا .. أوه .. مستر فرانك تشرشل .. نسيت أن اقول لك .. أن نظارة أمى لم تنكسر منذ آخر مرة اصلحتها .. ان امى تتكلم دائما عن أخلاقك الطيبة .. آه .. ها هى «مس وود هاوس» .. عزيزتى مس وود هاوس .. كيف حالك .. ؟ حسن حسن .. ؟ شكرا .. شكرا .. ان هذا اللقاء تماما .. فى أرض الجنيات أو جنات الحور .. فعلا .. أنه لقاء ساحر .. ساحر .. لا .. لا .. ليست مجاملة .. انها حقيقة .. حقيقة .. ؟ بربك يا مس وود هاوس .. كيف تجدين شعر جين .. لقد صففت التسريحة كلها بنفسها .. لا .. دون ما مصفف شعر من انجلترا .. أوه .. هذا هو دكتور هوجكس .. اعتقد ذلك .. آه .. ومسز هوجكس أيضا .. أرى أنه ينبغى لى أن أذهب واتحدث معهما للحظة .. كيف حالكما .. كيف حالكما شكرا .. شكرا .. انا أيضا بخير .. أوه .. أين عزيزى مستر ريتشارد .. آه .. انه هناك .. حسن .. حسن جدا ..لا تزعجوه .. أنه منسجم تماما فى الحديث مع الشابات .. هناك .. آه .. كيف حالك يا مستر ريتشارد .. لقــد رأيتك فى اليوم السابق عندما كنت تمر بالمدينة .. اعتقد أيضا .. أن هذه مسز « اوتواى » ومستر اوتواى الطيب .. ومس اوتواى .. ومستر جورج .. ومستر ارثر .. مجموعة عظيمة من الأصــدقاء .. أوه .. كيف حالكم .. كلكلم .. أشكركم .. هذا رائع .. رائع .. ان أجــد نفسى بين كل هؤلاء الأصدقاء .. آه .. « والكولز » .. رائع .. رائع .. مدهش .. قهوة لى .. أبدا .. أنا لا أشرب القهوة .. قليل من الشاى اذا سمحت يا سيدى .. على فكرة .. لا داعى للتسرع .. آه .. ها هو الشاى .. كل شىء .. جميل .. جميل .. ؟

وعاد فرانك تشرشل .. الى موقعه بجوار .. « ايما » .. وحالما توقفت مس بيتس .. وتسربلت ببعض الهدوء .. انتعشت مناقشات مسز ايلتون ومس فاريفكس .. اللتين كانتا تقفان بمسافة .. تبعد عنها قليلا

وكان فرانك يبدو مشغولا .. وايما تفكر أيضا .. هل هو يستمع

لاحاديث الاثنتين .. ولم تستطع تحديد ذلك .. على أى حال .. فان الأصوات ارتفعت وسمع تبادل المجاملات الرقيقة .. ثم الأسئلة .. النسائية .. المعتادة .. ؟ كيف وجدت ثوبى .. ؟ هيه .. ؟ وأى فن .. ؟ هل أعجبك يا جين .. ؟ أوه .. وشعرى .. ان « رايت » صنع فيه المعجزات .. وكانت الاجابات على كل هذه الأسئلة .. تجاوب بمنتهى الأدب .. والصبر من جين .. وبعد كل هذا .. قالت مسز ايلتون :

— فى الحقيقة .. لا يمكن أن يفهم احد فن ارتداء الملابس مثلى أنا .. ولكن فى مناسبة مثل هذه المناسبة .. التى تحملق فيها كل عين .. وتتركز على أنا وحدى .. نعم .. فانها مجاملة من « الويستونز » .. أنا لا أشك فى هذا .. لقد أقاموا هذا الحفل الراقص .. لتكريمى أنا .. لذا .. لا أريد أن أطغى على الآخرين .. اننى أرى قليلا جدا من اللاتى فى الحجرة .. بالطبع .. فضلا عنى أنا .. أوه .. وهكذا اذا .. فان فرانك تشرشل هو رئيس شرف الرقص اليوم .. أننى افهم ذلك .. أوه .. سوف نرى أن كان طرازنا سيحوز الاعجاب .. ؟ هيه .. ؟ رجل بديع ظريف فعلا .. وممتاز فرانك تشرشل .. اننى أحبه .. أحبه كثيرا .. ؟

وفى هذه اللحظة بالذات .. ابتدأ فرانك يتكلم بحماس .. مما جعل ايما تتأكد من انه قد سمع مديحه بأذنيه .. وأنه لهذا يرفع صوته .. حتى يتسنى له سماع مزيد منه .. ولكن حدث شىء غير متوقع فقد لحق بهما مستر ايلتون وهتفت به زوجته :

— أوه .. أخيرا تمكنت من العثور علينا .. لقد ظننت بانك قد فقدت الصبر فى امكان لقائنا .. ؟

وردد فرانك تشرشل كلماته لايما .. بنظرة دهشة .. وعدم استحسان .. ؟

— آوه .. جين .. هذا سهل جدا .. ولكننى أعتقد أن مسز فاريفكس لا توافق على ذلك .. واعتقد ذلك ..؟

همست ايما : وكيف وجدت مسز ايلتون .. ؟

ـــ آوه .. ليست كما يجب .. ؟

ـــ انك جاحد .. ؟

ـــ جاحد .. ماذا تعنين .. ؟

ثم انتقل من حالة التهجم الى حالة .. من البشر والابتسام ..؟

ـــ آه .. لا .. لا تخبرينى .. لا .. أريد أن أعرف ماذا تقصدين .. أين أبى .. ومتى سوف نبتدىء الرقص .. ؟

وكان من الصعوبة على ايما .. امكانية .. فهمه .. وفهم مقاصده .. لقد بدأ فى حالة شاذة .. شاذة تماما .. وسار الى الامام .. حتى وجد والده .. ولكن .. سرعان ما عاد معهما الاثنين .. مستر ومسز ويستون .. لقد عاد معهما .. لرأى بدأ .. وهما يستشيرانها فيه .. لقد فكرت مسز ويستون أنه تحيه وترحيبا بمسز ايلتون .. يجب أن تفتتح هى الرقص .. وأنها هى بنفسها .. تنتظر هذا .. وتتوقعه .. وترغب فيه .. مما حطم كل رغباتهما فى افتتاح « ايما » للحلقة الراقصة .. وسمعت ايما هذا الصدق الحزين .. بثبات وعزم .. ؟

قال مستر ويستون :

ـــ وماذا سوف نفعل .. ومن هذا الشخص الرئيسى الذى سوف يرافقها فى الافتتاح .. انها سوف تعتقد بالطبع .. أو فرانك سوف يسالها هذا الأمر .. ؟

والتفت فرانك الى ايما على الفور .. وذكرها بوعدها بانها مرتبطة بهذه الرقصة معه .. منذ أمد بعيد .. ولكن ظهر أن مسز ويستون كانت ترغب فى أن يراقص مستر ويستون مسز ايلتون .

وتم الاستعداد لذلك على الفور .. وسار مستر ويستون .. ومسز ايتلون فى المقدمة .. وتبعهما .. مستر فرانك تشرشل .. ومس وود هاوس وكانت « ايما » هى الثانية .. بعد مسز ايلتون .. مباشرة .. لكى يوضع فى الاعتبار .. ان الحفلة الراقصة قد اقيمت خصيصا .. لاجلها هى « ايما » .. ؟

وفى هذا .. الكفاية كل الكفاية .. لكى يتجه تفكير ايما .. مباشرة الى الزواج ..

وبالطبع .. لقد انتهزت مسز ايلتون هذه الفرصة .. وكانت لهـا الأفضلية الأولى .. لو أنها لم ترقص مع فرانك تشرشل الذى كانت تتمنى الرقص معه .. الا أن مستر ويستون .. لابد وأن يكون ممتازا .. مثل ولده .. وبالرغم من كل هذا الانعكاس البسيط .. فان ايما .. كانت تنتفض بالسعادة .. والانتشاء .. لترى نفسها .. وهى تتمتع بساعات .. وساعات ممتعة .. آتية ولا ريب فى هـــذا الاحتفال .. ولم يعكر عليها .. صفوها .. الا رؤيتها لمستر نايتلى .. وهـــو لا ينضم الى الراقصين .. بل يقف بين مجموعة من الأزواج .. والآباء .. ولاعبى الورق .. كان يبدو صغيرا على هذه المجموعات .. وكان منظره ملفتا حقا .. بقامته الطويلة .. ومظهره الانيق .. وجسده الممتد .. يبدو رائعا وسط أكتاف منحنية .. ووجوه منطفئة .. وكلما اقترب منهما اكثر .. كلما بدت لها .. رقته .. ورجولته .. وتمنت ولو كان قـــد احب الرقص اكثر .. ؟

وأحب فرانك تشرشل أكثر .. وكلما تلاقى نظره بنظرها .. كلما تبسمت شفتاه ولكنه .. كان يبدو تعيسا .. وأنه يبـــدو .. وكانه .. يراقبها .. ولم ترد أن تغتر .. وتوهم نفسها أنه يتمنى مراقصتها .. ولم تشعر بالخوف .. فانه لم يكن بينها .. وبين رفيقها أى شىء تخاف منه .. ولكن .. البهجة والسعادة كانت تلمع فى عيونهما .. صديقان متفاهمان .. أكثر منهما حبيبان .. فان فرانك تشرشل .. أصبح يفكر فيها .. اقل مما كان قبلا .. ؟

وبشرت الحفلة .. بامتاع وبهجة ونجاح .. اهتمام مسز ويستون واشراقها .. ومراعاتها لضيوفها .. وكان يبدو أن الكل سعيد فرح .. وكان هناك شىء .. فان الرقصتين الاخيرتين .. قبل العشاء .. قـــد ابتدأتا .. ولم يكن للصغيرة .. « هارييت » رفيق لمراقصتها .. وجلست قابعة فى ركنها .. وحيدة .. وتساءلت ايما :

— وهى ترى مستر ايلتون يهرب سريعا الى مائدة اللعب .. « بانه يبدو عليه أنه يتجنب هذا الموقف .. متأكدة تماما أنه لن يطلب منها .. الرقص .. ولكن .. آه .. ؟

على أى حال ٠٠ فان الهروب لم يكن فى ذهنه أو فى تخطيطه ٠٠ فانه دخل الى الحجرة ٠٠ بجوار الاختين ٠٠ لكانما يشير اليهما بانه حر ٠٠ وبأن لديه الحرية التامه لتأييد هذه الحرية ٠٠ ولكن ٠٠ لم يقترب تماما من مس سميث ٠٠ أو ممن يتحادثون معها ٠٠ ورأته « ايما » ولم تكن قد ابتدأت فى الرقصة التالية بعد ٠٠ وتراجعت قليلا الى الخلف ٠٠ ليكون فى امكانها ٠٠ مشاهدة ٠٠ بل وسماع كل ما يحدث وما يقال ٠٠ من حولها ٠٠ رأت مسز ويستون الطيبة ٠٠ تقبل نحوه باسمة ٠ تشجعها بابتسامة رقيقة حانية ٠٠ قائلة له :

ـــ اوه ٠٠ مستر ايلتون ٠٠ الا ترغب فى الرقص ٠٠ وكانت اجابته الفورية هى :

ـــ على أتم استعداد يا مسز ويستون ٠٠ اذا ما رقصت معى ٠٠؟

ـــ اوه ٠٠ أنا لا أعتقد أنه يمكننى ايجاد رفيق لك افضل منى ٠٠ لست براقصة جيدة ٠٠ على الاطلاق ٠٠

قال هو :

ـــ اذا ما رغبت مسز جيلبرت فى الرقص ٠٠ سيكون من دواعى سرورى ٠٠ وذلك حتى استعيد شعورى باننى لست الرجـــل العجوز المتزوج ٠٠ باننى لست الرجل العجوز المتزوج ٠٠ وأن ايامى الراقصة الحلوة ٠٠ قد ولت الى الأبد ٠٠ اننى أكون سعيدا جدا ٠٠ لو وقفت بجانب صديقة قديمة عزيزة ٠٠ مثل مسز جيلبرت ٠٠ ؟

ـــ مسز جيلبرت لا تريد الرقص ٠٠

ـــ ولكن هناك ٠٠ سيدة صغيرة ٠٠ هى التى أتمنى أن أراها ترقص معك ٠٠ هى ٠٠ « مس سميث » ٠٠ ؟

ـــ اوه ٠٠ مس سميث ٠٠ اوه ٠٠ مس سميث ٠٠ آه ٠٠ أننى لم الاحظ ذلك ٠٠ أوه ٠٠أرجو المعذرة ٠٠ اوه ٠٠ فى الحقيقة انك لطيفة جدا ٠٠ ولكن ٠٠ اه ٠٠ اذا لم أكن رجلا عجوزا متزوجا ٠٠ اه ٠٠ ولكن ٠٠ أيامى الراقصة قد ذهبت بلا رجعة ٠٠ يا مسز ويستون ٠٠ انك سوف تعذريننى بالتأكيد أى شىء آخر أكون سعيدا لتنفيذه ٠٠ وتحت تصرفك

.. ولكن .. اوه .. ان أيامى الراقصة .. قد ذهبت .. ذهبت ولن تعـــود .. ؟

ولم تتكلم مسز ويستون .. ولم تتمكن ايما من اخفاء نظرات التعجب والدهشة .. بل .. والاحتقار .. ؟

هذا هو مستر ايلتون .. المحبوب .. المعشـــوق .. الرقيق .. الجنتلمان .. ودارت ايما بعينيها .. لتراه يلحق بمســـتر نايلتى .. مهيئا نفسه لحديث معه .. ثم نظرات متألقه بينه وبين زوجته .. مسز ايلتون ولم تتمكن من النظر اليه .. أكثر من ذلك .. لقد اشتعل قلبها .. واضطرمت مشاعرها .. وخشيت أن يظهر كل ذلك على وجهها الذى لابد وأن يكون قد أوضح مشاعرها المتألمة .. ؟

وفى نفس اللحظة .. لفت نظرها لمحة رقيقة .. لطيفة .. رطبت من مشاعرها المشتعلة .. رأت مستر نايلتى .. يتقدم الى « هارييت » ويقودها الى المجموعة .. وتضاربت مشاعرها .. بين الفرح والدهشة .. والامتنان .. كان شيئا رائعا .. جميلا لها .. ولهارييت .. وله هو أيضا .. بنظرة منها .. التفت نظرة معبرة .. له عن كل الامتنان .. ؟

واثبت رقصه .. كما كانت تؤمن به دائما .. أنه راقص ماهر .. بل أكثر من ماهر .. ممتاز ورائع .. وهارييت .. أوه .. انها تعتبر محظوظة .. بالنسبة للظروف القاسية التى مرت بها فى اللحظة السابقة واعلنت الرقصة السعادة لكل من حولها .. وكانت هارييت ترتفع .. وتدور وتطير فى رشاقة ومرح .. ؟

وسار مستر ايلتون الى مائدة اللعـــب .. وايما تشـيعه بنظرات عدم ثقة .. واحتقار .. واحتقار .. وكانت فى قرارة نفسها .. تؤمن بأنه اقل قسوة من زوجته التى عبرت عن مشاعرها الى رفيقها فى الرقص .. وتناهى حديثها الى مسامع ايما :

ـــ أوه .. لقد اشفق نايتلى على مس سميث .. أوه .. انه انسان رقيق .. طبيعته .. بسيطة وخيرة .. ؟

واعلن عن العشاء .. وتحركت المجموعات .. وبطبيعة الحال ..

كان على جميع المدعوين الانصات الى « مس بيتس » منذ اللحظة التى جلست فيها الى المائدة ٠٠ رافعة ملعقتها :

— أوه ٠ ٠جين ٠٠ جين حبيبتى ٠٠ جين ٠٠ أين أنت ٠٠ يجب ان تضعى عباءتك على كتفيك ٠٠ أوه ٠٠ مسز ويستون أيضا ٠٠ ترجوك ٠٠ آه ٠٠ مستر تشرشل ٠٠ كم أنت ٠٠ كم أنت لطيف ٠٠ ممتاز ٠٠ ياله من رقص بديع ٠٠ ان الحفلة ٠٠ رائعة ٠٠ رائعة ٠٠ أوه ٠٠ اتعلم ٠٠ لقد أسرعت الى ماما لمساعدتها فى الفراش ٠٠ ولم يشعر بى أحد ٠٠ لقد استمتعت بليلة لطيفة هى ومستر وود هاوس ٠٠ الكيك ٠٠ والنبيذ ٠٠ والتفاح ٠٠ والشاى ٠٠ لقد استمتعا حقا ٠٠ وقد اطمانيت عليها فى الفراش ٠٠ وعادت ثانيا ٠٠ أوه ٠ انها تسأل عنك ٠٠ كيف حالك ٠٠ وحال رفيقتك فى الرقص ٠٠ وهل استمتعت بالرقص ٠٠ فقلت انا لها :

— « أوه ٠ لقد كنت طيبة ٠٠ فلم احتكر جين ٠٠ لقد تركتها ترقص مع مستر جورج اتوتواى ٠٠ انها سوف تكون سعيدة ٠٠ عندما تخبرك بكل التفاصيل بنفسها فى صباح الغد ٠٠ لقد كان رفيقها الأول ٠٠هو مستر ايلتون ٠٠ ولا أدرى من الذى سوف يراقصها فى الرقصة التالية ٠٠ ربما يكون مستر وليام كوكس ٠٠ أوه ٠٠ كم أنت لطيف يا مستر فرانك ٠٠ جين من على اليمين ٠٠ وأنا من على اليسار ٠٠ كم هو بديع ٠٠ بديع ٠٠ ولكن اه ٠٠ دعنا تقف قليلا ٠٠ ان مسز ايلتون ذاهبة ٠٠ اوه ٠٠ عزيزتى مسز ايلتون ٠٠ كما تبدو انيقة ٠٠ بديعة ٠٠ أوه ٠٠ انها تسير ٠٠ الآن ٠٠ لتتبعها ٠٠ انها ملكة الليلة ٠٠ والآن ٠٠ ها نحن فى الممر ٠٠ خطوتين ٠٠ جين ٠٠ خذى حذرك من السلم ٠٠ هاتين الدرجتين ٠٠ أوه ٠٠ لا توجد درجات أخرى ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ هنا واحدة ٠٠ لقد اعتقدت انهما اثنين ٠٠ فقط ٠٠ لقد كنت اعتقد انهما اثنين ٠٠ ثم ثلاثة ٠٠ والآن ٠٠ هى ليست الا درجة واحدة ٠٠ فقط ٠٠ اننى ابدا لم أر مثل هذا التنسيق والنظام والروعة ٠٠ والراحة ٠٠ شموع فى كل مكان آه ٠٠ جين ٠٠ لقد كنت أخبرك عن جدتك ٠٠ كانت هناك لماذا ٠٠ كانت فطائر التفاح ٠٠ والبسكويت ٠٠ ممتازة ٠٠ ولكن مستر وود هاوس ٠٠ ظن أن الكيك لم ينضج تماما ٠٠ فأعاده ثانيا ٠٠ ولكن

كان هناك .. الخبز بالسكر .. ولا شيء تحبه جدتك أكثر من الخبز بالسكر .. وعلى هذا .. فقد سار كل شيء في النهاية .. على ما يرام .

اوه .. رائع .. رائع .. اين سنجلس .. أى مكان .. هل تقترح يا مستر فرانك هذا المكان .. أو هذا الجانب .. ان أى شيء توصى به يكون رائعا .. بلا أى خطأ .. جين .. حبيبتى .. كيف يمكن أن نصف هذه الاطباق لجدتك .. كيف .. شوربة .. الرحمة .. الرحمة .. أننى لا اتمالك نفسى .. رائع .. لن أتمكن من أن أمنع نفسى من الابتداء الآن .. ؟

أما ايما .. فلم تجد أى فرصة للحديث مع مستر نايتلى .. الا بعد العشاء .. ولكن .. عندما عادوا كلهم الى صالة الرقص ثانيا .. دعته عيناها الى جوارها .. وشكرته ..

لقد تأثر جدا من جفاء مستر ايلتون وزوجته .. قال :

— انهما يتلذذان .. بتجريح هارييت .. ؟

لماذا .. لماذا يا ايما .. هل هما اعدائك .. ؟

ونظر اليها .. نظرة متسائلة باسمة .. ولما لم يتلق أى اجابة ..

—أضاف قائلا :

— لهذا السر .. أوه .. لا تقولى شيئا بالطبع .. بالطبع ولكن .. اعترفى .. اعترفى يا ايما .. بانك اردت أن تزوجيه لهارييت .. ؟

أجابت ايما :

— فعلا .. فعلا .. لقد أردت ذلك .. وهما لن يغفرا لى ذلك .. ابدا .. ؟

وهز رأسه فى حيرة .. لكن بابتسامة أخرى قال :

— أننى لن اجرحك .. أو أسبك .. سوف اترك ذلك لانطباعاتك الخاصة .. ؟

— هل تثق بى .. هل تعتقد أن انطباعاتى الخاصة .. وروحى الشريرة .. تقول لى .. باننى كنت مخطئة .. ؟

— لا .. لا .. ليست روحك الشريرة .. ولكنها روحك الجادة

... القوية .. اننى واثق من ذلك .. وأن الآخرين أيضـــا . يقولون لك هـــذا .. ؟

— أننى أنا .. احمل نفسى بنفسى مسئولية الخطا .. والخطا التام لمستر ايلتون .. هناك شىء صغير بالنسبة له .. صغيرا جدا .. اكتشفته أنت .. وكنت مقتنعة تماما بأنه غارق فى حب هارييت .. أنه كان شيئا جادا .. وهاما .. سار فى خلال خطأ فظيع .. غريب .. ؟

— واننى أقول لك .. ولعلمك الخاص .. بانك قد احسنت الاختيار له .. أفضل مما اختار هو لنفسه .. ان لهارييت سميث .. فضائل .. ممتازة .. وخصال حميدة .. حيث تفتقدها كلها .. مسز ايلتون .. هارييت فتاة بسيطة بعقل برىء .. بفكر برىء .. يفضلها أى رجل عنده ذوق .. وفهم .. عن مثل تلك المرأة .. مسز ايلتون ..؟

وشعرت ايما شعورا عميقا بالامتنان .. ولم تتمكن من الاجابة .. حيث قاطعها صوت مستر ويستون .. وهو ينادى الجميع الى العودة الى الرقص .

— تعالى .. تعالى يا مس وود هاوس .. مس أوتواى ..مس فاريفكس .. ماذا تفعلن .. ؟ تعالى يا ايما .. اختـــارى رفيقك .. كلكم كسالى .. نيام .. هيا .. هيا .. ؟

صاحت ايمـــا :

— اننى على استعداد .. لمن يطلبنى .. ؟

سألها مستر نايتلى :

— من ذا الذى ترغبين فى الرقص معه ؟

وترددت لحظة .. قبل أن تجيب .. ؟

— معك أنت .. اذا طلبت منى ذلك .. ؟

وصاح وهو يمد اليها كلتا يديه :

— هل تسمحين .. ؟

— نعم .. نعم .. حقيقة أسمح .. ؟ بل .. وأرغب فى الرقص

معك .. لقد رأيتك وأنت ترقص .. وأثبتت لى بأنك تعرف بالفعل كيف ترقص .. وانت لست أخا لى تماما .. وأنا لست أختا لك .. تماما .. حتى نجعلها هكذا .. غير عادية .. ؟

— أوه .. لا .. أوه .. أخ .. واخــت .. لا .. لا .. لا . فى الحقيقة .. لا .. ؟

الفصـــل الثامن والثلاثون

كان للحديث القصير مع مستر نايتلى .. اجمل الوقع فى نفس « ايما » .. أنه كان من أمتع ما أفادته من الحفل وبقى انطباعه معها .. طوال الطريق .. وحتى صباح اليوم التالى .. لقد كانت سعيدة جدا .. لأنهما فى النهاية .. وصلا الى درجة من الفهم والتوافق فى كل آرائهما .. منها عدم احترام الزوج .. والزوجة .. .. « ايلتون » ورأيهما المشترك فى صفات « هارييت » وتقديرها .. وحبها .. هذا الانطباع عن « الايلتونز » الذى ما أن طاف بخاطرهما .. حتى عكس انطباعا قاسيا نحوهما .. وعادت تنتظر مزيدا من الراحة والسعادة من التحول البديع الذى تحولت اليه « هارييت » بعد هذه الحفلة .. ؟

لقد ظهر لايما .. أن عينى هارييت قـــد تفتحتا .. فجأه بعد الحفلة .. رأتها أخيرا قد تمكنت من رؤية مستر ايلتون على حقيقته .. وأنه ليس هو .. المخلوق .. الساحر .. المتاز .. الذى كانت تؤمن به وتعشقه .. وانزاحت الغشاوة .. عن عينيها .. وزالت عنها حمى الحب .. وايما نفســـها .. لم تغفر للايلتونز تجاهلهما .. وحقارة تصرفهما .. وصحا عقلها .. صحا عقلها .. ورأت أن فرانك تشرشل .. لا يحبها .. الحب الكافى وبالنسبة لمستر نايتلى .. فلا رغبة .. فى العراك .. بينهما .. بعد ذلك . بل تفاهم .. وود .. فياله من صيف بديع .. سيكون كله لها .. ؟

وكان من المفروض .. الا ترى فرانك تشرشل .. فى هذا الصباح ..لأنه قال لها .. انه لن يسامح نفسه ابدا .. لعدم توقفه بهارتفيلد .. ولكن رغما عنه .. فانه لابد من تواجده بالبيت .. قبل .. منتصف اليوم .. ولم تأسف ايما على ذلك .. ؟

وبينها وبين نفسها .. رتبت كل هذه الأمور .. ووضعتها جانبا .. بدراسة وهى تسير بروح معنوية .. وثقة .. منتعشـــة بكل هـذه النتائج السارة .. والى رغبتها فى سرعة رؤية الطفلين .. وحدهما .. عندما انزاحت البوابة .. الكبيرة .. لتفتح .. وترى ايما من انفتاحها .. منظرا لم تكن تتوقعه أبدا .. شخصان أبعد ما تكون عن انتظارهما

.. أو رؤيتهما معا .. ، .. فرانك تشرشل وهارييت مضطجعة .. على ذراعه .. فعلا .. انها هارييت .. ومرت لحظة ذهـــول .. ولحظة أخرى لتجعلها تقتنع بأن شيئا غير عادى .. قد حدث .. كانت هارييت تبدو منزعجة وخائفة .. ترتعش .. باهته الوجه .. محاولة أن تتمالك نفسها .. وكانت البوابة الحديدية لا تبعد عن الباب الامامى أكثر من عشرين ياردة .. وفى لحظة كان الثلاثة .. معا فى الصالة .. وللحال .. ارتمت هارييت على مقعد خائرة القوى .. ؟

وحينما يغمى على سيدة صغيرة .. فلابد لها أن تفيق .. وأن تجيب على الاستفسارات .. والنظرات والدهشة التى تحيط بالجميع.. ويجب تفسير كل هذا .. وهذه اللحظات كانت ممتعة .. ولكن يشوبها التوتر .. والترقب .. وبعد لحظات .. أمكن لايما .. أن تحيط بكل جوانب الموضوع.

« .. مس سميث .. ومس بيكرتون .. وهى نزيلة أخـــرى فى داخلية « مسز جودارو » .. التى كانت هى أيضا فى الحفل الراقص .. سارتا سويا بعد الانتهاء .. آخذين طريقهما .. فى طريق « ريتشموند » وهو طريق عام .. أكثر أمانا من غيره .. قادهما الى مأساة .. فانهما عندما سارتا حوالى نصف ميل من « هايبرى » .. وجدتا نفسيهما فجأة .. محاطتين بأشكال غريبة من كل جانب..انها مجموعة من الغجر..؟

واتى طفل منهم اليهما .. مادا يديه يستجدى .. وذعرت .. مس « بيكروتون » واطلقت .. ساقيها للريح .. وهى تخترق أقصر طريق الى هايبرى .. وتنادى هارييت بأعلى صوتها .. أن تتبعها .. ولكن المسكينة هارييت .. كانت قد أصيبت بتشنج فى قدميها .. بعد الرقص .. ومثل هذا الجرى وراء مس بيكروتون .. كان من الصعب عليها .. وهى فى مثل هذه الحالة من الألم .

ولم تتمالك نفسها .. ولم تفعل شيئا سوى أن تبقى فى مكانها ..؟ والآن .. وفى مثل هذا الوقت .. كيف كان يمكن للسيدتين التصرف .. ومن المستحيل قطعا أن يجدا لديهما أية شجاعة لمواجهته .. وهكـــذا وجدت هارييت نفسها محاطة بنصف دستة .. من الأطفال .. تقودهم

.. امرأة ضخمة .. وولد كبير .. بنظرات عجيبة نحوها .. ما القى فى قلبها الذعر .. لدرجة شديدة .. ولكنها وعدتهم بالنقود ان هم .. بعدوا عنها .. وفتحت كيس نقودها .. واعطتهم شلنا .. وطلبت منهم الا يسالوها اكثر منه .. والا يستغلوا مرضها .. وكانت قد شعرت ببعض الراحة .. وتمكنت أن تقف على قدميها .. وتسير .. ولكن خوفها .. واعياءها .. وكيس نقودها .. كان فيهم اغراء شديدا .. مما زاد التفافهم بها .. بطريقة .. مرعبة طامعين فى المزيد .. ؟

وفى هذه الحالة .. وجدها فرانك تشرشل .. ترتجف .. وكان للحظ السعيد .. أنه قد تاخر قليلا .. عند مغادرته لهايبرى .. حتى يشاء الحظ أن يصل فى اللحظة الحاسمة .. وكانت نشوة الصباح المبكر .. ومتعته فيها الاغراء الكافى لكى يترك الخيل .. لتقابله فى طريق آخر .. يبعد ميلا .. او ميلين عن هايبرى .. وأخذ هو طريقه سيرا على الاقدام .. وتوقف قليلا بباب .. مس بيتس .. ليعيد اليها مقصا كان قد استعاره منها فى الليلة الماضية .. ومكث عندها خمس دقائق .. وعلى ذلك .. فقد تأخر كثيرا عما كان متوقعا .. وكان يسير بصوت غير مسموع .. مما جعله يتواجد فى الحلقة التى تحيط بهارييت .. دون أن يشعروا به .. وللحال .. اصابهم الذعر .. واطلقوا ساقيهم للريح .. وكانت هارييت قد وصلت الى حالة من الوهن .. والاعياء .. بحيث لم تتمكن حتى من الكلام .. بل ألقت بنفسها عليه .. وكانت فكرته .. الخاصة أن يعود بها فى الحال الى « هارتفيلد » .. لأنه لا يوجد لها مكان آخر غير هذا المكان ..

وكانت هذه هى كل خلاصة القصة فى اتصال هارييت .. بفرانك تشرشل .. ؟

وهو .. لم يكن يجرؤ أن يتأخر أكثر من هذا .. فان كل هذه الأحداث .. لم تدع له وقتا لمزيد من التاخير .. وايما .. لكى تطمئن مسز جودارد .. على سلامة هارييت .. أرسلت مستر نايتلي على الفور .. مع دعواتها .. وتشكراتها لخدماته .. ؟

مثل هذه المغامرة .. شاب جميل .. وشابة جميلة .. يلتقيان

هكذا .. وبهذه الطريقة .. لا يمكن الا أن تلمس القلب .. وتحـــرك العواطف .. هكذا كان تفكير ايما على الأقل .. كيف ترتب الاقدار هذا اللقاء .. وكيف تتجمع الظروف .. لتقربهما من بعض .. هذه الترتيبات التى كانت فعلا مختمرة فى ذهنها..أنه فى الحقيقة..شىء غير عادى.. أبدا .. لم يحدث .. ولم تحدث مثل هذه المغامرة لأى فتاة فى المقاطعة .. كلها .. أو فى المقاطعات المجاورة .. لم تحدث مثل هذه الفرصة العجيبة .. لمغامرة أعجب .. ؟

والآن .. حدثت للاشخاص .. وفى الوقت .. الذى كانت تفكر هى فى الأمر .. فى فترة نقاهة هارييت من حب مستر ايلتون .. وفى فترة اقتناعها هى بنفسها من عدم التورط فى حب «فرانك تشرشل»..؟

ويأتى القدر .. ليجمع بين الاثنين .. ويقرب فيما بينهما فى وقت يعد فيه .. ويوصى تقربهما .. هكذا .. انه الظرف العجيب .. وتدبير من القدر .. اعجب .. ؟

وفى الدقائق القليلة .. التى وقف فيهـــا بجاورها .. شرح فى كلمات .. حالة هارييت .. وذعرها .. ؟ وحساسيتها . .وانها لم تكن بقادرة أن تخطو خطوة واحدة . .وما كان يجب على صـــديقتها .. « مس بيركنز » تركها فى هذه الحالة من الفزع .. والرعب..والاعياء .؟

وكان قرار ايمـا .. أولا .. أن تخفى عن والدها هذه الاحداث .. خوفا من ازعاجه .. ولكن .. بعد نصف ساعة فقط .. وجدت ايما .. انه من المستحيل تماما .. اخفاء هذا الحادث الذى انتشر فى كل انحاء « هايبرى » .. فان الخدم .. والعامة .. والناس فى الشوارع .. والبيوت كانت كلها تتحدث عن هذه الأنباء غير العادية .. والتى لم يحدث لها مثيل من قبل .. وجلس مستر وود هاوس مفزوعا خائفا .. ولم يهدأ الا بعد أن أخذ وعدا من ايما .. بعدم الذهاب خارج المقاطعة وقد هدأت نفسه أيضا لاهتمام الجيران وأهالى المنطقة .. فى الاستفسار عنه .. وعن صحته .. وأيضا .. عن صحة « مس سميث » ..؟

وكانت سعادته القصوى .. فى الرد على هـــذه الاستفسارات ..

والاهتمامات .. ولم تتداخل ايما فى أحاديثه . وايجاباته .. ؟

واتسعت القصة .. وزادت التساؤلات .. اما عن الغجر .. فقد هربوا للحظة .. التى ظهر فيها فرانك تشرشل .. ولم ينتظروا الى نهاية الموضوع .. وسرعان ما أخذت القصة طريقها الى أهمية ضئيلة .. والى استفسارات ضئيلة .. والطفلين « هنرى وجون » .. كانا يطلبان من ايما أن تقص عليهما .. قصة « الغجر » .. وكانت حادثا .. وكانت تاريخـــا .. ؟



الفصل التاسع والثلاثون

ومرت بضعة أيام على احداث هذه المغامرة ٠٠ عنـــدما حضرت هارييت ٠٠ فى صباح يوم الى ٠٠ ايما ٠٠ ومعها لفافة صغيرة ٠٠ وبعد ان جلست ٠٠ قالت لها ٠٠ بعد تردد :

ـــ مس وود هاوس ٠٠ اذا سمحت ٠٠ وكان عندك استعدادا طيبا للاستماع لى ٠٠ فان لدى شيئا ٠٠ هاما ٠٠ أريد أن أخبرك به ٠٠ أنه نوع من الاعتراف ٠٠ وبعد ذلك ٠٠ يمكنك أن تنسيه ٠٠ ؟

واعترت الدهشة ايما ٠٠ ولكنها ٠٠ رجتها أن تتكلم ٠٠ وكانت هناك ٠٠ جدية ٠٠ واهتمام ٠٠ فى سلوك هارييت ٠٠ شىء غير عادى ؟

واستمرت تقول :

ـــ انها مهمتى ٠٠ أنه واجبى ٠٠ وانها أيضا رغبتى ٠٠ لكى لا تكون هناك ٠٠ أية رواسب من هذا الموضوع ٠٠ اننى خجلى من نفسى ٠٠ ومما فعلت ٠ ٠ولكننى اتمنى أن تفهميننى ٠٠ ؟

قالت ايما :

ـــ اتمنى ذلك ٠٠ ؟

صاحت هارييت بحرارة وانفعال :

ـــ ان كل شىء يبدو جنونا مطلقا ٠٠ نعم انه كان جنون ٠٠ اننى لا أرى فيه شيئا غير عادى الآن ٠٠ ؟

ـــ وأصبحت ٠٠ لا أهتـــم ان كنت اقابله ٠٠ أو لا أقابله ٠٠ صدقينى ٠٠ اننى أبعد مسافات ٠٠ ومسافات ٠٠ عنه الآن ٠٠ لكى ابتعد عنه ٠٠ واتجنبه ٠٠ واننى الآن ٠٠ على الأقل ٠٠ لا أحسد زوجته ٠٠ انها جميلة ٠٠ ولكننى أعتقد انها مريضة الخلق ٠٠ ؟ وغير مقبولة ٠٠ ولن أنسى لها نظراتها البغيضة ٠٠ الى ٠٠ فى الليلة الماضية ٠٠ على أى حال يا مس وود هاوس ٠٠ أننى أوكد لك ٠٠ أننى لا أريد لها أى ضرر ٠٠ واتمنى أن يعيشا فى سعادة ٠٠ بعضهما ٠٠ مع بعض ٠٠ ان هذا لن يعطينى دقيقة واحدة من الندم ٠٠ اننى أتكلم الصدق ٠٠ وسوف أدمر كل ذكرى ٠٠ لى معه ٠٠٠٠؟

واحمر وجهها وهى تتكلم :

— على أى حال .. انها رغبتى .. وفى حضورك أنت لقد كبرت الآن .. وسوف ترين تصرفى .. هل يمكنك أن تخمنى .. ما تحويه هذه اللفافة ..

— لا أعرف .. لا اعرف شيئا .. هل اعطاك هو يوما ما .. أى شىء .. ؟

— لا .. أننى لا يمكن أن اسميها هدايا .. ؟ ولكنها اشياء كنت اعتبرها ثمينة عندى وحملت اللفافة اليها .. وقرات ايما عليها « اغلى كنز » .

وازداد حب استطلاعها .. وفتحت هارييت اللفافة .. واخرجت منها صندوقا صغيرا .. فتحته .. وكان مبطنا بالحرير .. ولم تر ايما .. بداخله .. الا شريط بلاستر .

قالت هارييت :

— اعتقد انك قد تذكرت الآن .. ؟

— لا .. فى الحقيقة .. لم أتذكر .. ؟

— أوه .. يا عزيزتى .. لا يمكن أن تكونى قد نسيت ما حدث .. هنا .. وفى نفس هذه الحجرة .. وذلك الشريط البلاستر .. انه فى ذلك اليوم .. قبو أن أصاب بالتهاب الحنجرة .. تماما فى اليوم السابق ليوم حضور مستر ومسز جون نايتلى .. اننى أذكر ذلك المساء .. ألا تتذكرين .. يوم أن قطع أصبعه بمطواتك الجديدة .. وتوصيتك بوضع شريط بلاستر .. ولما لم يكن لديك .. وانا عندى .. فانك رغبت فى أن أعطيه له .. وأخرجته .. ولما كان طويلا جدا .. فقد قطع قطعة صغيرة .. وظل يلعب بالقطعة التى تبقت .. ثم اعادها .. لى ثانيا .. وهكذا ..ولفهمى الضئيل .. لم أتمالك نفسى من أن اجعله .. « كنزى الثمين » وهكذا .. وضعته فى العلبة .. ولم استعمله .. لأشبع به ناظرى .. عواطفى .. من آن لآخر .. وكأنه شىء ثمين جدا .. ؟

صرخت ايما .. وهى تضع يديها على وجهها .. وتقفز نحوها :

— آه يا حبيبتى الغالية هارييت وانك الآن قد البستينى ثوب

الخجل والعار .. أكثر مما أتحمل .. أتذكر .. نعم .. انني اتذكر كل شيء الآن .. الا هذا الجزء الذى تحتفظين به .. فانني لم أكن أدرى عنه شيئا حتى هذه اللحظة .. ولكن .. قطع الاصبع .. وتوصيتى بشريط بلاستر وقولى بأنه لا يوجد لـــدى .. آه .. يا خطاياى .. يا خطاياى .. وكان فى جيبى شريط طويل .. وهى واحدة من حيلى التى كنت أتحايل بها .. اننى أستحق أن أحنى رأسى خجلا .. وعارا .. البقية الباقية لى من حياتى .. ؟

ثم جلست قائلة :

ـــ آه .. حسن .. حســن .. وماذا .. ثم ماذا .. ؟ وماذا بعد ذلك .. ؟

ـــ حقيقة .. كان عندك شريط فى جيبك .. انه بدا لى طبيعيا جـــدا .. ؟

قالت ايما وهى تنتفض من حالة الشعور بالاثم :

ـــ وهكذا .. وضعت أنت قطعة البلاستر .. لأجل خاطره ..؟

ثم بينها وبين نفسها :

« يا الهى .. حتى .. أو كيف أفكر فى أن أضع قطعة من البلاستر .. فى صندوق .. قطعة يضمها فرانك تشرشل .. اعتقد أنه ابدا لن افعل ذلك .. ؟

واستمرت هارييت .. وهى تمد يدها الى الصندوق .. ثانيا :

ـــ وهذا شيء .. يخصه هو .. هو وحده .. وهو شيء ثمين ثمين جدا .. لأنه يخصه هو وحده .. وليس مثل شريط البلاستر .. ؟

واشتد الفضول بايما لترى هذا الكنز الثمين .. لقـــد كان بقايا قلم قـــديم .. ؟

قالت هارييت :

ـــ هذا فى الحقيقة .. قلمه هو .. هل تتذكرين .. ذلك الصباح .. لا .. لا .. لا أظن انك لا يمكن أن تتذكرى هذا .

في صباح يوم . لقد نسيت اليوم بالضبط .. ربما كان الثلاثاء .. أو الاربعاء .. قبل ذلك المساء .. كان يريد أن يكتب مذكرة فى مفكرته .. كانت عن البيرة .. لقد قال له مستر نايتلى .. شـــيئا عن كيفية الاحتفاظ بالبيرة .. فأراد أن يدونها فى مفكرته .. ولكن عندما اخرج قلمه .. لم يكن به الا قطعة صـــغيرة .. نزعها .. فانكسر .. ولم يف بالغرض .. فأحضرت أنت له قلما .. وترك هو .. هذا القلم المكسور .. هنا .. على المائدة .. اذ لا فائدة منه .. ولكننى وضعت عليه عينى .. وحين ما تمكنت منه .. أخذته .. وحفظته .. ولم اتركه لحظة بعد ذلك ... ؟

صاحت ايما :

ـــ نعم .. نعم .. أتذكر .. أتذكر .. نعم .. كنا نتكلم عن البيرة .. ومستر نايتلى .. وانا .. كنا نقول .. اننا نحبها .. وبدا أن مستر ايلتون يود ان يتعلم كيف يحبها .. اوه .. انتظرى .. مستر نايتلى كا نيقف هنا .. أليس كذلك .. عندى فكرة انه كان يقف هنا .. أليس كذلك .. آه .. لست أعرف .. لا يمكننى أن أتذكر .. انه شىء شاذ .. ولكن مستر ايلتون كان يجلس هنا .. اننى أتذكر كل شىء الآن .. ؟

حسن .. استمرى .. ؟

ـــ آوه .. هذا هو كل ما فى الأمر .. ليس لدى شىء أريه لك بعد ذلك .. أو أقوله لك .. الا اننى سوف أقوم الآن بالقاء هذه الأشياء فى النار واتمني أن تشاهدينى بنفسك وانا أفعل ذلك .

ـــ يا حبيبتى المسكينة هارييت .. وأنت فعلا .. كنت تجدين سعادتك فى الاحتفاظ بهذه الأشياء الصغيرة ..

ـــ نعم .. بكل صراحة .. نعم .. كل السعادة .. ولكننى الآن .. شديدة الخجل منها .. واننى أتمنى أن أنسى كل شىء عنهـــا فور حرقها .. أنه كان خطأ كبيرا منى كما تعلمين .. أنه شىء ردىء أن احتفظ بهذه الاشياء .. بعد زواجه .. وأنا أيضا كنت اعلم .. ولكن .. لم تكن لدى الشجاعة .. للتخلص منها .. ؟

ـــ ولكن .. يا هارييت .. هـــل من الضرورى حـــرق شريط

البلاستر .. أننى لا أقول شيئا عن قطعة القلم ربما يكون له فائدة .. ؟

اجابت هاربيت :

— أننى سوف اكون اكثر سعادة .. لو احرقته .. ان له منظرا كريها غير مقبول لدى .. يجب أن أتخلص من كل شىء .. هذه هى النهاية .. وهذا هو كل شىء .. شكرا للسماء .. ولمستر ايلتون .. ؟

وفكرت ايمـــا :

« هيه - حسن .. وهل ستكون هناك بداية لمستر « تشرشل » .. وبعد فترة قصيرة .. تأكدت ايما تماما .. من أن البداية قد ابتدأت فعلا .. وتمنت أن يكون الغجر قد بشروا عليها بالحظ السعيد .. فانه بعد أسبوعين من ذلك الحادث .. وصلتا الى تفكير مدهش تماما .. ولم تكن ايما تفكر فيه فى تلك اللحظة .. مما جعل المعلومات التى حصلت عليها قيمة .. وثمينة .. ؟

فانه .. فى بحر الحديث بينهما .. قالت ايما :

حسن يا هاربيت .. انك حين تتزوجين .. فاننى أنصحك .. بان تفعلى .. كذا .. وكذا .. وكذا ..

وصمتت .. ثم لم تعد تفكر فيما قالته .. وبعد دقيقة من الصمت .. سمعت هاربيت تقول فى لهجة جادة :

أننى لن أتزوج ابدا .. ؟

والتفتت ايما اليها .. لتجيبها .. ؟

— لن تتزوجى ابدا . .هذا قرار جديد تماما .. ؟

— هذا شىء .. لن أتنازل عنه .. ولن أغيـــره .. بأى حال من الأحوال .. ؟

ومرت فترة صمت قصيرة أخرى .. ثم قالت ايما :

— ارجو الا يكون هذا نابعا من .. أقصد .. لا تكون هـــذه مجاملة لمستر ايلتون .. ؟

صاحت هاربيت بغضب وانفعال .. وكرامة جريحة :

— مستر ايلتون .. اوه .. لا .. لا .. ؟

والتقطت ايما منها كلمات :

.. وأنه يمتاز عن مستر ايلتون .. ؟

وهنا .. أخذت ايما وقتا طويلا للتفكير هل تترك هـــذه الجملة تفر منها .. دون تعليق .. ربما .. تعتقد هارييت انها غاضبة .. أو .. باردة .. أو لا تهتم بها .. وربما لو صمتت نهائيا .. فهذا ادعى الى انطلاق هارييت فى الكلام .. ومثل هذه المناقشات المفتوحة .. تعود دائما بفائدة كبيرة .. وأخيرا فكرت .. ايما أنها يجب عليها .. أن تتكلم .. وتسأل وتخرج .. بنتيجة سريعة لهذا فقد قررت أن تتكلم .. وتكلمت :

— اننى لا أشك فى قرارك .. وفى معنى ما تقولين وتقصدين بعدم الزواج نهائيا .. فانك لابد تشعرين بان الشخص الذى تفضلينه .. أو تفكرين فيه .. ربما يكون عظيما فى مركزه .. بالنسبة لك .. أو حتى ليفكر فيك .. أليس هذا ما تقصدين .. ؟

أوه .. مس وود هاوس .. صدقينى .. اننى لست مجنونة .. لأفكر فيه .. والتفكير والسعادة بالنسبة لى أن تكون هناك مسافة .. بينى وبينه .. ؟

— اننى لا أندهش لما تقولين يا هارييت . .ان الخدمة التى اداها لك .. لابد وأن تدفىء قلبك .. ؟

— أوه .. خدمة .. فى مثل هذه الظروف .. ان كل ما يمكننى أن أتذكره الآن من حضوره .. هو نظرته النبيلة .. والحالة التى تبدلت بى .. التغيير العجيب من تعاسة تامه .. الى سعادة تامة .. ؟

— هذا شىء طبيعى جدا .. وهـــذا تصرف شريف . .ولكن نصيحتى لك .. الا تنسى هذا الموضوع .. فاننى أود له أن يعود .. اننى أرجو منك أن تختبرى عواطفك .. والا تدعيها تفلت منك .. مادام قد ابدى اعجابه بك .. لاحظى ذلك .. دعى تصرفاته تكون رائدة .. أمام مشاعرك .. اننى اعطيك هذه النصائح الآن .. لأننى لن أتكلم معك فى هذا الموضوع ابدا بعد ذلك .. لقد قررت عدم التدخل فى أى موضوع .. أى اشارة عنه .. أنا لا أعرف .. ودعى الاسم .. لا يمر بين

شفاهنا لقد اخطأنا من قبل .. والآن سنكون أكثر حرصا .. هذا هو مثلك الأعلى بلا شك .. وهنـــاك اعتراضات كثيرة .. ولكن بالنســـبة لك يا هارييت .. لقد حدثت معك .. أكثر من أشياء عجيبة .. رائعة .. هناك فرصة سانحة .. تماما .. وعلى أى حـــال .. كيفما تنتهى .. فان ارتقاء مشاعرك اليه .. يجعلنى أقدر ذوقك .. وارتفاع قيمتك فى نظرى .. وتقديرى .

وقبلت هارييت يدها .. فى صمت .. واعتراف بالجميـــل .. وفكرت ايما . .أن مثل هذا الارتباط .. ليس شيئا سيئا لصديقتها .. انها مشاعر .. يجب أن ترفع .. وتنقى .. عقلها . ومشـــاعرها .. وستكون خير خلاص لها . من الضعه .. والانحطاط .. ؟

الفصـــل الأربعـــون

وفى مثل هذه الحالة من المشاريع والآمال ٠٠ والتواطؤ ٠٠ فتح شهر يونيو ذراعيه على « هارتفيلد » بالنسبة لهايبرى ٠٠ لم يحدث أى تغيير ٠٠ فان ٠٠ « الايلتونز » كانا فى زيارة « للساكلنجر » واستعمال العربة « البراوخ لاندو » ٠٠ وجين فاريفكس ٠٠ مازالت عند جدتها ٠٠ وبالنسبة الى عودة « التشامبلز » من ايرلندا فقد تم تأجيلها للمرة الثانية ٠٠ وتحدد لها أغسطس بدلا من منتصف الصيف ٠٠ فقد رأت البقاء ٠٠ شهرين هناك ٠٠ أطول من الوقت الذى كان مقررا لهم ٠٠ وعلى هذا ٠٠ فان جين على الأقل ٠٠ كانت سوف تبتعد عن نشاط مسز ايلتون وخدماتها ٠٠ وفى الوقت نفسه ٠ ٠تحمى نفسها من وضع تحبه ٠٠ ويتعارض مع رغباتها ٠٠ ؟

مستر نايتلى ٠٠ الذى اتخذ لأسباب خاصة فى نفســـه ٠٠ موقفا معاديا ٠ ٠لفرانك تشرشل ٠٠ ولأسباب أكثر ٠٠ نمت الكراهية نحوه ٠٠ أكثر ٠٠ أكثر ٠ لقد اعتبره منافسا له ٠٠ فى ملاحقته لايما ٠٠ لأن ايما كانت غرضه الأول ٠ ٠والأخير ٠٠ وهذا موضوع لا يقبل الجدل ٠٠ كل شىء أظهر اهتمامه الخاص بها ٠اشارات والده ٠٠ صمت ورعاية والدته ٠٠ (زوجة ابيه) كل شىء يثبت ويبرهن ويشير الى هذا الاهتمام ٠٠ الكلمات ٠٠ التوجيهات ٠٠ التلميحات ٠٠ تقص نفس القصة ٠٠ وبينما كان اهتمام « فرانك تشرشل » بايمـــا ٠٠ كانت ايما فى الوقت نفسه ٠٠ توجه اهتمامه ٠٠ لهاربيت ٠٠ وابتدأ مستر نايتلى ٠٠ يعتبره أيضا ٠٠ ملاحقا ٠٠ ومهتما ٠٠ وواقعا تحت تأثير ٠٠ بعض التصرفات التافهة مع « جين فاريفكس » وهو لا يفهم هذا ٠٠ ولم يتمكن من فهمه ٠٠ ولكن ٠٠ هناك شىء ٠٠ شىء من الاستلطاف ٠٠ الذكى ٠٠ بينهما ٠٠ هو يفكر فى هذا ٠٠ على الأقل ٠٠ استلطاف باعجاب من ناحيته هو ٠٠ الذى قد لاحظه مرة ٠٠ ولم يعط لنفسه الفرصة فى التفكير فيها ٠٠ مرة أخرى ٠٠ ولكنه لم يستطع أن يمنع هذه الذكرى التى تلاحقه ٠٠ وهو فى الوقت نفسه ٠٠ يخاف من ايما ٠٠ ومن تكهناتها ٠٠ واستنتاجاتها ٠٠ وأخطاء خيالاتها ٠٠ وتصوراتها ٠٠ فانها لم تكن موجودة ٠٠ حين ثار هذا الشك ٠٠ فى نفسه ٠٠ لأول مرة ٠٠ ؟

كان هناك .. هو .. وعائلة « راندالز » وجين .. يأخـــذون غذاءهم عند عائلة « ايلتون » وهناك لاحظ .. ورأى .. رأى نظرة .. أكثر من أن تكون نظرة بريئة أو وحيدة .. نظرة الى «جين فاريفكس » من المعجب المتيم .. بمس وود هاوس .. بدت غريبة على ذلك المكان .. ولما تواجد مرة أخرى فى صحبتهم .. لم يستطع أن يمنع نفسه .. من التفكير .. فيما قد رأى بينهما .. أو منهما .. أو حتى أن يمنع الملاحظات التى كانت تتوارد على خاطره .. كل لحظة .. يراهما فيهما .. تماما مثلما قال « كاوبر » فى ضوء الفجر :

« لقـــد استنبطت نفســـى ...
ما قـــد رأت .... » ؟

وقد قوى استنباطه .. وتأكد من أن هناك شىء بينهما .. شىء خاص .. وتفاهم خاص .. بين فرانك تشرشل .. وجين .. ؟

وفى يوم .. خرج بعد الغذاء .. متجها الى هارتفيلد .. ليمضى المساء هناك .. كما اعتاد أن يفعل دائما .. وكانت ايما .. وهارييت .. قد عزمتا على السير .. فرافقهما .. وعنـد العودة .. قابلوا مجموعة كبيرة جدا .. رأت أن تأخذ تمرينها فى السير اليومى .. مبكرا .. حيث كان الطقس .. يبشر بهطول الأمطار .. مستر ومســـز ويستون وابنهما .. مس بيتس وابنة اختها .. وقد .. تقابلا .. مصادفة .. وتجمعوا كلهم .. فى السير معا .. ؟

وعند وصولهم .. الى بوابة « هارتفيلد » رأت ايما .. بفراستها .. أن هذه المجموعة متكاملة .. ويمكنها ان تضفى السعادة .. والسرور .. وعلى هذا الأساس دعتهم كلهم لتناول الشـــاى .. مع والدها .. قطعا .. ستسعده هذه المفاجأة .. ؟

وقد وافق أهل « راندالز » على الفور .. اما مس بيتس .. فانه بعد كلام طويل .. وحديث شيق .. استمع اليه عدد قليل .. وجدت أخيرا انه من الممكن قبول دعوة العزيزة .. مس وود هاوس .. ؟

وحينما كانوا يتوغلون فى الأرض .. مر بهم .. مستر بيرى ..

ممتطيا صهوة جواده .. وتكلم الرجال .. عن جواد مستر بيرى .. ؟

قال فرانك تشرشل لمسز ويستون :

— على فكرة .. ماذا تم فى خطة مستر بيرى من تركيب عربته؟

— وبدت الدهشة على وجه مسز ويستون .. وقالت :

— اننى أبدا .. لم يكن عندى فكرة عن مثل هذه الخطة .. ؟

— لا .. أنا .. لم أعرفها الا منك أنت .. لقد كتبت لى عنها منذ ثلاثة اشهر .. ؟

— انا .. مستحيل .. مستحيل .. ؟

— حقيقة .. لقد كتبت لى .. اننى أتذكرها تماما .. لقد ذكرتينها .. وكأنها تنفذ فى الحال .. ؟

— ان مسز بيرى قالت الفكرة لبعضهم .. وكانت سعيدة جدا بها .. وكانت أيضا مطابقة لرغباتها .. فانها تؤمن دائما .. ان خروجه فى الطقس الردىء يسبب له ضررا كبيرا .. اعتقد انك قد تذكرت الموضوع الآن .. ؟

— بشرفى .. انا لم اسمع ابدا عن هذا الموضوع وحتى هذه اللحظة ؟

— أبدا .. أبدا .. كيف يكون هذا .. كيف اذا .. اوه .. لابد واننى كنت أحلم .. ولكننى أذكره تماما .. أوه .. مس سميث .. انك تسيرين بطريقة تدل على انك متعبة .. انك لن تحزنى .. اذا ما وجدت نفسك فى المنزل .. ؟

صاح مستر ويستون :

— ما هذا .. ماذا .. ماذا .. ؟ ما هذا الذى اسمع عن بيرى والعربة .. اننى سعيد لأنه سوف يغيرها .. هل أخذتها منه يا فرانك..؟

أجاب ولده ضاحكا .. ؟

— لا .. لا يا سيدى .. انه يبدو أننى لم أخذها من أى شخص .. بشىء غريب .. غريب حقا .. لقد كنت أعتقد تماما .. ان هذا الأمر .. قد أوضحته مسز ويستون فى احدى خطاباتها لانسكومب .. .. منذ عدة أسابيع .. ولكن .. حيث انها تصر على انها لم تسمع بأى

كلمة منه من قبل .. اذن .. فيكون الأمر .. هو أننى كنت أحلم .. أننى حالم كبير .. أننى أحلم بكل شخص فى « هايبرى » حينما أكون بعيدا .. ثم عندما أكون غارقا فى أحلامى مع أصدقائى .. أقصد .. أصدقاء معينين .. ابتدىء أحلم بمستر ومسز بيرى .. ؟

واعقب عليه والده قائلا :

— هذا شىء شاذ .. شاذ فعلا .. وأنت فى انسكومب .. تحلم باشخاص يهمك امرهم .. وفى « هايبرى » .. تحلم بمستر ومسز بيرى والعربة .. ان مسز بيرى تشجعه على تركيب العربة .. خوفا على صحته .. من الجو الردىء .. واننى الآن لا أشك فى انك وأنت فى هايبرى .. سوف تحلم .. بالذين يهمونك فى انسكومب .. اوه .. فرانك .. هذا يؤكد أن هايبرى تشغل كل تفكيرك .. واحلامك .. وأنت عنها بعيد .. آه ، ايما .. وأنت أيضا .. أعتقـــد أنك حالمة كبيرة .. أليس كـــذلك .. ؟

وكانت ايما بعيدة عن سماع ملاحظة مستر ويستون .. لأنها كانت قد سبقتهم الى الداخل .. لتهىء والدها .. لاستقبالهم .. ؟

صاحت مس بيتس التى كانت تحاول بصعوبة التقاط الكلمات التى لم تسمع منها الا الجملة الاخيرة فقط .. ؟

— لماذا .. صدقونى .. اذا ما كان لى أن أتكلم .. فى هـــذا الموضوع .. فلا غرو فى أن يعرفه مستر فرانك تشرشل .. وانا استطيع أو أوكد .. أنه لم يكن يحلم أبدا .. أننى أيضا .. وفى أحيان كثيرة .. أحلم أحلاما شاذة .. أعجب أحلام فى العالم .. ولكن دائما يكون لها أساس .. يكون لها انطباع فى نفسى .. وفى عقلى الباطن .. وأكون دائما قد سئلت عنها .. أو سمعت بها .. ولمعلوماتكم الخاصة .. فانه فى الربيع الماضى .. كانت هناك هذه الفكرة .. لأن مسز بيرى .. بنفسها .. ذكرتها لأمى .. وأيضا .. عرفها « الكولز » بانفسهم .. فقط كانت فى منتهى السرية والتكتم .. وأيضا .. فكروا فيها ثانيا منذ ثلاثة أيام فقط .. كانت مسز بيرى .. شديدة التلهف والتوتر والانفعال .. لأنه سوف يكون لديهم عربة .. وجاءت الى أمى .. بروح معنوية

عالية ٠٠ جاءت اليها ٠ ذا تصباح لأنها كانت تعتمد انها يمكن أن تقنع ٠٠ آه ٠٠ جين ٠٠ ألا تتذكرين جدتك عندما اخبرتنا بهذا الأمر ٠٠ حين عودتنا للمنزل ٠٠ لقد نسيت أين كنا وقتئذ ٠٠ آه ٠٠ لابد واننا كنا فى ٠٠ « راندالز » ٠٠ ان مسز بيرى كانت دائما ٠٠ أبدا ٠٠ مغرمة بأمى ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ لست ادرى ٠ ولكنها أخبرتها بالموضوع فى سرية تامة ٠ لم يكن عندها أى اعتراض ٠٠ فى ان تقص علينا أمى ٠٠ هذه القصة ٠٠ بالطبع ٠٠ بالطبع ٠٠ ولكن ليس لكى تنتشر٠٠وتعرف فيما حولنا ؟

ومنذ تلك اللحظة ٠٠ وحتى الآن ٠٠ لم أذكر هذا الموضوع لأى مخلوق ٠٠ وفى نفس الوقت ٠٠ وبالطبع ٠٠ لن أجاوب ٠٠ لأننى أعرف باننى أفرغ ما بنفسى دون أن أشعر ٠٠ اننى متكلمة كما تعرفون ٠٠ أننى فقط متكلمة ٠٠ وربما الآن ٠٠ أو فيما بعد ٠٠ لا يمكننى أن أضبط نفسى ٠٠ أو أمنعها من الافضاء ٠٠ عما تعرف ٠٠ أننى لست مثل جين ٠٠ لقد كنت اتمنى أن أكون مثلها ٠٠ انها ابدا ٠٠ لا تقـــول ولا تخون ٠٠ ولا تنقل أى كلمة فى العالم ٠٠ أوه ٠٠ أين هى ٠٠ آه ٠٠ خلفى ٠٠ أوه ٠٠ تماما ٠٠ تماما ٠٠ حلم مستر بيرى غير العادى ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ أنه حلم حقيقى ٠٠ ؟

والآن ٠٠ كانوا قد دخلوا الى الصالة ٠٠ ولمح مستر نايتلى ٠٠ لمحة من عين ٠٠ مس بيتس ٠٠ تشير بهـــا الى جين ٠٠ وتعنى بهـا « فرانك تشرشل » ٠٠ ؟

وقد لاحظ مستر نايتلى أن هناك ضـــحكات متبادلة ٠٠ واستدار اليها ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ كانت جين تبدو ٠٠ وكأنها منهمكة كل الانهماك فى اصلاح شالها ٠٠ وكان مستر ويستون قد دخل فعـــلا قبلهم ٠٠ اما الرجلان الاخران ٠٠ فقد انتظرا بالباب ٠٠ حتى يسمحا لهما بالدخول ٠٠ أولا ٠٠ وتوقع مسز نايتلى ٠٠ محاولات فرانك تشرشل فى الامساك بنظراتها ٠٠ عبر ناظريه ٠٠ وبدأ مراقبا لها باهتمام ٠٠ ولكن ٠٠ للأسف الشديد ٠٠ فان جين مرت بينهما الى الداخل دون أى انتباه الى أى واحد منهمـــا ٠٠ ؟

ولم يعد هناك وقت ٠٠ لأى ملاحظات أو تعليق ٠٠ أو استفسارات

.. والحلم يجب أن يبقى كما هو .. ومستر نايتلى يجب عليه أن ياخذ مجلسه مع الباقين .. حول المائدة المستديرة التى تقدمها ايما .. فى هارتفيلد .. التى لا يجرؤ أحد .. أو يجد عنده الشجاعة على استعمالها .. الا هو .. مستر وود هاوس بنفسه .. منذ حوالى أربعين عاما ..؟

ومر الشاى عليهم .. بحبور .. ومتعة .. ولم يبدو أن أحدا منهم فى عجلة .. ليتحرك .. ؟

قال فرانك تشرشل .. بعد أن تفحص .. مائدة خلفه .. تمكن من لمسها :

— مس وود هاوس .. هل أخذ الأولاد .. أقصد هل آخذ أولاد أختك حروف الهجاء .. أن الصندوق .. كان يجب أن يكون هنا .. أين هو .. ؟

أوه .. هذا مساء معتم .. أننا لن نقدر أن نستعملها .. والآن .. أريد أن العب معك الالغاز ثانيا .. لقد استمتعنا ذات صباح باللعب بها؟

وسعدت « ايما » بالذكرى .. فقدمت له الصندوق .. وسرعان ما امتلاءت المائدة بحروف الهجاء .. واتضح ان هذه اللعبة .. لاتشجع احدا . .من الموجودين الا هما فقط .. « فرانك .. وايما » .. ؟

وابتدأ يلعبان .. لعبة الألغاز .. فكانا يكونان معا .. من الحروف كلمة .. لكل منهما .. أو لواحد من الموجودين .. وكان لهدوء اللعبة . متعة خاصة عند مستر وود هاوس .. لأنه كثيرا ما لعبها مع مستر ويستون .. وايضا لأن رحيل الطفلين قد تركا .. فراغا كبيرا عنده .. والتقط مستر ويستون حرفا .. ونظر اليه بشغف .. وقال لنفسه .. آه .. يا له من خط بديع .. ان ايما قد أبدعت فى كتابته .. ؟

ووضع فرانك تشرشل كلمة أمام « جين فاريفكس » وألقت بنظرة عبر المائدة .. ثم طبقتها لنفسها .. وكان فرانك يجلس بجوار ايما .. وجين أمامهما .. واما مستر نايتلى فكان مكانه يعطيه الفرصة لرؤية كل ما يمكن رؤيته وملاحظته .. وقد اكتشف الكلمة .. بابتسامة واهنة ..وانها اذا ما كانت لا ترغب فى أن تمزج .. ابتسامتها مع الاخرين ..

لكانت بالطبع اخفتها عن الأعين ·· بدلا من النظـــر عبر المائدة ·· وهارييت فشلت فى ايجاد أى كلمة ·· وكانت تجلس بجوار مستر نايتلى ·· والتفتت اليه ·· تريد مساعدته ·· وكانت الكلمة « غلطة » ·· وعند هذه الكلمة ·· أحمر وجه « جين » واكتشف مستر نايتلى ·· أن لعبة كلمة الهجاء هذه ·· ماهى الا حيلة مكشوفة من « فرانك تشرشـــل » لاصطياد كلمات ·· وهى ليست لمصلحة أحد ··الا··«فرانك تشرشل» ؟

وبحنق كبير ·· استمر مستر نايتلى فى مراقبته ·· وحنق أكبر لرفيقاته اللاتى أعماهن النظر ·· فلم يدركن قصده من هذه الحيلة ·· ورأى كلمة قصيرة أعدت لايما ·· وأعطيت لها مع نظرة خبيثة ماكرة ·· رصينة ·· ووجد أن ايما ·· قد عرفتها بسرعة ·· مما دعاها إلى التعبير الفورى بصوت عال ·· حيث قالت :

— لا يهم ·· هذا عار ·· ؟

ثم سمع فرانك تشرشل ·· وهو يلقى بنظرة ذات معنى نحو جين ·· ويقول لايما :

— اننى سوف أعطيها لها ·· هل أفعل ·· ؟

وايما تضحك بحرارة ·· وهى تقول :

— لا ·· لا ·· لا يجب أن تفعل ·· حقيقة ·· انك لن تفعل ذلك ·· ؟

وقد فعلها ·· نعم هذا الشاب الذى بدا له أنه يحب ·· دون أدنى شعور منه بالحب ·· فعلها ·· وأعطى الكلمة « لمس فاريفكس » ·· وبتحشم ·· وأدب وذوق ·· طلب منها دراستها ·· وهنا ·· ثار فضول مستر ويستون وصمم على معرفة هذه الكلمة ·· ناشرا ·· بعنقه ·· من مكانه ·· حتى تمكن من رؤيتها ·· ورأها ·· نعم ·· رأى الكلمة ·· وكانت « ديكسون » ·· ؟

وبنظرة استياء ·· وغضب ·· حين وجدت نفســها محاصرة ·· وشعرت بانها قد وضعت فى مصيدة ·· بحيلة صغيرة ·· أزاحت الحروف من أمامها ·· وقالت :

— أننى لم ان أعرف أ نالاسماء ايضا ٠٠ تدخل ضمن اللعبة٠٠؟
ثم بالطبع ٠٠ ازاحت وجهها ٠ ٠ولم تعط الفرصة لعرض كلمات أخرى ٠٠ واستدارت الى خالتها ٠٠ التى صاحت على الفور ٠٠ حتى دون أن تسمع أى كلمة من « جين » ٠٠ ؟

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ حقيقة ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ أننى فعلا كنت ساقول نفس الشىء ٠٠ نعم ٠٠ أنه الوقت لنذهب ٠٠ لقد أوغل المساء فى اظلامه ٠٠ وجدتك لابد وأنها فى انتظار عودتنا ٠٠ أوه يا سيدى ٠٠ انك كريم ٠٠ واننا حقيقة ٠٠ نتمنى لك ليلة سعيدة ٠٠ ؟

وكان استعداد جين للخروج ٠٠ مع استعداد الخالة ٠٠ وتحركا فى نفس الوقت ٠٠ ولكن ٠٠ كثرتالتحركات ٠٠ وكان كثيرون يتحركون لمغادرة ٠٠ المائدة ٠٠ ما أدى الى وقوفهم لفترة ٠٠ سمحت لمستر نايتلى بأن يرى بمجموعة أخرى من الكلمات مما دعاه الى النظر اليها بذهول ٠٠ وانشغلت هى فى البحث عن شالها ٠٠ ووضعه على كتفيها ٠٠ وكان فرانك تشرشل ينظر اليها أيضـــا ٠٠ وكان جـــو الغـــرفة متازما ٠٠ والظلام زاحفا ٠٠

وأما ٠٠ كيف تمكنوا من التحرك ٠٠ فهذا مالا يمكن لمستر نايتلى أن يصفه ٠٠ لأنه بقى فى هارتفيلد بعد أن رحـــل جميع الضيوف ٠٠ وأفكاره متزاحمة ٠٠ بما قد رأى ٠٠ مشغول جدا ٠٠ لدرجة أنه لم يلاحظ أن الشموع قد أشعلت وان المكان ٠٠ قد أضىء ٠٠ ؟

آه ٠٠ يجب ٠٠ نعم ٠٠ يجب عليه ٠٠ بل لابد فعلا ٠٠ وبصفته صديقا ٠٠ وصديقا يهمه الأمر ٠٠ وصديقا قلقا ٠٠ أن يعطى لايما اشارة ٠٠ أو يسالها بضعة أسئلة ٠٠ ولا يمكن أن يراها فى وضع يراه هو انه ٠٠ خطر ٠٠ دون أن يمنعه عنها ٠ ٠أنه واجبه ٠٠ ؟

قال لهـا ـ :
— ايما ٠٠ ارجوك ٠٠ هل يمكن أن أسال ٠٠ ؟
— ماذا يقبع فى كلمة ٠٠ تلك الكلمة الأخيرة التى أعطيت لمس فاريفكس ٠ ٠والتى كانت سببا فى متعة البعض ٠٠ وسببا فى ثورة ٠٠ وتعاسة البعض الآخر ٠٠ ؟

حقيقة .. لقد صدمت ايما .. وافحمت .. وشعرت بالخجل .. لأنها فعلت ذلك .. ؟

صاحت :

— آوه . انها فكاهة .. لاشىء .. لم تكن الا فكاهة .. نعم .. تسلية .. نكتة .. نعم .. نكتة .. ؟ أجاب ببرود قاتل :

— نكتة .. فكاهة .. آه .. انها فكاهة .. تبدو مفهومة بينك .. وبين مستر تشرشل .. ؟

وكان يتمنى أن تتكلم ثانيا .. ولكنها لم تفعل .. واهتمت بنفسها أكثر من اهتمامها بالرد عليه .. وجلس هو ينظر اليها فى شك .. ومر بخاطره .. فكرا شيطانيا .. أثمر فى التو واللحظة .. ؟

قال أخيرا .. فى حنان وعطف :

— عزيزتى ايما . .هل تدركين تماما .. مدى العلاقة بين هذا السيد .. وهذه السيدة .. اللذين كنا نتكلم عنهما .. ؟

— آه .. بين مستر فرانك تشرشـــل .. ومس فاريفكس .. بالطبع .. بالطبع .. أدركها تمام الادراك .ولماذا تبذر فى نفسى بذور الشك من نحوهما .. ؟

— هل فى أى وقت من الأوقات .. وجدت نفسك .. أو وجدت من الأسباب .. ما يجعلك تعتقدين أنه معجب بها .. أو أنها معجبة به .

صاحت بيقظة غريبة :

— أبدا .. أبدا .. وأثنى عشر مرة .. فى كل لحظة .. أوكد أن هذا الفكر .. لم يطرأ بذهنى أبدا .. ؟

وكيف أمكن أن يدخل هذا الخاطر الى ذاتك .. ؟

— أنه .. أخيرا .. اخيرا .. خيل الى أننى قد رأيت نظرات متعاطفة .. وعلاقة بينهما .. نظرات معبرة خاصة .. أقصد .. متبادلة .. التعبير .. بحيث آمنت بانها لا يمكن أن تكون عامة .. ؟

— اه .. انك .. تمتعنى .. نعم تمتعنى حقا .. لم أكن أتصور أن خيالك .. يمكن أن يصل الى هذا الحد .. ولكن .. هذا أبدا .. لم

يكن ‥ ولن يكون ‥ وآسفة باننى سوف أراجع هذا الخيال الخاطىء ‥ حقيقة ‥ لا يوجد أى اعجاب متبادل بينهما ‥ بل وأؤكد لك ‥ وهذا الشعور الذى ثار فيك ‥ كان لظرف خاص ‥ أو ظروف خاصة ‥ شعور خاص ‥ لطبيعة مختلفة ‥ أوه ‥ انه من المستحيل أن أشرح هذا الموقف ‥ لأن به شيء كثير من العبث ‥ ولكن ‥ الجزء المتصل به ‥ هو ‥ أنه لا يوجد أى صلة بينهما ‥ وانهما أبعد ما يكونان عن التفاهم ‥ والاعجاب ‥ خاصة بين هذين المخلوقين فى العالم كله ‥ هذا ‥ ويمكننى أن أجاوب على شعور السيد ‥ وعلى مسئوليتى الخاصة ‥ أما عنها هى ‥ السيدة ‥ فاننى بالطبع ‥ لن أجاوب‥؟

وتكلمت بثقة ‥ ورضاء ‥ افحما مستر نايتلى ‥ والتزم الصمت؟

كانت فى نشوة روح عارمة ‥ كل حركة ‥ وكل لفتة منها ‥ كانت تشير بسعادة غامرة ‥ تغمرها ‥ ووجد مستر نايتلى ‥ أنه من المستحيل أن تتماشى نشوته فى هذه اللحظة بالذات ‥ مع نشوتها ‥ لاختلاف طبيعة هذه النشوة ‥ كل فى تفكيره الخاص ‥ ووجد أنه ليس له أن يتكلم ‥ وأنه لا فائدة من الكلام ‥ وأنه أيضا ‥ لن يكون مفيدا ‥ لها فى هذا الوقت ‥ ولن يكون مفيدا أيضا لمستر وود هاوس ‥ الذى يقبع بجوار المدفأة ‥ والتى أعتاد أن يشاركه فى دفئها ‥ كل ليلة ‥ طوال العام ‥ أما هذه الليلة ‥ فانه وجد أنه من الأفضل له أن يأخذ طريقه على الفور الى منزله ‥ الى الوحدة ‥ والبرودة ‥ فى « دونويل آبى » ‥ ؟



الفصل الحادى والأربعون

بعد ·· طول الأمانى ·· والاستعداد لزيارة سريعة ·· من مستر ومسز ساكلنج ·· أصاب الغم ·· عالم هايبرى·· بعدم امكانية حضورهما حتى الخريف ·· وبتبادل الانباء والأخبار اليومية بينهما ·· تبين أن هذا الموضوع ·· مدار البحث ·· وأنه منحصر فى موعد حضورها بالضبط ·· وأيضا ·· بالنسبة لآخر تقرير عن صحة مسز تشرشل ·· تبين ·· ان لكل يوم ·· تقريرا مختلفا ·· ومسز ويستون يلتف حولها كل جيرانها ·· مشاركينها فى سعادتها لتوقع وصول طفل لها ·· ؟ كل هذه الاخبار ·· يعرفها جميع جيران ومعارف « هايبرى » ·· ؟

ولقد صدمت مسز ايلتون » صدمة شديدة ·· لقد كان هـــذا ·· تأخيرا للســـعادة والسرور ·· ان كل تقـــديماتها ·· ومجاملاتها ·· وتوصياتها كلها ·· يجب أن تنتظر ·· وكل مجموعة مقترحة ·· مازالت تتكلم عنها ·· لذا ·· فقد فكرت أولا :

— ببعض الاعتبار··والاقتناع·· ان كل هذه الترتيبات لايجب أن تتوقف ·· لماذا لا يذهبوا كلهم الى ·· « بوكسهيل » ·· ولو أن « الساكلنج » لن يحضرا ·· الا ·· أنه يمكن أيضا ·· أن يذهبوا كلهم معهما ثانيا ·· عند حضورهما فى الخريف·· وهكذا ·· تقرر أن يذهبوا الى « بوكسهيل » أنها مجموعة كبيرة معروفة ·· بالنسبة « لايما »·· فانها لم تذهب أبدا ·· الى ·· « بو كسهيل » ·· لذا فقد كانت شديدة الرغبة لهذا المكان ·· الذى رآه ·· كل شخص ·· الا هى ·· ؟

واتفقت هى ·· ومستر ويستون ·· أن يذهبا سويا الى هناك ·· فى صباح لطيف ·· وقد حذف من المجموعة ·· اثنين أو ثلاثة بطريقة هادئة ·· غير ملفتة ·· وتم ترتيب الأكلات والمشروبات والرحلات ·· التى سوف تنفذ من « الايلتونز » ثم من « الساكلنجز » ·· ؟

وقد دهشت ايما كل الاندهاش ·· مع قليل من الكدر ·· عندما علمت من مستر ويستون ·· بأنه قد اقترح على مسز ايلتون ·· ضم المجموعتين ·· حيث أن أخاها وأختها قد أغفلا اسمها من مجموعتهما — هذا — اذا ·· اذا لم يكن لديها أى اعتراض ·· والآن ·· بالنسبة الى

أن اعتراضها لن يكون له محل من الاعراب ·· الا ابداء عدم استلطافها ·· لمسز ايلتون ·· ذلك الشعور الذى افزع مستر ويستون ولكن ·· على أى حال ·· فانها وجدت نفسها مرغمة على قبول هذا الاقتراح ·· منعا لاحراج مستر ويستون الذى صنع ما صنع نتيجة لرغبة صادقة فى اسعادها ·· وتصرف نابع من خلقه الطيب ·· ؟

قال وهو شديد الارتياح :

— أننى سعيد ·· لأنك قدوافقت على ما فعلت أن هذه المرأة ·· لطيفة ·· لطيفة جدا ·· ؟

ولم تعارض ايما ·· بصوت مرتفع ·· ولم توافق بصوت خفيض··

والآن ·· هو منتصف شهر يونيو ·· والجو بديع ·· ومسز ايلتون قد فرغ بها الصبر ·· لتحديد اليوم ·· مع مستر ويستون ·· ربما يكون بعد أسابيع ·· ربما يكون بعد بضعة أيام ·· قبل أن يتحدد اليوم الموعود ·· لأن الخيل ·· كانت مريضة ·· ولا تقوى على تحمل السفر ·· وزاد هذا السبب من احتداد مسز ايلتون ·· وصرخت قائلة :

— نايتلى ·· نايتلى ·· أليس هذا شىء يكدر ·· ؟ مثل هذا الجو البديع للاكتشاف والمغامرة ·· هذه التاخيرات ·· والصدمات ·· شىء مفزع ·· مفزع حقا ·· ماذا يمكن عمله ؟ فى مثل هذا الوقت من العام الماضى كما نرتاد البقاع من « مابل جروف » ·· الى « كنجزستون»

أجاب مستر نايتلى :

— أعتقد أنه من الافضل لك أن تكتشفى ·· « دونويل » ·· واكتشافها لن يحتاج الى خيل ·· تعالى وتذوقى عشرات « الفراولة » انها تنضج بسرعة ·

اذا لم يكن مستر نايتلى ·· يتكلم بجدية تامة ·· فان اقتراحه لم يكن يؤخذ هكذا سريعا ·· وبفرح ·· وكلمات « أوه » أننى أحبه ·· أحبه أكثر · ·من أى شىء « كانت هذه الكلمات كافية لاغراء السيدة التى تريد أن تذهب الى أى مكان وخاصة أن دونويل ·· مشهورة بالفراولة·· وقد وعدته أن تذهب ·· قائلة :

ــ عليك أن تعتمد على كلمتى ٠٠ قطعا سوف أحضر ٠٠ حدد اليوم وسوف أحضر ٠٠ وطبعا ٠٠ سوف تسمح لى باحضار ٠٠ « جين فاريفكس » قال هو :

ــ أننى لن أحدد اليوم ٠٠ حتى أتكلم مع آخرين ٠٠ وهم ٠٠ من أريد أن يقابلوك ٠

ــ أوه ٠٠ دع ذلك لى ٠٠ اعطنى « كارت بلانش » اننى دائما ٠٠ كما تعلم « سيدة شرف » وانها حفلتى ٠٠ وسوف أحضر الأصدقاء معى ٠٠ ؟

قـــال :

ــ أننى أتمنى أن تحضرى معك « ايلتون » واننى لن أزعجك لتقدمى دعواتك للاخرين ٠٠ ؟

ــ اوه ٠٠ الآن تبدو رجلا خبيثا ماكرا ٠٠ ؟

ــ ولكن ٠٠ اعتبرنى مندوبة عنك بلا أدنى خوف ٠٠ فاننى كما تعلم مفوضة تفويضا آمنا ٠٠ فان النساء المتزوجات كما تعلم أيضا ٠٠ لهن مطلق الحرية والأمان ٠٠ الكافى ٠٠ انها حفلتى ٠٠ دعها كلها لى ٠٠وسوف أقوم أنا ٠٠ بدعوة ضيوفك ٠٠ ؟

أجاب بكل هــدوء :

ــ هناك امرأة وحدة فى العالم يمكننى السماح لها ٠٠ بدعوة ضيوفى الى « دونويل » ومن تريد دعوته ٠٠ أننى أعطيها الحـــرية الكاملة ٠٠ وهذه المرأة ٠٠ هى ٠٠ ؟

وقاطعته مسز ايلتون بغضب :

انها مسز ويستون عل ىما أعتقد ٠٠ ؟

ــ لا ٠ ٠لا ٠٠ انها ٠٠ « مسز نايتلى » ٠٠ وحتى تكون هــذه السيدة ٠٠ فاننى سوف أقرر هذه المسائل بنفسى ٠٠ ؟

صاحت مسز ايلتون فى جزل ٠٠ حيث انها لم تجد أى واحـدة يفضلها عنها :

— آه .. أنت أيها المخلوق الشاذ .. أنك رجل هزلى .. تحب المزاح .. ويمكنك أن تقول ما يعجبك قوله .. حسن .. حسن جدا .. سوف احضر جين معى .. جين وخالتها .. والباقين .. سوف اتركهم لك .. ليس لدى اى اعتراض .. بتاتا .. لمقابلة عائلة « هارتفيلد » .. أوه .. لا تشك فى كلامى .. فانا أعلم بانك مرتبط بهم أشد الارتباط .

— بالطبع .. بالطبع .. سوف تقابلينهم .. هذا .. اذا .. اذا تمكنت من اقناعهم .. وسوف أمر على مس بيتس فى طريق عودتى للمنـــزل .

— هذا شىء غير ضرورى بالمرة .. فاننى أرى جين يوميا .. ولكن .. هيه .. كما يحلو لك .. انها تكون خطة يومية .. كما تعلم يا نايتلى .. شىء بسيط للغاية .. أننى سوف أضع .. بونيه على رأسى .. وأحضر معى سبتا صغيرا .. بشريط أحمر .. لا شىء أكثر بساطة من هذا .. ها أنت ترى .. وجين أيضا .. سيكون نفس الشىء بالنسبة لها . انها ليست حفلة عامة .. انها شىء بسيط مثل حفلات الغجر .. وسوف نسير فى مزارعك .. ونقطف حبات الفراولة .. بأنفسنا .. ونجلس تحت الاشجار .. واذا ما أردت استضافتنا .. فيكون ذلك خارجا .. مائدة تمد فى ظلال الاشجار .. آه .. كما تعلم أنت .. كما تعلم .. كل شىء يكـــون طبيعيا . وبسيطا .. ما أمكن .. أليست هـــذه هى فكرتك .. ؟

— اوه .. ليس تماما .. ن فكرتى عن البساطة .. والطبيعة .. هى أن المائدة سوف تعد فى غرفة الطعام .. هذه هى بساطة السادة .. والسيدات .. مع خـــدمهم .. وأثاثاتهم .. أعتقد أن الحفلة .. تخدم أكثر . فى داخل الأبواب .. لا خارجها .. وعنـــــدما تشعرون بالتعب من اكل الفراولة فى المزارع .. فسوف .. تجدون لحما باردا فى المنـــزل .. ؟

— حسن .. كما تحب .. كما تحب .. وكل ما أرجوه .. أن لا تتوسع فى ضيافتك .. وعلى فكرة .. هل يمكن أن يكون لى أنا . او مديرة منزلى .. أية فائدة لك .. أو مساعدة بآرائنا .. وخدماتنا .. أرجوك تكلم باخلاص يا نايتلى .. اذا ما كنت ترغب فى أن أتكلم

مع مسز هودجز ٠٠ او ٠٠ أبحث لك عن أى شخص آخر ٠٠ تكلم ٠٠ تكلم ٠٠ يا نايتلى ٠٠ ؟

— أننى لا أريد حتى مجرد الكلام فى هذا الأمر ٠٠ ؟

— شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ لك ٠٠ ؟

— حسن ٠٠ ولكن اذا ما ظهرت أية صعوبات ٠٠ فان مـديرة منزلى ٠٠ ماهرة جدا ٠٠ ؟

— أننى سوف أعطى نصيحتى لكل شخص أن يسألها ٠٠ او أى ٠٠ مساعدة يطلبها ٠٠ حتى أنا ٠٠ ؟

— آه ٠٠ لكم أتمنى أن يكون لديك حمار ٠٠ ان أجمل شىء هو أن نأتى اليك كلنا ٠٠ ونحن نمتطى الحمير ٠٠ أوه ٠٠ جين ٠٠ ومس بيتسى وأنا ٠٠ وحبيبى يسير بجوارنا ٠٠ أننى سوف أتكلم معه لشراء حمار ٠٠ فى حياة القرية ٠٠ يبدو أنه شىء ضرورى جدا ٠٠ ليس من الضرورى أن تكون مختنقة دائما بين جدران منزل مغلق ٠٠ ثم السير لمسافات طويلة ٠٠ كما تعلم فى الصيف ٠٠ الغبار ٠٠ وفى الشتاء ٠٠ الطين ٠٠ ؟

— أنك لن تجدى هـــذا ٠٠ ولا ذاك ٠٠ بين « دونويل » ٠٠ وهايبرى طريق « دونويل » أبدا ٠٠ لا يكون معفرا ٠٠ والآن ٠٠ هو جاف تماما ٠٠ تعالى على حمار ٠٠ اذا كنت تفضيلنه ٠٠ يمكنك استعارة حمار مسز كول ٠٠ أننى أتمنى ٠٠ أن يوافق كل شىء ذوقك ومزاجك ٠٠ بقدر الامكان ٠٠ ؟

— هذا بالتأكيد ما أعرفه ٠٠ أننى اعتبرك صديقى العزيز ٠٠ تحت هذا الجفاء المصطنع ٠٠ والأخلاق الجافة ٠٠ يرقـــد بين جنبيك أطيب قلب فى العالم ٠٠ كما أقول دائما لمستر ايلتون ٠٠ انك مهزار لطيف ٠٠ نعم ٠٠ صدقنى ٠٠ يانايتلى ٠٠ أننى شديدة الحساسية من ناحيتك ٠ وأشعر تماما بما تريد أن تفعله من أجل اسعادى فى هـــذا المشـــروع ٠

ولم يكن لدى مستر نايتلى أى سبب آخر ٠٠ لتفادى مسألة المائدة فى الظلال ٠٠ سوى أنه كان يرغب فى دعوة مستر وود هاوس وايما الى

الحفلة ·· ويعلم فى الوقت نفسه ·· أن أى طعام يؤخذ خارج غـــرفة الطعام ·· سوف يجعل مستر وود هاوس مريضا على الفور ·· فان سفر ساعة أو ساعتين فى الصباح الى « دونويل » ·· ثم جلوسه بعد ذلك خارج الأبواب ·· قطعا هو أمر يجعل من مستر وود هاوس رجلا تعيسا تمامـــا ·· ؟

ودعى مستر وود هاوس باخلاص ·· وقابل هو الدعـــوة بسرور بالغ ·· فانه لم ير « دونويل » منذ سنين ·· وأيضا ·· هيه ·· فى الصباح ·· وصباح جميل ·· يمكنه أن يذهب هو ·· وايما ·· وهارييت ·· ويمكنه أن يجلس مع مسز ويستون ·· بيما تسير فتاتيه الجميلتين فى الحدائق ·· والمزارع ·· وأيضا يمكنه أن يسترخى قليلا فى منتصف اليوم ·· ويأخذ نومة لطيفة ·· أنه فعلا ·· يتلهف على رؤية المنزل القديم ·· ويكون سعيدا أيضا اذا ما قابل مستر ومسز ايلتون ·· وأى جيران أو معارف آخرين ·· أنه لا يجد أى اعتراض بتاتا على هـــذه الدعوة اللطيفة ·· وهو يؤمن أنها فكرة جميلة ·· وعمل عظيم من مستر نايتلى ·· وأنه شديد الحساسية والرقة ·· واللطف ·· والكرم ·· وأيضا المهارة ·· ليدعوهم ·· وأكثر من ذلك ·· يجعلهم يتناولون غذاءهم فى الداخل ·· فانه فى الحقيقة ·· لا يستمتع بالغذاء خارج الدار ·· ؟

وكان مستر نايتلى محظوظا فى هذه الخطة ·· فان كل فرد ·· كان يعتبر أن هذه ·· حفلته الخاصة ·· وانها مجاملة ·· أخذت خصيصا له ·· مثل مسز ايلتون تماما ·· وكانت ايمـــا وهارييت تتوقعان منتهى السعادة من هذه الحفلة ·· ووعد مستر ويستون أن يرسل ابنه فرانك أيضا ·· وكتب له خطابا ·· يستدعيه فيه ·· ووجد مستر نايتلى نفسه مرغما ·· على تحية مستر ويستون للترحيب بمستر فرانك ·· وأنه سوف يكون سعيدا جدا بحضوره ·· وفى نفس الوقت ·· شفى الحصان الأعرج ·· سريعا ·· بحيث عادت ترتيبات الذهاب الى « بوكسهيل » فى مثل هذه الظروف السعيدة ·· وتم ترتيب هذه الرحلة أيضا ·· على أساس أن تكون رحلة ·· « دونويل » ·· ليوم واحـــد ·· فقط ·· ثم الى بوكسهيل فى اليوم التالى ·· وقد بشر الطقس ·· بجمال وروعة ·· ؟

وفى يوم مشرق من أيام الصيف ٠٠ كان مستر وود هاوس ٠٠ يتربع فى راحة واسترخاء ٠٠ متخذا مجلسه فى ركن من عربته ٠٠ واحدى النافذتين مفتوحة ٠٠ ليراقب منها سير هذه المجموعة ٠٠ وفى واحدة من أجمل غرف الأبرشية ٠٠ جهزت خصيصا ٠٠ بتدفئة خاصة منذ الصباح الباكر ٠٠ كان سعيدا بجلوسه فى هدوء واطمئنان ٠٠ متحدثا عن متعته بهذه الرحلة ويدعو كل فرد للجلوس بجانبه ٠٠ وبما أن مسز ويستون كان مقررا لها عدم السير فى الحدائق ٠٠ والمزارع ٠٠ تفاديا لشعورها بالتعب ٠٠ لذا كان مجلسها بجوار مستر وود هاوس كل الوقت ٠٠ وعندما خرج الجميع ٠٠ وجد الرجل رفيقا ٠٠ صابرا محبا ٠٠ مستمعا اليه فى تعاطف وود ٠

ولم يمض وقت طويل حتى لحقت بهم ٠٠ « ايما » ٠٠ بعد أن اطمأنت على راحة والدها ٠٠ وهنائه ٠٠ وكانت سعيدة جدا ٠٠ لتعيد ذكرياتها وأحلامها لفترة بعيدة ٠ مع الأبرشية ٠٠ ؟

لقد مر وقت طويل جدا ٠٠ منذ أن كانت ايما فيها ٠٠ نظرت من حواليها ٠٠ بفرحة وسعادة ٠٠ لتنتعش ٠٠ وتستعيد الى ذاكرتها ٠٠ الانطباعات الهامة ٠٠ المنزل ٠٠ المزارع ٠٠ التى كثيرا ما استمتعت وعاشت فيها ٠٠ هى ٠٠ وعائلتها ٠٠ ؟

وشعرت بكل الفخر والكبرياء الحقيقى ٠٠ للمبنى الفخم ٠٠ المحترم ٠٠ موقعه ٠٠ مكانه ٠٠ حدائقه ٠٠ نظامه ٠٠ تنسيقه ٠٠ المروج ٠٠ التى يغسلها المجرى ٠٠ موقف المبنى الشامخ الذى لم يغيره ٠٠ أو يطغى عليه ٠٠ أى بناء حديث ٠٠ العريق ٠٠ الأصيل أصالة أهله ٠٠ ومكانتهم ٠٠ لقد كان المنزل أكبر من « هارتفيلد » فهو يشغل مساحة كبيرة من الأرض ٠٠ بعديد ٠٠ وعديد من الحجرات ٠٠ المريحة ٠٠ اللطيفة ٠٠ لقد كان كما يجب أن يكون فعلا ٠٠ لكى يكون ويبدو كما هو ٠٠ وكما يجب أن يبدو ٠٠ وشعرت ايما بمزيد من الاحترام له ٠٠ وللعائلة ٠٠ التى تقيم فيه ٠ من حيث الوعى ٠٠ والفهم والدم النبيل ٠٠ بعض الأخطاء تشوب تصرفات « جون نايتلى » ٠٠ ولكن ايزابيلا تمكنت من أن تتأقلم معه ٠٠ ومع طباعة ٠٠ وتصرفاته ٠٠ انها أبدا ٠٠

لم تلفظ بكلمة ٠٠ لا للرجل ٠٠ ولا للأسماء ٠٠ ولا للأماكن ٠٠ مما قد يثير حمرة الخجل فى وجوههم ٠٠ كانت هناك مشاعر حلوة ٠٠ ؟

وسارت « ايما » فى متعة خيالاتها ٠٠ حتى لحقت بهم ٠٠ ووجدت انه من الضرورى أن تعمل ما يعمل الاخرين ٠٠ فهـــم يقطفون ثمار الفـــراولة ٠٠ ؟

كانت المجموعة كلها معا ٠٠ ما عدا فرانك تشرشل ٠٠ الذى كان من المتوقع وصوله بين لحظة وأخرى ٠٠ من « ريتشموند » ٠٠ ومسز ايلتون فى أوج انتشائها ٠٠ وسعادتها بالبونيه الكبير ٠٠ والسبت ٠٠ واستعداد دائم لقطف الثمار ٠٠ وجمعها ٠٠ ووضعها فى السبت والحديث ٠٠ والحركة ٠٠ ولم يكن الحديث بالطبع ٠٠ الا ٠٠ عن الفـــراولة ٠٠ أجمل فاكهة فى انجلترا ٠٠ وأحب فاكهة الى كل شخص ٠٠ والصباح دائما ٠٠ يعد ٠٠ بمتعات ٠٠ وبهجة ٠٠ أنه أنسب وقت « برستول » ٠٠ « مابل جروف » ٠٠ الزراعة ٠٠ الحدائق ٠٠ الفاكهـــة اللذيذة ٠٠ ثم الشمس التى سوف تقودهم ٠٠ الى ٠٠ الموت ٠٠ أوه ٠٠ أوه ٠٠ لم يعد هناك احتمال أكثر من ذلك ٠٠ دعنا نذهب ٠٠ ونجلس فى الظل ٠٠ وكانت المحادثات لمدة نصف ســاعة ٠٠ تعرضت مـــرة ٠٠ وتوقفت ٠٠ وقوطعت من مسز ويستون ٠٠التى خرجت أو ظهرت من الداخللتتساءل عن حضور ٠٠ ابنها « فرانك » ٠٠ ولم تشعر بالراحة ٠٠ أنها تخاف عليه من حصانه ٠٠ ؟

ووجدت المقاعد فى الظل ٠٠ والآن ٠٠ كانت « ايما » ملزمة ٠٠ للاستماع الى ما تقوله مسز ايلتون وجين فاريفكس ٠٠ ؟

كان هناك وضع ٠٠ مرغوب جدا ٠٠ أنه موضوع ممتع ٠٠ فان مسز ايلتون تلقت مذكرة فى ذلك الصباح ٠٠ فى نشوة ٠٠ لم تكن تخص مسز ساكلنج ٠٠ ولا مسز براج ٠٠ ولكنها تتعلق بهما ٠٠ من قريب ٠٠ أو من بعيد ٠٠ فهى قد وصلت من ابنة عم « مسز براج » ٠٠ وهى ايضا جارة ٠٠ لمسز ساكلنج سيدة معروفة جدا فى « مابل جروف » جميلة ٠٠ مشرقة ٠٠ مرحة ٠٠ جذابة ٠٠ ممتازة ٠٠ سيدة من الدرجة اولى ٠٠ فى كل شىء ٠٠ وكانت مسز ايلتون هى المعنية ٠٠ بوصول العرض ٠٠

اليها شخصيا ‥ ومن جانبها ‥ كان كل شىء ممتعا ‥ وبهيجا ‥ ولا يمكن أن ترفض هذه الدعوة ‥ ولا يمكنها ‥ الانتظار حتى ترسل الرد ‥ ببريد الصباح ‥ وهكذا شىء غريب جدا ‥ لقد كانت ايما ‥ فى منتهى الذهول ‥ كيف يمكن لجين ان تتحمل كل هذا ‥ الازعاج وكل هذه السفاسف ‥ والمنغصات وكان يبدو عليها الغضب والكدر ‥ ولم تكن تتكلم الا نادرا ‥ بنقاط محددة ‥ مبتورة ‥ أخيرا باقتراح للتحرك ‥ أوه ‥ انهم لا يريدون أن يتحركوا ‥ هل مستر نايتلى ليس عنده استعداد لأخذهم الى حدائقه ‥ ورغبت ايما ‥ فى أن تنتظر لترى نهاية هذه المأساة ‥ والنهاية كانت ‥ أن صديقتها قد ضاق بها كل هذا ‥ ولم تعد تتحمل هذه السيدة أكثر من ذلك ‥ ؟

وكان الجو حارا ‥ بل شديد الحرارة ‥ وبعد السير فى الحدائق فى مجموعات متفرقة ‥ ونادرا مايتكون خط سير كل منهم ‥ ثلاثة ثلاثة ‥ ثم واحدا ‥ وراء واحد ‥ أخذوا طريقهم ‥ فى طريق به مجرى ‥ وظلال ‥ يخترق النهـــر ‥ ومتعة ‥ الأرض الخضراء ‥ الرطبة ‥ وقادتهم أقدامهم الى النهاية ‥ بنهاية الطريق ‥ وهو حائط حجرى منخفض ‥ بأعمده عانية ‥ تعطى مظهرا رائعا ‥ بالقرب من المنزل ‥ ؟

وكانت النزهة ممتعة حقا ‥ المنظر فى غاية الروعة والابداع ‥ وهناك كانت تقع كنيسة ‥ وحولها منخفض متسع ‥ عبارة عن المزارع التى تحيط بها ‥ مما يجعلها تقبع فى منحنى ‥ غاية فى الروعة ‥؟

فى الحقيقة ‥ لقد كان منظرا حلوا ‥ جميـــلا ‥ حبيبا الى العين والعقل ‥ نضرة الخضرة الانجليزية ‥ الزراعة الانجليزية ‥ الراحة الانجليزية كل هذا ‥ كان يشاهد تحت شمس ساطعة ‥ حبيبة أيضا ‥ لا تعطى أى شعور بالمضايقة ‥ ؟

وفى هذه النزهة ‥ رأت « أيما » أن كل اثنين قد تجمعا سويا وسارا معا ‥ ولمحت على الفور ‥ مســـتر نايتلى ‥ وهارييت ‥ يقودان المجموعة فى مقدمة الطابور ‥ نايتلى ‥ كان شيئا شاذا حقا ‥ رأسا برأس ‥ وهارييت ‥ كانت تبدو سعيدة ‥ لقد كان المنظر

حبيبا الى قلب ايما ٠٠فمنذ وقت طويل٠٠ أبدى نايتلى احتقاره لرفيقتها ٠٠ واعتباره ٠٠ انها صديقة غير مناسبة لها ٠٠ ؟

والآن ٠٠ هما يبدوان فى محادثة ممتعة ٠٠ ومن مدة طويلة ٠٠ كانت هارييت تخاف من مزرعة الكنيسة ٠٠ ولكن ٠٠ الآن ٠٠ هى لاتخاف منها ٠٠ بل تسير فى منتهى الفرح ٠٠ والسعادة ٠٠ وامان ٠٠ كانت من أجمل المناظر الفنية الفخمة ٠٠ المراعى الخضراء ٠٠ وقطعان الأغنام٠٠ تنتشر ٠٠ وبساتين الفواكه ٠٠ مزهرة ٠٠ وضوء ٠٠ دخان هادىء يرتفع ولحقت بهم عند الحائط ٠٠ ووجدتهما منشغلين بالحـــديث أكثر من انشغالهما بالنظر ٠٠ لقد كان يشرح لهارييت طرق نظرة التساؤل ٠٠ وكانها تقول ٠٠ هذه أمورى الخاصة ٠٠ ولى مطلق الحرية أن أتكلم فى أى موضوع دون أن أتوقع تقديمه ٠٠ من « روبرت مارتن » ٠

أبدا ٠٠ انها لم تكن تتوقع ذلك ٠٠ ان هذه قصة قديمة جدا ٠٠ أن روبرت مارتن فى الحقيقة أو على الارجح ٠٠ قـــد فكر يوما فى « هارييت » أما الآن ٠٠ فلم يذكر نايتلى ذلك ٠٠ ؟

على كل حال ٠٠ فانها سارت معهمـــا ٠٠ مع أمتع صـــحبة فى المجموعة كلها ٠٠ وأمتع جزء من متعات اليـــوم ٠٠ جزء منتعش ٠٠ وظليل ٠٠ الى النفس والقلب ٠٠ ؟

وكان التحرك التالى ٠٠ نحو المنزل ٠٠ كان عليهم كلهم أن يأخذوا طريقهم الى الداخل ٠٠ لتناول الغذاء ٠٠ وجلس الجميع ٠٠ وانشغل الجميع ٠٠ ولم يحضر بعد « فرانك تشرشل » ٠٠ ؟

وكانت نظرات مسز ويستون رائحة ٠٠ غادية ٠٠ بلا أمل يبدو ٠٠ مما دعا مستر ويستون أن يتضاحك على قلقها ٠٠ ولكنها قالت :

ـــ ان خالته الآن ٠٠ أفضل كثيرا مما كانت ٠٠ وليس هناك أية حجة ٠٠ فى أنه قد ذهب اليها ٠٠ ؟

ـــ ان حالة مسز تشرشل ٠٠ كانت دائما أبدا مثار قلق لها ٠٠ لتذكرها فى كل لحظة ٠٠ مع كل توقع مفاجىء لخيبة أمل ٠٠ أو ضياع أمل فى حضور ابن أختها ٠٠ ربما تكون قد أصابتها حالة مفاجئة ٠٠ منعت فرانك من الحضور ٠٠ ؟

وكانت ايما فى خلال هذا الحديث .. تراقــب « هارييت » .. لترى وقع هذا الحديث عليها .. ولكن هارييت كانت تتصرف بطبيعة سليمة .. دون أى اظهار لأية عاطفة .. أو تلهف ؟

ومرت السحابة الباردة بسرعة .. وتحركت المجمـوعة .. على الفور لزيارة الأماكن التى لم يزوروها .. الكنيسة القديمة .. بحيرات السمك ليسرعوا قبل تغير الطقس فانه كان يبدو فى الصباح .. ان هناك تباشير برد .. ولكن .. ما أن انتصف النهار .. حتى ارتفعت الحرارة وكان جو جميل جدا .. بالنسبة لرحلة .. ثم ابتدأ البـــرد .. يلوح بنسماته ثانيا ؟

وبما أن مستر وود هاوس .. كان قد أخذ رياضة كاملة .. حول الجزء العلوى من الحدائق .. وجد أن فى هذا الكفاية له .. وكذلك رأت ابنته أن تمكث بجواره .. حتى تتيح لمسز ويستون أن تمارس رياضتها مع زوجها .. ؟

لقد قدم مستر نايتلى .. كل طاقاته .. وكل امكانيات خدماته .. لراحة « مستر وود هاوس » كتب قواقع .. صلصال .. رسم .. البومات صور .. مجموعات لكل العائلة .. لكى يستمتع بوقته .. وحقيقة .. وبالفعل .. فان مستر وود هاوس قد استمتع بوقته .. كل الاستمتاع .. وكانت « مسز ويستون » مكلفة بان تعرضها عليه .. ؟

والآن .. جاء دوره هــــو .. ليعرضها على « ايمــــا » ثم رأت ايما أن تنسحب .. لتلقى نظرة على المنزل .. وسارت الى الصالة .. وحيدة .. هاربة من هـــذه المجموعات البشرية .. تريد الاستطلاع .. وترغب فى التأمل .. وحدها .. بفكرها وبوحدتها .. ولكنها فوجئت برؤية « جين فاريفكس » تسرع هى الأخرى .. الى الداخل .. وفى عينيها .. نظرة هــروب وجفلت هى الأخرى .. عنـــد رؤية « مس وود هاوس » ولكن .. فى الحقيقة .. كانت هى وحدها .. « مس وود هاوس » التى تحتاج اليها .. « جين فاريفكس » فى هذه اللحظة .. لذا قالت لها على الفور :

— هل لك أن تفعلى معـروفا معى يا مس وود هاوس .. اذا

حدث وافتقدوا وجودى ٠٠ أرجوك أن تقولى لهم ٠٠ باننى قد عدت الى المنزل ٠٠ ولو أننى أعتقد أنهم لن يشعروا بغيابى ٠٠ فان بعضهم يسير على شاطىء المجرى ٠٠ ومجموعة أخرى فى الحقول والمزارع ٠٠ ولن يعرفوا اختفائى الا بعد دخولهم هنا الى المنزل ٠٠ واذا حدث ٠٠ وسألوا عنى ٠٠ فأرجو منك أن تخبريهم باننى قد عدت الى منزلى ٠٠ هل تؤدى لى هذه الخدمة ٠٠ ؟

— أوه ٠٠ بالطبع ٠٠ بالطبع ٠٠ ما دمت تريـــدين ذلك ٠٠ ولكنك قطعا ٠٠ لن تسيرى الى هايبرى بمفردك ٠٠ ؟

— وماذا فى ذلك ٠٠ وما الذى سوف ٠٠ يضيرنى ٠٠ أننى أسير بسرعة فائقة ٠٠ وسأكون بالمنزل فى أقل من عشرين دقيقة ٠٠ ؟

— ولكنها ٠٠ مسافة كبيرة جدا ٠٠ صدقينى ٠٠ حتى تقطعينها وحيدة ٠٠ دعى خادم والدى يذهب معك ٠٠ أو دعينى أعطى أوامرى للعربة ٠٠ لتحملك الى المنزل ٠٠ انها يمكن أن توصلك فى خمس دقائق٠

— شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ ولكننى أريد أن أسير ٠٠ وهل أنا التى تخاف أن تسير بمفردها ٠٠ أنا التى سوف أكون مسئولة ٠٠ عن حماية آخـــرين ٠٠ ؟

— ولكن هذا ليس سببا كافيا ٠٠ لكى تذهبى بمفـــردك أنك تبدين متعبة فعلا ٠٠ وسوف أطلب لك العربة ٠٠ ؟

أجابت جين :

— فعلا ٠٠ أنا متعبة ٠٠ ولكنه ليس من نوع التعب ٠٠ الذى يضنى ٠٠ فان السير بسرعة فى الهواء الطلق سوف ينعشنى ٠٠ ويعيد الى حيويتى ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ كلنا نعلم الأوقات التى نشعر فيها بالتعب ٠٠ وبالنسبة لى ٠٠ فاننى الآن اعانى من بعض الضيق ٠ والخدمة الكبرى ٠٠ التى تؤدينها لى ٠٠ هى أن تتركينى أخـــذ طـــريقى ٠٠ للعودة سريعا ٠٠ وتتكرمى بابلاغهم ٠٠ باننى قد عدت الى المنزل ٠٠ اذا كان هذا ضروريا ٠٠ ؟

ولم تجد ايما ٠٠ أى كلمة للاعتراض ٠٠ وسكتت ٠٠ ثم دخلت الى الداخل ٠٠ لتعيش فى صدى مشاعرها الخاصة ٠٠ وصوت جين يقول ٠٠ وهى تغادرها بنظرة كلها امتنان ٠٠٠؟

— آوه .. مس وود هاوس .. الراحة التى يشعر بها المرء .. حين يكون وحيدا .. فى بعض الأحيان .. ؟

وقد شعرت ايما .. بكلماتها تنفذ الى اعماقها .. لأنها خارجة من قلب .. مثقل بالضغوط .. وأيضا شعرت .. بانها تتلمس الطريق .. لأناس .. يحبونها أفضل .. ؟

« فعلا .. فعلا » .. المنزل .. والخالة .. والجـــدة .. أننى أرثى لك .. وكلما قاســيت من أخطـــاء الآخرين .. كلمـــا ازددت حبا لك .. ؟

ولم يمض وقت .. على ذهاب جين أكثر من ثلاثة أرباع الساعة .. ولم تكن قد شاهدت من اللوحات المعلقة على الحائط الا كنيسة سانت مارك وفينيسيا .. حين دخل فرانك تشرشل الحجرة .. ولم تكن ايما تفكر فيه .. أو فكرت فيه .. ولكنها على أى حال .. شعرت بسعادة عند رؤيته .. فان مسز ويستون قطعا سوف ترتاح نفسيا .. وتهدأ .. والملوم فعلا .. كما قالت مسز ويستون .. هى .. مسز تشرشل .. كانت السبب .. فلقد عزم على الحضور .. على الفور .. ولكنه فوجئ بنوبة غير متوقعة .. لمرضها .. اضطراب أعصاب .. استمر لبضـــعة ساعات .. بحيث قطع الأمل فى حضوره .. ومع اشتداد الحـــر فى الطريق .. ظن أنه لن يتمكن من الحضور .. ولكنه صمم فى النهاية على الحضور . ولم يقاسى طول حياته مثل ما قاساه فى ذلك اليوم .. وتمنى لو كان قد بقى فى المنزل .. فانه لا يقتله شيء مثـــل الحر .. وجلس بعيدا عن مجلس مس وود هاوس بجانب النار .. ؟

وقالت له ايما :

— حالا .. سوف تشعر بالتحسن .. وتهدأ .. وتترطب نفسك .. متى جلست بعيدا هكذا .. كما أنت .. ؟

— حالما يترطب جسدى .. حالما أعود ثانيا .. ولكن .. هناك نقطة هامة .. ترتبت على حضورى وهى .. انكم كلكم .. ســـوف تعودون معى .. أعتقد ذلك .. المجموعة كلها .. لاننى قابلت واحدا فى مثل هذا الطقس .. مجنون .. مجنون .. حقيقة .. مجنون .. ؟

وانصبت اليه ايما ·· وايقنت أنه ·· فرانك تشرشل » ·· سوف تتحسن حالته بعد أن بعد عن مضايقات الطقس ·· فان هناك أناسـا يخرجهم الحر ·· عن وعيهم ·· وأوصت بأن يتناول بعض المرطبات والمأكولات ·· وأشارت بيدها ·· الى باب حجرة الطعام ·· ولكنه قال أنه لن يتناول شيئا ·· فأنه لا يشعر بالجوع ·· والطعام سوف يزيد من حرارته ·· وبعد دقيقة ·· عاد الى طبيعته المرحة ·· وطلب كوبا من البيرة ·· وهنا استدارت ايما الى الى والدها هامسة فى أذنه بسرعة :

— بابا ·· أنا سعيدة لأننى لم أتبادل الحب معـه ·· فاننى لا أحب الرجل الذى يتأثر للمؤثرات الطبيعية فيتألم من صباح حار ·· هارييت الحلوة ·· بطباعها اللينة ·· سوف لا يهمها مثل هذا الأمر ··

وعاد فرانك تشرشل وقد استعاد مرحه ·· وطبيعته بعد أن أكـل أكلة طيبة ·· وشرب مشروبا مثلجا ·· وأصبح فى امكانه أن يشد مقعدا ·· ويجلس بجانبهم ·· ويعتذر عن تأخيره ·· ؟

ولم يكن فرانك فى روحه المعتادة ·· ولكنه بدا أنه يحـاول أن يتعايش معهم ·· وفى النهاية ·· تمكن من أن يكون مقبولا ·· وكانوا ينظرون الى مناظر طبيعية لسويسرا ·· ؟

قـال :

— أول ما تتحسن صحة زوجة خالى ·· سوف أسافر على الفور للخارج ·· فاننى لن ارتاح الا بعد أن أزور كل هذه البلاد ·· وسوف يكون لديكم بعض الصور ·· لتنظروا وتتطلعوا اليها كما تفعلون الآن·· أو أنباء عن رحلتى ·· لتقرأوها ·· أو حتى أشعارى ·· فاننى لابد ·· وأن افعل شيئا لاثبت وجودى ·· أو لأعبر عن نفسى ·· ؟

— هذا ·· ربما يكون ·· ولكن ·· ليس لمناظر عن سويسرا ·· فانك أبدا لن تذهب الى سويسرا ان خالك وزوجته لن يسمحا لك بمغادرة انجلترا ·· ؟

— ربما يكونان مرغمين على الذهاب الى هناك أيضـا ·· فان الطقس الحار ·· ربما يوصف لها ·· ان لدى أكبر من التوقعات للسفر الى الخارج ·· وأننى أوكد لكم ذلك ·· ان لدى شعورا قويا ·· هـذا

الصباح من اننى سوف أسافر للخارج ٠٠ لقد تعودت على السفر ٠٠ تعبت ومللت من البقاء دون ما عمل ٠٠ أو دعل أى شىء ٠٠ أريد التغيير ٠٠ اننى جاد فيما أقول ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ أيا كان الشك فى نظراته فاننى ملول من انجلترا٠٠ويمكننى ان أتركها غدا ٠٠ اذا ما تمكنت٠٠؟

— انك مريض من النجاح والحنان ٠٠ يمكنك أن تخترع صداقة صعبة ٠٠ أو جافة ٠٠ لتجعلك ٠٠ راضيا ٠٠ قانعا بالحياة ٠٠ ؟

— أنا مريض من النجاح والحنان ٠٠ ؟ انك مخطئة ٠٠ مخطئة تماما ٠٠ اننى لا انظر الى نفسى ٠٠ ولا أشعر ٠٠ بنجاح أو حنان اننى لا أعتبر نفسى أبدا ٠٠ انسان محظوظ ٠٠ ؟

— انك لست تعيسا الآن ٠٠ كما دخلت أول لحظة ٠٠ اذهب وكل أكثر ٠٠ واشرب أكثر ٠٠ وحينئذ سوف تشعر بكل الرضا والسعادة٠٠ شريحة أخرى من اللحم البارد ٠٠ كوب آخر من البيرة ٠٠ تعود الى انتعاشك ٠٠ وترتاح الينا جميعا ٠٠ ؟

— لا ٠٠ اننى لن أذهب ٠٠ ولن آكل ٠٠ ولن أشرب ٠٠ بل سأجلس بجانبك ٠٠ انك أفضل علاج لى ٠٠ ؟

— سوف نذهب فى الغد ٠٠ الى « بوكسهيل » ٠٠ وأنت سوف تلحق بنا ٠٠ أنها ليست سويسرا ٠٠ ولكنها سوف تكون شيئا ما ٠٠ لشاب يريد التغيير ٠٠ ستبقى هنا ٠٠ لتذهب معنا ٠٠ ؟

— لا ٠٠ بالطبع لا ٠٠ ؟ سوف أعود للمنزل فى برودة المساء ؟

— ولكنك قطعا ٠٠ سوف تحضر فى برودة الصـــباح الباكر ٠٠ غـــدا ٠٠ ؟

— لا ٠٠ هـــذا ليس ممكنا ٠٠ اذا ما أتيت ٠٠ فسوف تكون محنـــة ٠٠ ؟

— اذن ابقى فى ريتشموند ٠٠ ؟

— واذا ما فعلت ٠٠ فسأظل فى هذه المحنة ٠٠ اننى لا يمكن أن أحتمل التفكير فيكم كلكم ٠٠ وأنتم هناك ٠ ٠وبدونى ٠٠ ؟

— هذه صعوبات ٠٠ عليك ان تحلها بنفسك ٠٠ اختار المحنة التى ترتاح اليها ٠٠ فاننى لن أشدد عليك أكثر من ذلك ٠٠ ؟

والآن ‥ عادت باقى المجموعة ‥ وسرعان ما اجتمعوا كلهم ‥ وبسرور بالغ ‥ قابلوا ‥ فرانك تشرشل ‥ والاخرين ‥ أخذوا الأمر برزانة ‥ ولكن كان هناك انزعاج شديد على اختفاء مس فاريفكس ‥ الذى تم تفسيره لكل شخص ‥ وبترتب نهائى قصير ‥ رحلوا بعـــد أن اتفقوا على رحلة فى اليوم التالى ‥ وكانت كلمات فرانك تشرشل الأخيرة لايما هى :

ـــ حسن ‥ حسن جدا ‥ اذا ما كنت ترغبين فى أن ابقى ‥ فاننى سوف أفعل ‥ ؟

وكانت ابتسامتها ‥ دليـــل موافقتها ‥ ولا شىء ‥ أقـــل من استدعاء من « رينتشموند » ليعيده ثانيا ‥ قبل مساء اليوم التالى ‥ ؟

الفصل الثانى والأربعـون

لقد استمتعوا بيوم جميل ·· فى « بوكس هيل » وكانت كــل الظروف ·· مواتيه لتحقيق هذا الاستمتاع ·· فلقد أخذ مستر ويستون على عاتقه ·· تنسيق هذه الرحلة ·· بحيــث ينقلون ·· مــا بين « هارتفيلد » والابرشية ·· وكل فرد ·· فى حالة راضية ·· ومستمتع أيضا بوقته ·· وبهجته ·· ؟

ايما وهارييت ·· ذهبتا سويا ·· مس بينس وابنة أختهــا مع الايلتونز ·· والسادة الرجال ·· على ظهور الخيل ·· ومسز ويستون بقيت مع مستر وود هاوس وكانت هذه هى أقصى سعادة ·· ومتعة ·· لكليهما ··

سبعة أميال ·· متوقع لها السرور والانشراح ·· وكل واحد يتوق الى اللحظة التى يصل فيها ·· ولكن السير تفرق ·· وتغير النظام ·· فان الايلتونز ·· سارا سويا ·· وتولى مستر نايتلى مراعاة ·· مس بيتس ·· وجين ·· أما ايما وهارييت ·· فكانتا من اختصاص «فرانك تشرشل» ·· وحاول مستر ويستون ·· محاولات يائســة تماما فى أن يجعلهم ينضمون لمجموعة واحدة ·· حفظا للنظام ·· ؟

لقد كان يبدو الأمر ·· حدثا كبيرا ·· وللحقيقة أيضا ·· فان مستر ومسز ايلتون أظهرا عدم الترحيب فى مسألة الانضمام هــذه ·· ولكن ·· على أى حال ·· فان الساعتين اللتين أمضيناها على التل كانت من أمتع اللحظات ·· لأن فيها ·· عاد ·· التجمع اللطيف المرح ·· حول مستر ويستون ·· ؟

وفى البداية ·· كان كل شىء ·· بغيض مقبض بالنسبة لايما ·· فانها أبدا ·· لم تر فرانك تشرشل هكذا ضامتا ·· غبيا ·· أو متغابيا ·· فانه ·· لا يتكلم ·· ولا يسمع ·· ينظر دون أن يرى ·· أو يعجب لأى شىء ·· ودون ما أى لمحة ذكاء ·· منصتا اذا ما أنصت ·· دون أن يعرف ما يقال ·· وبينما هو يسير فى هذا الغباء فمما لا شك فيــه ·· أن هارييت أيضا يجب أن تكون بالمثل ·· وهكذا ·· أصبح الاثنين عبئــا ثقيلا على ايما ·· ؟

ولكن .. عندما جلسوا كلهم .. بدا أن الجـو تحسن قليلا .. لمزاجها هى .. على الأقل .. تحسن الى درجة كبيرة .. لأن فرانك تشرشل أنتعش .. وتكلم .. وتحرك .. بمـرح .. وجعلها هى .. وجدها .. هدفا لأهم مواضيعه .. وأحاديثه .. كل اهتمام كان يعطى لهـا .. حتى يمتعها .. ويسليها .. ويكون مقبولا .. فى عينيها .. ولاحظ الكل .. انه لا يهتم الا بها .. وايما بسعادتها لهذا المرح .. أعطته كل اهتمامها أيضا وتشجيع بالصداقة .. مع مراعـاتها عـدم الاندماج فى اظهار العواطف .. فانها أبدا أبدا لم تعطه مثل هـذا التعاطف الذى لو بدأ أمام الناس .. فلا يوجد هناك أى كلمة انجليزية تعبر عن تعاطفهما .. الا أن يصفوا مستر فرانك تشرشل .. ومس ايما وود هاوس .. الا بأنهما يغـازلان بعضهما البعض .. ولكانت على الفور .. أرسلت خطابات بهذا المعنى .. من سيدة الى « مابل جروف» .. ومن أخرى .. الى ايرلندا . .وبالطبع .. لم تكن ايما بلهاء حتى لا تدرك ما قد يحدث من التصاقهما معا .. ولكنها فعلت ذلك .. لأنها شعرت بانها أقل سعادة مما كانت تتوقع .. انها قد أصيبت بخيبة أمل .. وضحكت .. ضحكت لأنها صدمت .. لقد أحبته .. لاهتمامه بها .. واعتقدت أن كل هذه العواطف .. تدخل فى « باب الصـداقة » .. ولكنها أبدا .. لم تلمس قلبها .. وانها تصادقه فقط .. وفى ذهنها انه لابد .. وأن يكون من نصيب صديقتها .. ؟

قال فرانك :

ـــ كم أنا مدين لك .. بكل ما أنا فيه من سعادة .. لأنك انت التى طلبت منى الحضور اليوم .. أوه .. لو لم أكن معك .. لفقدت كل متعات هذه الصحبة .. ولكنت عدت على الفور .. من حيث اتيت ؟

ـــ نعم .. نعم .. لقد كنت فى محنة شديدة .. ولم أكن أعرف ماهى .. الا انك قد تأخرت فى قطف ثمار الفراولة .. لقد كنت أنا .. صديقة رحيمة لا تستحقها .. ولكنك أنت .. كنت ذليلا .. واستجديت بشدة للحضور .. ؟

ـــ لا .. لا تقولى بانى كنت فى محنة .. لا .. كنت متعبا .. فقط .. الحر حطمنى تماما .. ؟

— ان اليوم .. أشد حرارة من الأمس .. ؟

— ولكن .. ليس لمشاعرى .. فاننى فى منتهى الراحة اليوم ؟

— انك مرتاح .. لأنك تحت الرعاية .. ؟

— اوه .. نعم .. نعم .. رعايتك .. ؟

— ربما قصدت أنا .. أن تقول أنت هـــذا القول .. ولكننى اقصد أيضا .. ان أقول رعايتك الشخصية لنفسك .. أنك أمس .. كسرت قيودك .. وأفلت من رقابة نفسك .. وانفلتت معاييرك .. وهربت من ارادتك الخاصة .. ولكنك اليوم عدت ثانيا .. ولكننى لن أكون دائما معك .. أنه من الأفضل أن تفهم تصرفاتك .. وأهدافك الخاصـــة .. بنفسك .. وتحت رقابتك أنت .. بدلا .. منى أنا .. ؟

— لقد وصلت الى نفس الشىء .. لا يمكن أن يكون عندى .. اشراف شخصى .. دون تحريك .. أنت تأمريننى .. اذا كنت أتكلم أم لا .. ويمكنك أن تـكونى دائما معى .. معى .. لأنك بالفعل .. دائما معى .. ؟

ابتدأ هذا .. بتوقيت الساعة الثالثة أمس .. ان تأثيرى لم يكن موجودا الا منذ ذلك الوقت أو أنك لم تكن فى مثل هذه الحالة من المزاج .. الرائق . .من قبل .. ؟

أوه .. الساعة الثالثة أمس .. آه .. هذا هو موعدك .. أننى أتذكر الآن .. فاننى .. أول ما قابلتك .. كان فى فبراير .

— فى الحقيقة .. ان اندفاعاتك لا يمكن الرد عليها .. (ثم بصوت خفيض) .. لا أحد يتكلم الا نحن الاثنين فقط .. ومن العار ان نتكلم هكذا كثيرا .. للاشىء .. وأمام سبعة أشخاص .. ؟

أجاب هو .. بحيوية متدفقة :

— اننى لا أقول شيئا أخجل منه .. لقد رأيتك فعلا .. أول مرة فى شهر فبراير .. دعى كل شخص فوق التل يســـمعنى اذا تمكن من ذلك .. دعى صوتى يعلو ..وينتشر من ميدبيلهام من جانب «ودوركنج» من الجانب الآخر .. لقد رأيتك أول مرة فى فبراير .. ؟

ثم همس فى أذنها :

ـــ فى الحقيقة ٠٠ أن رفاقنا اغبياء ٠٠ تماما ٠٠ ماذا نفعــل لنثيرهم ٠٠ ؟ أى تفاهه ٠٠ سوف تخدمنى فى ذلك ٠٠ فهم ٠٠ ســوف يتكلمون ٠٠ ؟

« سيداتى ٠٠ وسادتى » لقد أمرتنى مس وود هاوس لأقول ٠٠ ما ترغب هى ٠٠ فى معرفته ٠٠ وهو :

« ماذا تفكرون أنتم الآن ٠٠ ؟

وضحك بعضهم ٠٠ والاخرين اجابوا ٠٠ تكلمت مس بيتس كثيرا ٠٠ ومسز ايلتون ذهلت من أوامر مس وود هاوس ٠٠ أما مستر نايتلى ٠٠ فكان أكثر ايجابية ٠٠ وجدية ٠٠ قال :

ـــ هل مس وود هاوس متاكدة من أنها تحب أن تسمع ما نفكر فيه جميعا الآن ٠

صاحت ايما بدون مبالاة ٠٠ أو ادعاء عدم مبالاة :

ـــ لا ٠٠ لا ٠٠ أننى أريد أن أعرف أى شىء فى العالم الا ما تفكرون فيه الآن ٠٠ اننى لا أقول ٠٠ انكم كلكم تفكرون ٠٠ ولكن هناك واحدا أو اثنين ٠٠ ؟

(ثم بنظرة الى مسز ويستون وهاربيت) لا أخـــــاف أبدا من تفكيرهما ؟

صاحت مسز ايلتون :

ـــ أوه ٠٠ أفكار ٠٠ تفكير ٠٠ هذا لم يحـــــدث أبدا ٠٠ فى رحلاتنا الاستكشافية من قبل ٠٠ أو ٠٠ حفلات بها سيدات وانسات ٠٠ ولم يحدث فيها أبدا ٠٠ مثل هذا ٠٠ ؟

وكان حديثها موجها تقريبا الى زوجها ٠٠ الذى غمغم قائلا :

ـــ نعم ٠٠ حقيقة يا عزيزتى ٠٠ تماما كما تقولين ٠٠ ولكن بعض السيدات يقلن أشياء ٠٠ أعتقد أنه من الأفضل أن نجعلها تمر ٠٠ وكأنها نكتة ٠٠ كلنا يعرف من أنت ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ؟

همس فرانك لايما :

— أغلبهم قد استاءوا من ذلك ‥ سوف أثيرهم أكثر ‥ سيداتى ‥ وسادتي ‥ لقد امرتنى مس وود هاوس ‥ أن أقول لكم أنها تصر على أن تعرف فيما يفكر كل منكم الآن ‥ ؟

صات مسز ايلتون :

— اوه ‥ أنا ‥ أرجو اعفائى ‥ أننى لست مغـــرمة بتاتا بمثل هذه الألعيب الصبانية ‥ لقد حدث أن أرسل لى مرة مثل هذا ‥ اعتقد أن شخصا ما أرسله لى ‥ ولم أكن مسرورة أبدا لمثل هذه الأمور ‥ أعتقد أنه من أولئك الشباب ‥ « الخنافس » أوه ‥ (ونظـــرت الى زوجها) ‥ أنت تعلم من الذى أعنيه ‥ مثل هذه الاشياء تفعـل دائما فى « الكريسماس » ‥ عندما تكون المجموعة جالسة حول النار ‥ لكن عندما نكون فى رحلة فى الصيف ‥ فهذا شىء غير مألوف ‥ مس وود هاوس ‥ يجب أن تعذرنى ‥ فاننى لست دائما مستعدة أن أكون تحت رغبات الآخرين ‥ حقيقة ‥ أننى أعرف كيف اتحكم فى لسانى ‥ ليتكلم أو ‥ ليصمت ‥ ؟

— أرجوك ‥ اغفلنا نحن ‥ يا مستر تشرشل ‥ أترك مستر نايتلى ‥ وجين ‥ وأنا ‥ ليس دينا شيئا ذكيا لنقوله ‥ ولا أحد منـــــا ‥ ؟

وأضاف زوجها :

— نعم ‥ نعم ‥ اتركنا ‥ ليس لدى شىء خاص يمكن أن أقوله لمس وود هاوس ‥ أو لأى سيدة أخرى ‥ أننى رجل عجوز ‥ متزوج ‥ لا أصلح لشىء ‥ أوه ‥ هل نسير يا أوجستا ‥ ؟

— من كل قلبى ‥ فى الحقيقة ‥ لقد تعبت من الاستكشاف‥ هكذا طويلا ‥ وفى بقعة واحدة ‥ جين ‥ تعالى ‥ خذى بذراعى الأخـــرى ‥ ؟

— ولكن جين تجاهلته ‥ على أى حال ‥ فقد أمسك الزوج بذراع زوجته ‥ وخرجا ‥ ؟

وحالما بعدا عن الاسماع .. صاح فرانك تشرشل :

— اه .. زوجان سعيدان .. انهما مناسبان تماما .. سعيدا الحظ جدا .. تناسب تام .. يشكلان وحدة متناسقة .. أعتقد أنهما لم يعرفا بعضهما الا لمدة أسبوع واحد فقط فى « باث » حقيقة حظ .. فانه فى مكان عام مثل « باث » أبدا لا يعد بمعرفة تؤدى الى « زواج » .. أو حتى بمعرفة بتاتا .. الزواج فقط .. عندما يشاهد الرجال .. النساء فى منازلهن الخاصة .. فى أماكنهن .. حينما يكن دائما .. ومن منازلهن .. وحياتهن .. يمكن تشكيل رأى خاص .. التقصير .. فى هذا .. لا يشكل أى حكم صائب .. ان المعرفة القصيرة . تؤدى الى الندم مدى الحياة . ؟

ومس فاريفكس التى التزمت الصمت طوال الفترة السابقة .. تكلمت الآن :

— بلا شك .. هناك أشياء تظهر فيما بعد ..؟

وهنا .. قوطعت بسعال من مستر فرانك تشرشل .. الذى التفت اليها . .قائلا لها .. ببرود شديد :

— آه .. هل كنت تتكلمين .. ؟

واستعادت صوتها لتقول :

— لقد كنت أقول .. ان العلاقة السريعة سوف تؤدى الى عدم فهم كل منهما للاخر .. وبعد ذلك .. سوف تظهر أشياء تؤدى حتما الى المشاكل .. وأقول أيضا .. ان الاعتماد على الصدفة والحظ .. أو رحمة الأقدار .. أو الذين يبنون سعادتهم بحكم سريع .. يدل على ضعف فى الشخصية .. وسوف يقاسون طول العمر من هذا التسرع .. غير المريح .

ولم يجب عليها فرانك .. ولكنه فقط .. نظر اليها .. وقال بعد فترة بنبرة كلها حيوية واشراق :

— حسن .. اننى مازلت لا أومن .. ولا اثق بحسن حكمى

واختيارى ·· وعندما اتزوج ·· فاننى اتمنى أن يختار لى الاخرين زوجتى ··

هل ·· هل تفعلين ·· :

ثم التفت نحو ايما :

— هل تختارين زوجة لى ·· اننى متاكد بانى سوف أحب أى واحدة تختارينها أنت بنفسك ·· فانك تنتسبين للعائلة ·· :

ثم بابتسامة نحو والده قال :

— ابحث لى عن واحدة ·· اننى فى عجلة من أمرى والى ايما؟

علميها وربيها ·· اه ·· واجعليها مثل نفسى ·· بكل المعانى ·· اذا تمكنت ·· ؟

— حسن جدا ·· لقد تلقيت الرسالة ·· وسوف تكون لك ·· زوجة ساحرة ·· (ثم الى ايما أيضا) ·

يجب أن تكون فى منتهى الحيوية ·· بعيون نجلاء وانا لا أهتم بشىء أكثر من ذلك ·· سوف أسافر للخارج لمدة عامين ·· وعندما أعود ·· سوف أحضر اليك ·· واطالبك بزوجتى ·· تذكرى هذا ·· تذكريه ؟

ولم تكن ايما فى أى خطر أو خوف من النسيان ·· انها رسالة تلمس منها مواطن الحب والقلب وكل شعور جميل فى نفسها ·· أليست هارييت هى المخلوقة التى وصفها الآن ·· عيون نجلاء ·· وبعد عامين فقط ·· نعم عامين فقط ·· سوف نجعها تماما كما يرغب ويتمنى ·· نعم ·· نعم لابد وأن تكون هارييت فى فكره الآن ·· وهو يتكلم عن زوجته من يقول : عليها ·· ربيها ·· فعلا ·· انها هى ·· وهو يوصيها بالتعليم · والاهتمام ·· ؟

قالت جين لخالتها :

— والآن ·· مام ·· هل نلحق بمسز ايلتون ·· ؟

— آوه ·· اذا سمحت يا عزيزتى ·· من كل قلبى ·· أنا على تمام الاستعداد ·· لقد كنت أنوى مرافقتها ·· ولكن على كل حال ··

هذا لا يهم .. سوف نلحق بها .. آه .. ها هى .. لا .. انها شخص آخر .. هذه واحدة من سيدات ايرلندا فى الحفلة .. أوه انها لا تشبهها أبدا .. جين .. وسارا الى الخارج .. وفى نصف دقيقة .. تبعها مستر نايتلى .. مستر ويستون وابنه .. وايما .. ولم تبق الا هارييت ..؟

والآن .. ابتدأت روح الشاب فى التغيير .. الى أسوأ .. وحتى ايما .. تعبت من المجاملات والتملق .. وتمنت أن تسير مع أى واحد من الآخرين .. أو حتى تجلس وحيدة .. لتتمتع بالمناظر الخلابة التى تحيط بها .. ومنظر الخدم عندما ظهروا .. ليعلنوا استعداد العربات .. كان منظرا بديعا .. وحتى التجمهر .. والاستعداد للرحيل .. كان يبدو ممتعا .. ويستحق المشاهدة .. والتأمل .. واصرار مسز ايلتون على تحريك عربتها أولا كان شيئا يستدعى التساؤل .. والدهشة .. ولكن بهجة هذا اليوم .. غطى على كل تصرفات مريضة بدت من أناس .. لم تشأ ايما أن تظلمهم .. وتمنت الا نكون معهم ثانيا .. ؟

وفى أثناء انتظارها للعربة .. وجدت أن مستر نايتلى يقف بجوارها .. ينظر من حواليه .. وكأنما يستكشف من أن أحدا لا يراه .. وعندئذ قال :

ـ ايما .. أننى يجب أن أتكلم معك مره أخرى كما تعودت أن أتكلم .. فاننى لا أستطيع .. أن أراك تتصرفين تصرفا خاطئا دون أن ألفت نظرك الى هذا التصرف .. كيف لا تشعرين بمس بيتس .. كيف يمكن أن تكونى وقحة .. مع امرأة فى شخصيتها وسنها .. ووضعها .. ايما .. اننى أبدا لا يمكن أن اتصور هذا .. أبدا .. لا أتصوره .. ولا يمكن أن يكون مقبولا .. ؟

واحمر وجه ايما غضبا .. وخجلا .. ولكنها .. حاولت أن تغطى غضبها .. وخجلها .. فى ضحكة عالية .. وهى تقول :

آوه .. كيف يمكننى أن أمنع نفسى من أن أقول ما أريد أن أقول .. لا يمكن أن يتحمل أى فرد ذلك .. ولكن أظن .. أنه لم يكن سيئا الى هذا .. الحد .. ويمكننى أن أقول بانها لم تفهمنى .. ؟

— أننى أؤكد لك ·· انها قد فهمت ·· وشعرت ·· بكل معانى كلماتك ·· لقد تكلمت عن ذلك فى حينه··ولقد كنت أتمنى أن تسمعينها وهى تتكلم عنه ·· وكيف انها لا تتحمل كل هذا منك ·· وأنت التى عودتنيها على الاهتمام ·· ووالدك · وأن مجتمعها لابد وأن يكون مزعجا ·· ؟

صاحت ايما :

— أننى أعلم أنه لا يوجد مخلوق أفضل منها فى العالم ·· ولكن يجب عليك أن تسمح بان نقول ما هو طيب ·· وما هو مضحك ·· وما هو ممتزج فيها ·· ؟

— ما هو ممتزج فيها ·· أنا أعلم ذلك ·· ولكننى لن أتشاجر معك ·· لأجل حرية التصرفات ·· ولكن ·· ايما ·· أنك لم تأخذى فى الاعتبار معاناتها فى حالتها ·· وانها ليست امرأة ذات ثروة ·· وانها لا تساوى فى المركز ·· ولكن يجب أن تراعى جيرتها لك طول العمر ·· وانك قد كبرت بين يديها ·· أنت ·· وابنة اختها ·· لحظة بلحظة ·· ويوما بيوم ·· وعاما بعام ·· والآن ·· أنت تهزأين منها وتجعلينها محطا لسخريتك ·· ياللعار يا ايما ·· وتهزأين منها أمام ابنة أختها ·· وأمام الآخرين ·· هذا شىء لم يسرنى أبدا ·· اننى دائما اعتبر نفسى صديقا مخلصا ·· ولكنك الآن قد تصرفت تصرفا يجعلنى لا أحكم بالعدل على تصرفاتك ·· ؟

وكانا يسيران فى اتجاه العربة ·· التى كانت تنتظـــر ·· على استعداد ·· وقبل أن تتكلم ثانيا ·· كان قد أمسك بيدها ·· وساعدها على الركوب ·· لقد أخجل مشاعرها ·· لدرجة أن توقف منها كل تفكير ·· وتوقف معها ·· اللسان أيضا والحواس ·· وسارت بلا لفظ ·· أو شعور ·· كانت صلتهما الوحيدة فى هذه اللحظة ·· الغضب منها ·· هو ·· وهى ·· هو من نفسها ·· وهى أيضا من نفسها ·· وألم شديد للاثنين ·· ولم يكن فى استطاعتها أن تتكلم ·· وعند دخولها العربة ·· مالت على الفور الى الخلف ·· ودون أى كلمة ·· سحب يده من يدها ·· وغادرها على الفور ·· وانطلقت الخيل ··؟

ونظرت هى الى الخلف ‥ ولكن دون جدوى ‥ فلم يبادلها أى كلمة ‥ والآن هى فى منتصف التل ‥ وسارت العربة بسرعة غير عادية ‥ وتركت كل شىء خلفها ‥ أبدا لم تشعر بمثل هذا الشعور ‥ أن الخجل ‥ والألم ‥ والاختناق ‥ يلتف بأنفاسها ‥ أبدا لم تصادف مثل هذا الظرف طوال حياتها ‥ لم تهتم بما قيل لها ‥ قدر هـــذا الاهتمام ‥ أن الصدق والاخلاص فى كلماته ‥ حطم قلبها ‥ جرحه ‥ أدماه ‥ كيف ‥كيف ‥ كانت بكل هذه القسوة‥ وهذا الجفاء ‥ مع مس بيتس ‥ كيف سمحت لنفسها بالتصرف بمثل هذه التصرفات المريضة ‥ الحقيرة ‥ وكيف يعانى هو منهـــا ‥ ويقاسى ‥ ويتألم لدرجة ‥ أنه تركها دون أن يقول لها أى كلمة تقدير ‥ أو حتى ‥ عطف ‥ ؟

ولم يخفف مرور الوقت من عذابها ‥ بل انها لتشعر أن آلامها ‥ تزداد ‥ وتزداد ‥ ؟

أبدا لم تشعر بمثل هذا الانقباض ‥ وسعيدة لأنها لم تكن تتكلم ‥ فلم يكن معها الا هارييت ‥ وهى الأخرى كانت فى صمتها ‥ تبدو ‥ وكأن لا روح بها ‥ ولا حياة ‥ وكلها رغبة فى الصمت ‥؟

— والصمت ‥ والصمت ‥ وشعرت ايما بدموعها ‥ تجرى على وجنتيها ‥ أخذت طريقها معها بطول الطريق حتى المنزل ‥ غير مبالية ‥ بتجفيفها ‥ بل تركتها تسيل ‥ وتسيل ‥ بحرقة ‥ وألم ‥ وكان هذا فى الحقيقة ‥ شىء غير عادى ‥ لم يحدث لها من قبل ‥ لم ‥ لم كل هذه الدموع ‥ ولماذا كل هذا الألم ‥ ؟

الفصـــل الثالث والأربعــون

لقد ظل شقاء رحلة « بوكسهيل » .. يلازم أفكار ايما .. طوال الليل .. كيف نظر اليها بقية المجموعة فى الرحلة .. انها لم تعرف .. فهم الآن فى منازلهم .. المختلفة .. وطرقهم المختلفة .. وربما يتفكهون .. ويتندرون بها .. ولكنها فى نظرها هى .. أنه .. كان صباحا مفقودا .. لا يشعر بأية راحة واستقرار .. والمساء أيضا ثم انشغلت بلعب المكعبات مع والدها .. معه حقبقة .. كانت السعادة الحقيقية .. يعطيها وتعطيه أحلى ساعات اليوم .. انها فترة الراحة والمتعة .. الكاملة .. وكانت تعطيها له .. بعطاء وسخاء .. ورغبة صادقة فى هذا العطاء .. ؟

وكأبنة .. كانت لا تتمنى أن تكون بلا قلب .. وكانت تتمنى أيضا الا يأتى يوم يقول لها :

« كيف أنك هكذا بلا شعور نحو والدك .. ويجب أن أقول لك الحقيقة مهما كانت » .. ؟

آه .. لو كان الاهتمام فى المستقبل .. يمكن أن يمحو ما كان فى الماضى .. فانها تأمل أن تسامح .. وانها دائما أبدا كانت مقصرة .. فى التفكير .. أكثر منها .. فى الحقيقة .. ؟

فعلا .. يجب .. نعم .. يجب أن تذهب اليها فى الصباح الباكر .. ويجب أن تكون هى البادئة .. نعم .. من جانبها هى .. مبادرة لطيفة .. ونوع من الاعتذار .. ؟

وكانت قد عزمت .. وتمكن منها هذا العزم .. حتى الصباح .. فقامت مبكرة .. لا يثنيها شىء غير عزمها..ولا يجب أن يعوقها عائق.. مهما كان .. فان هذا شىء غير مستحب .. وظنت .. انها يمكن أن تقابل مستر نايتلى .. فى طريقها .. أو ربما يحضر اثناء زيارتها .. وهى من جانبها .. ليس لديها أى اعتراض .. أنها لا يجب أن تخجل من شعورها الصادق .. وكانت عيناها تتحولان نحو « دونويل » .. طوال سيرها .. ولكنها لم تره .. ؟

وكانت كل السيدات بالمنزل .. انها أبدا لم تكن عندها مثل هذه القابلية .. فى كل المرات التى زارت فيها هذا المنزل .. أو الاستعداد

.. بمثل ما لديها اليوم .. كانت هناك ضوضاء فى اقترابها .. استعداد كبير .. للحركة .. والكلام .. ؟

سمعت صوت « مس بيتس » عاليا .. والخادمة دعتها للدخول فورا .. وبدا أن الخالة وابنة أختها يحاولان الهرب الى الغرفة المجاورة .. « جين » كان يبدو عليها المرض .. وصوت مس بيتس يقول عاليا .. بحيث تتمكن هى من سماعه ..

— « حسن .. حسن يا عزيزتى .. أننى أقول .. بأنه يجب عليك أن تنامى فى فراشك .. أننى متأكدة من أنك مريضة اليوم .. مرضا .. يلزم لك الراحة .. ؟

مسكينة مسز بيتس .. دائما فى محنة .. مضيافة .. ومرحبة كالعادة .. نظرت .. وكأنها لا تفهم ما يجرى حولها .. قالت لايما :

— أننى خائفة على جين . انها ليست على ما يرام .. أوه .. ابنتى سوف تحضر على الفور يا مس وود هاوس .. أجلس .. آه .. كنت أتمنى الا تذهب هيتى .. أوه هلا جلست يا عـزيزتى .. أننى متأكدة انها سوف تحضر حالا .. ؟

وتمنت ايما فعلا أن تحضر .. فلقد مرت لحظة خـــوف عليها اعتقدت فيها أن مس بيتس سوف لا تحضر .. ولكن عندما حضرت .. لاحظت عدم الترحاب .. والبشاشة .. التى كانت تقابل بها من قبل .. وبعد أن .. سألت عن صحة .. « مس فاريفكس » .. باهتمام وعطف .. تمنت أن تعود العلاقات بينهما الى سابق عهدها .. وبدأت اللمسة الرقيقة فورا .. ؟

— آه .. مس وود هاوس .. أنت شديدة اللطف .. والانسانية .. أنه يبدو أنك قد حضرت لتضفى .. البهجـــة والسرور علينا .. (وانهمرت بضع قطرات من الدموع من عينيها ..) أنها الآن فى حالة سيئة .. عندها صداع حاد .. كانت تكتب طوال الصباح خطابات طويلة للكولونيل تشامبل .. ومسز ديكسون .. لقد قلت لها :

« آه يا عزيزتى .. أنك سوف تصابين بالعمى .. لأن الدموع ..

كانت لا تفارق عينيها .. لا أحد يتصور .. لا أحد يتصور .. أنه تغيير كبير .. لسيدة صغيرة .. أعتقد .. آه . ياللقلب المسكين .. اذا ما كنت تشاهدينها الآن .. آوه .. أى صداع هو .. عندما يكون الانسان فى ألم شديد .. سوف تغفرين بالطبع .. عدم حضورها هنا .. لمقابلتك .. لقد ذهبت الى غرفتها الخاصة وانها تقول .. ما دامت قد انتهت من كتابة خطاباتها فسوف تتحسن صحتها .. ولكن مس وود هاوس .. أن كرمك سوف يغفر لها أن تركناك تنتظرين بالباب قليلا .. لقد كنـــت شديدة الخجل .. ؟

« ولكن .. على أى حال .. لقد كنا نمر بمحنة .. لذا فاننــــا بالنسبة لهذا الظرف .. لم نسمع الطرق على البا ب .. وحتى صعودك السلالم .. لم نكن نعرف أن هناك زائرا لنا .. لقد قلت .. آه .. أنها مسز كول .. فلا احد ياتى الينا مبكرا .. الا هى . وقد اعتمدت على هذا الظن . حتى حضرت « باتى » .. وقالت انها أنت .. صحت أنا :

ـــ « آه .. انها مس وود هاوس .. بالطبع .. سوف تكونين سعيدة .. لو قابلتيها .. قالت هى .. لا يمكننى أن أرى أحد .. ؟ وصعدت .. وهذا ما جعلك تنتظرين .. وأنا شديدة الأسف .. حقيقة شديدة الأسف .. وخجلة أيضا .. وقلت لها .. آه .. اذا كنت تنزلين اليها يا عزيزتى .. يجب أن تنزل .. وسوف أقول لها .. بانك قـــد قمت من فراشك .. ؟

فى الحقيقة .. كان شعور ايما .. فى تلك اللحظة .. شـــعور التعاطف .. والثقة .. واهتزت مشاعرها .. من ناحيـــة « جين » .. ولاحت لها صورة آلامها .. ونسيت كل ما كان بينهما فى الماضى .. وقالت :

ـــ لابد وأن تقاسى .. فان هذا شىء مفهوم .. وراجع بالطبع الى تأخر عودة .. كولونيل تشامبل .. ؟

أجابت مس بيتس :

ـــ هكذا .. شديدة العطف .. شديدة اللطف .. ولكنك دائما أبدا .. كنت عطوفة .. ومحبة يا مس وود هاوس .. ؟

(ايمـــــا)

ولم تتحمل ايما ٠٠ كلمة « دائما » ٠٠ وتساءلت على الفور :

— أين ٠٠ ؟ وأين ستذهب مس فاريفكس ٠٠ ؟

— سوف تذهب «جين» الى سيدة لطيفة هى ٠٠ مسز سمولبريج « للعنـــاية ببناتها الثـــلاث ٠٠ انهن أطفـــال ٠٠ فى منتهى الرقــة والجمال ٠٠ ولا يمكن أن تتخيل جين مكانا تشعر فيه بالراحة أفضل من هذا المكان ٠٠ الا بالطبع ٠٠ عند مسز «براجز» ولكن مســز سمولبرج « ومسز براجز » ٠ ٠صديقتان حميمتان ولا فرق بينهما ٠٠ وفى نفس المنطقة ٠٠ والتجاوز ٠٠ والمسافة بينها وبين مابل جروف ٠٠ فقط ٠٠ أربعة أميال ٠ ان جين ٠٠ لن تذهـــب أبعد من أربعة أميال ٠٠ مـــن مابل جروف ٠٠ ؟

— وأعتقد أن مسز ايلتون هى الشخص الذى تدين له جين بهذا

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ انهـــا عزيزتنا ٠٠ وحبيبتنـــا ٠٠ وأخلص صديقة لنا ٠٠ مسز ايلتون ٠٠ انها لم تترك فرصة ٠٠ لجين لتعترض ٠٠ كان هذا الأمر ٠٠ أول أمس ٠٠ فى الصباح ٠٠ كنا فى « دونويل » ٠٠ عندما سمعت به جين لأول مرة ٠٠ وقد قررت على الفور ٠٠ عدم قبول العرض ٠٠ ولكن ٠٠ وللسبب الذى ذكرتينه ٠٠ أنت ٠٠ فى أول حديثك ٠٠ استعملت عقلها ٠٠ وجدت أنها لن تجد ما تفعله لحين عودة كولونيل تشامبل ولا شىء يعوقها عن قبول أى ارتباط ٠٠ وقد غيرت رأيها مرارا ٠٠ ولكن ٠٠ العزيزة مسز ايلتون التى تحكم حـــكما صائبا ٠٠ انهت الموضوع ٠٠ وانتهى الأمر ٠٠ بقبول جين العرض ٠٠ آه ٠٠ انها ليست مثلى ٠٠ هى امرأة تعرف كيف تتصرف ٠٠ ليس كل فرد ٠٠ يمكن أن يقف موقفا حازما فى موضوع كهذا ٠٠ مثلما وقفت هى ٠٠ ورفضت أن تستمع الى جواب جين ٠٠ وكان مساء أمس فقط ٠٠ حيث قد تم انهاء كل شىء ٠٠ وعلى جين أن ترحل ٠٠ انها مفاجأة تامة ٠٠ لى ٠٠ فلم تكن عندى أدنى فكرة عنه لأن جين أخذت مسز ايلتون جانبا ٠٠ وهمست فى اذنها ٠٠ أنها بعد التفكير ٠٠ وجدت أن هنـــاك ميزات كثيرة ٠٠ سوف تعود عليها من وضع مسز ساجلنج ٠٠ وانتهت الى ٠٠ قرار قبول العرض ٠٠ ولم أسمع أنا شيئا ٠٠ ولم افهم شيئا ٠٠ الا بعد أن تم تسوية الموضوع كله ٠٠ ؟

— هل أمضيت المساء مع مسز ايلتون ٠٠ ؟

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ كلنا ٠٠ كلنا ٠٠ كنا معها ٠٠ لقد عدنا ٠٠ وكان الحديث دائرا ٠٠ أثناء سيرنا على التل ٠٠ وكان معنا مستر نايتلى ٠٠ قالت :

« يجب أن تقضوا المساء معنا ٠٠ كلــكم ٠٠ أننى أصمم على حضوركم ٠٠ كلــكم ٠٠ ؟

— ومستر نايتلى كان عند مسز ايلتون ٠٠ ؟

— لا ٠٠ مستر نايتلى لم يكن معنا عندها ٠٠ لقد كان معنا ٠٠ منذ البداية ٠٠ وقد ظننت أنه سوف يحضر ٠٠ لأن مســـز ايلتون ٠٠ أوضحت بأنه سوف يمضى الســهرة معنا ٠ ٠وبانها أبدا لن تســمح له بالانسحاب ٠٠ ولكنه ذهب ٠٠ أما عن أمى ٠٠ وجين وانا ٠٠ فقد ذهبنا كلنا هناك ٠٠ وأمضينا ليلة ممتعة ٠٠ مع مثل هؤلاء الاصدقاء الطيبون ٠٠ يامس وود هاوس ٠٠ وخصوصا ٠٠ بعد رحلة الصباح ٠٠ ومع اننا كنا متعبين ٠٠ على أى حال ٠٠ فاننى لا أعتبرها رحلة ممتعة بالنسبة لما حدث فيها ٠٠ آه ٠٠ أنت تعلمين ٠٠ ماذا حدث ٠٠ ؟

— ولكنها ممتعة ٠٠ بالنسبة للأصـــدقاء الذين اهتموا بى ٠٠ ودعونى للاشتراك فيها ٠٠ ؟

— آه ٠٠ أعتقد أنه بخصوص ما حدث من مس فاريفكس واظن أنك كنت مشغولة من أجلها ٠٠ طوال اليوم ٠٠ وانها هى أيضا ٠٠ كانت على غير ما يرام ٠٠ ؟

— نعم ٠٠ نعم ٠٠ أعتقد أنها كانت كذلك ٠٠ ؟

— على أى حال ٠٠ وبمرور الوقت ٠٠ أتمنى أن تتأقلم ٠٠ مع أخلاق ٠٠ وعادات العائلة ٠٠ التى سوف تعيش معها ٠٠ ؟

— شكرا ٠٠ شكرا ٠٠ يا عزيزتى مس وود هاوس ٠٠ ؟

— نعم الحقيقة هناك كل شىء فى العالم ٠ ٠يمكن أن يجعلها سعيدة ٠٠ طبعا فيما عدا « الساكلنج » « والبراجز » ٠٠ ولــكن ٠٠ ليست هناك حضانات للأطفال نظيفة ٠٠ وان أطفال مسز ساكلنج ٠٠ أطفال حلوة ٠٠ جميلة ٠٠ ومسز ساكلنج نفسها ٠٠ امرأة لطيفة مشرقة ٠٠ وجين سوف تعامل بكل احترام واهتمام ٠٠ ورعاية ٠٠ وعطف ٠٠

ولن يكون هناك شيء ســـوى السرور والانشراح ٠٠ آه ٠ ٠والمرتب ٠٠ آه ٠٠ يا مس وود هاوس ٠٠ لا يمكنى أبدا أن أذكر لك المرتب ٠٠ ولو انك قد سمعت عن المرتبات ٠٠ الباهظة ٠٠ ولكن مرتب جين ٠٠ انه شيء مذهل ٠ ٠ليعطى لشخص صغير ٠٠ مثل جين ٠٠ ؟

ـــ آه يا سيدتى ٠٠ مهما كان المرتب باهظا ٠٠ لـــكل هؤلاء الأطفال ٠٠ فاننى لكى أقبل ٠٠ يجب أن يكون خمسة اضعاف ما تذكرين؟

ـــ آوه ٠٠ انك متعالية فى أفكارك ٠٠ ؟

ـــ ومتى ترحل ٠٠ مس فاريفكس ٠٠ ؟

ـــ قريبا ٠٠ قريبا جدا ٠٠ وهذا هو أسوأ ما فى الأمر ٠٠ فى أقل من أسبوعين ٠٠ فان مسز سمول بريدج فى عجلة شديدة ٠٠ أن أمى المسكينة ٠٠ لا تعرف كيف يمكنها أن تتحمل هذا الأمر ٠٠ ؟

ـــ ولقد حاولت أن أبعده عن تفكيرها ٠٠ وقلت لها ٠٠ تعالى ٠٠ تعالى يا أمى ٠٠ ودعينا لا نفكر فى هذا الموضوع أكثر من ذلك ٠٠؟

ـــ لابد وان يكون جميع أصدقائها فى حالة شديدة من الأسى لفقدها ٠٠ وعسى الا يغضب كولونيل ومسز تشامبل ٠٠ من ارتباطها قبل عودتهما ٠٠ ؟

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ان جين تقول ٠٠ بانهما فعـــلا ٠٠ سوف يشعران بالألم ٠ ٠ولكن فى مثل هذا الوضع ٠٠ فانها هى نفســـها ٠٠ لا يمكن أن تشعر الا بكل ألم أيضا ٠٠ ولكننى ذهلت ٠٠ عندما حضرت لى مسز ايلتون ٠٠ وهنأتنى على قبولها العرض ٠٠ لقد حدث ذلك قبل تناول الشاى ٠٠ نعم ٠٠ كان قبل الشاى ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لم يكن قبل ذلك ٠٠ فان مستر ايلتون ٠٠ دعى من حجرته لتناوله ٠٠ آه ٠٠ لقد أراد ابن العجوز « جون ايدى » الحديث مع مستر ايلتون ٠٠ مسكين جون العجوز ٠٠ اننى أحبه كثيرا ٠ ٠لقد كان يعمل كاتبا عند أبى لمدة سبعة وعشرون عاما ٠٠ والآن هو طريح انفراش ٠٠ ولا يدرى كيف يكسب رزقه ٠٠ يجب على أن أذهب لرؤيته اليوم ٠٠ وسوف تفعل جين كذلك ٠٠ اننى متأكدة ٠٠ هذا ٠٠ اذا لم تخرج اليوم أبدا ٠٠ آه ٠٠ لقد جاء ابن المسكين جون ليتكلم مع مستر ايلتون عن اعفائه من العمل بالأبرشية ٠٠ وأنت تعلمين أنه يمكنه هو أن يقوم بهذا العمـــل ٠٠ كما وانه ٠٠

يعمل رئيس السياس ٠٠ فى فندق « كراون » ٠٠ ولكنه يجب أن يساعد والده بقدر الامكان ٠٠ وعندما عاد مستر ايلتون ٠٠ أخبرنا بما تحادث به معه ٠٠ جون السايس ٠٠ وبعد ذلك ٠٠ أرسله الى « راندالز » ليأخذ فرانك تشرشل الى « ريتشموند » ٠٠ هدا هو كل ما حدث قبل تناول الشاى ٠٠ وكان بعد تناول الشاى أن تكلمت جين مع مستر ايلتون ٠٠ ؟

ولم تعط مس بيتس أية فرصة لايما لتخبرها أن الظروف مناسبة تماما لهذا العمل ٠٠ اما عن فرانك نشرشل ٠٠ فان ايما ٠٠ كانت تجهل تماما كل ما حدث أو يحدث فى هذا الشأن ٠٠ ؟

وما علمه ٠ ٠مستر ايلتون من السياس ٠٠ فى هذا الموضوع ٠٠ كان من معلومات السايس نفسه ٠٠ والخدم فى راندالز ٠٠ وهو أنه قد وصل رسول من « ريتشموند » فور عودة المجموعة من رحلة« بوكسهيل» ٠٠ يحمل كلمة من مستر تشرشل ٠٠ الى ابن أخيه عن حالة مسز تشرشل ٠٠ ويسأله الاسراع دون أى تاخير للعودة فى صباح اليوم التـالى ٠٠ ولكن مستر تشرشل كان قد قرر العودة فورا الى المنزل ٠٠ دون مـا انتظار للصباح ٠٠ وحصانه كان قد أخذ بردا شديدا ٠٠ لذا فقد سأل سايس كراون ٠٠ أن يمر به ٠٠ ويرحل على الفور ٠٠ ؟

ولم تكن فى هذه الأخبار ٠٠ أى شىء يذهل ٠ ٠أو يمتع ٠٠ ولكن ما لفت انتباه ايما ٠ ٠هو هذا التناقض العجيب ٠٠ بين أهمية مسز تشرشل ٠٠ فى العالم ٠٠ وبين عدم أهمية جين فاريفكس بالنسبة له ٠٠ هذا هو ما أثارها ٠٠ واحدة ٠٠ كانت كل شىء ٠٠ والاخرى ٠٠ كانت لا شىء ٠٠ وجلست تستمتع بينها وبين نفسها بين الفرق ٠٠ وبين نصيب امرأتين ٠٠ وكانت عيناها مركزتان فى هذه الفكرة ٠٠ دون ما وعى ٠٠ الى أن أيقظها صوت مس بيتس وهى تقول :

— آه ٠٠ أنا أعرف فيما تفكرين ٠٠ انك تفكرين فى البيانو ٠٠ وماذا يكون موقفنا منه ٠٠ بعد رحيل جين ٠٠ نعم ٠٠ هذا حق ٠٠ مسكينة حبيبتى جين ٠٠ لقد كانت نتكلم عنه فى التو واللحظة ٠٠ لقد قالت ٠٠ دعيه كما هو ٠٠ ويشغل مكانا من الحجرة حتى يعـود ٠٠ كولونيل تشامبل ٠٠ فانه سوف ينهى كل المشاكل بالنسبة لى ٠ ٠وحتى

هذا اليوم فاننى أعتقد بانها لا تعرف من منهما الذى أرسله لها ٠٠ أو كان هدية من منهما ٠٠ كولونيل تشامبل ٠٠ أم الابن ٠٠ ؟

ووجدت ايما نفسها ٠٠ مرغمة على التفكير ٠٠ فى البيـــانو ٠٠ وتذكرت كل تخيلاتها السابقة ٠٠ وغير العادلة ٠٠ وهنا شـــعرت بان زيارتها قد طالت ٠٠ ووجدت أنه الوقت لتذهب ٠٠ وقامت لتقول كل كلماتها الطيبة ٠٠ وتمنياتها الصادقة ٠٠ لجين ٠٠ التى كانت فعلا تشعر بها ٠٠ وتقولها بكل صدق وأخلاص ٠٠ وحب واقتناع ٠٠

الجـــزء الثـالث

الفصل الرابع والأربعـون

وسارت ايما .. متأملة .. مشغولة البال .. فى طريقها الى المنزل .. دون أن يقطع عليها احد . .هذا الطريق الا بعد أن وصلـــت الى قاعة الاستقبال .. حيث وجدت هؤلاء الذين يمكن أن يوقظوها من تاملاتها .. وانشغال بالها .. انه مستر نايتلى .. وهارييت .. لقد وصلا فى أثناء غيابها .. جالسين مع والدها .. وفور رؤياها هب مستر نايتلى واقفا .. ليقول فى لجهة جافة .. واكثر من المعتاد :

— لم أرغب فى الذهاب قبل رؤيتك .. ولكن لا وقت لدى .. لذا فانه ينبغى على الرحيل فورا .. أننى ذاهب الى لندن .. لتمضية بضعة أيام مع جون وايزابيلا .. هل لديك أى شىء تودين ارساله اليهما ..هذا طبعا بجانب الحب .. والذى لا يمكن أن يحمله أى شخص .

— اوه .. لا شىء .. لا شىء .. لا شىء البتــة . .ولكن .. أليس هذا .. مشروعا مفاجئا .. ؟

— نعم .. نعم .. لقد كنت أفكر فيه من فترة قليلة .. ؟

وكانت ايما .. متأكدة كل التاكيد .. من أنه لم يسامحها .. ولم يغفر لها .. وكان يبدو مستاء .. لم يكن كعادته .. أو طبيعته .. على كل حال أن الوقت وحده .. هو الذى سوف يجعـــله يؤمن بأنه يجب عليهما ان يعودا صديقين كما كانا دائما .. ؟

وحينما وقف .. تميهدا للذهاب .. ولكنه مع ذلك .. لم يذهب ابتدأ والدها فى القاء أسئلته واستفساراته .. ؟

— يا حبيبتى .. هل وصلت انى هناكفى أمان .. ؟ وكيف وجدت صديقتى البائسة العجوز وابنتها .. لابد وانهما كانتا شديدتى الامتنان لذهابك .. أليس كذلك .. ؟ لقد ذهبت حبيبتى ايما للسؤال عن مسز ومس بيتس .. كما سبق أن قلت لك يا مستر نايتلى .. انها دائما مهتمة بهما ..

وتلون وجه ايما .. وأحمرت وجنتاها لهذا المديح .. وبابتسامة وهزة من الرأس .. أكثر من الكلام .. نظرت بعينيها الى مستر نايتلى كان يلوح من نظراتها وابتسامتها .. تعبير .. يدل على الصدق ..

والاخلاص ٠٠ واستقبل مستر نايتلى نظراتها ٠٠ مشاعرها ٠٠ بامتنان ٠٠ وفرحة ٠٠ ودهشة وباقتناع ٠ ٠وبادلها النظر ٠ بلمحة تقدير واحترام ٠٠ وشعرت ايما بشدة الامتنان ٠٠ والعرفان له ٠٠ ولصدق مشاعره ٠٠ وفى لحظة ٠٠ أمسك بيدها ٠٠ فى صداقة عميقة ٠٠ ولا تدرى هى ٠٠ ان كان هو البادىء أم هى ٠٠ فى هذه الحركة ٠٠ فانها لا يمكن أن تعبر عنها ٠٠ ولكنها لابد وان تكون قد مدت يدها ٠٠ منادية يده ٠٠ وفى لحظة انسياب المشاعر ٠٠ رفع يدها ٠٠ الى فمه ٠٠ لمشروع قبلة ٠٠ ولكن ٠٠ لسبب أو لآخر ٠٠ وفى آخر لحظة ٠٠ لم يفعل ٠٠ ؟

لماذا لم يفعل ٠٠ لماذا ٠٠ ؟

ورد الفعل كان بكل تأكيد ٠٠ داعيا للشـــك ٠٠ وحتى لو كانت طباعه عامة ٠٠ تأبى عليه هذا التصرف ٠٠ أو لأى سبب آخر ٠٠ ولكنه حدث ٠٠ حدث التفكير فى هذا المشروع ٠٠ أنها طبيعته المتعالية ٠٠ والنفس الأبية ٠٠ وكرامته على ما يبدو ٠٠ ولكنها قابلت هذا التصرف ٠٠ بتعاطف ورضاء تام ٠٠ لأنه ٠٠ بتصرفه هذا ٠٠ تكلم وحده ٠٠ وتكلم عن حب كبير ٠٠ ؟

وفى الحال ٠٠ خرج مسرعا ٠٠ بعد دقيقة واحدة ٠٠ مما حدث ٠٠ أنه دائما يتحدث ٠٠ دائما يتحرك ٠٠ بتصرف من العقل ٠٠ ولكن فى هذه اللحظة ٠٠ بدا أن تصرفه وخروجه كان فجائيا على غير العادة ٠٠؟

ولم تندم ايما لذهابها لمس بيتس ٠٠ ولكنها تمنت لو كانت قـد غادرتها قبل ذلك مبكرا ٠٠ بعشر دقائق ٠٠ آه ٠٠ كم كانت تكون السعادة والمتعة فى هذه اللحظات للتحدث مع مستر نايتلى ٠٠ عن موقف جين فاريفكس ٠٠ ولكنها ندمت على عدم حضورها فى أثناء زيارة مســـتر نايتلى لهم ٠

على أى حال ٠٠ لقد فهمت معنى تصرفه ٠٠ وشهامته ٠٠ لقد كان كل شىء يؤكد لها فى نفسه معزة خاصة٠٠ وبأنها ٠٠ بزيارتها لمس بيتس ٠٠ قد أعادت اليه رأيه ٠٠ وثقته بها ٠٠ لقد جلس معهم لمدة نصف ساعة ٠٠ ولكن ٠٠ ومع كل هذا ٠٠ كانت تتمنى لو عادت من زيارتها مبـــكرة ٠٠

. وفكرت ايما فى والدها .. اه .. لابد أن تزيح عن أفكاره تأثير زيارة مستر نايتلى المفاجئة .. للندن . وعلى ظهر الحصان .. لابد وان يكون وقعها سيئا جدا على نفسه .. وبأمل كبير فى أن تجعله ينسى هذه المفاجأة .. المؤلمة بالنسبة له . .بتدأت تقص عليه أنباء .. جين فاريفكس .. دون أن تقطـــع عليه افكاره أو تقلقه .. وكان أن قابل أخبارها بترحاب .. وبانه كان دائما يفكر فى أحوال « جين فاريفكس» واذا ما كانت سوف تعمل كمربية .. فهذا شىء جميل . .وتكلم عن الموضوع ببهجة وانشراح أما عن سفر مستر نايتلى المفاجىء .. الى لندن .. فانها عاصفة .. غير متوقعة ..

ـــ اننى سعيد جد يا حبيبتى لأسمع أخيرا .. بأنها قد وجدت الاستقرار والراحة .. ان مسز ايلتون سيدة محبوبة .. وأخلاقها طيبة .. ويمكنى أن أقول .. ان صداقتهما .. ومعاشرتهما لبعضهما .. كانت يجب دائما أن تكون وأتمنى أن يكون وضعها فيه من الراحة .. والصحة والفائدة لها انه أول حدث لها .. كما حدث تماما للمسكينة مس تايلور انها كانت دائما معى .. ثم رحلت لتعيش فى مكان آخر .. وهكذا .. سوف تعيش « جين فاريفكس » ومع سيدة أخـــرى .. وأخشى .. بل وأتمنى .. الا تغير مكانها .. بعد أن تكون قد اعتادت عليه .

وأتى اليوم التالى .. ومعه أخبار من « ريتشموند » تغطى كل ما عداها من أخبار أخرى .. لقد وصلت برقية الى « راندالز » تفيد بوفاة مسز تشرشل .. ومع ان ابن أخت زوجها لم يكن لديه أية فكرة .. عن رغبته فى العودة سريعا .. الا أنه عاد .. ولم تعش أكثر من ستة وثلاثين ساعة .. بعد عودته ..

كانت محنة مفاجئة .. شىء مختلف تماما .. عن طبيعة الحالة التى كانت بها .. وكانت معركة قصيرة جدا .. مع الحياة .. ثم .. العظيمة .. مسز تشرشل .. لم يعد لها وجود .

وكان الشعور السائد .. كما يجب أن يكون .. كل انسان .. ملىء بالتعاسة .. والألم .. ؟ وحـــب .. وحـــب .. وحـــزن .. وحـــزن .. لمداراة الفراق .

والرحيل المفاجىء .. ثم فضول لمعرفة المكان .. الذى سوف تدفن فيه والأصدقاء عادة .. لا يتذكرون الا محاسن الموتى .. كالعادة دائما. والمثل الشائع يقول..«انه عندما تنحنى المرأة المحبوبة..فلا شىء يبقى لها الا أن تموت .. وعندما لا تكون غير محبوبة.. فانها دائما .. تمتدح .. ويضفى عليها من الصفات .. والأوصاف مالا تستحقه .. وهكذا .. فان مسز تشرشل .. التى ظلت خمسة وعشرين عاما .. غير محبوبة .. فانها نالت من المديح .. والانصاف . .ما لم تنله طوال حياتها .. وتناسوا حماقاتها .. وأنانيتها .. وادعائها المرض .

« مسكينة مسز تشرشل .. لا شك فى أنها قد قاست من مرضها كثيرا .. أكثر مما كان يتخيل أى شخص .. مسكينة مسز تشرشل .. يالها من صدمة .. يالها من خسارة .. مع كل اخطائها .. ماذا يفعل مستر تشرشل .. ؟ بدونها .. ؟ فى الحقيقة ان خسارة مستر تشرشل مفزعة .. مخيفة .. قاسية .. لن يقوى مستر تشرشل على تحمل الصدمة .. ولن يفيق منها ..

حتى مستر ويستون فانه هز رأسه فى وقار .. وقال :

« اه .. يا للمرأة المسكينة . .من كان يفكر فى هذا ..

وزوجته .. ظلت طوال الصباح .. ساهمة .. مفكرة .. كيف تؤثر هذه الصدمة فى « فرانك » ؟

وكان هذا هو شاغلها الشاغل .. هما الاثنين .

وكان هذا أيضا .. ما تفكر فيه ايما .. ولكن .. بطريقة أخرى .. فقد أستقرت أفكارها على فرانك .. واضاءت مشاعرها . .ورأت أن هذا الحدث .. له امكانية تحسن الأوضاع والمنافع .. وطاف خاطرها .. بهارييت .. اه .. والآن . لا يوجد .. الا مستر تشرشل .. وهو رجل . كان كل تخوفه من زوجته . والان هو لا يخاف أحدا .. وسهل الانقياد لابن أخته .. كل ما فى الأمر .. « يجب على ابن الأخ .. المبادرة .. » ولكن .. لم تجد ايما .. امكانية تشكيل .. الأوضاع ..

وكان تصرف هارييت فى هذه المناسبة .. تصرفا سليما .. تماما

.. ولم يبد منها .. أى تهور أو اندفاع .. وتحدثت معها عن وفاة مسز تشرشل .. وكان الحديث مناسبا للموقف .

وفى الحال .. وصلت « راندالز » خطابات قصيرة من فرانك كانت من الأهمية بمكان .. ؟ فانها كانت بالفعل .. تتصل بحالتهما .. وتخطيطاتهما .. فان مستر تشرشل كان فى حالة طيبة .. على غير ما كان متوقعا ..

وتحركهما الاول .. سوف يكون الى يوركشير .. فى منزل صديق قديم فى وندسور .. الذى كان قد وعده مستر تشرشل بزيارته فى السنوات العشر الماضية .. وهكذا .. فانه فى الوقت الحالى لم يكن هناك شىء يمكن عمله لهارييت من جانب ايما .. الا تمنياتها الطيبة بمستقبل سعيد قريب .

والآن .. حان الوقت لابداء اهتمام أكثر .. « لجين فاريفكس » .. لهؤلاء الذين نالوا احتقارها لفترة .. كان عليها الآن .. أن تبدى لهم مزيدا من الرعاية والود .. وذلك الاهمال الذى بدا منها لشهور عديدة .. كفرت ايما عنه .. بالسؤال .. وأرسلت الى جين فاريفكس تدعوها فيها وأنه يسعدها أن تستقبلها لبضعة أيام .. فى « هارتفيلد » .. تغير فيها الجو .. لتنتعش حالتها .. ولكن الدعوة رفضت برسالة شفوية .. بان مس فاريفكس ليست فى حالة تسمح لها .. حتى بالكتابة ..وعندما زار مستر بيرى « هارتفيلد فى نفس الصباح .. بدا انه غير مرتاح الى حالة « جين فاريفكس » .. وانها تعانى من صداع مزمن حاد .. وحالة نرفزة تصل الى حد الحمى مما يجعله يشك فى امكانية سفرها الى .. « مسز سمولريدج » فى الموعد المقترح وصحتها تبدو فى غاية التدهور..أما عن شهيتها فهى تبدو معدومة تماما .. وروحها المعنوية .. « هابطة » تقرب من اليأس .. وهو يعتقد أن هذا راجع الى اختناقها فى غرفة واحدة .. وبالرغم من أن عناية مس بيتس بها ..لا محل فيها للشك .. الا أن شدة عنايتها تقرب من الضرر .

واستمعت ايما .. الى مستر بيرى .. بمشاركة مخلصة فى محنة جين فاريفكس .. وأرسلت اليها ثانيا .. تدعوها فيها .. وتخبرها ..

بانها سوف ترسل اليها العربة ٠٠ لتنقلها الى « هارتفيـــلد » ٠٠ وان مستر بيرى أيضا ٠٠ يؤيد هذه الزيارة ٠٠ فان فى الرحلة القصـــيرة انعاش للمريضة ٠٠ ووصل الرد فى هذه المذكرة القصيرة :

« مس فاريفكس » ترسل تحياتها ٠٠ وشكرها ٠٠ ولكنها فى حالة لا تسمح لها بهذه الرحلة » ٠

وشعرت ايما ٠٠ بان مذكرتها لجين ٠٠ كانت يجب أن تكـــون أفضل من ذلك ٠٠ وارادت مخلصة ٠٠ مشاركة جين فى مرضها ٠٠ باى وسيلة أو مساعدة ممكنة ٠٠ وبدلا من أن ترد عليها ٠٠ أمــــرت ايما بالعربة ٠٠ وأقلتها فورا الى منزل مســـز بيتس ٠٠ على أمل أن تعود معها جين ٠٠ وخرجت مس بيتس حتى باب العربة ٠٠ تشكر ايمـــا بحرارة على هذا التلطف ٠٠ والاهتمام ٠ ٠وبالرغم من كل التوسلات ٠٠ فان الأمر كان ميئوسا منه ٠٠ فان جين رفضـــــت رفضا باتا ٠٠ حتى الظهور امام ايمـــا ٠٠ التى كانت رغبتها شـــديدة فى مقابلة « جين فاريفكس » وقبل أن تبـــدى اشــــارة بهـــذه الرغبة ٠٠ عاجلتها مس بيتس بقولها :

ـــ فى الحقيقة ٠٠ ان المسكينة جين ٠٠ لا يمكنها تحمل ورؤية أى شخص ٠٠مسز ايلتون ٠٠ لا يمكن الجحود بها ٠٠ ومسز كول ٠٠ ومسز بيرى ٠٠ ولكن ٠٠ فيما عدا هن ٠٠ فان جين لا تريد رؤية أحد ٠

ولم ترغب ايما فى وضع نفسها فى صف ٠٠ مسز ايلتون ومسز كول ٠٠ ومسز بيرى ٠٠ اللاتى يفرضن أنفسهن فرضا ٠ ٠وبالقوة فى أى مكان ٠٠ ولم تشعر بأى حق فى تفضيل نفسها عن غيرها ٠٠ لذا ٠٠ فانها لم تجد بدا من سؤال مس بيتس عن شهية ابنة أختها ٠٠ وانها على تمام الاستعداد لمساعدتها ٠٠ فى أى خدمة ٠٠ وعندما سمعت مس بيتس هذا الموضوع نالها الحزم والتاثر ٠٠ فان جين لا تاكل شيئا ٠٠ وقد اشـــار مستر بيرى ٠٠ وأوصى بتغذية خاصة ٠٠ ولكنها لا تتذوق ٠٠ ولا تتقبل أى شىء ٠٠ مع أن الجيران ٠٠ قد أرسلوا لها أطعمة شهية ٠٠

وعندما وصلت ايما إلى المنزل ٠٠ استدعت مـــديرة المنزل على

الفور ٠٠ وأمرتها بأن تبحث فى المخزن عن الأطعمة المتنوعة الممتازة ٠٠ وترسل فى طرد سريع مع مذكرة ودية لمس بيتس ٠

وفى أقل من نصف ساعة كانت الأطعمة قد أعيدت ثانيا ٠٠ بالألف شكر من مس بيتس ٠٠ وبأن العزيزة جين غير راضية عن اعادتها ثانيا ٠٠ولكن ماذا يمكنها أن تفعل٠٠ وهى لايمكن أن تتقبل أو تريد أى شئ ٠

وعندما سمعت ايما ٠٠ ذلك بأن جين فاريفكس قد شوهدت تتنزه على مسافة ما من هايبرى فى نفس اليوم الذى ذهبت فيه ايما اليهـــا بالعربة ٠٠ لم يعد لديها شك فى أن جين ترفض صداقتها ٠٠ وترفض أى عطف ٠٠ أو تعاطف معها ٠

كان شيئا مؤسفا حقا ٠٠ ؟

وحزنت ايما كل الحزن ٠٠ بل واشتد حزنها لمثل هذه النفوس التى تقابل الاخلاص ٠٠ بكل هذا الجحود ٠ ٠أنه هو ٠٠ هو مستر نايتلى الذى أوصى اليها ٠٠ بمراعاة ٠٠ جين فاريفكس ٠٠ أنه أبدا لم ير نفسها ٠٠ لم ير داخلها ٠٠ لم ير روحها ٠٠ لو كان قد رأها ٠٠ وعرفها ٠٠ كما عرفتها هى ٠٠ لما وجد أى شئ ٠٠ يستحق منه كل هذا الاهتمام ٠٠ وهذا العطف ٠

الفصل الخامس والأربعون

(ايما)

فى صباح يوم ·· وبعد حوالى عشرة أيام تقـــريبا ·· من وفاة « مسز تشرشل » ·· دعيت ايما للنزول ·· لمقابلة ·· مستر ويستون ·· الذى لن يتمكن من البقاء أكثر من خمس دقائق ·· وهو يريد أن يتحدث اليها هى ·· بصفة خاصة ·· ؟

وقابلها على باب قاعة الاستقبال ·· وبصعوبة تمكن من سؤالها عن حالتها ·· بصوته المعتاد ·· ثم بصوت خافض ·· لا يتمكن والدها ·· من سماعه ·

— هل يمكنك ان تحضرى الى « راندالز » فى أى ساعة من ساعات صباح اليوم ·· تعالى اذا تمكنت ·· ان مسز ويستون تريد أن تراك ·· ويجب أن تراك ·· ؟

— هل هى مريضة ·· ؟

— لا ·· لا أبدا ·· أبدا ·· لقد كانت تنوى الحضور اليك ·· لقد أمرت العربة ·· ولكن فى النهاية ·· رأت أن تراك بمفردك ·· وذاك كما ترين (واشار الى والدها) هيه ·· هل يمكنك الحضور ؟

— طبعا ·· طبعا ·· وفى هذه اللحظة ·· اذا اردت أنه من المستحيل رفض ما تطلب باى طريقة من الطرق ·· ولكن ما الخبر ·· هل هى حقيقة بصحة جيدة ؟

— اعتمدى على ·· ولكن لا تسالينى أسئلة ·· أكثر من ذلك ·· ستعرفين كل شىء فى حينـــه ·· أنه شىء غيـــر متوقع ·· آه ·· هس ·· هس ··

وكان من المستحيل على ايما أن تخمن هذا الأمر ·· شىء يبدو مهما جدا ·· وتعلن عنه نظراته ·· ولكن ·· بما ان صديقتها فى صحة جيدة ·· اذا يجب عليها الا تقلق ·· ؟

وخرجت هى ومستر ويستون فى الحال ·· فى خطوات سريعة ·· نحو « راندالز » ·

وقالت ايما ·· جينما اقتربا من البوابة :

— والآن يا مستر ويستون ·· أخبرنى ماذا حدث ·· ؟

اجابها فى صوت جاد :

ــ لا .. لا .. لا تسالييننى .. لقد وعدت زوجتى أن أترك كل شىء لها هى .. ؟

انها سوف تنهى اليك الخبر .. بطريقة أفضل منى .. لا تتعجلى ..قليلا من الصبر يا ايما .. كل شىء سيأتى فى حينه ..

ــ صرخت ايما بفزع .. وهى تتوقف عن السير .. ؟

ــ لابد وان شيئا قد حدث .. مســـتر ويستون أخبرنى على الفور .. هل حدث شىء فى « برنسويك سكوير ؟ » أنا أعرف أنه قد حدث .. أخبرنى .. أرجوك فى هذه اللحظة .. ماذا حدث.. ماذا..؟

ــ لا .. فى الحقيقة أنت مخطئة ..

ــ مستر ويستون .. لا تفزعنى .. أرجوك أن تراعى .. كم لى من الأصدقاء فى « برنسويك سكوير » .. من هو .. ؟ أرجوك .. أرجوك ..

ــ يا ايما .. صدقينى .. بشرفى .. ؟

ــ بشرفك .. بكلمتك .. ماذا حدث لهم .. ؟

لماذا لا تنهى الى الخبر .. لابد وان شيئا قد حدث فى تلك العائلة التى تهمنى .. يا للسماء .. اه ياربى ..؟

قال هو بكل جدية .. واهتمام :

ــ بشرفى يا ايما .. لا شىء .. لا شىء .. ليست هنـــاك أى صلة بين هذا الموضوع .. واسم نايتلى ..

واستعادت ايما شجاعتها .. والتقطت انفاسها وعاودت المسير .

واستمر يقول :

ــ لقد اخطأت التعبير .. كان يجب لا يجب أن أقول « تنهى اليك الخبر » .. نعم لقد اخطأت .. فى الحقيقة .. أنه لا يعنيك فهذا الخبر .. يعنينى أنا فقط .. هـــذا هو .. وأننى أمل .. هيـــه .. بالاختصار يا عزيزتى ايما .. ليست هناك أية مناسبة للقلق من أجل هذا الموضوع . أننى لا اقول انه شىء غير مقبول .. ولكن ربما يكون

أكثر من ذلك .. دعينـــا نسرع .. وسوف نجـــد أنفسـنا سريعا فى « راندالز » ..

ووجدت ايما .. انه من الأفضل أن تنتظر .. والأمر يحتاج الى قليل من الجهد .. فلم تسأل أى سؤال بعد ذلك .. وعاشت مع خواطرها .. تقلب الأمر على كل الوجوه .. اه .. لابد وأنه يتعلق بالمال .. أو ظروف خاصة بالعائلة شىء نتج عما حدث أخيرا فى ريتشموند .. ونشط خيالها .. نعم .. نصف دستة أطفال شرعيين نعم .. ربما .. ربما .. والمسكين فرانك .. بعيد عن كل ذلك .. ؟

تساءلت ايما .. حتى تطمئن مستر ويستون على الاحتفاظ بسره :

ــ من هذا السيد الذى يمتطى صهوة الجواد هناك .. ؟

ــ لا أعرف .. أنه واحدا من « اوتواى » .. فرانك .. آه .. أنك سوف ترينه .. أنه الآن فى نصف الطريق من وندسور .

ــ اه .. هيه .. اذا كان ولدك معك .. ؟

ــ نعم .. هل لا تعرفين ذلك .. حسن .. حسن .. لا بأس .. لا بأس .. وصمت للحظة .. ثم اطرق .. وقال فى نبرة تنبض بالحب :

ــ نعم .. لقد حضر الينا فرانك هذا الصباح فقط ليسألنا أن كنا فى احتياج الى أى شىء .

وأسرعا فى السير .. حتى وصلا الى « راندالز » ..

وقال هو .. حال وصولهما الى الحجرة :

ــ حسن يا عزيزتى .. لقد أحضرتها معى .. أرجو ان تكونى الآن أحسن حالا .. سوف أترككما معا .. لا فائدة من التأخير .. سوف لا أكون بعيدا عن هنا .. اذا ما احتجتما الى ..

وسمعته ايما .. يغمغم بصوت خفيض .. وهو يغادر الحجرة ..

ــ اننى كنت عند وعدى .. فهى ليست لديها أى فكرة .

وكانت مسز ويستون فى حالة سيئة .. ويبدو عليهـــا التعب ..

بحيث ازدادت مخاوف ايما .. ولكن عنـدما أصبحتا وحـدهما .. صاحت ايما :

ـــ ماذا بك يا جينى .. لابد وأن شيئا غير سار .. قد حدث .. لقد كنت فى قلق دائم .. ماذا بك .. أخبرينى .. ؟

قالت مسز ويستون بصوت متهدج :

ـــ حقيقة . ليست لديك أية فـكرة .. الا يمكنك أن تخمنى يا ايما .. ماذا يمكن أن تسمعينه .

ـــ اه .. لابد وان يكون الأمر متعلقا بمستر فرانك تشرشل .. هذا هو ما يمكننى تخمينه ..

ـــ انك على حق .. فهو أمر يتعلق به .. وسوف انهيه اليك على الفور .. لقد كان هنا هذا الصباح .. فى حضور غير عادى .. أنه من المستحيل وصف دهشتنا .. لقد اتى ليتحدث مع والده .. أقصد .. ليعلن صلة ..

وتوقفت قليلا .. لتلتقط أنفاسها .. وفكرت ايما فى نفسها .. أولا ثم فى هارييت ثانيا ..

واستمرت مسز ويستون :

ـــ أنه شىء أكبر من الصلة .. انها خطبة .. انها خطبة .. خطبة قائمة فعلا .. ما سوف تقولينه يا ايما .. وما سوف يقوله كـل شخص عندما يعلم أن فرانك تشرشل .. ومس فاريفكس .. مخطوبان .. نعم .. ومن فترة طويلة .. مخطوبان منذ فترة طويلة .

وقفزت ايما بدهشة .. وفزع .. وبصدمة مروعة صاحت :

ـــ جين فاريفكس .. يا الهى .. جين فاريفكس .. هل أنت جادة فيما تقولين .. لا .. انك لا تعنين هذا ..

ـــ طبعا .. طبعا .. سوف تذهلين .. ولك الحق فى ان تذهلى .. ولكنه كذلك .. أنه هناك خطبة بينهما منذ أكتوبر الماضى .. تمت فى « وايموث » وظلت سرا لا يعرفه أحد . ولا أى مخلوق .. الا هما .. وحدهما .. ولا حتى « التشامبلز » .. ولا عائلتها هى .. ولا حتى

عائلته هو .. أنه شيء عجيب .. لقد كان من الصعب على جدا أن اصدق .. اه .. أننى كنت أعتقد أننى أعرفه ..

كان من الصعب أيضا على ايما سماع ما يقال .. لقد أنقسم عقلها الى فكرتين حديثها الخاص معه .. عن جين فاريفكس .. والمسكينة هارييت .. وتمكنت بعد جهد كبير ان تستجمع شتات أفكارها .. وتركز عقلها حتى تفيق من الصدمة لتقول أخيرا :

— هذا ظرف لا يمكننى أن أستوعبه الا بعد أن أفكر فيه نصف يوم على الأقل .. ماذا .. ؟

مخطوبة له .. وخاطب لها طوال الشتاء .. وقبل أن ياتى أحد منهما الى « هايبرى » ..

— مخطوبان سرا منذ أكتوبر .. ان هذا قد آلمنى جدا يا ايما .. آلمنى كثيرا .. وآلم والده أكثر .. ان هناك بعض تصرفات لا نقبلها منه .. ولا يمكن قبول عذر فيها ..

واطرقت ايما لحظة ثم اجابت :

— أننى سوف أعطيك الراحة لقلبك .. بما فيه الكفاية .. كونى متاكدة بانه لا تأثير بتاتا .. قد حدث عندى نتيجة لاهتمامه بى .. كما تتوهمين ..

ونظرت اليها مسز ويستون بخوف من التصديق . .ولكن استمرار ايما الثابت فى ايضاح موقفها . .جعلها تنصت اليها باهتمام وهى تقول :

— صدقينى يا مسز ويستون .. كان هذا الاهتمام منذ متى ؟ منذ ثلاثة أشهر .. وانا للآن .. لم يمر بذهنى .. أو أفكر فيه .. وقد اقنعت نفسى منذ البداية .. بعدم التجاوب معه .. وكان هذا هو موقفى معه دائما .. صدقينى ..

وقبلتها مسز ويستون قبلات الفـــرح .. وبدموع الفرح .. قالت لها .. ان حديثها هذا .. قد اثلج صدرها .. وأعاد اليها بهجة الحياة .. وانها الآن .. تشعر بتحسن .. كبير جدا فى حالتها .. وكذلك .. مستر ويستون سوف يرتاح كثيرا وتهدأ نفسه .. مثلما هدأت نفسى .. لقد كنا نعانى كثيرا من هذه النقطة .. وانها . .لرغبتنا نحن الاثنين ..

ان نجمعكما انتما الاثنين .. وكنا نعتقد أنه سوف تكون هناك خطبة بينكما .. وكنا نعمل ونرتب لهذا .. تصورى شعورنا من نحوك الآن .. تصورى ..

ـــ لقد هزبت منه يا مسز ويستون .. هربت بنفسى .. ولكن هذا لا يمنع من أن الومه .. أنه الشخص الوحيد الذى يجب ان يلام .. ما معنى أن يأتى الينا بعواطفه . .ومشاعره .. وهو خاطب فعلا .. ويتظاهر بعدم الخطبة .. وما معنى أن يحاول التأثير على شابة صغير .. وهو فى الوقت نفسه خاطب لأخرى .. ماذا يمكن أن يوصف تصرفه هذا .. ماذا يمكن أن يقول .. أكثر من أنه لم يتمكن من أن يجعلنى اغرق فى حبه .. هـــذا شىء خاطىء .. خاطىء .. فى الحقيقة .. ومؤسف للغاية ..

ـــ من شىء قاله يا حبيبتى ايما .. يمكننى أن اتخيل ..

ـــ تتخيلين ماذا .. ؟ وكيف يمكنها هى ان تتحمل هذا التصرف .. يبدى عواطفه لامرأة .. أمامها . .وهى هادئة .. هى خطيبته .. ساكنة رابطة الجاش .. أننى أبدا لا يمكننى الا احتقار هذا . نعم احتقار واحتقار هذا التصرف .. والنظر اليه دون ما أى تقدير أو احترام ..

ـــ أوه .. لقد أوضح لنا الأمر . .يا ايما .. قال أنه كان هناك سوء تفاهم بينهما .. لقد كان هنا من ربع ســـاعة فقط .. وفى حالة توتر .. لم تدعه يبقى الا نصف الوقت الذى كان مقدرا له أن يكون .. واننى أعتقد ان سوء التفاهم هذا كان ناتجا عن عدم لياقة ..

ـــعدم لياقة .. اه يا مسز ويستون .. ان هذا أكثر كثيرا من عدم لياقة .. لقد أودى به هل الفعل البشع .. أغرقه .. جعـله فى درجة لا توحى بأى احترام له .. فى رأيى أنه قد حقر نفسه بنفسه .. هكذا .. بدون مبادىء أو قيم او خلق تصرف حقير جدا .. انها حيلة .. حيلة .. بذيئة .. وصغار .. وما دام قد فعل ذلك .. فانه قطعا يتصرف بهذه الصغائر .. فى كل خصائص حياته ..

ـــ لا .. لا يا عزيزتى .. اننى ساقف بجانبه هو .. فى هذا القول .. نعم .. فانه اذا ما كان قد اخطأ .. فى تصرف واحد . فله من

المميزات الحسنة الكثيرة ‥ التى عرفتها طوال معرفتى به ما يجعلنى ‥ أعارضك فيما تقولين ‥

صرخت ايما ‥ دون أى مراعاة لدفاعها :

ـــ يا الهى ‥ ما هذا الذى تقولين ‥ هيه ‥ وجين فاريفكس أيضا ‥ ماذا تفعل هى الأخرى ‥ تقذف بنفسها عند « مسز سمالريدج » لتعمل مربية ‥ كيف يكون هذا ‥ وهى مخطوبة للسيد / فرانك تشرشل المبجل ‥ العظيم ‥ الثرى ‥ المحترم ‥ ياله من أمـــر مرعب ‥ مفزع ‥ وبائس تقاسى ‥ لترتبط بعمل كمـــربية ‥ دون مـا توازن فى الحياة ‥

ـــ اوه ‥ ايما ‥ انه لا يعرف شيئا عن هذا الموضوع ‥ لقد كان شيئا خاصا بها هى ‥ وموضوعا قررت فيه جين التصرف وحدها ‥ وفى هذا ‥ انا أشهد له ‥ أنه لا يعرف ‥ أو على الأقل ‥ لم يتم الاتصال به ‥ أو لمعرفة رأيه على الأقل ‥ حتى أمس ‥ فأنا أعرف أنه قال ‥ أنه يجهل تماما ‥ خططها ومشروعاتها ‥ ولكن ‥ لست ادرى ‥ كيف عرف أخيرا من بعض الكلمات أو الخطابات ‥ أدرك منها ‥ ما تنوى فعله ‥ وهذا ما جعله يسرع الى عمه ‥ ويستجدى عطفه ‥ ورعايته ‥ ولم يجد بدا من اعلان الحالة البائسة التى تربط بينهما ‥ ولم يستطع اخفائها أكثر من ذلك ‥

وابتدأت ايما ‥ تصيغ السمع ‥ وتنصت ‥ أفضل ‥

واستمرت مسز ويستون فى حديثها :

ـــ اننى سوف أسمع عنه قريبا جدا ‥ لقد أخبرنى حين رحيله ‥ بأنه سوف يكتب لى حالا ‥ وتكلم فى لهجة جعلتنى اقتنع تماما ‥ بأنه سوف يصرح لى بأشياء كثيرة ‥ لم يتسع الوقت لشرحها ‥ أو ايضاحها ‥ وهذا سوف يضع النقط على الحروف ‥ ويوضح ما خفى من ايضاح لهذا الموقف الغامض ‥ يا حبيبتى ‥ دعينا نرأف به ‥ ولا نكون قساة القلوب ‥ ظالمين ‥ لا تتعجلى أو لا نتعجل فى ادانته ‥ والحكم عليه ‥ قليلا من الصبر يا عزيزتى ‥ يجب ان أحبه ‥ نعم ‥ يجب ‥ والآن ‥ ما يجعلنى أشعر بالراحة ‥ هو ان الموقف بينهما

قد عرف .. والصلة .. قد اذيعت .. وهذا ما سوف يريح من قلبيهما .. الذين عاشا فى كتمان مرير .. مما لا شك فيه..أنه قد آلمهما كثيرا.. وذاقا فيه كل العذاب ..

اجابت ايما بجفاء :

ــ معاناته .. عذاباته .. لا تتظاهرى هكذا بأنك قد سببت له معاناة .. او عذاب .. حسن .. وكيف تقبل مســتر تشرشل .. هــذا الأمــر ..؟

ــ بالطبع .. بتعاطف شديد مع ابن أخته دون أى صعوبة .. وراعى ما حدث فى هذه العائلة من أسبوع .. وأنه فى فترة حياة مسـز تشرشل .. كان لا يمكن أبدا اعلان هذا الأمر .. أو لم تكن هناك أى فرصة أو أمل ..لتحقيقه أو اتمامه .. ولكن الظروف تغيرت الى العكس .. يالها من نعمة أن يحدث هذا لراحتهما .. ؟ أو كما يقولون .. موت يؤدى الى حياة .. ولهذا فقد اقتنع مستر تشرشل..ووافق على الخطبة.

وفكرت ايما فى نفسها :

« آه .. ان هذا كان سيحدث لهارييت » .

ــ لقد تم تسوية هذا الموضوع فى الليلة السابقة .. ولهذا .. بكر فرانك بالحضور الى هنا صباحا . .وقد توقف فى هايبرى .. عند « البيتس » .. بعض الوقت .. ثم جاء الى هنا .. وكما قلت لك .. لم يمكث الا ربع ساعة فقط .. وكان منهارا .. متوترا .. قلقا على غير عادته .. كان يبدو مخلوقا مختلفا تمام الاختلاف عن فرانك الذى نعرفه .. أننى أبدا لم اره بمثل هذا التغيير..بالاضافة الى صدمته حينما وجد أن جين فى حالة صحية منهارة .. ولم يكن عنده أى فكرة مسبقة عن مرضها .. وهذا طبعا قد اثر على مشاعــــره .. وعواطفه وتصرفاته تأثيرا كبيرا ..

ــ وهل تصدقين أنت .. انه حقيقة لا يعرف هذا السر .. أحد .. التشامبلز .. و « الديكونسز » .. هل لا يعرف أحد شيئا عن هذه الخطة .. ؟

« ولم تستطع ايما ان تذكر اسم ديكسون دون قليل من الحياء .. وأحمرار الوجه .. ! »

— أبدا ·· أبدا ·· ولا واحد منهم لقد قال·· وأكد بأنه لا يوجد مخلوق واحد فى العالم ··يعرف هذا السر ·· الا هو ·· وهى فقط··!

قالت ايمـــا :

— حسن ·· حسن جدا ·· أعتقد أننا سوف نعتاد على الفكرة ·· هيه نعم ·· نعم ·· تدريجيا واننى أتمنى لهما السعادة ·· ولكننى سوف أفكر فيها دائما ·· كنوع من الاجراء الكريه ·· المقوت ·· صغير ·· ودنىء ·· ونوع من اللؤم ·· والمكر ·· والتحايل ·· والغدر ·· الغش والخداع ·· يأتى الينا · ويحيط بنا مؤديا وظيفة ·· ! تمثيلية حقيرة دنيئة ·· بأذرع مفتوحة·· وقلب بسيط مفتوح··خالى المشاعر والعواطف ·· وهناك سر ·· يحكمنا كلنا ·· هنا ·· كنا ·· طـــوال الشتاء ·· والربيع ·· مشغولين به تماما ·· بكل الصدق ·· والحب ·· والأمانة والشرف ·· والاخلاص ·· والوفاء ·· يجلس بين فتاتين ·· يبث كل منهما ·· عواطفه وكلماته ·· وحبه ·· ! كلمات لم تسمعها واحدة منا من قبل ·· ! لو كان أحد من مجتمعنا ·· سمع اقواله ·· لما غفرها له ابدا ·· أبدا ··

أجابت مسز ويستون :

— اننى لا أعرف شيئا عن هذا ·· واننى متاكدة ·· من اننى لم اسمع شيئا عن هذا الموضوع ·· عنك ·· أو عنها ·· ؟

— انك سعيدة الحظ ·· وطيبة وشديدة الثقة ·· فانك لم تتخيلى أبدا أن صديقا خاصا لنا ·· غارق فى حب تلك السيدة ··

— حقيقى ·· نعم هذا حقيقى ·· ولكننى كنت دائما أبدا ·· حسنة الظن بمس فاريفكس ولى رأيا طيبا عنها ·· ولم يحدث أبدا ·· تحت أى تأثير ·· ان تكلمت كلمة ·· سوء عنها ·· أو حتى فكرت فيها تفكيرا سيئا ·· ولهذا ·· كنت دائما فى أمان ·

وفى هذه اللحظة ·· ظهر مستر ويسنون لمسافة قريبة من النافذة·· تماما كالساعة ·· وفى الوقت المناسب وأرسلت اليه زوجته نظرة ·· داعية للدخول من باب الحجرة ·· فاضافت مسز ويستون ··

— والآن ·· يا حبيبتى ايما ·· دعينا ننظر الى الموضوع بمعالجة قلبية ونتعاطف مع فرانك ·· لنرضيه ·· ونجعله يشعر بأنه قد أحسن

الاختيار .. أنه سعيد الحظ .. ليختار فتاة مثل جين .. كل المميزات فى صالحها .. فتاة .. مستقيمة الخلق .. ولا شىء بعيبها .. اننى كنت دائما أبدا .. أعجب بشخصيتها .. ويحكمها على الأشـــياء .. ماذا سنجنى من عدائها .. فاذا لم نقف بجانبه .. فكم من أشياء كثيرة .. سوف تقال .. عن وضعها ـ هذا .. ومثل هذه الغلطة ..

صاحت ايما دون شعور :

ـــ كثير .. كثير فى الحقيقة .. اذا ما غفر لامرأة .. فى مثل وضعها .. فانه لن يغفر « لجين فاريفكس » سوف يقال الكثير والكثير .. ان العالم ليس لهما .. ولا القانون فى صفهما .

وقابلت مستر ويستون فى دخوله للحجرة .. باتســـامة مرحبـة .. لائمـةـ :

ـــ آه .. انها حيلة بديعة ولعبة جميلة جدا .. تلك التى لعبتها معى .. آه .. بشرفك . .بكلمتك لقد كانت نصيحة .. بل اعتقد أنها كانت تلاعبا بفضولى .. أو امتحانا لتخميناتى .. ولكنك فى الحقيقة افزعتنى .. لقد اعتقدت بأنك قد فقدت نصـــف ثروتك على الأقل .. والآن . .بدلا من أن تكون مسالة مواساة .. أصبحت مسالة تهنئة .. أننى أهنئك يا مستر ويستون بأجمل ابنة فى انجلترا كلها ..

وتبادل مستر ويستون وزوجته .. نظرات الراحة .. فان كلام ايما .. قد اقنعه ان الحديث قد سار فى طريقه الصحيح .. وأنه قد نجح نجاحا تاما .. مما عكس عليه على الفور .. تأثيرا مباشرا .. فى عودة البشر الى وجهه .. والابتسامة الى شفتيه .. وانتعاش روحه كالعادة .. ليدخل فى الموضوع مباشرة .. ويقول ان الخطبة فى حد ذاتها .. كانت لا تحتاج الا الى بعض الوقت .. للاقتناع بانها ليست شيئا .. رديئا .

وبمرور الوقت .. صار الموضوع عاديا جدا .. وتكلم فيه ثانيا مع ايمـــا .. أثناء عودتها سيرا الى هارتفيلد .. وقـــد عادت اليه بشاشته التامة وأصبح قريبا جدا .. من الاقتناع تماما .. من أن فرانك قد فعل أفضل شىء يمكن أن يفعله .. وانه هكذا .. كان يجب أن يكون .



الفصل السادس والأربعون

كلمات كانت تسيطر على كل فكر ايما ومشاعرها .. يرددها عقلها الباطن .. وترددها أفكارها .. وتعيش فيها .. ليلها .. ونهارها .. بحيث لم تستطع أن تتخلص من سيطرة الحاحها عليها .. هذه الكلمات القليلة .. هى : « هارييت .. مسكينة .. هارييت مسكينة .. هارييت .. بكل البؤس .. والتعاسة والألم .. كان شعور ايما بحالة هارييت .. وسوء حظها . لقد تصرف فرانك تشرشل تصرفا سقيما .. مريضا .. بالنسبة لها هى .. ايما نفسها .. ولكن لم يكن غضبها منه .. أو اشفاقها أو تألمها .. لنفسها ..

ـــ ولهذه التصرفات .. بقدر ما كان لهارييت المسكينة .. آه .. ياللتعاسة .. والشقاء .. ؟ للمرة الثانية .. تصدم هذه الصغيرة .. فى عواطفها بقسوة .. لقد كان حديث مستر نايتلى معها مؤلما أيضا .. حين قال لها .. بأنها لم تفعل شيئا .. ولم تقدم شيئا لصديقتها الصغيرة .. الا البؤس والتعاسة وقوله لها : ايما .. انك لم تكونى أبدا .. صديقة لهارييت سميث ؟

فعلا . انها لم تقدم لها أية خدمة .. انها كانت سبيلها .. الى خيال سقيم يائس .. انها حقيقة وجدت ان مشاعرها واعجابها نحـــو « فرانك تشرشل » قائمة فعلا .. قبل ان تشير هى الى هذا الموضوع .. ولكنها لا تنسى أبدا .. أنها شجعتها التشجيع الذى نمى هذا الاعجاب ..وقوى من هذه المشاعر .. هى لهذا .. مذنبه تماما .. كان يجب عليها أن تبتر هذه المشاعر منذ بدايتها .. وأن تمنع هذه العواطف والاحاسيس نتيجة لسيطرتها ـ التامة .. على هارييت واقتناع الأخيرة برأيها .. وانقيادها لها .. انها تشعر بأنها قـد حطمت عواطف صـــديقتها .. وزرعتها فى أرض جافة .. غير صالحة للزراعة .. انها مذنبة .. مذنبة .. لقد حطمت مشاعر صديقتها .. وقضت على سعادتها .. وخانتها .. وخانتها .. وكان يجب عليها ان تبصر هارييت .. وان تحول تفكيرها عنه .. وانه كانت هناك خمسمائة فرصة .. الى فرصة واحدة .. يمكن أن تكتسب قلبه .

وشعرت ايما بالغضب . والاستياء من نفسها .. اذا لم يكن مع

فرانك تشرشل أيضا ٠٠ بل ان غضبها من فرانك تشرشل كان مخيفا ٠٠ هادرا ٠٠ عاصفا ٠٠ لا يمكن وصفه ٠٠ اما بالنسبة لجين فاريفكس ٠٠ فانها فى الوقت الحالى ٠٠ ترى أنها يجب أن تتخلص من مشاعرها ٠٠ وعواطفها ٠٠ والا تتجه اليها مطلقا ٠ يكفيها قلقها من ناحية ٠٠ هارييت ٠٠ وانها لا تحتاج للشعور بعدم السعادة والراحة ٠٠ حتى تفكيرها فى « جين فاريفكس » فهى قطعا سوف تسترد صحتها ٠٠ وسريعا ما تتعايش مع السعادة والحب ٠٠ والثروة والهناء ٠٠ ؟

وهنا ٠٠ تفتحت بصـــيرتها ٠٠ على بعض اعمال جين فاريفكس الأخيرة ٠٠ نعم ٠٠ انها كانت « الغيـــرة » ٠٠ فان جين فاريفكس ٠٠ كانت تشعر بالغيرة ٠٠ من ايما ٠٠ وتعتبرها منافسة لها فى حب فرانك ٠٠ ولهذا حاولت ان تبتر كل صلة بينهما ٠٠ والا تتقبل منها أى مساعدة أو مشاركة ٠٠ بل قابلتها بكل جفاء ٠٠ ومنها أيضا عدم مقابلتها فى المدة الأخيرة واعادتها الماكولات التى ارسلتها اليها ٠٠ ومنها ٠٠ ومنها ٠٠ ومنها ٠٠ أحداث كثيرة أوضحت تصميم جين على قطع كل علاقة ٠٠ وصلة بها والآن يجب أن يظل موضوع فرانك وجين فاريفكس ٠٠ سرا ٠٠ وهذا ما كان من تصرف مستر تشرشل ٠٠ الذى مازال يتألم ٠٠ لفقد زوجته ٠٠ اما بالنسبة الى هارييت ٠٠ فان هذه هى مهمتها الأولى الآن ٠٠ ؟

وبالرغم من خوفها ٠٠ وقلقها ٠٠ فان تفكيرها ٠٠ كان منصبا على كيفية ٠٠ توصيل هذه الأخبار لهارييت بنفس شعور مسز ويستون عندما ذهبت اليها فى «راندالز»٠٠ لتنهى اليها أنباء فرانك وخطبته لجين٠٠؟

لقد خفق قلب ايما بشدة ٠٠ وازدادت ضرباته حين سماعها لوقع خطوات « هارييت » وصوتها ٠٠ اه ٠٠ مسكينة مسز ويستون ٠٠ كيف كانت حالتها اذن ؟ حين انتظارها لها ٠٠ ولكن ٠٠ الآن ٠٠ لا يمكن لايما أن تتراجع ٠٠ ولم تعد هناك أى فرصة للهروب مما لابد منه ٠

صاحت هارييت وهى تقفز الى الحجرة ٠٠ بمرح ٠٠ وانتعاش ٠٠ نعم يا مس وود هاوس ٠٠ أليست هى نفس الاخبار الشاذة التى نعـــرفها ٠٠ ؟

ـــ اجابتها ايما ٠٠ وهى غير قادرة على تخمين ماتعنيه ٠٠ لا من صوتها ٠٠ ولا من نظرات عينها : ماذا تعنين ٠٠؟

— هذه الأخبار ٠٠ عن جين فاريفكس ٠٠ هل سمعت شيئا أغرب من هذا ٠٠ لقد عرفته الآن فقط ٠ ٠في طريقى الى هنا ٠٠ لقد قابلنى مستر ويستون وانهى الى هذه الاخبار ٠٠ وطلب منى أن اخفيها عن كل مخلوق ٠٠ لأنها انباء فى غاية السرية ٠٠ والتكتم ٠٠ وبالطبع ٠٠ لا يمكن اخفاءها عنك ٠٠ لأنك تعرفينها فعلا ٠٠ هذا ما قاله لى ٠٠ ؟

قالت ايما ٠٠ ومازالت فى نفس حيرتها :

— ماذا قال لك مستر ويستون ٠٠ ؟

— اوه ٠ ٠لقد قال لى كـــل شىء عن الموضوع ٠٠ وان جين فاريفكس ومستر فرانك تشرشل ٠٠ سوف يتزوجان وانهما كانا مخطوبين لفترة طويلة جدا ٠٠ « خطبة سرية » ٠٠ كم هو شاذ ٠٠ ؟ كم هو شاذ وعجيب ٠٠ هذا الخبر ٠٠ ؟ « فعلا ٠٠ فعلا ٠٠ فعلا لقد كان شيئا شاذا ٠٠ وهذا الشذوذ لم يكن الا فى تصرفات « هارييت » فان ايما لم تستطع أن تفهم ما تعنيه ٠٠ لقد بدت انسانة غريبة تماما ٠٠ وشخصية غيـــر شخصيتها الأولى ٠٠ لقد بدت وكأنها ٠٠ تحاول الا تعير الموضوع أى اهتمام ٠٠ وكانه لا يعنيها بتاتا ٠٠ صاحت هارييت :

— هيه ٠٠ هل كانت لديك أية فكرة عن حبه لها ٠٠ ؟

انت بالطبع ٠٠ أنت (وأحمر وجهها وهى تتكلم) ٠٠ آه ٠٠ من ذا الذى يمكنه أن يعرف ما بداخل كل قلب ٠٠ لا احد ٠٠ لا أحد ٠٠ ؟

قالت ايمـــا :

— بشرفى ٠٠ أنا لا يمكن أن أصدق هذه القصة ٠٠ التى تحاولين نسجها ٠٠ ! هل تسألينى ٠٠ أنا ٠٠ هكذا ٠٠ بكل جدية واهتمام ٠ اذا ما كنت أعرف عن حبهما ٠٠ وأعرف عن خطبته لامرأة أخرى ٠٠ ؟

أنت تسأليننى أنا ٠ ٠صدقينى ياهارييت بأنه حتى آخر لحظة ٠٠ لم أكن أعرف ٠٠ أو أشك أو أتوقع ٠ ٠ان هناك حتى على الاقل أى اهتمام منه « لجين فاريفكس » ٠٠ يجب أن تكونى متأكدة من أننى لو كنت أعرف ٠٠ لكنت حرصت الا ادع عواطفك تميل اليه ٠٠ ؟

واحمر وجه هارييت خجلا ٠٠ ودهشة ٠٠ وهى تصيح :

— أنا عواطفى أنا ٠٠ تحرصين على عـــواطفى منه ٠٠ هـــل

(ايمـــــا)

تعتقدين أننى أهتم بمستر تشرشل ٠٠؟

— اننى سعيدة وفرحة لسماعك تتكلمين هكذا ٠٠ ؟ عن الموضوع ولكنك طبعا ٠٠ لا تتجاهلين ٠٠ أنه فى وقت ما جعلتينى أفهم من أنك تهتمين به كثيرا ٠٠ ؟

— هو ٠٠أبدا٠٠أبدا٠٠ لم يحدث يا عزيزتى مس وود هاوس؟ ٠٠ كيف تخطئين ٠٠ فى فهمى هكذا ٠٠ ؟ (واستدارت فى كرب وضيق) صاحت ايما ٠٠ بعد لحظة أطراقة وصمت :

— هارييت٠٠ ماذا تعنين٠٠ اخطأت فى فهمك٠٠ ؟ هل أنا اذن؟

واحتبس صوتها ٠وضاع منها ٠ ٠وجلست فى ألم واعياء ٠٠ تنتظر فى عذاب وتوتر ٠٠ اجابة هارييت ٠٠ وكانت هارييت ٠٠ تقف على بعد مسافة منها ٠٠ وقد أعطتها ظهرها ٠٠ ولم تحاول الرد على الفور ٠٠ ولكنها عندما تكلمت ٠٠ بدا صوتها مختنقا ٠٠ محبوسا تماما ٠٠ مثل ايما ٠٠ وابتدأت تقول :

— أبدا ٠٠ أبدا كان لا يمكن التفكير فيه فانك قد أسأت الفهم ٠٠ أنا أعرف باننا قد اتفقنا على الا نذكر اسمه ابدا ٠ ٠ولكن ٠٠ بالنسبة الى أى شخص آخر ٠٠ كان من الممكن أن يكون ٠٠ اوه ٠٠ مستر فرانك تشرشل ٠٠ ؟ اننى لا أعرف كيف انظر اليه ٠٠ وهو فى صحبة آخرين ٠٠ اننى أعتقد بأن لدى ذوقا أفضل من أن أفكر فى مستر فرانك تشرشل ٠٠ الذى لا يشبهه أحد ٠٠ وانك فعلا كنت مخطئة ٠٠ انك تذهلينني ٠٠؟ أنا أنظر الى فرانك تشرشل ٠٠ وبجواره شخص لا يدانيه أحد ٠٠ ؟ انك حينما وجهت نظرى فى بادىء الأمر ٠٠ لم أعتقـــد بانك تعنين فرانك تشرشل (ولكن ٠٠ شخص آخر ٠٠ ولكنك أنت ٠٠ أنت التى كنت دائما ملتصقة به ٠٠ وهذا شىء آخر ٠٠ ؟

صرخت ايما بذهول ٠٠ وبعجب ٠٠ وهى تستجمع شتات نفسها :

— هارييت ٠ دعينا نفهم بعضنا البعض قبل ان نقع فى أخطاء أخرى ٠٠ عمن تتكلمين ٠٠ ؟ هل تتكلمين عن مستر نايتلى ٠٠ ؟

— حتى تكونى متأكدة ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ هو ٠ هو ٠٠ هو ٠٠ من اعنيه ٠٠ أنا لم أكن أشعر ٠٠ أو أهتم ٠٠ بأى انسان غيره ٠٠ وعندما تكلمنا ٠٠ أعتقدت بانك تعرفين ٠٠ كان الحديث واضحا وصريحا ٠٠

ما أمكن ؟ واستدارت اليها ايما بفزع :

— كل ما قلتيه لى كان يبدو عن شخص مختلف .. اننى أوكد بأنك قد ذكرت اسم مستر فرانك تشرشل .. اعتقد أنه هو .. فرانك تشرشل .. وهو الذى انقذك من الغجر .. أليس كذلك أليس هذا هو ما حدث .. وكان حديثنا عنه .

— أوه .. مس وود هاوس .. كيف تنسين .. او تتناسين هذا الحديث .. اننى اتذكر الموضوع تماما .. ومن انك قد تاثرت بالخدمة التى قدمها لك .. وعبرت عنها بكل حرارة .. وعن تأثرك باهتمامه بك ..ان الانطباع مازال قويا فى ذاكرتى ..

— آه يا عزيزتى .. كيف يمكن أن استوعب ما تعنين ـ وأنا فى تلك اللحظة كنت أفكر فى شىء مختلف تماما .. لم يكن الغجر .. ولم يكن مستر فرانك تشرشل ما أعنيه .. لقد أفكر فى لحظة أثمن من كل هذا .. واغلى من كل هذا .. لقد كنت أفكر فى تلك اللحظة التى أتى فيها الى مستر نايتلى ليطلب منى ان أراقصه .. عندما رفض مستر ايلتون الرقص معى .. وحين لم يكن هناك رفيق غيره فى الحجرة .. هذا هو الحدث اللطيف هذا هو النبل .. وهذه هى الرجولة .. وعظمة الأخلاق .. ما فعله جعلنى أراه أعظم من كل رجال الأرض .. لقد أصبح كل شىء بالنسبة لى منذ هذه اللحظة ..

صاحت ايما :

— يا الهى .. هذا شىء سىء .. ياسوء الحظ .. ياللغلطة الفظيعة .. ماذا يمكن عمله الآن .. وكيف يكون التصرف .. ؟

— اذن . .لو كنت قد فهمتينى .. ما كنت شجعتينى .. على الأقل . .لن يكون هو أسوأ من تشجيعك لى .. لهذا الشخص الآخر .. والآن .. أرى أنه من الممكن ..

واطرقت لحظة .. اما ايما فلم تستطع ان تتكلم واستمرت هارييت فى حديثها .

— والآن يا مس وود هاوس .. أنا لا اتعجب اذا ما كنت تدركين الفرق بين الاثنين .. أو بينه وبين أى رجل فى العالم .. ويجب أن

تفكرى فيه .. خمسة ملايين مرة .. عن الآخر .. وانها كلماتك يا مس وود هاوس .. ان هناك زيجات تأخذ طريقها .. وهذه الزيجة .. يجب أن تفكرى فيها .. بدلا من تفكيرك فى ارتباط بينى وبين فرانك تشرشل .. واننى أرجو الا تضعى العقبات فى طريقنا .. او تقفى ضدنا .. أو تعترضى طريقنا .. لكنى متأكدة من انك طيبة جدا . ولا يمكن أن تفعلى ذلك أبدا .. !

وكانت هارييت تقف بجوار أحد النوافذ .. واستدارت ايما .. تنظر اليها بتركيز وتمعن .. ثم قالت :

— هل لديك أية فكرة عن مبادلة مستر نايتلى لعواطفك .. ؟

اجابت هارييت بكبرياء .. ودون خوف :

— نعم .. نعم .. يجب ان أقول بأنه لدى ..

وجلست ايما صامته .. وارخت من نظراتها .. وهى .. مختلجة العواطف .. والمشاعر .. لا تقدر أن تتمالك نفسها .. ولكن .. بضعة دقائق فقط .. أعادت اليها رباطة جأشها . وتمكنها من السيطرة على مشاعرها .. فان عقلا متفتحا مثل عقلها .. لابد وان يتفتح بسرعة للتوقعات .. للتفكير .. ولمعرفة الحقيقة كلها .. لماذا اختلط كيانها كله .. بالألم .. والدهشة والذهول..؟ لماذا ترى أن هارييت لا تستحق رجلا مثل مستر نايتلى .. ؟ وتستحق فرانك تشرشل .. ؟

« لماذا هذا الشعور القاسى الذى اعتصر قلبها .. حينما قالت هارييت ان مستر نايتلى يبادلها العاطفة .. ؟ ولماذا هذا السهم القاتل الذى اخترق قلبها الآن .. وفى هذه اللحظة .. لماذا ..؟ لأن مستر نايتلى لا يجب أن يتزوج أى واحدة .. الا هى .. كان هذا هو شعورها .. وهذا هو اعتقادها .. واقتناعها .. فى هذه اللحظة فقط .. لقد رأت كل شىء واضحا جليا .. لقد عرفت نفسها .. وفهمت مشاعرها .. كم كانت عمياء .. كم كانت مجنونة .. ؟ وكيف لم تعرف ذلك من قبل .. ؟ ولكنها الآن عرفت كل شىء .. ؟ ولكن .. ما هذا الذى فعلته مع هارييت .. ؟ ما هذا التصرف ؟ الذى تصرفته مع الفتاة التى تعتقد أن مستر نايتلى يحبها .. ؟ ان هذا يحتاج الى بعض الهدوء .. والتفكير

.. ان هارييت لم تفعل شيئا .. ! ان خيالاتها .. وعواطفها .. اتجهت الى الرجل الذى انتشلها فى لحظة يأس .. وخجل وعـــار .. ووقف بجانبها .. وهنا استدارت الى هارييت .. وتحيرت فى أى موضوع تتكلم فيه معها .. فان الموقف قد اتضح تماما وبدا أن موضوع «جين فاريفكس» ومستر فرانك تشرشل .. قد ضاع تماما .. ولم يبق الا التفكير فى مستر نايتلى تفكيرا يجمع بينهما هما الاثنين .. ؟ وان تعمل مافى ـ وسعها .. لكى تربطه بها ..

وكانت هارييت تقف فى حالة غير سـعيدة فى انتظار تشجيع من ايما .. لآمالها وأحلامها .. وتريد أن تسرد تاريخ حبها وذكرياتها .. واسترسلت فى صوت راعش .. تروى احداث غرامها وايما تنصت فى رعشة عواطف .. متضاربة .. مندهشة .. وكانت هارييت تحكى بانفعال وايما تنصت بمعاناه وألم .. وصبر كبير .. لتفاصيل ذكريات هارييت مع نايتلى .. وشعورها بالتغيير بعد الرقصتين اللتين رقصتهما معه .. وايما تعرف .. انه قد اشفق عليها .. وان هذا كان من طبيعته الطيبة وشفقته على وضعها .. وكيف أنهما سارا معا .. وحديثه معها .. بكل رقة ولطف .. مما بدا .. أنه يريد صداقتها .. وأعادت هارييت تعبيرات مديح .. واعجاب .. وايما مؤمنة كل الايمان . .بانه ما مدحها الا لأنه لا توجد لديه أية مشاعر من نحوها .. انها تحيه اخلاص وكرم وتواصل هارييت حديثها . لتستعيد نظراته .. وكلماته . .ومجاملاته .. وسيره معها .. وحدها .. فى مرفأ .. « دونويل » .. وكان حديثه معها يدل على سؤالها .. عما اذا كانت عواطفها مرتبطة .. بأى شخص آخر .. وعندما لحقت بهم مس وود هاوس .. غير الموضوع . .وابتدا يتكلم عن الزراعة .. والأرض .. وفى المرة الثانية .. جلس معها .. مايقرب من نصف ساعة صباح ذلك اليـــوم الذى كانت ايما فيه للزيارة .. وقوله .. من أنه لم يمكث الا خمس دقائق قبل ذهابه الى لندن .. وسألتها ايما :

— ربما كان سؤاله عن ارتباط عواطفك أنه يعنى مستر مارتن..؟

ولكن هارييت صرخت :

— مستر مارتن .. ؟ لا فى الحقيقة لا .. لم تكن هناك أية

اشارة عن مستر مارتن . . أو توقع أى شىء من ذلك . .

واختتمت هارييت حديثها :

— أننى أبدا لم أكن افكر فيه فى البداية . . ولكنك قلت لى . . اننى يجب أن استحوذ على مشاعره بمرحى . . وان تكون تصرفاته معى هى الحكم على . . هكذا . . فأننى الآن . . أشعر باننى استحقه . . وانه لو حدث واختار . . فلى يكون هناك أى عجب فى هذا الاختيار . .

وكانت المشاعر المريرة التى شعرت بها ايما من هذا الحديث . . جعلتها تجيب هارييت بقولها :

— هارييت . . أننى أود أن أوضح لك . . أن مستر نايتلى . . آخر رجل فى العالم . . يمكن أن يعطى أى فكرة عن عواطفه لامرأة . . أكثر مما يريد .

وكانت خطوات مستر وود هاوس . . سببا فى فزع هارييت وخوفها من ان يكتشف حالتها . . ووجدت انه من الأفضل أن تسرع بالهروب من الباب الآخر وحين اختفائها . . تنهدت ايما . . واعتصر قلبها شعورا داميا . . وهمست لنفسها :

« يا الهى . يا الهى . . ياليتنى ما رأيتها » .

وكان اليوم كله مسرحا لأفكارها . . والليل متاها لتاملاتها . . كيف يمكن أن تفهم كل ذلك . . يالها من عمياء العين والقلب . . البصر . . والبصيرة . . يالها من جاهلة . . حمقاء . . انها كانت دائما أبدا جريحة من تصرفات الاخرين .

وسارت من الحجرة الى الحديقة . . ومن مكان الى مكان . . وهى لا تهدأ . . فلقد وجدت نفسها فى محنة . . وتعيش فى جرح عميق .

كيف لم تفهم قلبها . . لقد عاشت لتفهم قلوب الاخرين . . وتجمع بين الآخرين . . وهى أبدا لم تجمع أحدا . . ولم تفهم أحدا . . بل كانت هى الوحيدة عديمة الفهم والبصيرة . .

منذ متى كان مستر نايتلى عزيزا عليها . . لقد ظهر الآن كل ما

خفى من مشاعر وانعطاف ‥ منذ متى بدأ تاثيره عليها ‥ عندما نجح فى تحويل عواطفها عن فرانك تشرشل ‥

لقد أخذ فرانك من تفكيرها فترة قصيرة ‥ ثم نظرت الى كليهما ‥ وقارنت بينهما ‥ لقد وضعت الاثنين امام مشاعرها ‥ وميولها ‥ اه ‥ يالها من بلهاء ‥ ليس هناك أى وجه للمقارنة بينهما ‥ حقيقة ‥ انها أبدا لم تهتم بفرانك تشرشل ‥ أنه هو ‥ هو مستر نايتلى ‥ كان دائما العزيز ‥ القريب الى قلبها ٠ ٠لقد ادركت مدى جهل هذا القلب الذى ظنت فى يوم ما ‥ أنه يميل الى « فرانك تشرشل » ‥

وكانت الانعكاسة الأولى لمعرفة نفسها ‥ ان كـــل مشاعرها كانت تتقزز من أى مخلوق آخر ‥ الا مستر نايتلى ٠

لقد كانت دائما مخطئة ‥ واخطأت دائما ‥ وتسببت فى ضرر نفسها ‥ وضرر هارييت‥وتخاف الآن على مستر نايتلى ‥ ان حماقتها وجهلها هى التى جعلتها تقربه من هارييت ‥ فلولا هذه الحماقة ‥ ما عرف هارييت على الاطلاق ٠

« هيه ‥ مستر نايتلى ‥ وهارييت سميث ‥ ياله من عدم تكافؤ ‥ ويالها من مهزلة ‥ لقد كان شيئا مخيفا أن تنزل به الى هذا الحضيض ‥ انها هى التى شجعتها ‥ وهى التى جعلتها تعتقد انها يمكن أن ترتفع ‥ وأن ترقى ‥ وهى التى جعلت من هارييت شيئا ‥ جعلها تتطلع ‥ وتطمع ‥ فى مستر نايتلى ‥

لقد استكثرت ايما « جين فاريفكس » على مستر نايتلى ‥

والآن ترى مهزلة القدر ‥ ليربط بين هارييت ومستر نايتلى ‥ يالسخرية القدر ‥ ؟

ـــ انها هى التى جعلت هارييت ترقى بمشـــاعرها الى مستر نايتلى وهى ‥ التى جعلتها تصل بتفكيرها الى هذا المستوى ‥ لقـد كانت ترى فى مستر ايلتون شخصا مناسبا لهارييت ‥ وتعمل ما فى وســـعها ‥ لتربطه فيها ‥ ولكن ‥ مســـتر نايتلى ‥ يالالأسى ‥

ياللمأساة .. أليس هذا من فعلها هى أيضا .. أليست هى التى صممت ان تجعل هارييت .. سيدة مجتمع .. وترفعها .. لتضمها الى علية القوم .. وتنمى فيها هـذه التطلعات ومهما فعلت هارييت .. فان ما تفعل نتيجة لفعلها هى .. وهى .. وحدها .

الفصل السابع والأربعون

وظلت ايما فى حيرتها .. وفزعها . .من خسارتها الجسيمة .. انها لم تكن تقدر مدى سعادتها مع مستر نايتلى .. مدى رضائها ومتعتها طوال حياتها بجوار رعايته .. كانت سعيدة به .. دون ما شعور .. او انعكاس لهذه السعادة .. فهى حدث يومى .. تماما مثل سعادتها بوالدها .. بيتها .. حياتها .. وكان هو جزء مكمل لهذه الحياة .. ولم تكن تدرى مدى أهمية وجوده..ولا مدى ارتباطه بها .. وبأبيها .. وبحياتها .. لقد شعرت به . .وباهتمامه .. منذ مدى بعيد . بعيد جدا .. لم تكن له أية صلة .. أو علاقة .. او معرفة بأية أنثى أخرى .. فيما عدا ايزابيلا .. وكانت تعلم كم يحب .. ويحترم ايزابيلا .. اما هى .. فكانت بعيدة عن طباع .. ايزابيلا .. كانت دائما تفند آراءه .. وتصطدم بأفكاره .. ولا تتبع نصائحه .. وتتشاجر معه دائما .. ولكن .. مع كل هذا .. كان يحبها .. ويحب فيها ذكاء العقل . وامتياز خلقها وتفكيرها وراقبها منذ كانت فتاة . مع قلق دائم لرغبته .. فى أن تكون مع الحق دائما . .وبالرغم من كل اخطائها فانها كانت تعلم .. بانها حبيبة الى قلبه .. ويمكنها أن تقول .. « حبيبة جدا .. جدا .. » ان هارييت لا تفكر بانها لا تستحق حب مستر نايتلى . .ولكنها هى .. ايما .. ترى فيه شيئا رائعا .. وترى أنه .. يحبها هى .. ولم يكن فى وسعها ان تتملقها .. أو توهمها بأن هناك أى شعور منه بالود من نحوها .

اما ايما .. فقد رأت ما يؤيد حبـــه .. واهتمامه بها هى .. كم كانت صدمته كبيرة من تصرفاتها مع مس بيتس .. كيف أحتد .. وارغمها بشدة على الاعتذار .. ؟ فقط لتكون صورة حلوة من التصرفات الحلوة .. والخلق الطيب أمام الناس .. ولكنها هى .. الآن .. فى حيرة .. وفى قلق .. وفى عذاب .. كيف تعرف شعوره الحقيقى .. ربما تكون هارييت على حق .. وتمكنت من تحويل دفة عواطفه نحوها .. وهى .. وهى .. فى كل مراحل حياتها .. وكل اصـــطدام مع فكرة زواج مستر نايتلى .. وكانت تصر دائما على بقائه أعزبا .. هل حقيقة .. اذا لم يتزوج سوف تكون سعيدة .. ان مشاعرها تقول لها .. نعم .. فان بقائه هكذا .. معهما .. هى ووالدها مستر نايتلى القديم .. مستر

نايتلى للعالم كله ٠٠ هو نفسه مستر نايتلى الصديق الغالى ٠٠ للياليها ٠٠ هى ووالدها ٠٠ نعم هى حقيقة تريده هكذا ٠٠ فان زواجه حتى منها هى ٠٠ لو حدث ٠٠ سيكون تأثيره سيئا على والدها ٠ لا شىء ســـوف يبعدها عن والدها ٠٠ لا شىء سوف يفرقها عنه ٠٠ حتى ٠٠ ولو طلبها مستر نايتلى للزواج ٠

وكانت رغبتها الصادقة ٠ أن تصدم هارييت فيه ٠٠ واقنعت نفسها بأنها حين تتاح لها الفرصة لرؤيتهما معا ٠٠ يمكنها فى هذه الحالة ٠٠ تقدير مدى العلاقة بينهما ٠٠ ومدى اهتمام مستر نايتلى بها ٠ ٠ومن خلال مراقبتهما يمكن أن تتضح الأمور فى نفس الوقت ٠٠ قررت عدم رؤية هارييت فانها الآن ٠٠ لا تريد معارضة ثقة هارييت ٠٠ والا يكون الحديث بينهما فقط للاثارة ٠٠ والاحتداد ٠٠ لهذا ٠٠ كتبت اليها خطابا ٠٠ ترجوها فيه أن تنسى محادثة اليوم الماضى ٠٠ وأنه من مصلحتها عدم الحضور لفترة ٠٠ الى هارتفيلد ٠٠ حتى يمكن تسوية الموضوع فى جو هادىء ٠٠ ووافقت هارييت وكانت شاكرة لها صنيعها ٠

وعندما ارتاحت ايما من تسوية هذه النقطة بخصوص هارييت ٠٠ حضر زائر لهارتفيلد ٠٠ تمكن من شغل تفكيرها تماما ٠٠ وأبعاده عن تلك الافكار التى استحوذت على كل ذهنها ٠٠ ومشاعرها ٠٠ فى ذلك الموضوع ٠٠ الذى كان يكتم على أنفاسها ٠٠ وهى نائمة ٠٠ أو مستيقظة ٠٠ جالسة ٠٠ أو سائرة فى الطريق ٠٠ هذا الموضوع الذى التف بها ٠٠ وبتفكيرها طوال الاربعة والعشرين ساعة الماضية وكان هذا الزائر ٠٠ أو هذه الزائرة على وجه التحديد ٠٠ هى مسز ويستون التى حضرت لتزور ابنتها بالتبنى ٠٠ وتمر بهارتفليد فى الطـــريق عودتها الى بيتها ٠٠ بشعور تأدية واجبها نحو ايما ٠٠ وشعور آخر ٠٠ هو استمتاعها بهذه الزيـــارة ٠

ولقد رافقتها مسز ويستون فى زيارتها لمسز بيتس ٠٠ لتاكيد هذه المناسبة مع « جين فاريفكس » وقد دعت مسز ويستون « جين » لرحلة فى الهواء الطلق ٠٠ لما رات حالتها الصحية المتاخرة ٠

وطافت بايما مشاعر حب الاستطلاع ٠٠ وأنصتت الى مسز ويستون

وهى تقول ·· انها كانت تود ان تكتب لجين بخصوص الاحتفالات المزمع اقامتها · ·وان مستر تشرشل ·· يود تحديد الموعد ·· ولكن ·· مستر ويستون · كان له رأيا مخالفا ·· فلقـــد أصر على ابداء استحسانه ·· وموافقته على هذه الخطة بنفسه · ·وان أى شىء لن يقف فى طريقها ··

وابتسمت ايما ·· وأدركت سر رغبة مستر ويستون فى التعبير عن رضائه ·· لانه يعرف ·· وجين أيضا تعرف ·· بأنه كان ·· هناك شوطا بينهما وقالت مسز ويستون ان جين كانت تعانى أشد المعاناة ·· وتقاسى من هذا الظرف ·· وكل نظرة ·· وكل كلمة كانت تشير الى عذابها ·· والمها اما السيدة العجوز الطيبة وابنتها ·· فقد قـــدمتا تحياتهما ·· وحرراة ترحيبهما بهذا الارتباط الذى لا يستحقانه ·· ولمـــا رأى مستر ويستون اضمحلال صحة جين فاريفكس ·· دعاها هو أيضا الى النزهة فى الهواء ·· وقد رفضت فى البداية ·· ولكنها هى ·· مسز ويستون·· تمكنت من اقناعها وأخذتها معها الى العربة ·· وفى البداية ·· التزمت جين الصمت ·· ولكن تشجيع مسز ويستون لها على الكلام ·· وابداتها حرارة عواطفها من نحوها ·· جعلتها تطمئن لها ·· وتفتح لهاصدرها ·· وتكلمتا كثيرا عن الحالة الحاضرة · ·والمقبلة للخطبة ·· وقد أكدت مسز ويستون ان مثل هذه المحادثة ·· قد خففت كثيرا من آلام جين ·· وجعلتها تنفس عن مشاعرها ·· لأشياء واحداث ·· كتمتها فى نفسها مدة طويلة ·

واستمرت مسز ويستون تقول :

ـــ لقد ضعفت صـــحتها · ·واضمحل كيانها من الـكتمان ومن التعاسة والشقاء الذى كانت تحمله بين ضلوعها ·· طوال الشهور الماضية ·· لقد كانت فى حالة يرثى لها ·· كما تقول هى عن نفسها ·· انهـــا تقول ·· بأنها كانت قبل هذه الخطبة ·· نشطة ·· ومليئة بالحيوية ·· ولكنها عندما ارتبطت سرا بهذه الخطبة ·· وهذا هو تعبيرها : « آه ·· منذ تلك اللحظة ·· لم أشعر بالسعادة أبدا ·· ويمكننى ان أقول بأننى لم أذق طعم الراحة والهناء ·· ساعة واحدة » ·

وقلبت ايما شفتها فى شفقة قائلة :

ـــ يا للفتاة المسكينة ٠٠ انها تعتقد بأنها قد اخطأت بالارتباط ســـرا ٠٠

ـــ أخطأت ٠٠ أنا أومن بأن أحدا لم يلمها ٠٠ بقدر ما لامت هى نفسها ٠٠ لقد قالت : « ان الحالة كانت سببا للتعاسة والمعاناة ٠٠ لقد قاسيت ٠٠وتألمت كثيرا ٠٠ فما فعلته ٠٠ كان ضد مبادئى ٠٠ ومثلى ٠٠ والآن ٠٠ هذا العطف الذى القاه منك يا سيدتى ٠٠ يزيح عن كاهلى عبئا ثقيلا مؤلما » ٠

واستمرت جين تقول لى :

« لا تعتقدى يا سيدتى ٠٠ بأننى قـــد تعلمت تعليما خاطئا ٠٠ لا تدعى أى انعكاس على تصرفى ينعكس على الأصدقاء والأهل ٠٠ الذين علمونى ٠٠ وقاموا بتربيتى انها غلطتى أنا وحدى ٠٠ أننى أؤكد لك ذلك ٠٠ واننى مع كل الظروف الحاضرة ٠٠ التى ربما تعطيك أية فكرة ما ٠٠ فاننى ٠٠ وحتى هذه اللحظة ٠٠ أخاف أن يعلم كولونيل تشامبل بهذه القصة ٠٠ » ٠٠

قالت ايما ثانيا :

ـــ مسكينة هـــذه الفتاة ٠٠ مسكينة ٠٠ انها تحبـــه ٠٠ تحب كولونيل تشامبل وان عواطفها من نحوه ٠ وشدة ارتباطها به ٠٠ تجعلها تتراجع عن اخباره بهذه الخطبة ٠

ـــ نعم ٠٠ نعم ليس هناك أى شك ٠٠ فى أنها مرتبطة به أشد الارتباط ٠٠ والتفتت ايما الى مسز ويستون قائلة :

ـــ آه يا مسز ويستون أننى أخشى أن أكون قد ساعدت فى أن اجعلها غير سعيدة ٠

ـــ يا حبيبتى ٠٠ من ناحيتك أنت ٠٠ كانت كل افعالك بريئة ٠٠ وبدون قصد ٠٠ ولكنها هى ٠٠ نعم ٠٠ كان من البديهى ان توجـــد بعض الأفكار فى عقلها ٠٠ وفى فكرها ٠٠ مما دعا الى سوء التفاهم ٠٠ وعدم تقدير هذه التصرفات ٠٠ أنه واحد من الاضرار التى أغرقت نفسها فيها ٠٠ مما دعاها أن تظهر بمظهر ٠٠ غير معقول ٠٠ لقد قالت ٠٠ انها لا يمكن أن تتجرأ على اخباره ٠٠ نظـــرا لسماحته ٠٠ وحبه لها ٠٠

وروحه الحلوة .. هذه اللعبة التى وضعت نفسها فيها جعلتها شـــديدة الخجل منه .. وسوف يصدم .. أو يذهل أو ينظر اليها نظرة .. كالتى تنظرون بها كلكم اليها ..

ثم بعد ذلك . ابتدأت تتكلم عنك .. وعن شــدة تلطفك معها .. وعن شديد عطفك وتعاطفك أثناء مرضها .. وأحمر وجهها عندما تذكرت بانه كان يجب عليها أن تشكرك .. وهى لم تفعل . .وقالت انها تتمنى لك كل رغبة طيبة .. وكل حياة سعيدة . .لقد كانت شديدة الحساسية واللطف .. هكذا..قالت بحيث لم تكن تعرف فيك هذه الصفات من قبل.

قالت ايما باهتمام ..

— انا لا أعرف اذا ما كانت سعيدة بوضعها الراهن .. أم لا ؟ ولكننى اتمنى بان استحق كل شكرها .. وبالرغم من كل هذا .. فاننى قد فعلت معها كثيرا من الشر .. وكثيرا من الخير .. وانا اعتمد عليك يا مسز ويستون فى ايضاح هذا الموقف وأننى متاكدة .. من أنها انسانة طيبة جدا .. وأنها تستحق هذا الحظ .. وهذه الثروة .. وان هـــذا هو مكانها .. !

وكان لابد لهذه الخاتمة ان تختتم بذكر اسم .. فرانك تشرشل .. وكان أن ذكرته مسز ويستون بكل خير .. وبكل حب واحترام .. وأكثر من ذلك .. فانها تحبه جدا .. وكان دفاعها عنه .. انه فتى لطيف وكان كل اهتمامها .. منصبا عليه وعليها هى « ايما » .. وكانت كل حيرتها فى انتظار خطابه عنها ..

وسألتها مسز ويستون :

— هل أنت فى حالة طيبة .. ياحبيبتى ايما ؟

— قطعا فى حالة طيبة .. ودائما .. كما تعلمين .. وتأكدى باننى فى انتظار معرفة ما يتضمنه خطابه حال وصوله ..

وكان لايضاحات مسز ويستون عن حالة .. « جين فاريفكس » انعكاسا سيئا على ايما .. ازداد .. وازداد .. كلما مرت بذاكرتها .. أحداثها معها .. وأسفت بمرارة .. من أنها لم تخلق صداقة حميمة معها .. واحمر وجهها خجلا من تصرفاتها السابقة .. فكان من الأحرى بها

.. أن تستمع الى نصيحة مســـتر نايتلى .. بالاهتمام أكثر .. بجين فاريفكس .. وكان يجب عليها ان تلتصق بها أكثر .. وأن تفهمها أكثر لقد وقفت فى طريق صداقتهما .. كان لابد وأن تتخذها هى .. جين .. صديقة لها . .من هارييت سميث .. وهذا قطعا كان سيجنبها كل هذه الآلام .. التى تشعر بها الآن .. فان مولدها وتعليمها .. ومواهبها .. وجياتها .. وتقارب سنهما .. كان يقربهما تماما بعضهما من بعض .. انها قابلت صداقتهما بنكران . ! وجحود .. ! وتذكــرت تفكيرها .. وشكلها .. وتعليقاتها مع فرانك عن علاقتها بمستر ديكسون .. وعن مسايرة فرانك لها .. فى غبائها .. وبلاهتها .. وقلة ادراكها .. وانها تخاف الآن .. تخاف كثيرا .. وتتخوف أكثر .. وتخشى أخيرا من أن تعرف جين هذا الموضوع فيكون سببا فى جرح مشاعرها الرقيقة .. كانت لا مبالاة فرانك تشرشل .. واسترساله معها فى هذه الاكذوبة .. سببا فى شعورها بالخجل .. والانحطاط الفكرى .. فعلا .. وما حـــدث فى « بوكسهيل » كان سببا لعدم تحمل جين هذه الافتراءات .. كان شيئا لا يحتمل .. ! لا يحتمل ..

وكان مساء طويلا .. وليلا طويلا .. فى ذلك اليوم فى هارتفيلد .. واضاف الجو عبوسا على عبوس . وظلاما على ظلام .. وهبت عاصفة ثلجية .. ولم يثبت شهر يوليه نفســه .. الا بالأشجار .. والأزهار .. وأستمرت الريح طوال اليوم .. وقد أثرت حالة الطقس على حالة مستر وود هاوس .. ولم تضف عليه الراحة .. حتى مع اهتمام ابنته به .. وذكره هذا .. بليلة زفاف مستر ويستون .. ونفس الظروف ويوم أن وجد مستر وود هاوس نفسه وجها لوجه .. مع ابنته .. وحدهما .. !

ولكن .. فى تلك الليلة .. قطع عليهما وحدتهما .. دخول مستر نايتلى .. وازال كل شعور بالوحشة . .والوحدة والاضطراب .. بالأسى .. مثل هذه اللمحات الخاطفة .. كانت تضفى بهجة ونضاره على ليالى .. هارتفيلد ..

وتستعيد ايما .. فى خاطرها أيضا .. هذه اللقطات بأن الأصدقاء هم سبب سعادة والدها .. وزياراتهم متعة ما بعدها متعة .. والتفافهم

حوله ٠٠ هى الحياة ٠٠ بالنسبة له ٠٠

والآن ٠٠ سيولد طفل فى « راندالز » ٠٠ ومما لاشك فيه أنه سيكون أوثق صلة باحبائها ٠٠ منها هى ٠٠ وسوف ينشغل عنها عقل ٠٠ وفكر ٠٠ وقلب ٠٠ ومشاعر وعواطف ووقت « مسز ويســـتون » ولا مكان لايما عندها ٠٠ بدع ذلك ٠ ٠وفرانك تشرشل قطعا ٠٠ لن يعاود زيارتهما فى هارتفيلد » ٠٠ بعد ذلك ٠ ومن البديهى أن جين فاريفكس ٠٠ لن يكون لها انتماء بيهايبرى فيما بعد ٠٠لانهما سوف يتزوجان ٠٠ويستقران ربما ٠٠ قرب ٠٠ أو فى « انسكومب » وكل الأشــياء الطيبة ٠٠ الحلوة ٠٠ الرقيقة ٠٠ والأشخاص الطيبون سوف ينسلخون تباعا ٠٠ عن هذا المكان ٠٠ فاذا أضيف الى كل هذه الخسائر ٠٠ خســارتها الفادحة فى فقـــد الأشخاص الحبيبين الى نفسها فى دونويل فماذا يتبقى لها ٠٠ بعد ذلك ٠٠ من المشاعر الحلوة ٠٠ ومن المجتمع الحبيب الى نفسها ٠٠ والى نفس والدها ٠٠ فماذا يتبقى ٠٠ لها ؟ مستر نايتلى ٠٠ آه ٠٠ مستر نايتلى الذى كان يتردد يوميا عليهما ٠٠ فى « هارتفيلد » ٠٠ وتتوقع خطـــواته ليلة بعد أخرى وهى تخطو نحوهما ٠٠ فى حب وألفة ٠٠ ومرح ٠٠ مستر نايتلى ٠٠ الذى كان يبدو عليه أنه يود من صميم قلبه ان يغير حياته فى « دونويل » وينقلها الى « هارتفيلد » ٠٠ ! فاذا ما فقدا ٠٠ مســـتر نايتلى أيضا ٠٠ لأجل خاطر « هارييت » ؟ فماذا يتبقى من الحياة ٠٠؟ ماذا ٠٠ ؟ اذا ما كان يبحث عنه وعن حياته التى كانت ضائعة منه ٠٠ اذا ما كانت هارييت هى اختياره ٠٠ واختيار قلبه ٠٠ الحبيبة الصديقة الزوجة ٠٠ التى كان يبحـــث عنها ٠٠ ويتطلع اليها طوال أيام وحدته وشــقائه ٠٠ اذا كانت هذه هى ٠٠ اختياره ٠٠ وهذه هى ٠٠ « حلمه الأوحد » فلن يكون كل هذا ٠٠ الا من فعلها هى ٠٠ ومن حماقتها هى فلم يفعل هذا ٠٠ ولم يقربها اليه ٠٠ ولم يضمها الى مجتمعها ومجتمعه ٠٠ الا هى ٠٠ الا هى ٠٠ وهذا هو عملها ٠٠ ولا تلومن الا نفسها ٠٠ ؟

وعندما وصلت باحاسيسها ٠٠ ومشاعرها الى هذا الحد ٠٠ لم يكن هناك أدنى احتمال لهذا الخاطر وهذا العذاب الذى قطعا ٠٠ لن تتحمله ٠٠ ولن تقوى على الصمود أمامه ٠٠ !

(ايمــــــا)

ومرت أمامها سحابة سوداء ·· وانقبض صدرها·· وتهدجت أنفاسها وشعرت بالاختناق ·· والحزن ·· والألم ·· شعرت بما لم تشعر به من قبل ·· بعواطف وأحاسيس متضاربة ·· كانت هى الحد الفاصل ·· بين تجبرها ·· واصرارها ·· الأرعن ·· على عدم الزواج ·· أو الارتباط بأى مخلوق ·· !

وبدا المستقبل المظلم أمامها ·· وبدت لها كل ·· تصرفاتها الماضية ·· دون ما جدوى ·· أو تعقل ·· أو حكمة ·· ! وضاع كل أمل لها فى عودة الأيام الحلوة ·· التى لم تشعر بحلاوتها ·· ولا قيمتها الا الآن ·· وفى هذا الجو المعتم ·· والنفس المعتمة ·· أيضا ·· !

وبدا لها ·· أنها سوف تعتاد على ذلك ·· وتتعايش مع نفسها ·· بحيث لن يكون هناك ·· ندم ·· ! (أو أسف ·· على ضياع آمال) ·· كان من الممكن أن تتحقق ·· اذا ما كانت قد أحسنت التصرف ·· !



الفصل الثامن والأربعون

واستمر الطقس المعتم الحزين٠٠طوال صباح اليوم التالى واستمرت معه الوحدة المريرة ٠٠ والأفكار المعتمة ٠٠ والنفسية الحزينة ٠٠ ولكن ٠٠ أشرق كل شىء بعد الظهيرة ٠٠ فقد تغيرت الريح ٠٠ وحملت معها الحب ٠٠ وخفت وطأتها ٠٠ وعادت اشراقة ليالى الصيف ثانيا ٠٠ وقررت ايما ٠٠ ان تخرج بنفسها فورا لتستعيد أنفاسها فى الجو الخارجى ٠٠ وبأسرع ما يمكن ٠٠ وصفاء الجو بعد عاصفة هوجاء ٠٠ كما يبدو لها ٠٠ شديد الاغراء ٠٠ وقد ساعدتها الظروف لتنفيذ عزمها ٠٠ فقد ظهر مستر بيرى ٠٠ وفعلا لقد جاء فى وقته ٠٠ لتتركه فى حديث مع والدها ٠٠ وتهرع هى الى الأدغال ٠٠ دون ما تضييع للوقت بروح منتعشة وبعد هدوء قليل لنفسيتها وذهنها ٠٠ ولم تأخذ بضع خطوات الا ٠٠ وترى مستر نايتلى يمر من باب الحديقة ٠٠ ووجهته نحوها ٠٠ لقد كان أول لقاء بعد عودته من لندن ٠٠ ولقد كانت تفكر فيه فى نفس اللحظة ٠٠ وكا لابد لها من سرعة ترتيب عقلها لهذه المفاجأة ٠٠ نعم ٠٠ لابد وان تجمع شتات نفسها ٠٠ وان تهدأ ٠٠ وفىأقل من دقيقة ٠٠ كانا يسيران جنبا ٠٠ الى جنب ٠٠ !

وتبادلا التحيه ٠٠ والسلام ٠٠ وسألت عن أصدقاءهما الطبيعيين ٠٠ وكانت اجابته ٠٠ بأنهم كلهم فى صحة جيدة ٠٠ حتى مادرته لهم ٠٠ ولكن فقط ٠٠ فى نفس هذا الصباح شعر بأنه يجب أن يكون معها هى ٠٠ وحدها ٠٠ ! نعم ٠٠ ولقد شعرت هى أيضا بذلك ٠٠ فانه حينما خطا الى غرفة الطعام ٠٠ وكان مرغوبا هناك بشدة ٠٠ لكن عاد ادراجه على الفور ٠٠ وفضل أن يسير خارجا ٠٠ معها ٠٠ وفكرت ايما ٠٠ أنه لا يبدو مبتهجا لا فى شكله ولا فى حديثه ٠٠ وكانت حالته هذه مشجعة تماما ٠٠ لمخاوفها ٠٠ من أنه قد عرض مشاريعه على أخيه ٠٠ وانهم قد صدموا بعرضه هذا ٠٠

وسارا سويا ٠٠ كان صامتا ٠٠ وأيقنت بانه ينظر اليها بتأمل ٠٠ محاولا ان يستشف أفكارها ٠٠ ماذا ٠٠ ماذا ٠٠ ؟ ربما يريد أن يتكلم عن علاقته بهاربيت ٠٠ انه يراقبها ويريد تشجيعها له ٠٠ بالبدء فى الكلام ولكنها ابدا لم تفعل ٠٠ أبدا لم يكن بها أى استعداد أن تعود الى

مثل هذا الموضوع ·· يجب أن يفعله كله بنفسه ·· ان يبتدىء فيه ·· وأن يوضحه ·· آه ·· انها لا تتحمل مثل هذا الصمت معه هو ·· كان هذا الصمت شيئا غير طبيعيا ·· وغير محتمل ·· ؟

وهنا ·· حاولت الابتسام ·· وبادرته بقولها :

— هناك بضعة أخبار سوف تسمعها ·· وقطعا سوف تدهشك ·· نعم سوف تندهش لها تماما ··

ونظرا اليها بهدوء قائلا :

— حقا ·· أخبار ·· ومن أى نوع ·· ؟

— من أروع الاخبار فى العالم · ·انها أخبار زواج ·· ؟

وبعد لحظة انتظار ·· وحين تأكد من انها لن تزيد عن قولها أى شىء ·· أجابها :

— آه ·· اذا ما كنت تقصدين ·· مس فاريفكس وفرانك تشرشل ·· فلقد سمعت ذلك فعلا ·· ؟

صاحت ايما ·· وهى تستدير بكلتا وجنتيها ·· ونظراتها اليه :

— هل هذا ممكن ·· هل هذا ممكن ·· ؟

وللحظة ·· فكرت فى أنه ربما يكون قـد مر فى طـريقه بمسز جودارد ·· ؟

— لقد تسلمت بضعة أسطر هذا الصباح من مستر ويستون ·· يشرح فيها كل ظروف هذا الحدث ·· ؟

واستردت ايما انفاسها ·· حين أستمر هو يقول :

— على الأرجح ·· ربما تكونين أنت الشخص الوحيد الذى لم يدهش دهشتنا لهذا الخبر على الأقل ·· لقد كانت عندك تعليقاتك الخاصة ·· وقد حاولت مرة أن تجعليننى احتاط ·· وأخذ حذرى ·· ولكن يبدو أننى كنت أعمى تماما ·

ولدقيقة أو اثنتين ·· لم يكن هناك شىء ليقال · ·حتى وجـدت ايما أن ذراعها ·· تمسك بذراعه ·· وقريبة من دقات قلبه ·· ثم سمعته يهمس اليها همسا حنونا فى عاطفة رقيقة :

— الوقت .. الوقت يا عزيزتى ايما .. هو الذى سوف يشفى الجراح .. لك ما يشغلك .. ولك ما تحبين .. اهتمامك الممتاز .. وحبك المثالى لوالدك .. أنا أعلم بانك لن تسمحى لنفسك (وهنا ازداد التفاف ذراعه حولها) .. بحب وهيام .. وانفعال متعاطف) .

واستمر بلهجة حاسمة ..

— نعم .. يا عزيزتى .. سوف يذهب .. وسوف تذهب معه .. سوف يذهبان حالا الى يوركشير .. أننى متألم لها .. حزين من اجلها .. انها كانت تستحق حظا أفضل .. وحياة أفضل .. ؟

ولقد فهمته ايما .. ولكنه .. للحال .. تمكن من الانتفاض من تأثير لحظات السعادة والفرح الذى امتزج بين روحيهما .. ؟

قالت له :

— انك طيب جدا .. ولكنك مخطىء كل الخطأ .. مخطىء تماما ويجب أن أصحح الأوضاع .. أننى أبدا لا يمكن أن أربط نفسى به .. ان العمى الذى كان قد أصابنى بحيث لم الحظ ما كان جاريا .. بينهما .. لقد كانت هناك أشياء فى منتهى الغباء..وليس لدى أى سبب يجعلنى أندم على أننى لم أكن مكانها .. أو قبلها فى ارتباط سرى معه .. ؟

صاح .. وهو ينظر اليها بحب وشغف :

— ايما .. ايما .. هل أنت حقيقة .. ؟

ولكنه عاد .. فتمالك نفسه .. ؟

— لا .. أننى أفهمك .. سامحينى يا ايما .. وأنا سعيد لأنك تقولين هذا القول .. أنه ليس بموضوع للندم أو الأسف .. حقيقة .. سوف يمر وقت طويل .. قبل أن تفهمى حقيقة ما تقولين وأنه من الحظ .. أن عواطفك لم تتمادى معه .. أننى أعترف .. وبناء على خلقك وتصرفاتك .. وطبيعتك .. بأنه لم يكن هناك شىء أكثر من التفضيل.. التفضيل من جانبك فقط .. تفضيلا .. وتفضيلا .. أعتقد أنه كان لا يستحقه .. أنه لعار للرجولة .. وعار أن يرتبط بمثل هذه المراة الحلوة الصغيرة جين الحلوة .. جين .. مسكينة أنت يا جين . .لسوف تصبحين مخلوقة تعسة .. ؟

قالت ايما ·· محاولة أن تتكلم باقتناع وصدق :

— مستر نايتلى ·· أنت فى وضع غيــر عادى ·· وأننى لن ادعك تتمادى فى أخطائك ·· حيث أن تصرفاتى ·· قد عكست عليك هذا الانطباع ·· أن لدى من الأسباب ما يجعلنى لا أخجل من الاعتراف بأنه لم يكن بينى وبين هذا الانسان الذى تعنيه ·· أية صلة غير طبيعية لامرأة ·· تعترف بأنه حقيقة ·· لم يكن هناك بينها وبينه أى شىء ··؟

وانصت اليها بصمت تام ·· وكانت تتمنى أن يتكلم ·· ولكنه لم يفعل ·· اذا ·· لابد وأن تتكلم هى ·· مادامت قد حقرت نفسها أمامه ·· فى اعتقاده لذا ·· فقد استمرت قائلة :

— ان لدى القليل لأقوله عن تصرفى الخاص ·· ؟

« لقد انسقت وراء اهتمامه الشديد بى ·· وسمحت لنفسى أن أبدو سعيدة ·· انها قصة قديمة على الأرجح ·· حالة عادية ·· تحدث دائما لمئات ·· ومئات من بنى وبنات جنسى أعتقد أنها ليست كبيرة ·· لأؤاخذ عليها ·· أو الام ·· فهناك عدة ظروف ساعدت على هذا الاغراء ·· لقد كان ابن مستر ويســتون وكان دائم التردد هنا ·· ودائما بادى السرور وخلاصة القول ·· أننى رأيتهم كلهم ·· يحاولون تقريبنا من بعض ·· وكان اهتمامه بى ·· مغذيا لغرورى ·· وزهوى ·· وأنا لا أعــرف فى الحقيقة ·· سر اهتمامهم ومن ناحيتى ·· ظننت ·· انها حيلة ·· أو ·· لعبة ·· ليست لها أية أهمية خاصة ·· ولا تعنى أى شىء بالنسبة لى ·· وهو أبدا لم يسألنى ·· وأنا أبدا لم ارتبط به ·· والآن ·· بكل بساطة ·· يمكننى تعريف تصرفاته ·· أنه أبدا لم يرغب فى انشاء صــلة ·· بينى وبينه ·· انها فقط كانت حيلة ·· عملية تغطية ·· أو ·· اسدال ستار على علاقته بالأخرى ·· لقد وضح تصرفه الآن ·· ليحول الأنظار والانتباه الى ·· ويبعد الشبهة ·· عن الأخرى الحقيقية ·· التى ارتبط بها فعلا ·· منذ زمن ·· لقد كان عنده غرضا مقصودا ·· ليعمى كــل العيون ·· ولم تكن هناك ·· عمياء ·· أكثر منى أنا ·· ولكن فى تصرفى أنا ·· واعتقادى ·· كنت أرى أنه حظى السعيد الذى جعلنى آمنة من الارتباط به ·· ؟

وكان كل أملها الآن أن تستمع منه الى اجابة الى بضع كلمات .. تشعرها على الأقل .. بما كان فى تصرفها من ذكاء .. وحيطة .. وحذر .. ولكنه ظل صامتا .. وغارقا فى أفكاره .. وأخيرا جدا . تكلم بنفس نبرته العادية :

ـــ أننى أبدا .. لم يكن عندى رأى محترم فى فرانك تشرشل .. وأعتقد اننى قد فهمته من أول لحظة .. ورأيت .. ؟

وكانت نظرتى اليه باستخفاف وازدراء .. لتفاهته .. ولم أكن لأهتم به بتاتا .. لولا أنه الآن قد ارتبط بسيدة عظيمة .. والتى لأجل خاطرها .. ولأجل سعادتها .. أتمنى أن يصلح من أخلاقه .. وتصرفاته واننى أتمنى له السعادة .. ؟

قالت ايمــا :

ـــ ليس لدى أى شك فى أنهما سوف يسعدان بعضهما البعض.. فاننى أرى أنهما شديدى الارتباط والحب .. ؟

وعاود مستر نايتلى الكلام بحرية :

ـــ أنه رجل محظوظ جدا .. هكذا .. وفى سن مبكرة .. ثلاثة وعشرين عاما فقط .. هكذا مبكرا .. فى الحياة .. وعادة .. عنــدما يختار الرجل زوجة .. يخطىء دائما فى الاختيار فى الثالثة والعشرين .. هكذا .. يربح مثل هذه الجائزة .. هكذا .. يكسب حب .. « جين فاريفكس » .. بشخصيتها الحلوة .. حب عميق من مثل هـــذه المرأة الفاتنة .. كل شىء فى صالحه .. الثروة .. المال .. المركز .. والحب؟ أن فرانك تشرشل حقيقة .. هو الحظ بعينه .. حظى بامرأة جميلة .. صغيرة .. حلوة .. اكتسب .. حبها .. ولم تتأثر هى باهماله لها .. عنده عائلة تهتم به .. وتلف العالم كله لتبحث له عن زوجة .. ممتازة .. وكانت عمته فى الطريق .. وماتت العمة .. وكان من الممكن أن يحتقره أصدقاءه ومعارفه .. ولكنهم .. كلهم .. غفروا له .. وحظى بكل شىء .. الحظ .. الحب .. المال .. حقا أنه لرجل سعيد .. رجل محظوظ .. ؟

ـــ أنك تتكلم كما لو كنت تحسده .. ؟

— فعلا .. أنا أحسده .. أحسده يا ايما .. أحسده لشىء واحد .. نعم .. موضوع واحد فقط .. هو سبب حسدى له .. ؟

ولم تتكلم ايما أكثر من ذلك .. وبدا وكأنهما قد اقتربا من نصف الجملة .. التى سوف يتحدثان بها .. عن « هارييت » .. ؟

وفكرت فى خطة .. انها يجب أن تتكلم عن شىء مخالف تماما .. لما يفكران فيه .. انها سوف تتكلم عن الأطفال فى « برنسويك سكوير » .. وأنتظرت فقط حتى تلتقط أنفاسها .. لتبدأ هـذا الحديث عندما فاجاها مستر نايتلى بقوله :

— انك لم تسأليننى عن نقطة الحسد .. يا ايما .. ويبدو انه لا يوجد لديك أى فضول لمعرفتها .. انك حكيمة .. عاقلة .. يا ايما .. ولكننى أنا .. لا يمكننى أن أكون عاقلا .. فكرى قليلا .. لأننى سوف أقولها .. فى اللحظة التالية :

صاحت ايما :

— اذا .. لا تقلها .. خذ وقتا أكثر من ذلك .. ولا تورط نفسك .. ؟

قال فى صوت عميق :

— شكرا .. شكرا .. ؟

ولم تتحمل ايما أن تسبب له ألما . ربما كان يرغب فى استشارتها .. فى أخذ رأيها .. ويجب عليها أن تستمع له .. وتصغى اليه .. ويجب أن تساعده .. وأن تعطى كلمة طيبة لهارييت .. وأن تخلصه من وطأة انشغال فكرة بالموضوع ..؟

وفى هذه اللحظة .. كانا قد وصلا الى المنزل .. قال لها :

— أعتقد أنك سوف تدخلين .. ؟

اجابت ايما . وهى مازالت مندهشة من طريقة كلامه معها :

— لا .. سوف أخذ جولة أخرى .. فان مستر بيرى لم يذهب بعد .. ؟

وبعد أن خطت بضع خطوات .. التفتت الى مستر نايتلى قائلة :

— أوه ٠٠ لقد منعتك من الكلام ٠٠ بكل قسوة يا مستر نايتلى٠٠ وأخشى أن أكون قد تسببت فى ايلامك ٠٠ ولكن ٠٠ اذا ما كانت لديك٠٠ أية رغبة ٠٠ فى أن تفتح لى صدرك ٠٠ كصديق ٠٠ أو تريد أن تأخذ رأيى ٠٠ اذا أرجوك أن تعتمد على٠٠ وأننى سوف استمع اليك ٠٠ وسوف استمع اليك ٠٠ وسوف أخبرك بالضبط ٠٠ بما أراه فى هذا الأمر ٠٠؟

وردد مستر نايتلى كلماتها :

— كصديق ٠٠ كصديق ٠٠ ايما ٠٠ ان ما أخشاه هو « كلمة »» كلمة ٠٠ » أننى متردد ٠٠ نعم ٠٠ لقد ذهبت بعيدا جدا ٠٠ ومع ذلك لم اتمكن من الايضاح ٠٠ ايما ٠٠ أننى أقبل عرضك ٠٠ نعم ٠٠ اننى أعتبر نفسى صديقك٠٠ ايما٠٠ اخبرينى٠٠ هل لدى أية فرصة للنجاح ٠٠؟

وتوقف ٠٠ليرى تأثير السؤال ٠ ٠والتعبير الذى ارتسم على وجه ايما من نظرات عينيه ٠٠ ؟

قـــال :

— ايما ٠٠ حبيبتى ٠٠ ايما ٠٠ أنك الحبيبة التى كنت دائما أبدا ٠٠ وحبيبة أكثر منذ هذه اللحظة ٠٠ منـــذ لحظة محادثتنا التى أوضحت كثيرا من الأمور ٠٠؟

هل يمكن أن تكونى حبيبتى ٠٠ قولى على الفور ٠٠ قولى لا ٠٠ اذا كان يمكن قولها ٠٠ ؟

ولكنها ٠٠ لم تتكلم ٠٠ ؟

وصاح هو ٠٠ بسعادة غامرة :

— صامته ٠٠ صامته ٠٠ تماما ٠٠ وفى الوقت الحـــالى ٠٠ لا أسألك المزيد ٠٠ ؟

وكانت ايما غارقة فى لحظات سعادة هذه اللحظة ٠٠ وخوف ٠٠ من أن تستيقظ من أجمل حلم ٠٠ مر بها فى كل حياتها ٠٠ ؟

وتكلم ثانيا ٠٠ بصوت ينبض بالحب والعاطفة :

— ايما ٠٠ أنا لا أعرف كيف أتكلم ٠٠ فاننى اذا ما كنت أحبك قليلا ٠٠ تمكنت من أن أتكلم كثيرا ٠٠ أنك لا تسمعين شيئا الا الحقيقة ٠٠ اننى دائما كنت ألومك ٠٠ ولكنك ولدت صادقة ٠٠ صادقة أكثر من

أى امرأة أخرى ·· فى كـل انجلتـــرا ·· وكما أنت صـــادقة ·· فأنا ايضا صادق ·· ؟

ـــ ان اللـه يعلم ·· باننى محب مختلف تماما عن كل المحبين ·· نعم ·· أنت تفهمين عواطفى ·· وســوف تبادليننى اياها ·· اذا تمكنت من ذلك ·· ؟

والآن ·· لا اريد الا أن اسمع صوتك ·· صوتك فقط ؟ ·· وحينما كان يتكلم ·· كان عقل ايما ·· مشغولا بكل أعاجيب ·· الفكر ·· دون أن تضيع لحظة واحدة · ·من تفهم حقيقة مشاعره الصادقة ·· ولتكتشف بان كل آمال هارييت قد ضاعت هباء ·· لقد كان هناك خطأ ·· خطأ ما ·· لقد ظنت أن هارييت كانت شيئا ·· والآن ·· اكتشفت انها كانت ·· لا شىء ·· لا شىء ·· وهى الآن كل شىء ·· وعندما كانت تعتقد أنه قريب من هارييت ·· ما كان قريبا الا منها · هى ·· وان كل شكها ··لم يكن فى محله ·· وكانت تشـــعر بالســعادة ·· لأنها لم تبح بسر هارييت ووجدت أنه لابد وأن تحتفظ به ·· والا ماذا يمكنها أن تفعل·· هل تطلب منه تحويل عواطفه من نحوها الى هارييت ·· أو هل يمكن أن يرتبط بهما كليهما ·· وشعرت بالحزن من أجل صديقتها ·· ؟

وماذا قالت له ··

انها تكلمت ·· تكلمت تماما ·· كما يجب أن تتكلم كل سيدة فى هذا الظرف ·· ؟

لقد قالت له ·· كل ما يمكن أن يقال ·· ؟

ودعته ·· ليتحدث أكثر عن نفسه ·· وقال لها ·· أنه قد شـــعر باليأس ·· مرات ومرات ·· مما قذفت بآماله بعيدا ·· وانهــا ابتدأت عندما رفضت سماعه ·· ولكن حدث تغير ·· فان اقتراحها ·· لمزيد من السير ·· أنعش المحادثة ·· ودعاه لمرافقتها ثانيا ·· وكان مستر نايتلى يريد مزيدا من الايضاح ·· لقد كان فى الحقيقة ·· متأرجحا فى معرفة مدى تأثيره عليها ·· لقد ســـار معها فى الدغل دون أية فكرة ·· عن محاولة أخرى لهذه المعرفة ·· لقد سار معها ليعرف مدى تحملها لخطبة فرانك تشرشل ·· دون أية أنانية منه ·· بل ليخفف عنها وقع الصدمة

.. وكل ما حدث .. بعد ذلك كان من وحى اللحظة .. التى عاشا فيها.. والتأثير المباشر الذى حدث .. كان شيئا مذهلا .. أن تأكيدها لمشاعره .. كان رائعا .. وأن اعترافها بعدم اهتمامها .. بفرانك تشرشل .. كان شيئا عظيما بالنسبة له .. وأحيا آمالا كان قد دفنها منذ مدة .. وهو يعتقد بانها غارقة فى غرام .. فرانك تشرشل .. ؟

وتفتحت الآمال بينهما .. وفى أقل من نصف ساعة .. كانت .. السعادة متبادلة .. بحيث لا يمكن ذكر أى اسم آخر .. ؟

وكان تغييرها هى .. ايضا مساويا لتغيره هو .. فان هذه النصف ساعة .. أعطت لكليهما .. نفس الشعور بالحب المتبـــادل بينهما .. وأوضحت كل شىء كان مخيما على علاقتهما .. الجهل .. الغيرة .. عدم الثقة .. ومن جانبه هو .. فقد كان شديد الغيرة من زمن بعيد منذ وصول فرانك تشرشل .. ؟

كان هو يحب ايما .. وشعر بالغيرة من نفس هذه النقطة .. لقد كانت غيرته الشديدة من فرانك السبب الأول فى رحيله المفاجىء .. وكان قد اتخذ هذا القرار .. فور رحلة « البوكسهيل » لقد أنقذ نفسه من عدم الاهتمام .. والاهمال من ايما .. ولكنه سافر الى مكان خاطىء .. لقد وجد السعادة التامة فى منزل أخيــه .. ورأى ايزابيلا .. وهى تراعى اخاه وقريبة الشبه جدا من ايما .. فازدادت مشاعره اشتعالا .. وحبا .. وشوقا .. وعاش أياما كلها تعاسة وشقاء .. الى أن كان ذلك الصباح .. وتسلم خطاب مستر ويستون .. يقص فيه قصة « جين فاريفكس » .. وفاض به الشعور الجميل .. وشد رحاله على الفور .. ركب حصانه .. بالرغم من هطول الأمطار .. والرعد .. ولم يستطع أن يثنيه شىء .. لم يصدق أبدا أن فرانك قد انزاح عن طريقه وكان دائما يؤمن بأن فرانك لا يمكن أن يستحق مخلوقة عزيزة غالية .. مثل ايما .. لقد خرج .. ووجهته منزلها .. منزل ايما .. ليرى أحلى .. وأغلى .. وأجمـــل مخلوقة فى العالم .. بالرغم من كل أخطائها .. وغلطاتها .. وكان هذا قبل اكتشافه .. حقيقة مشاعرها .. ووجدها لا تكترث بهذا الفتى .. وسمعها تعترف أنها أبدا لم تهتم به .. ولم تشعر بأى حب من نحوه ..

انها أبدا لم تعجب بشخصية فرانك تشرشل ومصيرها هى ٠٠ ايما ٠٠ حبيبته ٠٠ التى أحبها دائما وبالوعد ٠٠ والعهد ٠٠ والحب ٠٠ وأيديهما متشابكة ٠٠ عادا الى المنزل ٠٠ والآن ٠٠ اذا ما فكر فى فرانك تشرشل فانه ٠٠ قطعا ٠٠ سوف يفكر فيه ٠٠ على أنه ٠٠ « فتى لطيف » ٠٠ ؟



الفصل التاسع والأربعون

يا للشعور المذهل ‥ المختلف تمام الاختلاف ‥ عندما غادرت ايما المنزل ‥ وحين عودتها اليه ‥ كانت كل آمالها ‥ أن تنتعش روحها قليلا ‥ وأن تسترد انفاسها بأنفاس هواء منعش ‥ والآن هى فى قمة السعادة ‥ يلتف بها فرح غامر ‥ وخدر لذيذ ‥ ؟

وجلسوا الى الشاى ‥ حول المائدة ‥ نفس المجموعة التى تعودت دائما هذا الاجتماع ‥ وطالما وقعت عيناها على غروب الشمس ‥ وهى تنعكس عليهم ‥ ولكنها أبدا ‥ لم تر فيها جمالا ‥ مثل هذا الجمال ‥ ولا انعكاس ظلال حلوة حبيبة مثل هذا الانعكاس ‥ ؟

وكان من الصعب عليها ‥ أن تكون سيدة المنزل ‥ اليقظة والابنة اليقظة ‥ كالمعتاد ‥ ؟

مسكين مستر وود هاوس ‥ هل كان من الممكن أن يتوقع أن هذا الرجل الذى يستقبله بترحاب وكان دائم الخوف عليه من اصابته بالبرد ‥ وهو يمتطى صهوة جواده ‥ ذهابا وايابا ‥ من والى «هارتفيلد» ‥ دون أن ينتابه أى شك ‥ فى نظراته ‥ أو فى طريقة كلامه ‥ أنه سوف يأخذ منه ‥ حبيبته ‥ « ايما » ‥ ؟

وطوال بقاء مستر نايتلى معهم ‥ لم تفارق الرعشة ايما ‥ ولكنه ‥ حينما غادرهم ‥ تمكنت من السيطرة على مشاعرها ‥ وكانت حالة القلق والسهر ‥ هى ‥ وعدم النوم ‥ ضريبة ذلك اليوم ‥ وقد وجدت ايما ‥ نقطتين هامتين ‥ لابد من أخذهما فى الاعتبار ‥ جعلتها تتأكد ‥ أنه ‥ حتى وهى ‥ فى قمة سعادتها ‥ فانها لا يمكن أن تنساهما ‥ بل سوف تشوب سعادتها بعض الآلم ‥ وهما والدها ‥ وهارييت ‥ انها لا يمكن أن تختلى بنفسها ‥ الا وتشعر بما سوف ينتج عن فراقهما وكيف يمكن رعاية الاثنين ‥ هذا هو السؤال الذى يجب الاجابة عليه ‥ ؟

وفكرت ‥ ربما يسرع مستر نايتلى ‥ ويطلب رحيلها الفورى عن « هارتفيلد » كان هذا هو شعور قلبها ‥ نتيجة اشتعال عواطفه بالشكل الذى كان عليه أمس ‥ ؟

وبكت ايما ‥ نعم ‥ بكت لمجرد هذا التفكير ‥ انها خطيئة ‥ خطيئة حتى فقط لمجرد التفكير فيها ‥ ان والدها ‥ ما عاش دائما

يجب عليها الا تتركه ابدا ٠٠ ويمكن أن تكون هنـــاك فترة خطوبة ٠٠ تطول ٠٠ كما تطول ٠٠ انه لا يستحق خطر رحيلها عنه ٠٠ يجب أن تحاول أن ترفع من سعادته ٠٠ وراحته ٠٠ وتشعره بالفرح لهذا الحدث ٠٠ وأيضا ماذا تفعل مع هارييت انه قرار صعب ٠٠ وتصرف صعب ٠٠ وهى لا تدرى ٠٠ كيف يمكن تكييف هذا الأمر ٠٠ ؟

كيف تجنبها آلاما غير ضرورية ٠٠ كيف تبدو أمامها وكانها ليست عدوة لها ٠٠ وفى هذين الموضوعين ٠٠ راح فكرها ٠٠ يروح ويجىء ٠٠ لكل الم ٠٠ ولكل مرارة ٠٠ وكل ازعاج سوف يمر به هذين الشخصين ٠٠ وكيف يمكن أن تجنبهما الاحزان والندم ٠٠ الذى ســـوف يلتف بهما ٠٠ وبهما على السواء ٠٠ أما بالنسبة لهارييت فانه يمكنها ٠٠ فى الوقت الحالى ٠٠ أن تتجنب أى لقـــاء بينهما ٠٠ ويكون الاتصـــال بينهمـــا بالخطابات ٠٠ آه ٠٠ وجاءتها فـــكرة ٠٠ يمكن أن ترسل اليها دعـــوة لتمضية بضعة أسابيع فى « برنسويك سكوير » ٠٠ نعم ٠٠ فايزابيلا تحب هارييت ٠٠ وايما تعرف من طبيعة هارييت ما تعرف ٠٠ وترى أن هروبها ٠٠ الى مجتمع راق نبيل ٠٠ والسير فى طرقات لنـــدن وشوارعها ٠٠ والحياة بين الأطفال ٠٠ هو فى حد ذاته ٠٠ متعة رائعة لها ٠٠ كما أن هذه الدعوة ٠٠ سوف تبرهن على أن ايما ٠٠ تفكر فيها ٠٠ وتهتم بها ٠٠ وتعتبر نوعا من التعاطف ٠٠ ؟

وكل هذه التحايلات ما هى الا هروبا من أضرار ذلك اليوم ٠٠ الذى لابد ٠٠ وأن ياتى ٠٠ ان قريبا ٠٠ أو بعيدا ٠٠ وعندما يجتمعا معا ثانيا ٠

واستيقظت ايما مبكرة ٠٠ وجلست لتكتب خطابا الى هارييت ٠٠ بحيث استغرق منها وقتا طويلا ٠٠ وتركها فى حالة حزن ٠٠ حتى أن مستر نايتلى عندما حضر للافطار صباحا فى « هارتفيلد » ٠٠ لم تنزل اليه فى الحال ٠٠ ولكن بعد نصف ساعة تماما ٠٠ لتسير معه فى النهاية معه ٠٠ فى الأراضى نفسها ٠٠ لتشاركه نفس فرحة اليوم الماضى ٠٠ ؟

ولم يتركها طويلا ٠٠ لتفكر فى أى شخص عداه ٠٠ حتى وصـل

اليها خطاب من « راندالز » .. لقد كان خطابا سميكا .. وظلت تخمن في مضمونه .. ؟

ولا تجد ضرورة في قرائته .. لانها اصبحت في مأمن تام من ناحية « فرانك تشرشل » ولا تريد أية ايضاحات .. أو تفسيرات .. انها الآن .. لا تريد شيئا .. ولا أن تعرف شيئا .. كل ما تريده هو أن تحتفظ بأفكارها لنفسها .. ومهما كتب فرانك .. فانه غير أهل لاية كلمة يكتبها .. انها الآن .. لا تأبه به .. ولا بكتاباته .. وعلى أى حال .. فقد فتحت الظرف السميك .. ووضح ما توقعت .. لقـــد كانت هناك .. مذكرة من مسز ويستون .. مرفقا بهـــا خطاب « فرانك تشرشل » .. لمسز ويستون .. ؟

« انني أشعر بسعادة كبــرى يا حبيبتى ايمـــا .. حين ارفق لك الخطاب المرفق .. وانا أعلم أى نظرة عادلة سوف تنظرين بها الى هذا الخطاب .. ودون أى شك .. ادرك تماما .. ما سوف يكون .. من تأثيره السعيد عليك .. واننى لن أثقل عليك بالكلام عن كاتبه .. ولكن .. أريد أن أقول لك .. أن كلنا بخير .. لقد جاء هذا الخطاب شافيا لكل آلامى النفسية التى كنت اشعر بها أخيرا.. وأنا لم أستحسن نظراتك في ذلك الصباح .. كما أننى قد تخوفت على والدك من عاصفة الأمس .. ولكن مستر بيرى أكد انها لم تصبه .. أو تصبك أنت .. بأى سوء..؟

« الى مسز ويستون »
سـيدتى العزيزة .. ؟

« اذا ما تمكنت من اشرح لك .. واذا ما كنت قد تمكنت من أن اجعل لنفسى مفهوما « بالأمس .. فانه مما لا شك فيه .. أن هـــذا الخطاب متوقع عندكم بين لحظة وأخرى .. ولكن اذا كان بالفعل متوقعا .. أو غير متوقع .. فانني أعرف تماما .. بانه ســوف يقرأ .. بكل صفاء .. ونقاء .. وتسامح .. انك تتسربلين بالطيبة والعطف والتسامح .. وأنا الآن فى احتياج لكل عطفك وطيبتك وتسامحك .. لكى تتقبلى ما كان منى من تصرفات .. ولكننى للآن .. أشعر بأن هناك شخص .. لم يسامحنى .. ولن يسامحنى .. أو يغفر لى .. وأنه من الصعب جدا

.. تفسير ذلك .. فاننى حتى الآن .. قد نجحت فى الحصــول على مغفرة واحد .. أو اثنين .. ولكن .. هناك أصدقاء .. يحيطون بك .. ليست لديهم اية فكرة عن أساس تصرفاتى . ويجب عليكم أن تراعوا .. أو تدركوا طبيعة موقفى .. وما نتج عنه من تصرفات .. عنــدما وصلت لأول مرة الى « راندالز » .. كان يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن لدى سرا .. كان يجب على أن اخفيه تماما .. هذه هى الحقيقة وحقى فى أن أضع نفسى فى وضع أحاسب عليه على هذا السر .. فهذا وضع آخر .. وأنا لن أناقشه هنا .. لأن مشاعرى تقول لى باننى محق تماما .. فيما فعلت .. ؟

واننى اشير هنا الى منزل من الطوب الأحمر .. ونوافذ تعلوها ستائر فى « هايبرى » .. لم يكن لدى الشــجاعة الكافية لأواجهها .. ولكننى كنت سعيد الحظ لابتدىء كل شىء فى « وايموث » لاقابل أعظم شخصية نسائية وعقلية متفتحة لأطلب منها الموافقة على خطبة سرية .. ولو كانت قد رفضت لأصابنى الجنون .. ولكنك .. لابد وانك تقولين الآن .. وماذا كان أملك فى هــذا الارتباط السرى .. كان لا شىء .. وللاشىء .. ولكل شىء .. ولانتظار الظروف المواتية والامكانيات وكانت هى تزداد مرضا .. وضعفا .. ولكننى .. منها على وعد بالاخلاص .. والاتصــال بالخطــابات .. واذا كــان لابد لك من بعض الاستفسارات يا سيدتى .. فليس لى الآن .. الا أن أقول .. بأن لى الشرف أن أكون ابن زوجك .. أما امل ميراث الأراضى أو بيوت .. أو أى شىء ذى قيمة .. فان هذا لا يساوى عندى أى شىء .. انظرى الى .. والى أول زيارة لى الى « راندالز » .. وكم حاولت تأجيلها .. ولكنى وجدت فى النهاية .. أنه لا بد لى من هذه الزيارة .. مهما طال الوقت .. وأرجوك أن تتذكرى بأننى ابدا لم أقم بهذه الزيارة الا بعد أن وصلت « مس فاريفكس» الى « هايبرى » .. وبما أنك .. كنت الشخص الوحيد .. المغبون فى هذه العملية كلها .. لذا .. فاننى أرجو سماحك .. وعفوك .. وأيضا يجب على أن أواخذ والدى .. لأنه لم ينبهنى الى هذه الشخصية الفريدة التى حرمنى منها .. وبطول بعدى عنكما .. بطول ما حرمت من نعمة

معرفتك ٠٠ يا سيدتى ٠٠ وأعتقـــد أن تصرفاتى فى الاسبوعين اللذين قضيتهما معكما ٠٠ لم تكن بها أية مؤاخذة ٠٠ ولو أنها كانت أهم فترة ظهرت فى سلوكى وتصرفاتى ٠٠ وهذا يستدعى بعض الايضاح ٠٠ ومع كل الاحترام ٠٠ والصدق ٠٠ والصداقة الحارة٠٠ أذكر «مس وود هاوس» ٠٠ لقد تكلم والدى ٠٠ وقال أن تصرفى كان عديما من الانسانية والادراك ٠٠ ولكننى أقول ٠٠ أن تعاملى مع مس وود هاوس لم يكن أكثر من نوع من الألفة والصداقة التى قربت ما بيننا ٠٠ حال لقيانا ٠٠ وأننى ٠٠ وأنا ٠٠ لا يمكننى أن انكر ان مس وود هاوس ٠٠ كانت غرضا لى فى هذه الصداقة ٠٠ لكننى أيضا ٠٠ كنت متأكدا ٠٠ أن هذه الصداقة لا غبـــار عليها ٠٠ ولا يمكن أن تسمى انانية ٠٠ أو استغلال أو تصرف غير سليم ٠٠ أنه شخصـــية « مس وود هاوس » الحبيبة ٠٠ اللطيفة ٠٠ لا يمكن أن تعطى فكرة لأى شخص مهما كان هذا الشخص ٠٠ بانها امراة يمكن أن يطمع فيها أى انسان ٠٠ أو انها سهلة الانقياد ٠٠ أو الارتباط ٠٠ وكانت حرة تماما من أى ضغوط ٠٠ تضطرها للارتباط بى ٠٠ وكان هذا هو قصدى ٠٠ وهذه هى رغبتى ٠٠ ؟

وقد استقبلت اهتمامى بها ٠٠ بصـــداقة بريئة ٠٠ وســـهولة ٠٠ وبساطة ٠٠ ولطف ٠٠ كانت لعبة بريئة ٠٠ تقبلتها هى ٠٠ كما قصـدت أنا ٠٠ أن تكون ٠٠ وناسبتنى تماما ٠٠ فى موقفى هـــذا ٠٠ وتفاهمنا تفاهما تاما ٠٠ من هـــــذه الناحية ٠٠ أنا ٠٠ وهى ٠٠ وكانت هــذه الاهتمامات ٠٠ تنبع من ارتباطنا العائلى ٠٠ وشعرنا بانها فعلا هكذا ٠٠ وأعتقد أن ٠٠ مس وود هاوس قد ابتدأت تفهمنى بعد الأسبوعين الذين أمضيتهما فى «راندالز» ٠٠ ولكننى متأكد من أن سرعة بديهيتها وحضور ذهنها ٠٠ وتوقده ٠٠ قد جعلها تتحفظ ٠٠ من ناحيتى ٠٠ وأعتقد أن موضوعى لم يثر دهشتها ٠٠ فانها كانت تعلم ٠٠ أو على الأقل ٠٠ تخمن بأن هناك شيئا ما ٠٠ واننى أتذكر بانها فى الحفلة الراقصة ٠٠ قالت لى ٠٠ باننى أدين ٠٠ لمسز ايلتون ٠٠ اهتمامها ٠٠ ورعايتها لمس فاريفكس ٠٠ واننى أرجو أن يكون سرد هذا الموضوع سبيلا لمعرفته عندك ٠٠ وعند والدى ٠٠ حيث تشـــعران باننى مخطىء ومذنب فى حق « مس وود هاوس » وباننى قد اذنبت وجنيت على «ايما » وما أنا بفاعل أى شىء

مما تعتقدان .. فاننى لا أكن لها .. الا كل اخوة وصداقة وأريدها أن تكون سعيدة تماما .. مثل سعادتى انا .. ؟

لا يمكن أن تتصورى عذابى .. وانا أعيش .. أو اتظاهر .. او لابد أن أكون بينكم حاضر الذهن .. سريع الخاطر .. مرح .. النفس . وجسدى يعيش بينكم .. بينما قلبى .. يعيش فى « هايبرى » .. كم تكلمتم عن « البيانو » .. وكم تناقشتم .. ولا يمكنكم بالطبع أن تصدقوا .. أن مس فاريفكس نفسها .. كانت لا تعلم فعلا من الذى أرسله لها .. انها لم تتقبل هدية واحدة منى طوال ارتباطنا .. انك لا تعرفينها يا سيدتى .. لا تعرفين هذه الانسانة .. انها لم تسمح لى أبدا بأن أرسله لها .. أن رقة مشاعرها .. وجمال عواطفها .. وسعة افقها .. لا يمكن أن يتخيلها انسان .. وانك سوف تعرفينها على حقيقتها يا سيدتى .. وسوف تعرفينها لنفسك ولا يوجد اى وصف يمكن أن اصفها به .. يجب أن تخبرك هى بنفسها .. وتخبرك افعالها .. وتصرفاتها .. من هى .. لا يوجد أى انســـان يمكنه أن يخفى آلامه ومشاعره وعـذاباته .. وأسراره مثلما تفعل هى . .انها مخلوقة رائعة .. شفافة .. مثالية .. وعندما بدأت فى كتابة هذا الخطاب .. كانت قد أرسلت لى هى خطابا يطمئنى عن صحتها .. وبانها فى حالة جيدة وانا أعلم .. بانها معتلة ومريضة .. ولكنها أبدا .. لا تشكو .. ولا تظهر شكواها .. وآلامها لا حد .. وانا لا أعتمد على كلامها .. واننى أعلم بانك سوف تقومين بزيارتها .. انها تنتظر هذه الزيارة .. على أحر من الجمر .. وتعيش وتحيا .. على أمل .. هذه الزيارة .. هذا أن لم تكونى قد قمت بهذه الزيارة فعلا .. أرجوك أن تفيدينى بسرعة عن حالتها .. اننى لا اتحمل .. وفاض صبرى .. ؟

واذكرى باننى لم أمكث فى « راندالز » سوى دقائق وكيف كانت حالتى .. متأرجحة بين الحزن والتعاسة واليأس . .والأمل . .لقد كنت فى حالة اليمة .. وحالة الجنون التى أوشكت أن تودى بى . .من موقفى الغامض .. الحزين .. ثم بعد ذلك .. عندما أقدر صـــبرها الطويل وأنسانيتها .. ثم كرم خالى .. أجبن من الفرح .. ؟

وأتذكر .. وأتذكر كل شىء .. وكيف أن أحـــدا لم يسامحنى ولم

يغفر لى فعلتى هذه ٠٠ واثور غضبا عندما أفكر باننى لن أراها ثانيا ٠٠ ولكننى لا يجب أن اقرر ذلك بعد ٠٠ فانك لم تستمعى الى كل ما يجب أن تستمعى اليه ٠٠ فاننى لم اتمكن من اخبارك بالتفاصيل كلها ٠٠ امس ٠٠ فى كل هـــذا الظلمات والتخبطات ٠٠ واليأس والآلم ٠٠ والمـــرارة والعذاب ٠٠ والغضب والمهانة والمذلة ٠٠ لاح ضوء ٠٠ وانبثق أمل فى سعادة غير متوقعة ٠٠ لقد فتحت السماء أبوابها لنا ٠٠ فى حدث ٢٦ الجارى ٠٠ وهذا بالطبع ٠٠ ما سوف تدركينه ٠٠ ؟

وهذه الظروف التى غيرت كـــل شىء ٠٠ جعلتنى لا أضيع دقيقه واحدة فى البت فى هذا الموضوع وهى ٠٠ كان يجب عليها أن تشـــعر بقوتى ٠٠ وارادتى فى حسم موضوع سرى معلق من زمن ٠٠ وهى مريضة متألمة ٠٠ حزينة ٠٠ ولا تقدر أن تبوح بسرها ٠٠ ولم يكن لدى اختيار لاعلان خطبتى لتلك السيدة والآن ٠٠ وقبل أن اختتم خطابى ٠٠ لابد وأن أصرح ٠٠ بان مس وود هاوس تعتقد باننى قد تصرفت معها تصرفا مشينا ٠ ٠وتصرفا خاليا من الرجولة ٠٠ والشهامة والشرف ٠٠ وكل الصدق ٠٠ لن يكفى لتغيير فكرها ٠٠ ونظـــرتها ٠٠ الى ٠٠ وانها الآن غيـــر سعيدة ٠٠ وانا أعرف ذلك ٠٠ وأفكر فيها فى كل مناسبة ٠ وأفكر فيها ٠٠ آلاف المرات ٠٠ ولكن ٠٠ ما العمل الآن ولكنها كانت دائما على حق ٠٠ فى كل تصرفاتها ٠ ٠الا تعرفين يا سيدتى باننا قد تشاجرنا ٠٠ أنا وجين فاريفكس ٠ هل تذكرين ذلك الصباح فى « دونويل » ٠ لقد حدث شىء وصل الى حد الجنون ٠٠ فلقد تأخرت أنا ٠٠ وقابلتها فى طريقى وهى عائدة الى المنزل ٠ ٠انها كانت تعانى وتتألم ٠٠ فبينما أنا اتجاهلها ٠٠ أقدم كل اهتمامى ٠٠ لامرأة أخرى ٠٠ وكان هذا تصرفا ٠٠ مخجلا للغاية ٠٠ بينما أنا احيط كل اهتمامى واعجابى بمس وود هاوس ٠٠ اتجاهلها هى ٠٠ خطيبتى٠٠ وكان فى هذا ٠٠ تخطيما لها ٠٠ ولمعنوياتها ٠٠ وبالاختصار يا سيدتى كان موقفى منارجحا ٠٠ مشينا فى نظر كلتيهما ٠٠ ولكننى ٠٠ أنا ٠٠ ماذا أفعل ٠٠ كان لابد وأن أغطى صلتى ٠٠ بجين فاريفكس ٠٠ أما مس وود هاوس ٠٠ فلم تكن بحاجة لتفادى عواطفى ٠٠ فان لها من الشخصية التى حسمت الأمر ٠٠ باعتبارى أخا ٠٠ أو صديقا ٠٠ لها ٠٠ أو منتميا الى نفس عائلتها ٠٠ وتشاجرنا يا سيدتى العزيزة

.. وكنت ملوما .. مذنبا فى نظرها ؟..

وعاجزا عن التصرف فى نظر نفسى .. وعدت فى نفس الليلة الى « ريتشموند » .. وكان يجب أن أمكث معك حتى الصباح .. ولكننى مستاء منها وغاضبا عليها وعلى نفسى .. وأيضا .. لقد كنت مظلوما يا سيدتى .. وماذا كان يجب على أن أفعل .. أننى مقيد .. مخنوق .. ولكننى شعرت أيضا باننى قــد جرحت .. جرحنى برودها .. لذا .. ذهبت بعيدا . .واننى أحمــد اللــه .. انك لم تكونى فى مجمـوعة « بوكسهيل » .. ورأيت تصرفاتى هناك .. والا لكنت قد احتقرتيننى الى الأبد .. اننى عندما رأيتها تلتصق بهذه الى .. المسز ايلتون كان غضبى عليها شديدا من هذه السيدة التى ادعت حمايتها ورعاياتها .. كان قلبى مملوءا بالكراهية نحوها .. أننى أبدا لم أنطق اسمها على لسانى .. ولم انادها أبدا .. جين .. فما بال هذه السيدة .. تناديها بكل تبجح .. وانحطاط جين .. جين .. لم يعد عنــدى صــبر .. وتشاجرنا .. وقبلت هى ذلك العرض فى العمل .. وفى اليوم التالى .. ارسلت لى خطابا .. باننا لا يجب فيه أن نتقابل أبدا .. وان تشــعر شعورا أكيدا .. بأن هذه الخطبة . .ما هى الا تعاسة لكلينا .. وهى تفسخها . .وقد وصلنى الخطاب فى الصباح المبكر لوفاة المسكينة عمتى .. وأرسلت اليها الاجابة فى أقل من ساعة واحدة ولكننى .. لانشغالى .. وموت عمتى .. جعلنى أنسى وضع الخطاب مع بقية الخطابات فى درج المكتب .. وأغلق عليه ..

ثم تحركنا الى « ويندسور » .. وبعد ذلك بيومين .. تسلمت مظروفا كبيرا .. به كل خطاباتى .. اعادتها الى كلها ومعها بضعة أسطر من انها مندهشة لعدم تنازلى بالرد عليها .. ولو بكلمة واحدة .. وان ذلك سيكون حدا فاصلا .. بينى وبينها .. وشىء مرغوب . .لكلينا .. واننى اذا لم أعد اليها كل خطاباتها وارسلها الى « هايبرى » فى أقل من أسبوع .. اذا .. يمكننى أن أرسلها الى العنوان التالى « بريستول » بعد هذا الاسبوع .. ؟

وفى الحقيقــة .. ان اتجاهها الى « بريستول » عند .. عنـد « مسز سمالريدجز » صدمنى صدمة كبيرة .. وعرفت أن حساسيتها ..

وكرامتها . .هى التى دفعتها الى هذا التصرف .. تخيلى هذه الصدمة يا سيدتى .. وتخيلى حالتى .. ماذا يمكننى أن أفعل .. وكيف أتصرف .. لقد ضاع منى كل شىء .. بجبنى .. وخوفى .. هناك شىء واحد فقط .. نعم شىء واحد .. لابد من سرعة البت فى هذا الموقف المخجل لى .. اذا .. يجب أن اتكلم مع خالى .. بالرغم من هذه الظروف الحزينة .. وعدم ملائمتها .. ؟

ولكن .. ما العمل .. وجين قد ضاعت منى الى الأبد .. وكان عمى فى صفى .. فان موت زوجة خالى .. قد خفف قليلا من كبريائه .. وتفهم حالتى .. بل وتقبلها .. وتمكن أخيرا من أن يقول بتنهيدة حارة « يالك من رجل مسكين » .. وانه كان يود أن اجد سعادتى فى زواج مشابه لسعادته .. فى زواجه .. وقلت له :

« لا .. لا تشفق على .. ولا ترثى لحالى .. حتى أذهب الى « هايبرى » واراها .. وأرى الى أية حالة .. وصلت اليها .. وأرى نظراتها الحزينة .. وكيانها الهزيل المريض .. لا .. لا ياسيدى دعنى أعود اليها .. ؟

ووصلت الى هايبرى .. بعد افطارهما المتأخر .. فى ذلك اليوم .. وكنت سعيد الحظ .. لأجدها بمفردها .. وكان من الصعب على أن أهدىء مشاعرها .. ولكننى تمكنت .. وأصبحت فى لحظة .. أكثر معزة .. وأكثر محبة فى لحظة واحدة .. عاد غرامنا المتأجج .. وانسابت نفوسنا .. واشتعلت عواطفنا أكثر .. وأكثر من قبل .. ؟

سيدتى .. آلاف .. وآلاف التشكرات لعطفك الذى اسبغته على .. وآلاف آلاف وآلاف لاهتمامك .. وعنايتك بها . .وانك اذا كنت تعتقدين بأننى لا أستحق هذه السعادة .. فاننى أوافق على رأيك .. ؟

ان « مس وود هاوس » تدعونى .. بالطفل السعيد .. واننى أتمنى أن تكون محقة فى تسميتى بهذه التسمية الا اذا كانت هذه السعادة هى محبتك .. ورعايتك .. وعطفك .. وحنانك يا سيدتى .. واننى ابنك المحب ..

ف « ويستون تشرشل »



الفصل الخمسون

وكان من البديهى ·· أن يأخذ هذا الخطاب طـــريقه الى مشاعر ايما ·· وعواطفها ·· وكانت مرغمة ·· بالرغم من كل حكمها السابق ·· أن تغير نظرتها ·· وتتحول الى صف « مسز ويستون » ·· وأيضا ·· عندما لمحت اسمها ·· بين كل سطر من السطور ·· أصبح الخطاب ممتعا ومقبولا ·· وعكست حرارة الخطاب ·· سابق عواطفها نحو كاتبه ·· وعادت اليها ·· صورته ·· بكل حلاوتها·· وحرارتها ·· وحيويتها وكان من المستحيل عليها الآن ·· أن تدرك انهـــا كانت مخطئة ·· أو أنها أخطأت لغير ما سبب يستدعى هذا الخطأ ·· وأنه قد قاسى كثيرا ·· وتألم ·· وتعذب وأنه شديد الامتنان لمسز ويستون ·· وغارق فى حب جين فاريفكس ·· وهى نفسها ·· « ايما » كانت سعيدة جدا ·· حتى أنه لو دخل عليها الحجرة هذه اللحظة ·· لمدت يدها ·· تصافح يده بحرارة ·· ومودة ·· كما كانا من قبل ·· ؟

وتأثرت جدا بالخطاب ·· حتى ان مستر نايتلى ·· عندما عاد ثانيا ·· مدت يدها اليه ·· ليقرأه ·· وكانت متأكدة من أن مسز ويستون ·· يسعدها كثيرا أن يقرأ الخطاب ·· واحد ·· مثل مستر نايتلى ·· الذى كان من أشد الناس ·· لوما·· وملاما·· لتصرفات فرانك تشرشل·

قال مستر نايتلى :

ـــ بالطبع ·· بالطبع ·· سأكون مسرورا جدا · ·لو قرأت هذا الخطاب ·· ولكنه طويل جدا ·· ويمكننى أخـــذه معى الى المنزل ·· لقرائته ليلا ·· ؟

ـــ ولكن ·· هذا لا يمكن ·· فان مستر ويستون سوف يعود فى نفس المساء ·· ولابد م نتسليمه الخطاب ·· ؟

أجاب :

ـــ اننى أفضل ان أتكلم معك · ولكن ·· لاقرار العـــدل ·· والانصاف ·· فاننى سوف أفعل ·· ؟

وابتدأت فى القرءة ·· على أى حال ·· فانه توقف ليقول :

ـــ اذا ما كنت قد سئلت أن أقرأ خطاب هذا السيد/لوالدته فى الماضى ·· هل يا ترى كنت افعل كما أفعل الآن ·· ؟

واستمر ليقرأ بينه وبين نفسه ٠٠ وبابتسامة ٠٠ قال :

— هيه ٠٠ أنه اعتراف صريح ٠ لطيف ٠٠ ولكن ٠٠ هذه هى طريقته ٠٠ أن طريقة تصرف رجل ٠ ٠لا يمكن أن يكون حكما لآخر ٠٠ على أى حال ٠٠ لن نكون قساة عليه ٠٠ ؟

وأضاف :

— سيكون شيئا طبيعيا بالنسبة لى ٠٠ لأقول رأيى بصوت عال فى أثناء القراءة ٠٠ فأننى عندما أفعل ذلك ٠٠ أشعر باننى قريب منك ٠٠ وأيضا لن نضيع وقتا طويلا فى القراءة ٠٠ ثم فى التعليق ٠٠ ولكن اذا ما كنت لا تحبين هذه الطريقة ٠٠ فاننى ٠٠ ؟

— أوه ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ بل أننى أرغب فيها ٠٠ ؟

وعاود مستر نايتلى القراءة بمرح ورشاقة :

— آه ٠٠ انه يسفه قوله هنا ٠٠ بالنسبة لاغراء ٠٠ أو لاجـراء الخطبة ٠ ٠كان يجب ألا يفعلها ٠٠ لقد ظلم والده ٠٠ ووضعه فى مركز حرج جدا ٠٠ فان مستر ويستون بما عرف عنه من الصدق والأمانة والشرف ٠٠ كان يجب ألا يوضع فى مثل هذا الوضع المشين ٠٠ ؟

« خطوبة سرية » ٠٠ أفعال ملتوية ٠٠ خداع ٠٠ تمثيل ٠٠ تمويه ٠٠ هيه ٠٠ ولكن ٠٠ مستر ويستون ٠٠ هيه ممكن ٠٠ من تقبل الموضوع هكذا ٠٠ آه ٠٠ هنا أيضا ٠٠ بالنسبة لقوله من أنه لم يحضر الا بعد أن حضرت « جين فاريفكس » ٠٠ نعم ٠٠ وهذا حق ٠٠ ؟

وقالت ايما :

— وأنا ٠٠ لا أنسى تأكيدك من أنه كان فى امكانه الحضور قبل ذلك ٠٠ ان كان يريد ٠٠ وقد كنت محقا فى هذا تماما ٠٠ ؟

مع اننى لم كأن ادرك الحالة وقتئـــذ ٠٠ ولكننى كنت دائما ٠٠ ومازلت حتى الآن ٠٠ لا أثق به ٠٠ ؟

وعندما أتى الى كلمة « مس وود هاوس » ٠٠ فانه كان مرغما على القراءة ٠٠ بصوت عال ٠٠ وكل الفقرة ٠٠ التى كانت تخصها ٠٠ قرأها بصوت عال ٠٠ وبابتسامة عريضة ٠٠ بنظرة ٠٠ وبهزة من الرأس ٠٠ مع كل كلمة ٠٠ تعليق ٠٠ أو تأييد ٠ ٠أو حب ٠ ٠أو دهشة ٠٠ أو ٠٠ استنكار ٠ ؟

واخيرا قال ·· كصدى لانعكاساته ·· من القراءة :

ــ أوه ·· شيء ردىء ·· ردىء للغاية ·· هــذا أسوأ ما فى الموضوع ·· أنه يلعب لعبة خطرة ·· لا يهتم أبدا بمشاعرك ·· قط ·· يرضى رغباته ·· الخاصة ·· ولا هم له ·· الا راحته هو الشخصية ·· ما هذا الالتواء والخبث ·· أنه يتلاعب يا حبيبتى ايما ·· أليس كل شيء بيننا ·· يشير الى الصراحة ·· والصدق ·· الا ترين كل هذا فى صلتنا المخلصة ·· الواضحة ·· الصريحة ·· دون ما فكر ·· ولا التواء ·· ؟

ووافقت ايما على قوله ·· بخجل ·· وعاطفة ·· ثم ·· بكل رغبة صادقة ·· أرادت أن تقدم بعض الايضاحات الخاصة بهاربييت ·· ولكنها صمتت فى النهاية ·· ثم قالت :

ــ أعتقد أنه من الأفضل لك أن تستمر فى القراءة ·· ؟ وفعل ·· ولكن ·· بعد فترة وجيزة ·· توقف ثانيا ·· ليقول :

ــ آه · البيانو ·· هذا تصرف طفولى ·· تصرف أرعن ·· رجل لا يقدر الظروف ·· أو طفل لا يقدر الظروف والنتائج ·· وهل سوف يتيح هذا العمل ·· السرور ·· أم العكس ·· انها لعبة طفل ·· حقيقة ·· لست أدرى ·· كيف يرسل رجل هدية لامراة ·· هو يعلم ·· انها سوف لا تقبل هذه الهدية ·· هذا العمل أيضا ·· سر كل أفعاله ·· خفية ·· سرية ·· التواء ·· أوه ·· هذا شيء ردىء ·· ردىء ·· ردىء للغاية ·؟

وبعد ذلك ·· انتهى من قراءة الخطاب ·· ولم يكن هناك أى تعليق أكثر من ترديده :

ــ أن فرانك تشرشل ·· قد تصرف تصرفا مخجلا للغاية ·· ؟

ولم تمر لحظة ·· الا ليؤكد فيها قوله هذا :

قال بصوت عال :

ــ اننى معك يا سيدى ·· فى أنك قد تصرفت تصرفا مخجلا بالعار ·· انك أبدا لم تكتب ولا سطر ·· بصدق ·· ؟

وعندما وصل الى موضوع « جين فاريفكس » اطرق قائلا :

ــ هذا شيء مفزع ·· ردىء ·· قذر ·· لقد وضعها ·· ؟

ــ لأجل سواد عينيه ·· فى موضع لا تحسد عليه ·· وموقف

صعب جدا ٠٠ قاسى جدا ٠٠ مؤلم جدا لا يمكنها أن تتحمله ٠٠ ولم يفكر أبدا فى مشاعرها ٠٠ فى معاناتها ٠٠ فى آلامها ٠٠ فى مدى ما تقاسيه من هذا الوضع المهين ٠٠ الغريب ٠٠ وانا هنا ٠٠ يمكننى أن ألومها ٠٠ وأمسك عليها غلطة واحدة ٠٠ هى قبولها لهذه الخطبة ٠٠ وما تحمله من آلام ٠٠ وعذاب واهانة ومرض ٠٠ هو فى الحقيقة ٠٠ جزاء لها ٠٠ وعقاب على قبولها ٠٠ مثل هذه الخطبة المشينة ٠٠ ؟

وادركت ايما ٠٠ أنه لابد واصل الى نقطة الحديث عن حفلة « بوكسهيل » ٠٠ واعتراها خجل شديد ٠٠ وشعرت بالخوف ٠٠ وبقليل من الرجفة ٠٠ والاهتزاز ٠٠ بل والعار ٠٠ لنظرته اليها بعد ذلك ٠٠ ولكنه قرأ الفقرة كلها دون أى تعليق واحد ٠٠ الا نظرة خاطفة اليها ٠٠ أزاحت عنها الخوف ٠٠ ووخزتها بالألم ٠٠ حيث أن عدم التعليق يعنى احتقارا ٠٠ ازدراء ٠٠ لما كان ٠٠ وفى هذا الألم ٠٠ كل الألم ٠٠ لها ٠٠ ولمشاعرها الصادقة ٠٠ الأمينة ٠٠ ؟

وتكلم أخيرا :

ـــ لا يوجد حديث كثير عن رقة أصدقاءنا الطيبة ٠٠ « الايلتونز » ٠٠ أنه شخص عجيب ٠٠ ان الخطوبة قد عكست عليه ازدراء حقيقيا ٠٠ وشعورا بالمرارة والتعاسة ٠٠ لفعل سىء ٠٠ لا تتقبله نفسه ٠٠ ولا شهامته ٠٠ ولا كرامته ٠٠ ؟

واستمر يقول :

ـــ ان المسكينة كانت مؤمنة أن هذه الخطبة ٠٠ مريرة لكليهما ٠٠ انها تدل على عدم فطنة ٠٠ وتصرف غير معقول ٠٠ وغير مقبول ٠٠ نعم ٠٠ لابد وأن يكون هذا الانسان ٠٠ غير عادى ٠٠؟

قالت ايما :

ـــ أقرأ ٠٠ أقرأ ٠٠ انك سوف تجد ٠٠ أنه قد تألم وعانى ٠٠ وقاسى كثيرا ٠٠ ؟

أجاب مستر نايتلى ببرود :

أتعشم ذلك ٠٠ (ثم بعودة الى الخطاب)

ـــ « سمالريدجز » ·· ما هذا ·· وماذا يعنى ذلك ·· ماكل هذه المعميات ·· ؟

ـــ لقد ارتبطت بالعمل ·· عند « مسز سمالريدجز » كانت ستقوم بالعمل ·· كمربية للأطفال ·· ومسز سمالريدجز ·· هى صديقة حميمة لمسز ايلتون جارة من « مابل جروف » ·· وعلى فكرة ·· أننى أتعجب كيف سوف تتحمل مسز ايلتون هذه الصدمة ·· ؟

ـــ ايما ·· يا حبيبتى ·· لا تقولى شيئا ·· حتى انتهى من قراءة هذا الخطاب ·· ؟

« يسقط صفحة واحدة باقية » ويقول :

ـــ ياله من خطاب ·· يكتبه رجل ·· ؟

ـــ أننى أرجو أن تقرأه بروح أشد عطفا عليه ··؟

ـــ حسن ·· حسن جدا ·· هنا ·· سوف أجد هذا الشعور من نحوه ·· آه ·· لقد تألم كثيرا عندما وجدها مريضة ·· بالطبع ·· أنا لا أتعجب غرامه بها ·· أكثر ·· وأكثر من ذى قبل · بالطبع بالطبع ·· عليه أن يكون شاكرا ·· الحب ·· والثروة ·· أسعد مما استحق أنا ·· آه ·· هنا ·· تعالى ·· هنا يعـــرف نفسه ·· يعـــرفها ·· تماما ·· انه يقول : « أن مس وود هاوس·· تدعونى الطفل السعيد الحظ··» هذه هى كلمات مس وود هاوس ·· أليس كذلك ·· ؟

وهناك سطر آخر ينهى به هذا الكلام ·· الطفل السعيد الحظ ·· أليس هو كلامك ·· هل هذا هو الاسم ·· الذى كنت تنادينه به ·· ؟

ـــ يبدو أنك لم تسعد بهذا الخطاب ·· ولكن ·· على الأقل ·· أعتقد بانك قد غيرت رأيك عنه ·· وانك الآن ·· تفكر فيه بطريقة أفضل

ـــ قطعا تغيرت قليلا ·· ان له أطاء جسيمة ·· أخطاء بشعة دون ما تفكير ·· ولا روية ·· وأنا أيضا من رأيه ·· أنه سعيد الحظ ·· أكثر مما ·· يستحق ·· ولكن ·· هو ·· هو ·· يشوبه الشك فى علاقته بمس فاريفكس ·· واتمنى أن يرتبط بها سريعا ·· وأنا متأكد من أنه سوف ينصلح حاله ·· وتتحسن أخلاقه وتقوى تصرفاته حين ارتباطه بها ·· لأنها انسانة جادة ·· سوية ·· والآن ·· دعينى أتكلم معك ·· فى

(ايمـــــا)

شيء آخر .. ان عندى الآن .. شخص عزيز جدا على .. قريب جدا الى قلبى .. أود أن أتكلم عنه .. لا عن فرانك تشرشل .. يا حبيبتى ايما .. اننى مشغول .. مشغول .. منذ تركتك هذا الصباح .. مشغول فى شيء واحد فقط .. موضوع واحد فقط .. ؟

واتى الموضوع .. وكان موضوعا صريحا .. لا يقوله الا رجل صريح .. وسيد انجليزى كريم .. مثل « مستر نايتلى » .. ؟

أنه يريد المرأة التى يحبها .. كيف يمكنه أن يسألها الزواج .. دون أن يلمس سعادةوالدها .. أو يحطمها .. ؟

وكانت اجابة ايما .. صريحة منذ الكلمة الأولى .. ما دام والدها يعيش .. فان أى تغيير بالنسبة لها .. يعتبر شيئا مستحيلا جدا .. انها أبدا لا يمكن أن تؤذيه .. أو تجرح احساساته .. أو تحطم سعادته ..؟

نعم . .وان استحالة هجر والدها .. يشعر به هو .. أيضا .. أكثر مما تشعر هى به .. وأيضا .. أى تغيير مـــزعج . مفاجيء .. لا يقره .. ولا يريده .. للعزيز « مستر وود هاوس » .. أنه يفكر .. فى هذا الموضوع .. بعمق .. وتفكير متصل .. ولقد فكر أولا .. أنه يمكن أن يقنع مستر وود هاوس .. لينتقل معها .. الى .. « دونويل » .. ولكن .. معرفته التامة بطباع ومشاعر مستر وود هاوس .. تجعله يؤمن بأن هذا الطلب سوف يجرح احساساته .. ويؤلمه أشد الألم .. لأنه يعشق بيته فى هارتفيلد .. وحياته الهادئة .. المريحة .. ؟

وهو يؤمن الآن .. أكثر من أى وقت مضى .. أن ازعاج راحة مستر وود هاوس .. فى حياته .. شيء بغيض .. لا يمكن التفكير فيه .. « مســـتر وود هاوس يهجر هارتفيلد .. آوه .. شيء مســـتحيل .. مستحيل .. ولكن التضحية التى انبثقت فى ذهنه أخيرا .. تضحية كبيرة .. من جانبه .. ولكنه يجد انها الحل الوحيد .. وهى « أنه هو .. الذى يجب عليه أن ينتقل من دونويل .. ليعيش معهما فى هارتفيلد .. طوال مدة حياة والدها .. لأن فى هذا سعادته .. وهنائه واســتمرار الحياة كما هى .. مدعاة لراحة مستر وود هاوس .. ؟

وكانت ايما أيضا تفكر فى موضــوع .. انتقالها هى ووالدها ..

الى « دونويل » .. ولكن بدا لها هذا الانتقال شديد الصعوبة .. وقلبت الموضوع كله على كل أوضاعه فكان يزداد تعقيدا .. وصعوبة .. والآن .. فان فكرة انتقال مستر نايتلى نفسه الى « هارتفيلد » .. فكرة فيها تضحية جسيمة لراحته .. فان هجره لبيته فى « دونويل » .. وحياته معهما .. حياة لم يتعودها .. وخاصة .. رفاهيته الزائدة فى بيته .. وحياته فى بيته الخاص .. الذى اعتاد عليه طوال حياته .. شىء جسيم .. وتضحية جسيمة . .لا يمكن أن تتقبلها ايما .. ؟

وطلبت منه مهلة للتفكير فى هذا العرض .. ولكنه كان قد صمم نهائيا عليه . .وقال لها أنه يفكر فى هذا الموضوع ليلا .. ونهارا .. وفى هذا اليوم بالذات كان شغله الشاغل فى سيره من عند «وليام لاركنز» .. حتى هارتفيلد .. وقد استقر على هذا الرأى .. وانتهى الأمر .. ؟

وهنا .. صاح مستر نايتلى فجأة .. وكأنه تذكر شيئا :

آه .. هناك صعوبة فى تنفيذ هذا الموضوع .. ايما .. اننى متأكد ان « وليام لاركنز » لن يوافق عليه .. أعتقد أنه يجب عليك أن تطلبى موافقته أولا .. ؟

وضحكت ايما معه .. على هذه المفارقة اللطيفة .. ثم وعدته .. بأنها على أى حال .. سوف تفكر فى موضوع انتقاله الى « هارتفيلد » .. ولو أنها تعتقد أنه مشروع جميل .. لصالحها هى .. ووالدها .. أما هو .. فانها ترى أنه فى هذا غبن له .. ولحقه .. فى حياته الخاصة .. وأنه لمن الملاحظ .. أن ايما .. لكونها .. أو لأنها .. سوف تكون سيدة « دونويل » .. فانها أبدا لم تفزع من التفكير فى املاك .. وارث الصغير « هنرى » .. الذى يجب أن ترعى كل شئونه .. وهى تفكر فقط .. فى التغيير الذى سوف يحدث للصغير المسكين .. ولكنها بابتسامة فرحة .. تذكرت كيف أنها عارضت بشدة فكرة زواج جين فاريفكس من مستر نايتلى .. والآن .. هى سعيدة .. لأن الحب سوف يضفى استاره على الطفل الصغير .. منها هى .. ومن شقيقتها .. التى هى فى نفس الوقت عمة الصبى .. ؟

وكلما ازدادت تفكيرا فى موضوع الزواج .. والبقاء فى هارتفيلد

.. كلما انتعشت سعادتها . .ان هذا الاقتراح .. والفكرة التى ابداها من الزواج .. كانت فكـــرة رائعة .. آه .. ياللجمال .. ياللروعة .. .. تبقى فى هارتفيلد وهو معها .. رفيق حبيب . يؤنسها .. يشاركها .. يؤدى معها واجباتها .. واهتماماتها .. ويهتـــم هو بها .. دائما كما كان فى الماضى .. آه .. انه شىء جميل .. جميل .. ورائع فى هذا الوقت الذى تأزمت فيه كل الظروف والأحداث .. ؟

قطعا ستكون سعيدة .. فهذه هى السعادة .. بعينها .. والدها .. وحبيبها .. وهارتفيلد .. ولكن آه .. ؟

كل هذا الفرح .. وهذه السعادة .. تخيم عليها غمامة حزن .. وأسى .. وألم .. لصديقتها « هارييت » انها قطعا ســـوف تحرم من حياتها فى هارتفيلد .. وسوف تبعد عنها .. أو تتباعد .. وهذا أقسى ما فى الأمر .. هذه الأسرة السعيد التى ضمتها ايما لها .. واعتبـــرتها واحدا منها .. فان هارييت سوف تبعد وتبعد بمســـافة كبيرة عنها .. انها سوف تكون خاسرة .. بأى حال من الأحـــوال .. وبأى شكل من الأشـــكال .. ؟

ان غياب هارييت عن مجتمعها .. لن يؤثر فيه بحال من الأحوال .. ولكن هى .. المسكينة .. نفسها .. انه شىء قاس عليها .. وعقاب لا تستحقه بالطبع .. وبمرور الوقت .. سوف تنسى مســـتر نايتلى .. ولكن هذا لن يحدث بسرعة .. لأن مستر نايتلى لن يفعل شيئا ليساعدها على هذا النسيان .. بعكس مستر ايلتون .. الذى كان مجافيا .. وقحا .. منفرا .. ناجحا تماما فى ابعادها عنه . ان مستر نايتلى .. رقيق .. لطيف .. حنون .. حبيب .. صادق ومحب .. ومخلص لكل شخص .. ودائما أبدا .. تفيض نفسه بالخير والانسانية .. والحب .. هو الآن .. يستحق أكثر من أى وقت مضى .. المـــراعاة والاهتمام والحب .. والاحترام وبالطبع .. سيكون شىء كبير جدا .. لا تتحمله المسكينة « هارييت » الا وهو : « أن تقع فى حب ثلاثة أشخاص .. فى عـــام واحـــد » .. ؟



الفصل الحادى والخمسون

لقد كانت رحمة كبرى٠٠وخلاصا ما بعده من خلاص٠٠عندما وجدت ايما ٠٠ أن عند هارييت نفس الرغبة التى توجد عندها ٠٠ وهى تجنب المقابلة ٠٠ بينهما ٠٠ يكفيهما ٠٠ ما تلقيا من آلام على صـــفحات ٠٠ الخطابات ٠٠ ولم تكن بهما أية رغبة لهــــذه المقابلة ٠٠ فيالبؤس ٠٠ ما تكون ٠٠ كما أن الرغبة فى الانفصال كانت متبادلة ٠٠ فان من يتحمل ٠٠ مثل هذه الصدمة ٠٠ لابد وأن يكون ملاكا ٠٠ ؟

ولم تجد ايما صعوبة فى الحصول على دعوة ٠٠ « ايزابيلا » ٠٠ فانها وجدت سببا لذهاب ٠٠ هارييت اليها ٠٠ وهى انها تشكو الما فى اسنانها ٠٠ وتود استشارة وعلاج طبيب الأسنان ٠٠ ؟

وقد سر مستر جون نايتلى كثيرا ٠٠ لأنه سوف يكون ذو فائدة لأى شخص مريض ٠٠ وسوف يتمكن٠٠ من تقديم توصياته ٠٠ كما أن هارييت ٠٠ قبلت الدعوة ٠٠ والتى كان مقررا لها ٠٠ أسبوعين ٠٠ ؟

وهكذا ٠٠ أعدت الترتيبات ٠٠ والاستعدادات واقلت عربة « مستر وود هاوس » هارييت ٠٠ آمنه ٠٠ الى « برنسويك سكوير » تماما فى الوقت الذى رتبته ايما ٠٠ وسار كل شىء على مايرام ٠٠ ؟

والآن حقيقة ٠٠ كان الفرح الحقيقى ٠٠ لايما ٠٠ انها يمكن أن تستمتع بزيارات مســـتر نايتلى ٠٠ يمكنها أن تتكلم ٠٠ وتنصـت ٠٠ وتضحك ٠٠ وتفرح بشعور حقيقى ٠٠ دون أى تفكير أو ازعاج ٠٠ أو مساس سعادتها ٠٠ بشعور اثم وألم ٠٠ أو ظلم ٠٠ ودون ما شعور بالذنب ٠٠ من ناحية ٠٠ « هارييت » أو من ناحية أحد ٠٠ ودون ما شـــعور بجرح ٠٠ لقلب معذب بجوارها ٠٠ يتحسر على حبه وسعادته ٠٠ فان هذا القلب ٠٠ كان قريبا ٠٠ وهنا ٠٠ فى نفس المكان لم تكن تستطع أن تستمتع بحبها ٠٠ وهى قد حرمت هذا القلب من حبه ٠٠ ؟

فان الاختلاف ٠٠ أو الفرق ٠٠ فى وجود هارييت عنـــد مســـز جودارد ٠٠ القريبة منها ٠٠ وبين وجودها فى لندن ٠٠ كان اختلافا كبيرا أيضا فى مشاعر ايما وعواطفها ٠٠ فانها بالقرب منها ٠٠ كان يمكن ان تفكر فيها ٠٠ بغصة ألم ٠٠ وعذاب ٠٠ وشعور بالذنب ٠٠ ؟

أما فى لندن ٠٠ فهى آمنة من أى تطفل أو ازعاج ٠٠ واستطلاع

.. وشعور بالندم .. أو الخوف من قطع استمتاعها .. بزيارة مفاجئة .

ولم تكن تريد أن يقلق فكرها .. أو يشوهه أى تفكير فى هارييت .. أو سواها .. فان كل همها .. كان فى كيفية نقل خبر الخطوبة الى والدها .. ولكن لم يكن لديها أى فكرة .. أو طريقة .. لهذا الخبر .. فى الوقت الحالى .. فانها صممت على أن تكتم الخبر .. حتى تمر الأزمة .. بمسز ويستون .. وتصبح فى حالة صحية مرضية .. ان عليها فى الوقت الحالى .. أن تجنب أحباءها كل ألم .. ولا تعلن الخبر .. الا فى الوقت المحدد .. أن مسز ويستون تجتاز أزمة الوضع وآلامه .. ووالدها لن يتحمل أية صدمة .. وهى حتى الآن .. فى حالة متفتحة لاستقبال عواطف مستر نايتلى .. وأسبوعين تبعـــــد فيهما كل الافكار والآلام .. فرحة لها .. لراحة ذهنها .. واستمتاع عواطفها ؟

أيضا كان على ايما .. ان تعطى بعض الوقت للسؤال عن مس فاريفكس .. وعليها أن تذهب اليها .. وهى أيضا مشتاقة لرؤيتها .. وعليها فى وضعها الحالى .. أن تنمى كل صلة .. ودية بينهما .. ؟

فان الاتصال فى المستقبل .. لابد وأن يشوبه الحب والاحترام ..؟

وذهبت على الفور .. ولم تكن قد زارت هذا المنزل منـــذ حادثة « بوكسهيل » .. وكانت تخشى أن تكون مريضة .. لما كانت .. وانتظرت فى الصالة .. الخارجية ..وأرسلت اسمها .. وسمعت صوت باتى .. وصوت مس بيتس يصيح بفرح وسعادة :

— بسرعة .. بسرعة .. ادعيها الى فوق .. دعيها تصعد .. وبعد لحظة .. وهى تصعد السلم .. وجدت جين بنفسها .. تقابلها فى منتصفه بفرح وسعادة وتهليل .. وترحيب .. ولم ترها ايما أبدا .. فى مثل هذه الحالة من السرور الحقيقى .. ونظرة الحب الصادق اليها .. وأتت . مادة يدها قائلة بصوت خفيض .. ولكن فى نبرة شعور صادق :

— هذا كرم كبير منك يا مس وود هاوس .. ومن الصعب على .. أو من المستحيل أن أتمكن من التعبير عن مدى امتنانى لكرمك ولطفك .. واننى أرجو أن تصدقيننى .. أرجو أن تعذريننى - فاننى لا أعرف كيف أعبر عن مشاعرى بالكلمات .. ؟

وشعرت ايما ٠٠ بشعور صادق من المودة ٠٠ التى ابدتها جين ٠٠ وكانت تريد أن تقول لها ٠٠ أنه لا ضرورة لكلمات الترحيب ٠٠ عندما اخترق اذنها صوت مسز ايلتون اتيا من غرفة الاستقبال ٠٠ ولم تتكلم ٠٠ بل مدت يدها ٠٠ وصافحتها بحرارة ٠٠ ؟

وكانت مسز بيتس ٠٠ ومسز ايلتون تجلسان سويا ٠٠ وكانت ايما تتمنى أن تكون مسز ايلتون فى مكان آخر ٠٠ ولكن ٠٠ كالعادة ٠٠ رحبت بها مسز بيتس ٠٠ اما مسز ايلتون فقد قابلتها أيضا بحرارة غير عادية ٠؟

وللحال ٠٠ أدركت سر هذا الترحيب ٠٠ فان مسز ايلتون ٠٠ كانت فى مثل حالتها من السرور والانشراح ٠٠ وروحها المعنوية ٠٠ مرتفعة جدا ٠٠ ورأت التعبير على وجهها ٠٠ وبينما كانت ايما تحى مس بيتس ٠٠ اذا بمسز ايلتون ترفع بين يديها خطابا ٠٠ يبدو انها قد انتهت من قراءته بصوت عال ٠٠ لمس فاريفكس ٠٠ وتعيده الى حقيبتها ٠٠ وهى تقـــول :

ــــ آه ٠٠ أنت تعرفين أننا يمكننا الانتهاء من هذا الموضوع فانا ٠٠ وأنت ٠٠ لا نحتاج لايجاد أى فرصة ٠٠ وعلى كل حال ٠٠ لقد سمعت رؤوس المواضيع ٠٠ وعرفت الأشياء الجوهرية به ٠٠ وأنا فقط ٠٠ أردت أن اثبت لك ٠٠ وها انت ترين كيف تكتب ٠٠ وما أمتع كتاباتها ٠٠ انها مخلوقة حلوة ٠٠ انك كنت ستعشقينها عشقا ٠٠ لو كنت قد ذهبت اليها ٠٠ ولكنها لم تكتب ولا كلمة ٠٠ أكثر من ذلك ٠٠ دعينا الآن نتعايش مع مشاعرنا سويا ٠٠ هل تذكرين هذه الأبيات ٠٠ لقد نسيت اسم الشعر ٠٠ حاليا ولكننى أتذكر هذين البيتين :

وعندما تكون السيدة فى حالة خاصة ٠٠ ؟

فان كل الأشياء الأخرى ٠٠ تجد لها مكانا ٠٠ ؟

وهذا هو ٠٠ ما أقوله يا حبيبتى فى حالتنا هذه ٠٠ اننى فى حالة نفسية رائعة ٠٠ روحى بها انتشاء ٠٠ عواطفى ٠٠ منطلقة ٠٠ ولكننى كنت أريد أن أراك مع مسز سمالريدجز ٠٠ فانك قطعا كنت تشغفين بها كل الشغف ٠٠ ؟

وحينما أدارت ايما رأسها لتنظر الى اشغال مسز بيتس ٠٠ أضافت مسز ايلتون بهمس :

ـــ أننى لم أذكر اسماء ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ حريصة أنا تماما ٠٠ مثل زير الدولة ٠٠ لقد رتبت الأمور تماما ٠٠ ؟

آه ٠٠٠ ؟

وادركت ايما ٠٠ أن هذا الهمس ٠٠ ما هو الا لعبة معادة ٠٠ لقولها دائما فى كل مناسبة ٠٠ وحين تكلمن عن الطقس ٠٠ وعن مسز ويستون ٠٠ وجدت نفسها محل سؤال :

ـــ ألا تعتقدين يا مس وود هاوس بأن صديقتنا الحلوة ٠٠ قد استعادت صحتها ٠٠ وحيويتها ٠٠ الا تعرفين ان مستر بيرى قد صنع معها المعجزات ٠٠ لقد راقبها مراقبة طبية دقيقة ٠٠ آه ٠٠ ان الفضل كله لمستر بيرى ٠٠ لقد كانت فى أسوأ حال ٠٠ وها هى الآن ٠٠ فى غاية الصحة والعافية ٠٠ ؟

وعندما كانت مسز بيتس تقول شيئا لايما ٠٠ همست مسز ايلتون :

ـــ اننا لا نقول شيئا ٠٠ ولن نقول شيئا أبدا ٠٠ ؟

فاننا سوف نعطى الفضل كله لمستر بيرى ٠٠ ؟ هيه ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠ لن نقول بأننا قد احضرنا طبيبا ٠٠ خاصا وشابا من « وندسور »٠٠ لن نقول ٠٠ نعم ٠٠ لن نقــول ٠٠ فان بيرى هو صاحب الفضــل الأول والأخير ٠٠ ؟

وبعد ذلك ٠٠ التفت الى ايما تقول :

ـــ أننى سعيدة جدا لمقابلتك الآن يا مس وود هاوس فاننا لم نتقابل منذ « البوكسهيل » ٠٠ آه ٠٠ لقد كانت رحلة بديعة ٠٠ ولكن ٠٠ اعتقد أنه كانت هناك سحابة على بعض الاشخاص ٠٠ ولكنها على الأقل ٠٠ وضحت لى ٠٠ آه ٠٠ ولكن ٠٠ ربما كنت مخطئة ٠ على أى حال ٠٠ ان اغراء هذه الرحلة ٠٠ مشجع على التفكير فى اعادتها ٠٠؟

ـــ نعم ٠ مع نفس المجموعة ٠٠ وأيضا الى بوكسهيل ٠٠ قبل أن يذوب هذا الطقس البديع ٠٠ أتعرفين ٠٠ نفس المجموعة بلا تفضيل ٠٠ هيه ٠٠ نفس المجموعة ٠٠ ؟

وبعد حين ٠٠ دخلت مس بيتس ٠٠ وكعادتها ٠٠ وبدون صبر ٠٠ فانها تقول كل ما عندها ٠٠ ؟

— شكرا ·· شكرا ·· لك يا مس وود هاوس ·· أن هذا كرم كبير منك ·· نعم ·· أنه من المستحيل أن أقول ·· نعم ·· فى الحقيقة أنى افهم تماما ·· عزيزتى جين ·· لقد شفيت وقامت من مرضها وأصبحت فى حالة بديعة حقا ·· آه ·· كيف حال مستر وود هاوس ·· أننى سعيدة ·· وبالطبع هذا شىء لم أدبره ·· أن تجدينا هكذا ·· وفى هذه الحلقة؟

نعم ·· نعم ·· رجل صديق ·· رجل بديع ·· أعطى جين كـــل اهتمامه ·· آه ·· فى الحقيقة · أنا أقصد « مستر بيرى » ·· ؟

ولأن مسز ايلتون كانت موجودة · ·فان ايما أدركت على الفور ·· ان مس بيتس قد بترت حديثها عن الرجل الشاب الذى أعطى جين كل اهتمامه ·· لأنها لاحظت ان هناك ·· نظرات ·· وهمسات بينها وبين جين ·· مما دعا الى صمت مس بيتس على الفور ·· وقالت مسز ايلتون بصوت مرتفع :

— آه ·· أنا هنا يا صديقتى الطيبة ·· أنا هنا من مدة طويلة ·· فى الحقيقة ·· أنا انتظر مولاى وسيدى ·· لقد وعدت أن يلحق بى ·· ليقدم لك تحياته واحتراماته ·· ؟

— أوه ·· هل سنسعد حقا ·· بزيارة من مستر ايلتون ·· هذا معروف كبير حقا ·· لأننى أعرف أن السادة ·· لا يحبون زيارات الصباح ·· ووقت مستر ايلتون ·· مشغول دائما ·· ؟

— بشرفى ·· بشرفى يا مس بيتس ·· سوف يحضر ·· ولو أنه فعلا مشغول من الصباح حتى المساء ·· فلا نهاية لزيارات الناس له ·· ملتمسين منه أشياء وخدمات ·· القضاة ·· والملاحظين ·· وحـــراس الكنيسة ·· كلهم يريدون أخذ رأيه ·· أنه يبدو ·· انهم لا يعرفون شيئا ·· أو يمكنهم التصرف فى أى شىء ·· دون مشورته ·· واننى دائما أقـــول له :

« بشرفى ·· بشرفى ·· يا مستر ايلتون ·· ماذا كان يحدث لو أننى لم استعمل معداتى هــكذا ·· لأننى دائما أهتم بهم واحييهم ·· وأنت تعرفين بالطبع ما عندى من أدوات للضيافة ·· على أى حال ·· أنه سوف يحضر ·· أننى أوكد لك ·· ؟

ووضعت يدها على فمها .. لتمنع الكلام من أن يصل الى ايما .. وقـالت :

— آوه .. انها زيارة تهنئة .. نعم .. زيارة خاصة .. للتهنئة وبدت مس بيتس شديدة السعادة .. ؟

— لقد وعدنى بالحضور فور انتهائه من ارتباطاته مع مستر نايتلى .. لقد أغلقا عليهما الباب منذ مدة فى مناقشات .. واستشارات .. أن مستر ايلتون هو يد مستر نايتلى اليمنى .. ؟

ولم تبتسم ايما لهذه الكلمات .. بل قالت لها فقط :

— هل ذهب مستر ايلتون الى « دونويل » على قدميه .. مسكين .. أن اليوم شديد الحرارة .. ؟

— آوه .. لا .. لا .. ان المقابلة فى « الكراون » .. مقابلة خاصة .. ويستون وكول .. سيكونان هناك أيضا . ولكن .. واحـدا فقط هو الذى سيقود المناقشة . واعتقد أن مستر ايلتون .. ومستر نايتلى .. هيه .. كل له طريقته الخاصة .. ؟

قالت ايما :

— هل تعتقدين بأنك قد أخطأت فى اليوم .. ان المقابلة سوف تتم فى الكراون فى الغد .. لقد كان مستر نايتلى « فى هارتفيلد » . أمس .. وقال أن الاجتماع سيكون يوم السبت .. ؟

— آوه .. لا .. لا .. قطعا أن الاجتماع يتم اليوم .. ؟

كان هذا هو الرد .. ومن المستحيل بالطبع .. تكذيب مسز ايلتون التى استمرت فى الحديث قائلة :

— اعتقد أن هذه أسوأ ابرشية سمعت بها فى حياتى .. فاننى لم أسمع بمثل هذه الاشياء .. فى مابل جروف .. قالت جين :

— ان أبرشيتك هناك .. صغيرة جدا .. ؟

— اوه .. يا عزيزتى .. فى الحقيقة .. لا أعرف .. ان كان الحديث عن الأبرشية أم لا .. فاننى لم أسمع عن هذا الموضوع أبدا ..؟

— ولكننى أنا سمعت..نعم سمعت عنه من حديث كان يدور بين شقيقتك .. ومسز براج .. وما يثبت صغر حجم الأبرشية والمدرسـة

الوحيدة فى مابل جروف فان لا يوجد بها أكثر من خمسة وعشرين طفلا ؟

— آه .. أنت مخلوقة ذكية .. هذا! حقيقى .. يالذاكرتك القوية .. اننى أقول يا جين .. لو انك أنت وأنا .. تكاتفنا سويا .. لكانت لنا أعمال باهرة .. ولكنا تكاملنا .. ان الناس لا يعتقدون ان هناك تكاملا .. ولكننى أنا .. وأنت وشخصـيتنا .. بهما كل التكامل .. آوه .. ولا كلمة .. اذا سمحت .. ؟

ويبدو أن هناك شىء حدث .. يستدعى الاحتياط .. فقد ظهـر مستر ايلتون .. وقامت زوجته تحييه ببشاشة .. وتملق :

— شىء جميل يا سـيدى .. تربطنى هنا مع أصدقائى طوال هذه المدة .. لتحضر أنت أخيرا .. ولكنك تعلم .. بانك قد تركتنى مع مخلوقة بديعة .. ولكن بالرغم من ذلك .. فاننى لم أتكلم .. ولم اتحرك .. حتى يأتى مولاى .. وسيدى ..؟

وكان مستر ايلتون .. فى حالة من التعب .. والشـعور بشـدة الحرارة .. مما أدى الى عدم اهتمامه بكل هذا الديالوج .. من زوجته .. ولكن .. التحية .. يجب أن تلقى على باقى السيدات .. بالرغم من معاناته من الحرارة .. والسير فى هذا الجو القائظ .. دون أى فائدة ؟

قال مستر ايلتون :

عندما ذهبت الى « دونويل » .. لم نتمكن من العثور على نايتلى .. شىء غريب جدا .. شىء غير محتسب .. بعد أن أرسلت اليه مذكرة هذا الصباح .. وبعد الرسالة التى أرسلها هولى .. فانه لم يحضر الى منزله حتى الواحدة .. ؟

صاحت زوجته :

— « دونويل » .. يا عزيزى مستر ايلتون .. انك لم تكن فى دونويل .. انك تقصد « الكراون » .. أنك حاضر للتـو واللحظة من اجتماع بالكراون .

— أوه .. لا .. لا .. هذا سيكون غـدا .. ولكننى أردت أن اقابل نايتلى اليوم فى هذا الشان .. كان صباحا مؤلما .. لقد عبرت الحقول والمزارع أيضا .. (تغيرت لهجته » ودلت على ألم شديد)

لقد تاذيت كثيرا من هذا المجهود المضنى ٠٠ وأخيرا لا أجده بالبيت ٠٠ أننى أؤكد لك ٠٠ اننى غير سعيد بالمرة ٠٠ ولم أجـــد منه أى اعتذار أو رسـالة لى ٠٠ ؟

وقد أفادتنى مديرة المنزل ٠٠ بانها لا تعلم شيئا عن حضورى شىء غير عادى ٠٠ شىء غريب ٠٠ شىء شاذ ٠٠ ولا يعرف أحد ٠٠ أين ذهب ٠٠ ربما الى هارتفيلد ٠٠ ربما الى طاحونة الكنيسة ٠٠ ربما فى غاباته ومزارعه ٠٠ مس وود هاوس ٠٠ هذا ليس صديقنا مستر نايتلى ٠٠ يمكن أن تفسرى لى ذلك ٠٠؟

وأكدت ايما ٠٠ ا ن هذا فى الحقيقة شىء غير عادى ٠٠ وأنه لاتعقيب لديها على فعله هذا ٠٠ ؟

صاحت مسز ايلتون كزوجة مجروحة الكرامة :

— اننى لا يمكن أن أتصور كيف يمكن أن يفعل هذا معك ٠٠ فى كل العالم ٠٠ ومن كل رجال العالم ٠٠ الرجل الوحيد الذى لا يمكن أن ينسى أو يهمل ٠٠ أوه ٠٠ يا عزيزى مستر ايلتون ٠٠ لابد وأن يكون قد ترك لك رسالة ما ٠٠ نعم ٠٠ أننى متأكدة ٠٠ أنه ليس نايتلى الذى يفعل ذلك ٠٠ لابد وأن الخدم نسوا أن يقدموها لك ٠٠ لابد وأن هذا هو ما حدث بالفعل ٠٠ فان خدم دونويل ٠٠ أوه ٠٠ أنا أعرفهم ٠٠ فى منتهى الاهمال ٠٠ والنسيان ٠٠ والفوضى ٠٠ أنا متأكدة فعلا أن هذا « الهارى » ٠٠ وهذه « المسز هودجز » ٠٠ انها دائما تعد بان ترسـل أشـيـاء ٠٠ ولا ترسـلها ٠٠ ؟

أضافت مسز ايلتون :

— لقد قابلت « وليام لاركنز » ٠٠ عندما اقتربت من المنزل ٠٠ وقال لى باننى لن أجد سيده بالمنزل ٠٠ ولكننى لم أصدقه ٠٠ وقال بأنه لا يعرف ماذا حدث له أخيرا ٠٠ وهو أيضا لا يمكنه أن يقول أى كلمة عنه - وقد استخرجت هذه الكلمات منه بشدة ٠٠ ؟

ولم يكن لدى ٠٠ أى شىء لافعله مع وليام لاركنز ٠٠ ؟

ولكننى كنت أريد نايتلى اليوم لسبب هام جدا ٠٠ ثم حدث هـــذا العذاب بالنسبة لى ٠٠ والسير فى الحرارة ٠٠ لقد كان يوما مشئوما ٠٠

يوما تعسا .. للسير كل هذا الطريق .. والتقلب فى مثل هذه الحرارة .. دون أية فائدة ..؟

ووجدت ايما .. ان أفضل ما تفعله الآن .. أن تسرع بالعودة الى منزلها .. وهى .. ما الذى يجعلها ننتظر .. لا شىء .. ربما يكون مستر نايتلى قد فعل ذلك عمدا . ليختفى عن مستر ايلتون .. أو ربما عن وليام لاركنز .. ؟

وقد سعدت ايما بقرارها للعودة .. وكانت مس فاريفكس .. من الكرم .. واللطف .. بحيث رافقتها حتى باب الغرفة .. ثم نزلت معها السلالم .. وكانت هذه هى الفرصة لتقول لها :

— اننى لم أتمكن من الحديث معك على انفـــراد .. والعيون تتطلع الينا .. وكنت أود أن أعيش معك لحظات بمشاعرى .. ومشاعرك .. أن أسأل بعض الأسئلة .. أن أتكلم معك بحرية أكثر .. لايضاح بعض المواقف .. فاننى أشعر باننى مقصرة فى حقك .. ؟

صاحت جين وحمرة الخجل تعلو وجنتيها :

— لا .. لا .. أن لطفك ومبادرتك واهتمامك بى .. هو أكثر من المعتاد .. أننى أنا التى تصرفت معك ببرود .. وعدم لياقة .. كانت هذه خطة متبعة .. ولابد أنك قد احتقرتيننى .. أو تقززت من طريقتى فى معاملتك .. واننى يجب أن اعتذر لك .. ؟

— لا .. لا .. أرجوك .. لا تقولى ذلك .. ان كل الاعتذار يجب أن يكون من جانبى أنا .. دعينا ننسى ما مضى .. ونبدأ صداقتنا من جديد .. وبأسرع ما يمكن واعتقد أن مشاعرنا الآن .. قد تقاربت تماما واننا لن نضيع الوقت فى الاعتذارات .. وأتمنى أن تكون هناك أخبار سارة من وندسور .. نعم .. نعم .. كثير جدا .. ؟

— والاخبار التالية على ما أعتقد .. هى أننا سوف نخسرك.. فى اللحظة التى ابتدأت فيها صداقتنا .. ؟

— أوه .. لا .. لا شىء فى الوقت الحالى .. ليس قبل أن يعود كولونيل ومسز تشامبل .. لا شىء تقرر بعد .. ؟

أجابت ايما . بابتسامة ماكرة :

— ولكن .. أرجو المعذرة .. لابد وأن يكون هناك شيء قد تم التفكير فيه على اقل .. ؟

— نعم .. أنت محقة فى قولك هذا .. وانني سوف أقول لك كل شيء .. وانني متأكدة أن قولى هذا سيكون فى مأمن من الانتشار .. نعم .. لقد تقرر أن نعيش مع مستر تشرشل فى « انسكومب » .. ولكن هناك فقط ثلاثة أشهر للحداد .. وبعد أن تنتهى فترة الحداد .. أعتقد أنه لن يوجد عائق يمنع من اتمام كل شيء .. ؟

— أوه .. شكرا .. شكرا .. هـــذا تماما ما أردت معرفته .. وأريد منك أن تتأكدى من أننى لا أحب الا أن يكون كل شيء واضح ..؟

الى اللقاء .. الى اللقاء .. ؟

الفصـــل الثانى والخمسون

وعم السرور كل أصدقاء مسز ويستون .. وخاصة « ايما » .. فلقد قامت سالمة من الوضع .. ومرت الأزمة بسلام .. وأصبحت اما لطفلة صغيرة وكانت فرحة ايما كبيرة .. لأنها كانت تريد أن تكون هنـــاك « مس ويستون » وقد كان .. واصبحت هناك طفلة جميلة تدعى « مس ويستون » .. ؟

ولم تكن فرحتها لأنها سوف تعود فى المستقبل .. الى لعبتها المفضلة .. فتزوج الطفلة من أحد ولدى ايزابيلا .. لا .. لا .. ولكنها وجدت تناسب كل من الأم والأب .. والأم على وجه الخصوص نعم .. ستكون مبعثا للسرور والراحة .. لمستر ويستون حينما يتقدم به العمر .. ولمسز ويستون عندما تتقدم بها السنوات العشر الأخيرة .. وتجلس بجوار مستر ويستون بجانب المدفأة .. وتشاركه العابه ومســـز ويستون بالطبع .. ولاشك .. فى أن الابنة دائما تكون لصـــيقة بالأم .. وحبيبة لهـــا .. ولا يمكن لأى أم ان تعلم ابنتها أفضل مما سوف تفعله مسز ويستون .. وايما تعرف ذلك حق المعرفة .. واستمرت ايما تقول :

ـــ لقد علمتنى أنا .. وجعلتنى أتدرب وأدرس مثل « البارونة دلمان » فى « الكونتس اوستالس » ومدام جيلتس فى « أديليد وثيودور » .. وأننا الآن سوف نرى تعليمها للصغيرة أديليد .. وقطعا .. سيكون بتخطيط رائع .. ؟

أجاب مستر نايتلى :

ـــ بالطبع .. هذا ما سوف يكون .. ولكنها سوف تساعدها .. وتسامحها أكثر ما كانت تسامحك أنت .. وهى فى أعتقادها .. أن هذا ليس تسامحا .. لأنها أم .. وهذا هو الفرق الوحيد بينكما .. ؟

صاحت ايمـــا :

ـــ يا للطفلة المسكينة .. لهذا الحد .. وماذا سيحدث لها اذا ؟

ـــ لا شىء .. لا شىء بالطبع .. ليس بالشىء الردىء .. فانها سوف تعيد تصحيح نفسها .. عندما تكبر .. اننى سوف أشعر بمرارة كبيرة نحو الأطفال المدللين .. ؟

— عزيزتى ايما ·· سوف تسامحينى ·· عندما أكون قاسيا عليهم ؟

وضحكت ايما وهى تجيب :

— ولكن ·· ربما لا تعلم ·· أن الطبيعة قد حبتنى بطبيعة متسامحة ومسامحة لكل الناس ·· ولا أدى اذا ما كانت هذه الطبيعة سوف تكون دائما هكذا ·· ؟

— أنت ·· فعلا ·· انا لا أشك فى هذا ·· لقد أعطتك الطبيعة فهما ·· ووعيا ·· ومس تايلور غرزت فيك الثقة والمبادىء والمثل ·· والقيم ·· وأنت تتصرفين تصرفا ·· سليما ·· وأنا لا أعرف ماذا قدمت اليك ·· اننى لا أعتقد اننى قد أعطيتك أى شىء ·· ولا أفدتك بأى شىء ·· ان كل شىء حسن ·· كان منك لى أنا الذى جعلتك أملى وفكرى ·· وكنت لى نورا أضاء كل حياتى ·· وأنا لم اقدم لك شيئا ·· ولم أظهر لك أى شىء ·· لقد أحببتك منذ كنت فى الثالثة عشر من عمرك تقريبا ·· ؟

قالت ايما :

— اننى متاكدة من أنك كنت مفيدا لى حقا ·· لقد كنت دائما أتصرف التصرف السليم بتأثيرك أنت ·· تصرف ما كنت أتصرفه لولا توجيهك وتأثيرك ·· واذا ما كانت الطفلة ·· « أنا ويستون » ستلاقى التدليل الذى سوف يفسدها ·· فانه سيكون دورك أنت لتفعل معها ما فعلته معى ·· لتصبح « سوية » وقويمة ·· ولكن هناك شىء واحد فقط ·· لا أريدك أن تفعله معها ·· ؟

وهو ·· الا تحبها ·· عندما تبلغ الثالثة عشر ·· ؟

— كم من المرات قلت لى ·· وأنت تنظرين الى بنظراتك الوقحة ·· مستر نايتلى ·· أننى ذاهبة ·· لافعل ·· كذا ·· وكذا ·· وكذا · بابا قال ذلك قال ذلك · « أو » لقد ذهبت مس « تايلور » شىء تعرفينه أنت ·· وأنا لا أوافق عليه ·· وفى مثل هذه الحالات ·· كنت دائما أتدخل ·· وأعطيك شعورين سيئين بدلا من واحد ·· ؟

— يا لى من مخلوقة ·· رائعة كنتها فى ذلك الوقت ·· لتحمل لى كل هذه الذكريات الحلوة ·· ؟

— مستر نايتلى .. مستر نايتلى .. انك دائما تنادينني مستر نايتلى وكان هذا النداء .. لا يسبب لى فى ذلك الوقت أى أذى .. أما الآن .. فانه يؤذينى .. ويبدو كنداء لاسمى .. ونداء رسمى .. وأنا لا أريد ذلك .. أريد منك أن تنادينى بأى اسم آخر .. ولكننى لا أعرف ما هـــو .. ؟

— أننى اتذكر .. باننى فى مرة ناديتك باسم « جورج » مرة من مرات شقاوتى .. المحببة اليك .. وكان ذلك منذ عشر سنوات .. وقد فعلت ذلك لأننى كنت أريد اغاظتك .. وبما انك لم تبد أى اعتراض .. فلم افعلها مرة ثانية .. ؟

— والآن .. هل يمكنك أن تنادينني باسم « جورج » .

— مستحيل .. مستحيل .. أننى لا يمكن أن أناديك بأى اسم آخر .. الا .. مستر نايتلى .. ولن أعدك باننى سوف اتبع تصرفات مسز ايلتون التى تناديك باسم مستر ك .. ؟

وأضافت ضاحكة ووجهها شديد الاحمرار من الخجل :

— ولكننى أعدك باننى سوف أناديك مرة باسمك أنت .. وأنا لن أقول متى .. ولكن ربما يمكنك التكهن .. أين ؟ فى المبنى الذى سوف ياخذ فيه ن. ك. الى مكان أفضل .. ؟

ولم تكن ايما فى أى وقت أكثر صراحة منها فى هذه اللحظة .. كانت تود أن تصارحه بكل ما فى نفسها دون ما اظهار بلاهة الأنثى .. فى بعض احيان .. تريد أن تتناقش معه فى مواضيع كثيرة .. وخاصة .. موضوع « هارييت سميث » انها لا تقدر أبدا أن تدخل فى هـــذا الموضوع .. ومع أنه ذكر مرارا فى لحظات خاطفة .. ولكنه كان هو الذى يذكر اسمها .. ويقول لها .. انها لم تعد تفكر فيها .. وفعلا .. فانه كان يجب أن يكون هناك اهتمام أكثر .. وخطاباتهما أصبحت نادرة .. الا أن ايزابيلا قامت بهذا الدور خير قيام .. وكان الألم الذى تشعر به من نحوه .. لعدم مصارحته بالموقف .. أقل من الألم الذى تشعر .. هى نفسها لكونها السبب الأول فى تعاسة هارييت سميث .. وقد أرسلت ايزابيلا كمية كبيـــرة من الخطابات .. وبيانات عن زائرتها أكثر من

المتوقع منها ٠٠ فى البداية ٠٠ اعتقدت أنها فى غير حالتها الطبيعية ٠٠ وعزت ذلك الى آلام أسنانها ولكن بعد أن زاروا طبيب الأسنان ٠٠ وتم علاجها بقيت هارييت على حالها ٠٠ فلم تكن تلعب مع الأطفال كعادتها ٠٠ ولكنها تدريجيا ٠٠ ستعود الى حالتها الطبيعية وقد هدأت هذه الأنباء من توتر أعصاب ايما ٠ ٠وخاصة عندما علمت أن هارييت سوف تمكث شهرا بطوله بدلا ٠٠ من أسبوعين فانه تقرر أن تحضر عائلة مستر جون نايتلى فى أغسطس ٠٠ على هذا الأساس فان هارييت سوف تمكث معهم ٠٠ وتعود معهم ٠٠ أيضا ٠٠ ؟

قال مســتر نايتلى :

— انظرى الى رد جون ٠٠ أنه حتى لم يذكر اسم صديقتك ٠٠؟

— لقد كان ردا لخطاب شقيقه عن عزمه الزواج ٠٠ وقد اشتاقت ايما أن تعرف هذا الرد ٠٠ بحيوية وانفعال ٠٠ ودون ما صبر ٠٠ تريد أن تعرف رأيه ٠٠ وتعليقاته على هذا الزواج ٠٠ وقد اشتقات ايما ٠٠ أن تعرفه ٠٠ حتى أنها لم تهتم بانه لم يذكر اسم هارييت ان كل همها كان فقط معرفة تأثير خبر الزواج عنده ٠٠ ؟

استمر مستر نايتلى فى حديثه قائلا :

— ان جون يتداخل فى سعادتى ٠٠ مثل أى أخ آخر ٠٠ ولكنه غير مجامل ٠٠ واعتقد أننى أعرفه جيدا ٠٠ أن أى سيدة ٠٠ عندما ترى كتاباته الباردة ٠٠ سوف تصعقها كلماته ٠٠ فانه أبدا لا يمتدح امرأة ٠٠ وعلى كل حال ٠٠ فأنا لست أخى ٠٠ ؟

اجابت ايما عندما قرأت الخطاب :

— انه يكتب مثل رجل رقيق حساس ٠٠ واننى أحتــــرم واقدر اخلاصه فى التعبير ٠٠ ان كل التعبير الحسن عن الخطبة ٠٠ فى صالحى ٠٠ولكن ٠٠ هل يعتقد أنه يعنى أى شىء آخر ٠٠ أو تعليمات مختلفة ٠٠؟

— يا حبيبتى ايما ٠٠ أنه لا يعنى شيئا ٠٠ أنه فقط يقصد ٠٠؟

وقاطعته ايما بابتسامة جادة :

— هو وانا ٠٠ نختلف كثيرا جدا ٠٠ فى هــــذا الأمر ٠٠ أنه منزعج ٠٠ من أننا يمكننا أن نتزوج دون ما احتفال ٠٠ ؟

ـــ أوه ٠٠ ايما ٠٠ حبيبتى ٠٠ ؟

صاحت ايما :

ـــ اذا ما كنت تريد اخاك أن يعمل بى معــــروفا ٠٠ دعه فقط ينتظر حتى يعرف أبى هذا السر ٠٠ ثم بعد ذلك ٠٠ أعرف رايه ٠٠ انه يعتقد أن كل سعادتنا تتوقف عليه هو ٠٠ وعلى رضائه ٠٠ بهذا السؤال الذى سألته له ٠٠ أننى لا أريد أن أصبح فى نظره ٠٠ وقوله ٠٠ المسكينة ايما ٠٠ المسكينة ايما ٠٠ وأرجو الا يتمادى فى اظهار مشاعره البائسة ٠٠؟

صــاح هو :

ـــ آه ٠٠ أننى أتمنى أن يكون والدك مقتنعا بنا وبزواجنا ٠٠ وبسعادتنا ٠٠ نصف اقتناع جون ٠٠ فانه يعرف تماما ٠٠ باننا سوف نسعد سويا ٠٠ اننى يا ايما ٠٠ سررت جدا بفقرة واحدة من خطاب جون ٠٠ هل لاحظتينها ٠٠ أنه يقول ٠٠ أنه لم يندهش لهذا الخبر ٠٠ فانه كان دائما يتوقع خبرا من هذا النوع ٠٠ ؟

ـــ آه ٠٠ اذا ما كنت افهــــم اخاك ٠٠ فانه يعنى ٠٠ بأن فكرة الزواج تراودك من زمن ٠٠ وأنه كان يتوقع أن يسمعها بين لحظة ٠٠ وأخرى ولكن ٠٠ لست أنا ٠٠ فأنه يبدو بأنه لم يكن مهيئا له ابدا ٠٠ ؟

ـــ نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكنه يبدو أنه متعمق تماما ٠٠ فى مشاعرى ٠٠ أما عن حكمه على ٠٠ فاننى لست قلقا من هذه الناحية ٠٠ فان اية أسئلة أو محادثة ٠ فهذا شيء ليس بذى بال ٠٠ فانهم يعرفون تماما ٠٠ حكمى الصائب على الأشياء ٠٠ ولكن ٠٠ما يقلقنى ٠٠ هو ذلك التغيير الذى بدا منى فى زيارتى الأخيرة لهم ٠٠ فلم أكن كما تعودوا ٠٠ حتى أننى لم ألعب مع الأطفال ٠٠ كالعادة ٠٠ وأننى أتذكر أنه فى مساء يوم ٠٠ صاح الأطفال « آه ٠٠٠ ان عمى يبدو متعبا فى هذه الأيام ٠٠ ؟

وأتى الوقت ٠٠ الذى يجب أن تنتشر فيه مثل هـــذه الاخبار ٠٠ واستقبال الزائرين ٠٠ وكان أولهم مسز ويستون ٠٠ التى تمالكت صحتها ٠٠ واسرعت الى مستر وود هاوس لتشارك فى هذه المناسبة ٠٠ لقد عرفت الموضوع من « ايما » ٠٠ ولكن ٠٠ الآن ٠٠ كيف يمكنها أن تنقله الى والدها ٠٠ الى مستر وود هاوس هذا هو الموضوع ٠٠ هل يمكن أن تعلنه

الآن ‥ فى فترة غياب مستر نايتلى ‥ أو عند ما تصل الى نهاية اتمام الموضوع ‥ ربما لا يطاوعها قلبها ‥ لا يجب أن تضع له نهاية الآن ‥ ‥ فعلا ‥ لقد كانت مرغمة على الكلام ‥ والكلام بفــرح وبهجة ‥ وانشراح ‥ فانها أبدا لا يجب أن تجعله يشعر بالتعاسة والألم ‥ لايجب أن يصدمه هذا الخبر ‥ يجب الا تظهر بمظهر المغبون ‥ أو عديم الحظ ‥ وابتدأت تعد لهذه اللحظة الحاسمة لقد جعلته يســتعد لسماع شىء عجيب ‥ ممتع ‥ مذهل ‥ رائع ‥ وهى تثق تمام الثقة ‥ أن هذا الشىء سوف يضفى عليه مزيداً من البهجة والحبــور ‥ انها خطة أو مشروع للسعادة ‥ وقد قصدت هذا المشروع بالذات لأنه شىء تعود عليه ‥ وأحبه ‥ ولا يمكنه أن يستغنى عنه ‥ فى حياته ‥ هذا الموضوع هو « مستر نايتلى » ‥ وبالطبع ‥ ان حبه لمستر نايتلى ‥ الذى يحبه ‥ حبه لبناته ‥ وحبه لمسز ويستون التى يحبها أكثــر من أى مخلوق فى الاعلم ‥ لذا ‥ ولأجل خاطره هو ‥ ولأجل ســعادته ‥ فانها قد فكرت فى هذا المشروع ‥بحيث يمكن أن تضــمن راحته ‥ وسعادته ‥ ومتعته بطريقة مريحة ‥ وجميلة ‥ ولهذا السبب فقط ‥ فانها قد قررت أن تتزوج مستر نايتلى ‥؟

يا للرجل المسكين ‥ ويا لبؤس الصدمة التى لم يتمكن من استيعابها أو فهمها أو هضمها ‥ أو حتى تصديقها فى بادىء الأمر ‥ ثم بعــد فترة ‥ وفترات تمكن من تركيز ذهنه ‥ وتمكن من أن يتكلم ‥ ؟

لقد بدأ يذكرها بوعدها السابق ‥ وباصرارها السابق ‥ على عدم الزواج ‥ نهائيا ‥ وهو بالفعل ‥ يؤكد لها ‥ أن بقاءها هكذا ‥ بدون زواج ‥ أفضل ألف مرة من الزواج ‥ وأخبرها عما أصاب المسكينة ايزابيلا ‥ والمسكينة مس تايلور ‥ ؟

وتعلقت ايما برقبته فى حب ‥ وقبلته بكل حنان ‥ وهى تبتسم ‥ وقالت له ‥ بأن هذا لابد وأن يكون لمصلحته هو فقط ‥ وأن كل تفكيرها ‥ كان فيه هو ‥ لكى تضمن بقاء هنائه ‥ وأنه لا يجب أبدا ‥ أن يشبهها بايزابيلا ‥ أو مس تايلور ‥ فانهما غادرتا هارتفيلد وبعدتا عنه ‥ اما هى ‥ ابنته ‥ حبيبته ‥ فانها أبدا ‥ لن تتركه

٠٠ ولن تهجره ٠٠ ولن تبعد خطوة واحدة عن « هارتفيلد » ٠٠ انها سوف تعيش وتحيا فى هارتفيلد ٠٠ معه ٠٠ معه هو وحده ٠٠ ؟

لن تتحرك ٠٠ ولن تنتقل ٠٠ ولن تترك والدها ٠٠ حبيبها ستكون دائما أبدا هناك ٠٠ لقـــد فكرت فى ذلك ٠٠ حتى لا يتغير عـــدد ٠٠ المجموعة التى اعتادت على قضاء الليالى الهادئة ٠٠ والممتعة فى هارتفيلد ٠٠ انها قصدت الا تحرمه من هذه الصحبة التى يحبها ٠ ٠ويرتاح اليها ٠٠ وانها متأكدة تمام التأكيد ٠٠ من أن سعادته تزداد وتزداد ٠٠ عندما يجد أن مستر نايتلى دائما تحت يده ٠٠ وأمامه ٠٠ ورهن اشارته فى كل وقت ٠٠ من أوقات الليل والنهار ٠٠ لأنه يعيش ٠٠ ويتنفس ويأكل معه ٠٠ بل معهما ٠٠ ؟

وهنا ٠٠ وبعد كل هذه المقدمات ٠٠ ابتدأ مســـتر وود هاوس فى الاقتناع بالفكرة ٠٠ ثم ليعيشها ٠٠ ثم ليتساءل عنها ٠٠ ؟

وأستمرت ايما فى تركيز تشبعه بهذا الموضوع ٠٠ « هل لم يحب مستر نايتلى ٠٠٠ انه يحبه كثيرا جدا ٠٠ وأنه بالطبع ٠٠ لا ينكر حبه الشديد له ٠٠ وهى متأكدة من أنه يرغب فى استشارته فى كل وقت ٠٠؟

هيه ٠٠ من الذى تستشيره دائما ٠٠ أليس مستر نايتلى ٠٠ من الذى كان دائما مفيدا له ٠٠ خادما له ٠٠ أليس مستر نايتلى ٠٠ مساعدا له ٠٠ مشاركا له ٠٠ أنه مستعد دائما لكتابة خطاباته ٠٠ أليس هو الذى يبدو دائما سعيدا لمساعدته وتلبية كل رغباته ٠٠ أليس هو دائم الحبور والمرح ٠٠ وملتصـــق به كل الالتصـــاق اليس هو حبيب العـــائلة ٠٠ ومستشارها ٠٠ وصديقها أليس هو كل المجتمع ومن المجتمع الذى يحبه ٠٠ ويجده دائما بجواره ٠٠ ورهن اشارته ٠٠ ؟

ـــ آه ٠٠ فعلا ٠٠ فعلا ٠٠ ان كل ما تقوله ابنتـــه هو حق ٠٠ وهى على حق فيما تقول ٠٠ ان مســـــتر نايتلى لا يتواجد دائما فى هارتفيلد ٠٠ وفى أحيان كثيرة يتمنى أن يجده ٠ ٠ولكنه لا يجده ٠٠ وهو سعيد ٠٠ سعيد جدا بل شديد السعادة ٠٠ ليراه كل يوم ٠٠ ولكنه مع ذلك ٠٠ يعود ليقول مؤكدا أكثر ٠٠ بأنه حاليا ٠٠ ودائما يراه كل يوم ٠٠ فماذا من جديد ٠٠ وما هذا الذى سوف يفعلانه ٠٠ ؟

ولم يعد مستر وود هاوس لسابق راحته وهنـــائه ٠٠ لقد شابت سعادته شائبة ٠٠ وغامت سحابة قاتمة أمام عينيه ٠٠ ولكن على أى حال ٠٠ لقد تمكنت من توصيل الفكرة اليه ٠٠ وهذا هو أهم ما فى الموضوع ٠٠والزمن كفيل باقناعه ٠٠ واقتناعه ٠٠ ؟

وكان على مستر نايتلى ٠٠ الدور المهم فى استقرار هذا الموضوع ٠٠ واشباع مستر وود هاوس ٠٠ وتشبعه به ٠٠ فكان يتحدث معه فى الجلسات الليلية ٠٠ ويتناقش معه فيما يمكن عمله ٠٠ فى هذه المناسبة حتى جعله يعتاد على الفكرة ٠٠ بحيث لم تعد تبدو أمامه شبحا مفزعا رهيبا ٠٠ مخيفا يفزع منه ٠٠ بل أصبح شـيئا مفــرحا يرحب به ٠٠ وينتظر حدوثه ٠٠ أما ايزابيلا ٠٠ فقد قدمت كل امكانيات مساعدتها بالخطابات ٠٠ ومستر ويستون ٠٠ كان أول من أضاءت الفكرة قلبه ٠٠ وأمتعته ٠٠ من أول مقابلة ٠٠ ومن أول مرة ٠٠ وقابلها بفرح واستبشار ٠٠ واعطى توصياته وقدم تهنئة لمستر وود هاوس واجمع الكل لمستر وود هاوس على أن هذا الموضوع لم يعمل الا لأجـل ســعادته ٠٠ هو وهناءه الشخصى هو ٠٠ وكان هو ٠٠ وهو وحده ٠٠ محور التفكير فى تنفيذ هذه الخطة ٠٠ التى أختيرت خصيصا لاتمام هناءه العائلى بنفس المجموعة ٠٠ الحبيبة اليه ٠٠ والى قلبه ٠٠ والى مزاجه ٠٠ وأصبح هو ٠٠ يستشير كل من يقابله ٠٠ أو يزوره ٠٠ وكان التأكيـد التام بنجاح هذه الفكرة ٠٠ على أى حال ٠٠ يمكن تأجيل الفرح ٠٠ أو ٠٠ أو ٠٠ ان مستر وود هاوس دائما ٠٠ لا يقنع ٠٠ أو لا يقتنع ٠٠ بأية فكرة ٠٠ فيها تغيير لحياته بسهولة ٠٠ بلا لابد لها من الوقت الكافى ٠٠ حتى يعتاد عليها ٠٠ ؟

وكان دور مسز ويستون كبيرا جدا ٠٠ فى هذا الموضوع ٠٠ انهــا فى أول الأمر ٠٠ قابلت الخبر بدهشة شـــديدة ٠٠ فلم تكن هنــاك أية مقدمات تنبىء عن وقوع مثل هذا الشىء ٠٠ ولكنها الآن ترى أن فى هذا ازدياد لسعادة العائلة ٠٠ وانها تستعجل اتمام الزفاف ٠٠ وهى فى قراره ٠٠ نفسها ومشاعرها تحمل شعورا جميلا ٠٠ محبا ٠٠ مقدرا ٠٠ لشخصية ٠٠ مستر نايتلى ٠٠ وترى أنه فعلا يستحق حبيبتها ايما ٠٠ وهـــذا الارتباط مناسب تماما ٠٠ وموافق لكل ٠٠ الرغبــات والاهواء ٠٠ أنه

ارتباط موفق .. وايما محظوظة .. وسعيدة الحظ لهذه الزيجة الرائعة .. فانه لم يكن من السهل على ايما أن ترتبط بأى مخلوق لنزعتها الاستقلالية .. وتفكيرها المستقل .. ومستر نايتلى .. الشخص الذى تحبه .. وتحترمه ايما .. وهو الوحيد الذى يمكن لايما أن تنظر اليه بالعين المفروض النظر بها .. الى الزوج .. وهى تعتقد بأن هذا الموضوع .. قد تأخر كثيرا .. وكان يجب أن يأخذ مكانه منذ زمن بعيد؟

«من من الرجال فى مثل مركز وعظمة .. ومكانة .. وثروة مستر نايتلى .. كان يمكن أن يستحق ايما .. ومن مثل مستر نايتلى كان يمكن أن يتحمل مزاج .. مستر وود هاوس الرقيق المتقلب .. مستر وود هاوس .. الذى كان لا يمكن أن يفكر .. أو يسمح بزواج حبيبته « ايما » .. لا أحد سوى « مستر نايتلى » .. يرتاح اليه مستر وود هاوس .. أو يرضى به بديلا .. فهناك مثلا :

« كيف كان يمكن ترتيب زواج ايما .. وفرانك تشرشل .. كيف كان ممكن التوفيق بين انسكومب .. وهارتفيلد .. ؟

وكانت هناك .. مشاكل .. وصعوبات .. تحول دون زواج ايما .. الزواج المتكافىء .. المناسب .. المريح .. لكل الاطراف .. أن زواجها من مستر نايتلى .. وموافقته على الحياة فى هارتفيلد .. لهو أروع زواج .. وحل يرضى جميع الاطراف .. وكانت مسز ويستون تحمل هم زواج « ايما » .. والآن هى الراحة .. الراحة والهناء والرضاء .. والفرح للحبيبة ايما .. ؟

وجلست مسز ويستون والطفلة على ركبتيها .. مثل للسعادة والأمومة .. وتنعكس عليها .. أضواء فرح داخلى .. يعلن عن نفسه .. ويصيح بأعلى صوته بانها أسعد امرأة فى العالم .. ؟

وبانتشار الخبر .. كان يقابل بكل دهشة من كل من يسمعه .. كما قابله مستر ويستون .. ولكن بعد سماعه .. يقتنع به كل شخص .. ويوافق عليه .. ويفرح تماما .. كما كان الحال مع مستر ومسز ويستون .. ومستر ويستون خاصة .. الذى تأقلم به بعد خمس دقائق من سماعه .. وكما حبذت الفكرة زوجته .. حبذها هو أيضا .. ووجد انها زيجة

.. كلها .. ميزات وفوائد .. وقال أنه فى قرارة نفسه . كان يشعر بان هذا لابد وأن يحدث .. ثم قال :

— ان كل شىء فى البداية .. يكون سرا .. وكل زيجة أو خطبة يقولون عنها أنها سرية .. ولكن بعد ذلك .. نجد أن كل فرد يعرفها .. وانها معروفة ومنتشرة .. ولا سر هناك .. الا مع صاحب الزيجة نفسه .. ولكننى الآن أتعجب .. وأتساءل .. هل عند جين اية فكرة .. ؟

وذهب هو بنفسه الى « هايبرى » فى اليوم التالى واقنع نفسه بكونه أول رجل ينقل هذا الخبر المذهل .. ؟

وأخبرها سريعا بالموضوع .. أليست هى مثل ابنته .. ابنته الكبرى .. اذا يجب أن يخبرها .. وكانت مس بيتس حاضرة .. وفى أقل من لمح البصر .. اجتمعت المجموعة المعتادة .. لينقل الخبر سريعا .. بين مس بيتس .. ومسز كول .. ومسز بيرى .. ومسز ايلتون .. وكالعادة .. فى كل هذه المجتمعات .. كان هناك ترقب .. وفرح .. وتوقع وأمل .. واستعداد .. وتفكير فى ملابس .. وترتيبات .. واحتفالات هذا اليوم الموعود .. وعلى العموم .. وباجماع الاراء .. فانها كانت زيجة مقبولة .. ومستحبة .. وباعثة لكل الفرح والسرور .. وكان البعض يعتقد انها هى .. ايما .. المحظوظة .. وأن قدرها قد أعطاها حظا كبيرا .. والبعض الآخر على العكس .. يؤمن بأن مستر نايتلى انسان محظوظ .. ليحظى بزوجة مثل « مس وود هاوس » .. وكان هناك أيضا تساؤل آخر .. ودهشة من نوع آخر .. هى .. « الأبرشية » .. قال مستر ايلتون :

— آه .. اننى دائما .. أعرف .. ودائما كنت أعرف أن طموح .. « مس وود هاوس » كان يجعلها تتطلع الى هذه المكانة .

ولكن عندما علم انها لن تعيش فى الأبرشية . وان حياتهما المقبلة .. ستكون فى « هارتفيلد » .. فانه صمت .. ولم يتمكن من التعليق على هذا الموضوع .. ؟

ولكن مسز ايلتون .. وجدتها فرصة لتصيح :

— آه .. يا للمسكين « نايتلى » .. يا للفتى البائس هذه نهاية

لكل الاستمتاعات والاحتفالات .. واللقاءات معه .. ان كل شيء سوف ينتهي .. نايتلي الكريم المضياف .. أوه .. آه .. يالمزاياه الحلوة وخصاله الحلوة .. ان عنده آلاف وآلاف من الصفات الحلوة .. كيف يمكن أن نحرم من كل هـــذا .. كيف يمكن أن يدفن .. ويســـجن .. ويغلق عليه في هارتفيلد .. ؟ آه .. مسكين نايتلي .. هل تعتقد أنه .. أنه يحبها .. لا .. لا أظن ذلك .. سيكون هذا نهاية لمقابلاتنا معه . .. لا رحلات استكشافية ولا ضيافة ولا حفلات في « دونويل » .. لن يكون هناك الا « مسز نايتلي » التي تلقى ماء باردا على كل هذا .. شيء مقيت .. شيء غير مقبول .. شيء مزعج .. ولكنها لا يجب أن تقلق .. آه .. هناك في مابل جروف كانت تسكن عائلة .. وقد خطبت ابنتها .. وكانت الاستعدادات تسير على قدم وساق .. ثم .. وفي لمح البصر .. ودون أي توقع .. فسخت الخطبة .. ؟



الفصـل الثالث والخمسون

ومر الوقت سريعا ·· ولم يتبق الا بضعة أيام ·· لوصول المجموعة الزائرة من « لندن » ·· قطعــا ـ سيكون التغيير مثيرا ·· وايما فى حيرة من أمرها فى كيفيــة التصرف ·· كان التوتر يعصرها ·· حين اخرجها من أزمتها ·· وصول مستر نايتلى ·· وهــزتها الفرحة ·· وانتظرت حديثه ·· ولكنه ·· ظل صامتا لفترة ·· وبعد حين ·· وفى نغمة جادة ·· وأسلوب رصين ·· ابتدأ يتكلم ليقول :

ـــ ايما ·· عندى شيء لك ·· بعض الأخبار أريد أن أقولها لك ··· ؟

واجابته بسرعة ·· وهى ترفع عينيها ·· وتعمن النظر فى وجهه

ـــ أخبار حسنة ·· أو سيئة ·· هيه ·· ؟

أنا لا أعلم بماذا أسميها ·· أو أعرفها ··؟

ـــ آه ·· حسنة بالطبع ·· حسنة ·· أنا متأكدة من ذلك ·· أن هذا يبدو من ملامحك ·· ولكنك تحاول أن تخفى ابتسامتك ·· ؟

قال ·· وهو بالفعل يخفى انفعاله ·· ؟

ـــ أننى فى الحقيقة ·· أخشى يا عزيزتى ايما ·· من انك ·· حين سماعها ·· لن تبتسمى ·· ولن تفرحى هكذا ·· ؟

ـــ ولكن لماذا ·· أنا لا أتخيل الا ·· أن ما يفرحك ·· يفرحنى وما يحزنك يحزننى ·· ؟

اجــاب هو :

ـــ أنه موضوع واحد ·· أعتقد أننا لا نشترك فيه ·· واطرق لحظة ·· ثم ركز عينيه فى عينيها ·· وابتسم ابتسامة عريضة ·· وقال:

ـــ شيء يهمك بالطبع ·· هل مازلت تذكرين هاريت سميث ؟

واحمرت وجنتا ايما·· عند سماعها هذا الاسم·· وشعرت بالخوف من شيء لا تدرى ما هو ·· ؟

صـــاح :

هل سمعت منها بنفسك كل شيء فى هذا الصباح ·· نعم ·· نعم ·· أعتقد بانك تعرفين الموضوع كله ·· ؟

— لا أعرف .. لا أعرف .. لا أعرف شيئا .. ارجــوك .. أخبـرنى .. ؟

— اذا .. استعدى لاسوأ خبر تنتظرينه .. ؟

— خبر مؤلم جدا .. وهو : أن هارييت سميث .. سوف تتزوج .. روبرت مارتن .. ؟

وأجفلت ايما .. أنه شىء لم تكن مستعدة لسماعه .. ولمعت عيناها .. ورقص قلبها فرحا .. وطربا .. وهناء .. وقالت فى نفسها .. وشفتيها مضمومتين :

— « هذا مستحيل ... مستحيل ... مستحيل » ... ؟

واضاف مستر نايتلى حين لم يسمع منها ردا :

— هذا خبر حقيقى .. صدقينى .. لقــد عرفته من روبرت مارتن نفسه .. لقد كان معى منذ نصف ساعة فقط .. ؟

وكانت ماتزال‌شاخصة اليه بعينيها..ووجهها ينطق بالمتعة والفرح.

وذهل هو .. واستمر يقول بدهشة شديدة :

— ايما .. لقد احببت هذا الخبر .. هيه .. لقد كنت متخوفا منك .. ومن القائه عليك .. لم أكن اتخيل أنه سوف يسعدك هكذا - لقد كنت أود أن تكون آراؤنا .. دائما متفقة .. ولكننا دائما .. نفــكر بطريقة مختلفة .. ولكن الوقت سوف يجعلنا نفهــم بعضنا بعض .. ونفكر نفس التفكير .. ؟

وحتى يأتى هذا الوقت.. فليس لدينا أى حديث عن هذا الموضوع:

اجابت ايما .. بتأكيد تام :

— انك مخطىء .. مخطىء تماما .. انها ليست الظروف التى تجعلنى غير سعيدة .. ولكن .. لأننى لا أصدق .. نعم . لا أصدق.. أنه يبدو مستحيلا تماما .. ولا يمكن أن تقصد ما تقول .. هل تقول .. أن هارييت سميث قد قبلت الزواج من روبرت مارتن .. ربما تقول .. بأن روبرت مارتن قد اقترح عليك هذا الموضوع مرة ثانية .. ولكنك لابد وأنك تقصد .. بانه قد عزم على أن يفتح معها الموضوع مرة ثانية .. ؟

اجاب مستر نايتلى بابتسام .. ولكن بحزم وتصميم :

ـــ أنا أعنى ·· بانه قد فعل فعلا ·· وطلب يدها فعلا وقــد قبلته ·· فعلا ·· ؟

صرخت ايمـا :

ـــ يا الهى ·· آه ·· آه · ·هذا شىء جميل ·· جميل ·· ؟

ثم لتخفى انفعالاتها وفرحها الزائد عن كل حد ·· أخفت وجهها فى سلة أشغالها · ·وبدت منهمكة فى فك الخيوط ·· حتى لا ترفـــع نظرها ·· وتفضح مشاعرها ·· ولكنها كانت تعلم بانها يجب أن تتكلم ·· فتكلمت :

ـــ حسن ·· حسن جدا ·· والآن قل لى كل شىء ·· كل شىء بالتفصيل ·· أوضح ·· كيف كان ·· ومتى ·· وأين ·· دعنى أعرف كل شىء ·· أننى مندهشة ·· ولكننى سعيدة أننى أؤكد لك ·· باننى سعيدة ·· لاننى كنت أعتقد بأن هذا من المستحيل حدوثه ·· ؟

ـــ هى حكاية بسيطة جدا ·· لقد ذهب الى المدينة لعمل ·· منذ ثلاثة أيام ·· وكنت قد كلفته بتوصيل بعض الأوراق لجون فى مكتبه ·· وطلب منه جون أن يلحق بهم فى سهرة من مســـاء اليوم نفسه فى « أستلى » وكان فى عزمه أن يأخذ معه الولدين الكبيرين ·· وكانت المجموعة تتكون من أخى واختى ·· وهنرى وجون ·· ومس سميث ·؟

ولم يعارض صديقى روبرت ·· واستمتع كثيرا بصحبتهم ·· وطلب منه أخى جون ·· أن يتناول معهم طعام الغذاء فى اليوم التالى ·· وفعل وكما فهمت أنه فى هذه الزيارة ·· بعد فرصة للحديث مع هارييت ·· وقطعا لم يكن الحديث بلا فائدة ·· ؟

وكانت موافقتها لطلبه ·· مفاجاة ·· مذهلة له ·· وفرصة يستحقها روبرت فعلا ·· وقد حضر أمس ·· وقابلنى اليوم ·· وقص على كل الموضوع ·· وكان هذا بعد الافطار مباشرة ·· وكانت مقابلته لى ·· أولا ·· بخصوص شئونى ·· وأوراقى ·· وموضوعاتى ·· وثانيا فى هذا الشان ·· وهذا هو كل ما يمكننى أن أقدمه لك من أخبار ·· عن متى · وكيف ·· وغير ذلك ·· وصديقتك هارييت ·· سوف تقولى لها كل أخبارك ·· بكل التفاصيل ·· عند حضورها ·· حيث لا يتقنها الا

المرأة ·· ولكن من جهتى أنا ·· فيمكننى أن أقول ·· أن قلب روبرت مارتن ·· كان يرقص طربا ·· واخبرنى أيضا ·· انهم عندما ذهبوا الى « استلى » ·· اهتم أخى بمسز جون نايتلى ·· والصغير جون ·· أما روبرت مارتن ·· فكانت مسئوليته الاهتمام بمس سميث وهنرى ·· وهذا بالطبع ·· لراحة مس سميث ·· ؟

وتوقف عن الكلام ·· ولم تجرؤ ايما أن تجيب باجابة سريعة ·· يجب أن تتكلم كلاما مقنعا ·· ولكنها لشدة ذهولها ·· ودهشـــتها ·· وفرحتها ·· ايضا ·· لم تتكلم ·· وخافت أن يعتقد أنها مجنونة ·· وطال الصمت ·· ؟

وايما لا يمكنها أن تستجمع شتات أفكارها ·· حتى أنه قال أخيرا ؛

— ايما ·· يا حبى ·· لقد قلت بأن هذا الحدث قطعا لن يجعلك تعيسة ·· ولكنه كما أرى ·· قد أعطاك مزيدا من الألم ·· لا يمكنك تحمله ·· أنا أعتقد أنك لا تنظرين اليه ·· نظرة حســـنة ·· ولكننى أوكد لك ·· بانك عندما تعرفينه ·· سوف ترين أنه انسان طيب ·· عنده شعور نبيل ·· وقلـــب كبير ·· ومبادىء قويمة ·· وكل هـــذا بالطبع ·· سوف يسعدك ·· ومكانته فى المجتمع ·· لا بأس بها · انك تهزأين من وليام لاركنز ·· ولكننى لا أرى أن تهزأى من روبرت مارتن ؟

وكان يريدها أن تبتسم ·· ولكنها لم تبتسم فقط ·· بل اجابت بمرح كبير :

— أننى لم أشعر بأى ألم من هذه الخطبة ·· بالعكس ·· أنا سعيدة ·· والسعادة ·· تجعلنى أصدقها · ·انها شىء مذهل بالنسبة لى ·· وأنا أعتقد بأن هارييت قد فعلت فعلا طيبا ·· أعتقد أنه أفضل منها بكثير ·· فى الشخصية والاستعداد الطيب ·· أننى لم اتكلم من فرط الدهشة ·· انك لا تتخيل وقع هذه المفاجأة ·· على نفسى ·· لقد جاءت فى وقت لم أكن مهيأة فيه عليها ·· لأننى أعتقد انها أخيرا ·· كانت ضد التفكير فيه ·· أكثر من ذى قبل ·· ؟

أجاب مستر نايتلى :

— أنت بالطبع تعرفين صديقتك جيدا ·· ولكننى أقول ·· انها

كانت انسانة لطيفة .. وقلبها نقى رقيق .. وفتاة لها مثل هذه الصفات لا يمكن أن تكون ضد انسان يخبرها .. بانه يحبها .. ؟

ولم تتمالك ايما نفسها من الضحك .. وهى تجيب :

— صدقنى .. بانك تعرفها أكثر منى .. ولكن يا مستر نايتلى .. هل أنت متأكد تمام التأكيد .. من انها قد قبلته فعلا .. أعتقد أنه .. ربما بمضى الوقت .. يمكنها أن تتأقلم وتقتنع بالفكرة .. ولكن .. هل فعلا هى قد قبلته .. ؟

— لعلك لم تفهمه جيدا .. أو لعل هناك سوء تفاهم .. لقـــد كنتما .. انتما الاثنين .. تتكلمان فى مواضيع شـــتى .. أعمال .. مشاغل .. ولابد من انك فى زحمة هذه المواضيع قد أسأت فهمه .. ربما لم تكن هى « هارييت » وأنه كان يقصد أبعادا أخرى .. ربما عن أنواع من الثيران المشهورة .. ؟

وكانت ايما .. تنتظر رده بفارغ الصـــبر .. فان ذاكرتها قـــد استعادت .. شبح وتصرفات « روبرت مارتن » وكانت المقارنة ضرورية الآن .. بين الاثنين .. ؟

وهبت تباشير الفرح والسعادة .. بنسمات منعشة على روح ايما .. وهى تستعيد أيضا منظر هارييت .. وبجوارها .. «روبرت مارتن» ثم « مسز نايتلى » كان شريطا رائعا للذكرى .. وللقدر الذى رســم خيوطه .. بهذه الدقة .. ؟

صاح مستر نايتلىأخيرا وهو يوقظها من شريط ذكرياتها وتأملاتها:

— ماذا ..ماذا تقولين .. وهل بلغت بك الجرأة أن تعتبريننى مغفلا .. أو ذاهل العقل .. أو غبيا هكذا .. حتى لا أعرف ماذا يقصده الرجل .. والآن قولى .. قولى .. ماذا تستحقين من عقاب .. ؟

— أننى أستحق كل معاملة حسنة .. لأننى دائما أبدا لا أخلط بين الأشياء .. والأفعال .. والأقوال .. واضع كـــل شىء فى مكانه الطبيعى .. ولهذا .. فاننى أريد منـــك أن تعطينى جوابا صريحــا « واضحا » .. هل أنت متأكد تماما من الظروف الحالية التى تجمع بين مستر مارتن .. ؟ وهارييت .. ؟

اجابها بكل ثقة وتأكيد :

— متأكد تماما .. من أنه قد قال لى بانها قد قبلته .. وبأن كل شىء بينهما أصبح واضحا .. ولا يوجد أى ابهام أو شك .. أو سوء فهم .. فى كل كلمة نطق بها .. وقالها بل كانت واضحة صريحة .. مفهومة .. مؤكدة .. وأعتقد أنه الآن .. يمكننى أن أبرهن لك بأن كل هذا الكلام حقيقى .. وحدث فعلا .. وهو « أنه لا يعرف أحدا يمكنه أن يلجأ اليه .. لاعطائه البيانات والمعلومات الكافية عن هارييت الا مسز جودارد .. وسألنى .. عما اذا كان عندى أية معلومات تفيده .. بدلا من اللجوء الى مسز جودارد .. فاجبته .. بأنه ليس لدى أية معلومات .. وهنا قال بأنه سوف يمر عليها فى نفس هذا اليوم .. ؟

أجابت ايما . .بابتسامة مشرقة :

— اننى راضية تماما الآن .. وقلبى يتمنى لهما السعادة .. بكل اخلاص وحب .. ؟

— أوه .. ما هذا .. انك ولاشك قد تغيرت .. وتغير تفكيرك تماما عن ذى قبل .. عندما تكلمنا فيه .. فيما مضى .. ؟

— فعلا .. فعلا .. لقد تغيرت .. لأننى فى ذلك الوقت .. كنت بلهاء .. ؟

قال مستر نايتلى :

— وأنا الآن.. قد تغيرت..فاننى الآن .. لست كما كنت قبلا.. وأستطيع أن أقول لك .. باننى قد أدركت كل مزايا وخصال .. وأخلاق هارييت أما روبرت مارتن .. فاننى مازلت عند اعتقادى من تمتعه بكل الخصال الحميدة .. وأنه كان دائما وأبدا عاشقا لهارييت .. وقد عملت كل ما فى وسعى .. للتقريب بينهما .. وهى تستحق كل حياة كريمة .. وأننى أدرك ذلك .. واشكرك ايضا لذلك .. ؟

صاحت ايما :

— أنا .. تشكرنى أنا .. المسكينة هارييت .. انها راجعت نفسها .. وأخيرا .. وافقت على حظ ضئيل . .اقل كثيرا جدا مما تستحق .. ؟

وسرعان ما بترت محادثتهما .. لدخول والدها .. لم تكن حزينة

.. ولكنها كانت ترغب فى الانفراد بنفسها .. ان عقلها يتأرجح بين التعجب والدهشة بحيث كانت فى حالة من المستحيل عليها .. تجميع أفكارها وتركيزها .. فى هذا الخبر المفاجىء .. فكانت أيضا فى روح معنوية مرتفعة .. ان روحها هذه .. ترقص .. تغنى .. انها فى نشوة .. ما بعدها نشوة .. ؟

حالة غريبة .. دهشة وعجب .. فرح ونشوة .. توتر وقلق .. ثم ضحكت .. ورقصت ..؟

وهدأت .. انها أبدا لن تكون فى يوم من الأيام فى مثل هــــذه الحالة .. نعم لا شىء .. لا شىء فى الطريق .. كل شىء على مايرام ؟

ان والدها .. يريد أن تجهز العربة .. ويعلن جيمس بالاستعداد .. للتحرك .. فى حركتهما اليومية .. الى « راندالز » .. وهنا .. سبب كاف لها .. للاختفاء .. ؟

« الفرح .. العرفان بالجميل .. المشاعر الحلوة الجميلة .. أبدا لا يمكن أن يتخليها أحد .. هذه المشاعر كانت تعيشها ايما .. فى هذه اللحظة .. هذه الروح الحلوة .. هذه الخدمات .. هــــذه التضحيات التى تعمل على راحة « هارييت » .. هذا الفكر العاقل .. المدبر .. الرصين .. الأمين .. يعمل فى الخفاء .. ليضـــمن لها سعادتها .. واستقرارها .. ماذا .. ماذا كانت تتمنى أكثر من ذلك .. لا شىء .. لا شىء .. لا شىء لقد أدركت أخيرا انها لم تكن شيئا بدونه .. ولا أى شىء ... ؟

أنه دائما يمتاز عنها فى الحكم الصائب على الأمور والاشياء .. والاشخاص .. وماذا عنها هى .. لا شىء .. الا كل هذه الدروس التى اتضحت لها من غبائها الماضى .. لقـــد علمها الكثير .. من مراعاة للظروف والأشخاص .. وعلمتها التجربة التى مرت بها .. الفطنة .. والتيقظ .. والانسانية .. ؟

كانت فى الحقيقة .. جادة تماما فى شكرها .. وامتنانها لمستر نايتلى .. وأيضا لم يكن يمنعها أى شىء من الضحك .. الضحك .. الضحك .. وبل والاستمرار فى الضحك على هذه النهاية .. وعلى كيفية

اسدال الستار على هـــذه الترتيبات والمحاولات التى حاولتهـا لزواج هارييت ٠٠ ؟ وتعود بذاكرتها الى قبل هذا بخمسة أسابيع ٠٠ وماذا كان وقتها ٠٠ فى قلب « هارييت » ٠٠

والآن ٠٠ ماذا فى قلبها ٠٠ ستكون السعادة فيه ٠٠ دون شك ٠٠ عند عودتها ٠٠ كل شىء يدل على هذه السعادة ٠٠ وهى ايما ٠٠ يسعدها كثيرا ٠٠ ويمتعها أكثر ٠٠ أن تعرف روبرت مارتن٠٠أكثر٠٠وأكثر ٠٠؟

لقد عكس عليها مســـتر نايتلى انطباعاته ٠٠ عنه ٠٠ عظيم فى مكانته ٠٠ عظيم فى خلقه ٠٠ عظيم فى تصرفاته ٠٠ عظيم فى حبه ٠٠ أن هذه النظرة السابقة التى كانت تنظر بها اليه ٠٠ يجب أن تنتهى هذه النظرة المحتقرة ٠٠ البغيضة ٠٠ انها الآن ٠٠ تكرهها ٠٠ تكرهها ٠٠ كما كان يكرهها منها ٠٠ « مستر نايتلى » ٠٠ والآن ٠٠ يجب أن تعطيه حقه ٠٠ من الثقة ٠٠ الاحترام ٠٠ والحب ٠٠ وتكون على استعداد دائم للترحيب به ٠٠ باخلاص ٠٠ وصدق ٠٠ ؟

وجلست بجوار والدها فى العربة ٠ بكل ارتفاع معنوياتها وسعادتها ٠٠ ورضائها عن نفسها ٠٠ ولم تكن تصغى اليه بصفة دائمة ٠٠ بل هى موافقة على كل ما يقول ٠٠ وبصفة دائمة ٠٠ فى كلتـــا الحالتين ٠٠ الكلام والصمت ٠٠ مشاركة له فى كل حالته من السعادة والهناء ٠٠ فى زيارته اليومية للمسكينة ٠٠ مسز ويستون ٠٠ حتى لا يخيب أملها فيه؟

ووصلا الى « راندالز » ٠٠ وكانت مسز ويستون تجلس وحيدة فى قاعة الاستقبال ٠٠ ولكن لم يسمعا أى شىء عن الطفلة ٠٠ لأن مســـز ويستون كانت مشغولة بترحيبها ٠٠ وحديثها ٠٠ وشكرها لمستر وود هاوس على كرمه ٠٠ وزيارته ٠٠ وسؤاله الدائم عنها ٠٠ ؟ حين لمحوا شبحين يمران أمام النافذة :

قالت مسز ويستون :

— انه فرانك ٠٠ ومس فاريفكس ٠٠ لقـــد كنت على وشـــك اخباركما بالمفاجأة التى فوجئنا بها هذا الصباح ٠٠ لقد وصل هنا فجأة ٠٠ بدون أية مقدمات ٠٠ وسوف يمكث معنا حتى صباح اليوم التالى ٠٠ ومن المفروض أن تمضى معنا ٠٠ مس فاريفكس هذا اليوم ٠٠ وأعتقد انهما سوف يأتيان الى هنا رأسا ٠٠ ؟

وفى أقل من نصف دقيقة ٠٠ كانا فى داخل الحجرة ٠٠ وحقا ٠٠ كانت ايما شديدة السعادة لرؤيته ٠٠ دون ما زيف ولا خداع ٠٠ حقيقة ٠٠ كانت سعيدة جدا وتقابلا ٠٠ بتحية متحفظة قليلا ٠٠ ؟

وكان هناك القليل جدا ليقال ٠٠ وحينما جلسوا ٠٠ ابتدأت ايما تشك ٠٠ فيما اذا كانت حقيقة هى راغبة فى رؤياه ٠٠ أم أن هذا يرجع الى عدم رؤيته من مدة طويلة ٠٠ وهل سوف يؤثر فيها عدم رؤياه أو ٠٠ سيان عندها ٠٠ وهل رؤيته مع « جين فاريفكس » قد حد من اشتعال الرغبة فى رؤيته ٠٠ أم ماذا ٠٠ ؟

وكانت كل هذه الافكار تدور فى رأس ايما ٠٠ حين لحق بهم ٠٠ مستر ويستون ٠٠ ومعه الطفلة ٠٠ وحدث هذه الحركة من توتر المشاعر ٠٠ وشجعت فرانك تشرشل على التقرب اليها ٠٠ قائلا :

— أننى أشكرك يا مس وود هاوس ٠٠ على تحيتك ٠٠ ومغفرتك فى احدى خطابات مستر ويستون لى ٠٠ ؟

واتمنى ألا يكون الزمن قـــد محى غفرانك ٠٠ وانك لم تنسى ما كتبتينه ٠٠ ؟

قالت ايما ٠٠ وهى سعيدة لأنه بدأ الكلام :

— لا ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ لا ٠٠ وأننى سعيدة ٠٠ فعلا ٠٠ لأمد لك يدى مصافحة ٠٠ ومهنئة ٠٠ تهنئة ٠٠ شخصية ٠٠ ؟

وشكرها بكل مشاعر قلبه ٠٠ وعمق احساســـاته ٠٠ واستمر يتكلم لبعض الوقت عن امتنانه ٠٠ وشعوره الصادق بالسعادة ٠٠ ؟

قال ٠٠ وهو يدير عينيه الى « جين » ٠٠ ؟

— هيه ٠٠ أفضل ألف مرة ٠٠ مما كانت ٠٠ أليس كذلك ٠٠ أنت ترين ٠٠ كم شغف بها والدى ٠٠ ومسز ويستون أيضا ٠٠ ؟

وبعد لحظة ٠٠ عادت اليه روحه المرحة ٠٠ وبعينيه الضاحكتين ذكر توقع عودة « التشامبلز » ٠٠ وذكر اسم « ديكسون » وهنا احمر وجه ايما ٠٠ واقلت :

— أنا ٠٠ لا ٠٠ أبدا ٠٠ لا أفكر فى هذا الأمر دون ما خجل شديد ٠٠ أوه ٠٠ كم أنا خجلة ٠٠ أجاب :

— خجل .. خجل .. هذا الخجل يجب أن يكون لى أنا .. لكن من الممكن الا يكون عندك أى توقع .. فيما حدث .. هل لديك شىء ... ؟

— أبدا .. ليس لدى أى شىء .. أوكد لك ؟

— هذا يبدو عجيبا جدا .. ولاننى كنت قريبا منك جـــدا .. وكنت أرغب فيه فعلا .. وكان هذا قطعا افضل .. ولكن .. بما أننى أفعل اخطاء كثيرة .. وكل تصرفاتى خاطئة .. فلا سبيل الى أى شىء الا أن أحيط اللثام عن كل شىء .. وأخبرك بالسر .. ؟

— أنه الآن .. سيكون لك بعض العذر .. ؟

قال هـــو :

— لقد كان عندى أمل كبير .. فى أن يزور عمى .. «راندالز» ليقدم اليها .. وعندما يعود « التشامبلز » سوف نقابلهم فى لندن .. ونستمر هناك .. وأنا واثق .. من انهم ســـوف يأخذوننى معهم .. ألا ترين يا مس وود هاوس .. أن هناك مسافة بينى وبينها .. أليس هذا شىء قاسى .. مؤلم .. حتى هذا الصباح لم نتقابل أبدا الا فى يوم القرار .. ؟

وشاركته ايما فى ألمه . ثم بعد لحظة تفكير .. صاح فى مرح :

— آه .. فكرة .. ؟

ثم بصوت هامس :

— أتمنى أن يكون مستر نايتلى فى صحة جيدة .. ؟

ونظر اليها بامعان .. فاحمر وجهها .. ثم ضـــحكت وعاود هو حديثه قائلا :

— انا أعرف بانك قد قرأت خطابى الذى اتمنى لك فيه كـل السعادة .. والآن .. دعينى أعيد اليك التهنئة .. وتاكيـــدى باننى سمعت الأخبار بفرح ورضـــاء .. أنه رجل .. أعتقـــد أنه لا يوجـــد أفضل منه .. ؟

وابتهجت ايما بمديحه .. وتهنئته .. وكانت تمتنى أن يستمر .. ولكن بدا أن عقله قد انتقل سريعا الى شئونه الخاصة .. والى حبيبته

« جين » وكانت كلماته التالية هى :

— هل رأيت فى حياتك مثل هذه البشرة الوردية ومثل هـــذه النعومة . ومثل هذه الرقة .. شقراء .. سمراء .. لا يمكن أن نسميها شقراء .. ولا يمكن أن نسميها سمراء .. انها تعقيد غريب .. غيـــر عادى .. ماذا نسميها .. هيه .. عيون زرقاء ..رموش ســـوداء .. وشعر أسود .. ألوان غريبة .. مزيج غريب .. انه مزيج الجمال .. ؟

قالت ايما مؤيدة :

— أننى طالما اعجبت بهذا التضارب .. بين بشرتها البيضاء .. الناصعة البياض .. ورموشها الســـوداء .. وعيـــونها الزرقاء .. وشعرها الأسود .. ولكننى .. لا أدرى .. متى وجدتها ضعيفة شاحبة .. آه .. عندما بدأت تتكلم عنها .. هل نسيت ذلك تماما .. ؟

— أوه .. لا .. لا .. لقد كنت كلبا مسعورا كيف تجرأت على هذا القول .. كيف .. كيف .. ولكنه ضحك من قلبه .. عندما فكرته ايما بقولها :

— ولكننى الآن متأكدة من انك فى ذلك الوقت كنت تريد أن تلعب علينا لعبة .. نعم .. أنا متأكدة من انك قد قصدت هذا .. ؟

— أوه .. لا .. لا .. كيف يمكنك أن تتخيلى شىء مثل هذا .. لقد كنت أتعس انسان فى ذلك الوقت .. ؟

— أتعس انسان لتتكلم معنا كلنا .. لتلعب معنا لعبة الحب .. كلنا .. للتحايل علينا كلنا .. اعتقد أن أول واحدة .. وثانى واحدة .. وثالث واحدة .. قد عرفت رأيها فيك بصدق وصراحة .. ؟

واطرق برأسه .. وأضافت هى بنظرة احساس صادق :

— أعتقد أن هذا كان فى صالحنا كلنا .. نعم فى صالحنا .. لكى ترتبط كل منا .. بالشخص الذى يلائمها .. ؟

اجابها بحرارة :

— نعم .. نعم .. فعلا .. هذا حقيقى .. هذا حقيقى .. لى أنا .. وليس لك .. لأنه لا يوجد انسان أفضل منك أنت .. ولكن هى .. بالنسبة لى .. فهى ملاك .. انظرى اليها .. فى كل لفتة من لفتاتها

فى كل حركة ٠٠ فى كل ايماءة ٠٠ فى كل اطراقة ٠٠ وفى كل نظرة ٠٠ انظرى الى حركة عنقها ٠٠ الى لفتات عينيها ٠٠ انظرى اليها وهى تنظر الى والدى سوف تسعدين حين تسمعينه يهمس اليها باهتمام وجدية ٠٠ بأن عمى سوف يعطيها كل مجوهرات عمتى ٠٠ انها مجموعة جديدة ٠٠ واننى كنت أرجو فى يوم ما ٠٠ أن أحصل على واحدة ٠٠ لأهديها لها ٠٠ انها تكون رائعة فى شعرها الأسود ٠٠ ؟

اجابت ايما :

— جميلة ٠٠ جميلة ٠٠ حقا ٠٠ ؟

وكان كلامها بكل رقة ولطف ٠٠ وحنان ٠٠ بحيث جعلته يتنهد ٠٠ ويقول لها شاكرا : ـ « اننى سعيد ٠٠ سعيدا حقا ٠٠ لاقابلك ثانيا واسعد برؤية تعبيراتك الجميلة الممتازة ٠٠ اننى لا أعادل هذه المقابلة بالعالم كله ٠٠ اننى حقيقة ٠٠ قد قصرت فى الذهاب الى هارتفيلد وأنت ٠٠ هل تأتين الينا ٠٠ ؟

— وكان الآخرون يتحدثون عن الطفلة٠٠ومسز ويستون تقدم تقريرا عن حالتها ٠٠ وعن الأزمة التى مرت بها فى الليلة السابقة ٠٠ وهى تؤمن بانها كانت بلهاء ٠٠ ومتخوفة دائما من لا شىء ٠٠ وكانت تصر على استدعاء مستر بيرى ٠٠ وهى خجلة من تصرفاتها ولكن مستر ويستون ٠٠ يهدئها ٠٠ وفى أقل من نصف ساعة ٠٠ عادت الطفلة الى حيويتها وصحتها ٠٠ وهذا هو تاريخ الطفلة منذ أمس ٠٠ وبالطبع كان هذا السرد الممتع يسعد مستر وود هاوس الذى كان من رأيها فى صواب حكمتها ٠٠ طلب مستر بيرى ٠٠ ولكنه يأسف لأنها لم تفعل ٠٠ ؟

ومع ذلك ٠٠ فانه ينصحها بان تداوم على استشارة مستر بيرى ٠٠ ولو أن الطفلة تبدو فى صحة جيدة ٠٠ الا أنه كان من الأفضل أن يراها ٠٠ مستر بيرى ٠٠ ؟

والتقط فرانك تشرشل الاسم ٠ والتفت الى ايما ليتكلم بمحاولة للفت انظار جين فاريفكس :

— بيرى ٠ ٠صديقى العزيز مستر بيرى ٠٠ آه ٠٠ ماذا تقولون

عن مستر بيرى .. هل كان هنا هذا الصباح وكيف يسافر الآن .. هل أعد عربته .. ؟

وبسرعة فهمته ايما .. وشاركته فى الضحك وبدا فعلا أن محاولته قد نجحت فى لفت انظار جين .. وصاح هو :

— آه .. انه حلم غير عادى .. اننى لا يمكن أن افكر فيه دون أن اضحك .. آه .. انظرى .. مس وود هاوس .. انها تسمعنا .. انظرى اليها .. انه شىء غير عادى أن تنصت للآخرين .. اننى أرى فى وجنتيها .. مشروع ابتسامة .. انها لا يمكن أن تفعل شيئا أكثر من ذلك .. أن تستمع الى الآخرين .. ؟

ووجدت جين نفسها مرغمة على الابتسامة .. للحظة .. لتلتفت اليه وتقول بكل جدية واهتمام :

— كيف تتحمل مثل هذه الغمزات واللمزات . .الا يمكنك أن تكف عنها ..؟

وشعرت ايما بالسعادة . .والاعجاب لحزم جين .. وكانت معها بكل جوارحها فى تصرفاتها الرصينة الحازمة .. ؟

وحين مغادرتها « لراندالز » .. وجدت نفسها فى مقارنة سريعة مرة أخرى .. بين الرجلين .. واستقرت على الرأى النهائى الذى أسعدها وملاء قلبها بالفرح والابتهاج .. حقا لقد سعدت برؤية فرانك تشرشل .. واستمتعت بمرحه .. ولكن .. لا وجه للمقارنة .. بينه وبين مستر نايتلى لقد ارتفع فى نظرها الآن .. أكثر من ذى قبل بعد أن عادت أمام عينيها ترهات .. فرانك تشرشل .. ؟



الفصل الرابع والخمسون

مازالت ايما تحمل فى حناياها قلقا وهما ٠٠ من ناحية «هاريت» ٠٠ شك قاتل فى امكانية شفائها من تعلقها بمستر نايتلى ٠٠ انها قبلت تحت ضغط الظروف ٠٠ الارتباط بأى رجل يتقدم لها ٠٠ ولوقت طويل ظلت ايما تقاسى وتعانى ٠٠ من هذا التفكير ٠٠ ؟

وبعد بضعة أيام ٠٠ وصلت المجموعة كلها من لندن وتمكنت ايما من الجلوس مع هارييت ساعة بطـــولها ٠٠ استطاعت فيها أن تعـــرف مشاعرها ٠٠ وقصة هذه الخطبة ٠٠ وفعلا قال مستر نايتلى الصدق ٠٠ فانها قد قبلت هذه الخطبة راضية ٠٠ لأنها تشكل كـــل أبعاد سعادتها المقبـــلة ٠٠ ؟

وبدت هارييت فى بادىء الأمر بنظرات حائرة ٠٠ تائهة ٠٠بلهاء ٠٠ وكانت تتصرف بسفاهة ولكن بعد وقت قليل ٠٠ أعطتها ايما ٠٠ الثقة والحب ٠٠ وقابلتها مقابلة حارة ٠٠ وهنأتها ٠٠ من صميم قلبها٠٠ فبدت بطبيعتها الحلوة ٠٠ وكانها قد نسيت أو تناست ٠٠ كل ما كان فى الماضى ٠٠ ولم تعد تتكلم ٠٠ أو تشير الا الى سعادتها المقبلة ٠٠ ؟

وجلست الى ايما ٠٠ تعطيها تفاصيل المقابلة ٠٠ فى « أستلى » ٠٠ ثم الغذاء فى اليوم التالى ٠٠ وكانت تحكى شىء ٠٠ بانعكاس بريق الفرح والسعادة فى عينيها المعبرتين ٠٠ ؟

ولكن ايما ٠٠ تريد ايضاحا أكثر ٠٠ تريد اقتناعا ٠٠ أكثر ٠٠ ما هذا الذى تقصه هارييت ما هذا ٠٠ انها تريد أن تعرف ما بداخل قلب هارييت من مشاعر ٠٠ ؟

وعرفتها ايما ٠٠ نعـــم ٠٠ ان هارييت كانت دائما أبدا تحـــب « روبرت مارتن » ٠٠ واستمرار حبه لها ٠٠ بعث حبها من مرقده ٠٠ وبجانب هذا ٠٠ فان هذا الارتباط بالطبع ٠٠ سوف يسعد ايما ٠٠ ؟

وعلى أى حال ٠٠ فان كل يوم جديد كان يبشر برضاء هارييت ٠٠ وبسعادتها ٠٠ وعرف مولد هارييت ٠٠ انها ابنة تاجر ٠٠ عنده المقدرة والثراء الكافى ليقدم لها ٠٠ امكانيات الاستقرار الكافى ٠٠ ورأت ايما انه ليس من النبل الكافى الذى كانت سوف تقدم ابنته لمستر نايتلى ٠٠ أو لمستر ايلتون ٠٠ أو لفرانك تشرشل ٠٠ انه من المستوى العادى ٠٠ ؟

ولم يكن هناك أى اعتراض من جانب الوالد .. واعطيت الحرية الكاملة لمستر روبرت مارتن .. ليفعل ما يرغب فيه .. والآن .. تعودت ايما على لقاءات روبرت مارتن فى هارتفيلد .. ووجدت فيه الصدق .. والحب والاخلاص الذى يضمن سعادة صديقتها الصغيرة .. ؟

وآمنت ايما .. بأن هارييت كانت أبدا لم .. ولن تجد سعادتها مع أى رجل غير هذا الرجل « روبرت مارتن » .. كما أن المنزل الذى هيأه لها به من الاستقرار والسعادة ما يفرح قلب الصغيرة هارييت .. انها فى هذا البيت .. وفى حماية .. ورعاية هذا الرجل .. سوف تشعر بالأمان .. وتبعد عن الاغراء .. وتكون موضع الاحترام .. من كـــل المجتمع المحيط بها .. وقد اعترفت ايما لها .. بانها أسعد امرأة فى العالم .. بل أسعد مخلوقة .. لتصادف مثل هذا الحظ .. وأن عليها أن تشكر الله على هذه النعمة الكبرى .. ؟

وبالطبع .. كان لارتباط هارييت « بالمارتنز » سببا فى تباعدها عن مجتمع « هارتفيلد » والذى بالطبع .. كان لا يؤثر على ايما فى شىء فان هذا التعلق الماضى .. وهذه المحبة .. الزائدة عن كل حد .. كا نلابد لها أن تتوقف أو تتحول الى صداقة .. وتفاهم .. وتمنيات طيبة .. لكل منهما .. وكان هذا لابد وأن يكون منذ البداية .. لأن هذه العلاقة والصلة التى كانت يجب أن تكون دائما .. وأبدا .. ؟

وقبل نهاية سبتمبر .. رافقت ايما « هارييت » الى الكنيسة » .. وشاهدتها وهى تضع يدها فى يد روبرت مارتن .. بسعادة تامة .. وفرح غامر .. ولا أى شىء يعكر صفوها .. ولا سحابة فكر .. أو ذكرى .. او حتى لمحة منها لمستر ايلتون .. الذى كان يقف أمامهما .. فانها بالطبع .. لم تر فيه الا مستر ايلتون القس الذى يعقد قرانها .. ولكن مستر ايلتون القديم لا .. لا .. لم تعد بها أى ذكرى له .. وكان روبرت مارتن وهارييت سميث .. آخر اثنين فى المجموعة كلها هما .. أول من تزوج منها .. ؟

وتركت « جين فاريفكس » .. هايبرى واستقرت فى البيت الذى تشعر فيه بالراحة والسعادة .. بيتها القديم .. وعائلتها القديمة ..

عائلة « تشامبلز » وكان مستر تشرشل فى المدينة ولم يكن هناك أى شيء يؤخر من زواجهما ٠٠ لأنه كان قد تحدد له ٠٠ شهر نوفمبر ٠٠ ؟

اما ايما ٠٠ فقد تقرر زواجها فى الشهر الذى يوافق اجازة « جون وايزابيلا » أى فى الفترة التى اعتادا قضائها فى هارتفيلد ٠٠ لكى تكون هذه الفرصة ٠٠ فرصة لايما ونايتلى أيضا لقضاء رحلتهما فى شاطىء البحر ٠٠ وكانت هذه هى الخطـــة ٠٠ التى وافق عليها الجميع ٠٠ الا مستر وود هاوس ٠٠ كيف يمكن أن يحدث هذا ٠٠ ؟

وفى الحقيقة ٠٠ أنه فى أول امر ٠٠ وعندما سمع الخبر ٠٠ كان الألم لا يحتمل ٠٠ وكان شيء لا أمل فيه ٠٠ ولكن فى المرة الثانية ٠٠ أصبح الخبر ٠٠ أقل ايلاما ٠٠ وأكثر احتمالا ٠٠ وفى المرة الثالثة كان من الممكن أن يقول أنه لا يستطيع أن يمنعه ٠٠ وعلى أى حال ٠٠ وفى كل حال ٠٠ وبالرغم من كل ذلك ٠٠ فانه غير سعيد ٠٠ ؟

وبدا تعيسا ٠٠ حزينا ٠٠ يائسا ٠٠ حتى فقدت ابنته كل شجاعتها ٠٠ وأصبحت فى حالة يرثى لها ٠٠ انها لا يمكن أن تتحمل آلام ٠٠ والدها ٠٠ لا يمكن ان تراه هكذا ٠٠ فى اعتقاده أنه قد أصبح كما مهملا ٠٠ ونسيا منسيا ٠٠ ؟

ولكن مستر نايتلى ٠ اقنعها ٠٠ بانه عندما يجد نفسه امام الأمر الواقع ٠٠ سوف تخف حدة هذا الألم ٠٠ وهذه المعاناة ٠٠ ويصبح كل شيء عاديا بالنسبة له ٠٠ بل سوف يعتاد عليه ٠٠ ؟

وترددت ايما ٠٠ وتحيرت ٠٠ ولكن لم يكن فى وسعها الا السكوت على ما تقرر ٠٠ ؟

وكان من الصعب جدا على مشاعر مستر وود هاوس أن تهضم هذا الأمر ٠٠ ولكن ما باليد حيلة ٠٠ وزاد منه ما تقرر بعد ذلك ٠٠ فانه حدث حادث مفاجيء ٠٠ استدعى تواجد جون نايتلى فى لندن فى شهر نوفمبر ٠٠ وعلى هذا ٠ ٠فقد تقرر سرعة تنفيذ الزفاف قبل هذا الشــهر ٠٠ وفى هذا سعادة لايما ٠٠ لأن الموعد قد أصبح على الأبواب ٠٠ ؟

وحدث فى أقل من شهر واحد ٠ من زواج مستر ومسز مارتن ٠٠

أن استدعى ·· مستر ايلتون ·· ليربط ما بين ·· مستر نابتلى ·· ومس وود هاوس ·· ؟

وكان الزواج · تماما مثل اى زواج آخر فلم يكن هناك استعراض · أو حفل كبير ·· وقالت مسز ايلتون لزوجها ·· ؟

ـــ « انها تعتقد أن الزفاف كان سيئا ·· حقيرا جدا ·· أو، ·· ما هذا ·· ثوب من الساتان ·· طرحة زفارف صغيرة ·· أوه ان «سيليذا» سوف تنزعج عندما تسمع هذا ·· ؟

ولكن ·· بالرغم من كل هذه التفاهات ·· كانت هناك ·· الآمال ·· والتمنيات والمحبة ·· لزواج سعيد ·· من قلوب وأيدى الأصدقاء الذين كانوا يلتفون حول العروسين السعيدين ·· ؟

تمـــت



هــــذه الرواية :

« ايما » أو « ايمـــا وود هاوس » .. التى ينشـــط ذهنهـا .. وتفكيرها .. لكل حدث ولكل قيل .. وقال .. لتبنى عليه استنتاجاتها وتمارس تخطيطاتها .. لتنفيذ لعبتها .. المفضلة « لعبة الزواج » ..

— ان جين أوستـن .. تصور فى هـــذه الرواية .. المجتمع الريفى الانجليزى القـــديم .. والذى كانت تتمثل كل مســـراته .. ومتعته فى الزيارات .. والاجتماعات واللقاءات .. ومتعة تناول الشاى .. والأحاديث ..

— فهل نجحت « ايما وود هاوس » فى ممارسة هذه اللعبة .. أم فشـلت .. ؟

— انه القدر .. والقدر وحده .. هو الذى رسم خيوطه بهذه الدقة .. وكان المحرك الأول .. والأخير .. فى ربط شخصيات هـــذه الرواية بعضهم ببعض .. بعيدا كل البعد عن تخطيطات « ايما » .. فـلم تــكن أبـــدا .. هى « لعبـــة » « ايما وود هاوس » بل كانت « لعبة القــدر » .

— وقد قامت الأديبة القديرة « لوسى يعقوب » بترجمة هـــذه الرواية الرائعة ترجمة أدبية .. رفيعة المستوى .. لقلم راسخ فى شتى مجالات الفكر والأدب .. لتساهم فى تنمية الفكر الثقافى العالمى بأسلوب يصل الى عقل وقلب القارىء المفكر .. والقارىء العادى .. ؟

النـاشــر